

الآباء الأولون

١

القديس كيرلس الأورشليمي

حياته، مقالاته لطالبي العماد، الأسرار

الطبعة الثانية

٢٠٠٦

إعداد

القمص تادرس يعقوب ملطي

كنيسة الشهيد مار جرجس إسبورتنج

بسم الآب والابن والروح القدس
الإله الواحد آمين

الكتاب: القديس كيرلس الأورشليمي.
المؤلف: القمص تادرس يعقوب ملطي.
الناشر: كنيسة الشهيد مارجرس باسبورتنج.
الطبعة: الثانية ٢٠٠٦.
رقم الإيداع بدار الكتاب ١٧٢٧ لسنة ١٩٧٠.

القديس كيرلس والكنيسة الأولى

ترسم لنا حياة القديس كيرلس رئيس أساقفة أورشليم ومقالاته صورة حيّة ناطقة للكنيسة في القرن الرابع، خاصة الكنيسة الشرقية.

١. فبالرغم من قلة ما سجّله لنا المؤرخين الأولون عن حياته لكننا خلال ما وصل إلينا من حياته ومقالاته نستطيع أن نستشف بسهولة **واقعية الكنيسة الأولى كما هي**، دون أن تمتد إليها يد لإظهارها في غير ما هي عليه.

حقاً إن محبة الكثيرين للكنيسة الأولى دفعتهم لاشعورياً بكل أسف أن يحاولوا إبرازها كما هي مرسومة في مخيلاتهم، كنيسة ذات قيادات معصومة من الخطأ، أتعابها كلها من الخارج. وهم بهذا يشوّهون الكنيسة بغير ما يدرون، لأنهم يؤلّهون القديسين والمجاهدين ويصورونهم في غير واقعهم.

وإنني أجد نفسي لست أهلاً لأنحني مطوّباً آبائي القديسين الأولين في الكنيسة الأولى، فإن سيرتهم حلوة وعذبة، تستريح لها النفس وتشتّم من خلالها رائحة المسيح الذكيّة. لكن يجدر بنا ألاّ نؤلّههم ولا نعصمهم من الضعف والخطأ، بل نحبهم ونكرمهم ونقتدي بجهادهم ونصادقهم ونطلب صلواتهم عنّا!

إن الكنيسة الأولى أيها العزيز، كما ستلمس بنفسك، كنيسة قويّة حيّة عاملة عمل عريسها ربنا يسوع الكرازي، تجتذب يهوداً ووثنيين كل يوم إلى الإيمان، دون أن تُحرم من آلام وأتعاب من الخارج وفي الداخل، مملوءة قديسين، وتسأل إليها أيضاً أجراً وذناباً!

٢. كذلك من خلال مقالات هذا القديس المتسمة بالبساطة مع الصراحة والانفتاح للناس تتلمس **المبادئ الأساسية التي تغرسها الكنيسة في نفوس الموعوظين** لتبقي أساساً لهم في حياتهم كل أيام غربتهم. هذه المبادئ يليق بنا أن ندرسها ونحفظها ونردها ونعيش بها.

٣. خلالها أيضاً تتكشف **مفاهيم الكنيسة الأولى وفكرها** من جهة التوبة والعماد والجهاد والأصوام والصلوات والكراسة والخدمة، في أسلوب بسيط بلا تفلسف ولا تكلف.

٤. أفاض القديس كثيراً في **الحديث عن الطقوس** في حيويتها ودلالاتها، كما تتذوقها الكنيسة الأولى.

الرب قادر أن يستخدم هذا العمل لمجد اسمه، وبركة لنا لنعيش بروح آبائنا. آمين.

القمص تادرس يعقوب ملطي

الإسكندرية في ١٩٧٠ م

الباب الأول

القديس كيرلس الأورشليمي

أولاً: حياته

- ١ . حياته.
- ٢ . كتاباته.
- ٣ . تعليم طالبي العماد.
- ٤ . طقوس عماد الموعوظين.

حياته

نشأ القديس كيرلس في وقت تغلغت فيه الأفكار الأريوسية^١ واقتنصت بعض الأساقفة الذين انصرفوا عن رسالة الكنيسة والإيمان المستقيم.

في وسط هذا الجو العاصف وُلد كيرلس من أبوين تقيين مستقيمي الإيمان^٢ فأرضعاه إياه. ويمكننا أن نلتمس ذلك من مقالاته حيث يتحدث عن شعوره بالدين تجاه والديه وشوقه إلى رد الجميل لهما^٣. هذا وإننا لا نجد في مقالاته التي اتسمت بالصراحة أي تلميح من بعيدٍ أو قريبٍ أنه كان يومًا ما هرطوقيًا أو وثنيًا.

أما عن عائلته، فلا نعرف منها أحدًا بالاسم اللهم إلا ابن أخته الأنبا جلاسيوس أسقف قيصرية، الذي أشار إليه عند موت أكاسيوس^٤ *Acacius* سنة ٣٦٦م.

ويرجح البعض^٥ أنه ولد في أورشليم أو على الأقل نشأ فيها وهو طفل، معللين ذلك بسببين:
١. عادة لا يُرسم رئيس أساقفة على أورشليم إلا من كان قد نشأ فيها وعرفه شعبها معرفة قوية منذ نشأة حياته.

٢. ما أورده بالتفصيل في مقالاته أنه رأى عيائنا الأماكن المقدسة في أورشليم قبل أن تمتد إليها يد الإمبراطور البار قسطنطين والملكة البارة هيلانة سنة ٣٢٦م لإصلاحها وتزيينها، وهذا يعني أنه رآها وهو أقل من ١٠ أو ١٢ سنة.

^١ أريوس هو تلميذ ملاتيوس أسقف أسيوط، أنكر الإيمان وسجد للأوثان فحرمه البابا بطرس خاتم الشهداء. جاء أريوس إلى البابا نادماً، مظهرًا كل انسحاق قلب حتى رسمه فيما بعد شماساً فقساً. لكنه أنكر لاهوت المسيح فحرمه البابا، وقبل استشهاده حاول أن ينال حلاً منه لكن البابا رأى رؤيا تمنعه من ذلك فاستشهد البابا وهو غاضب عليه. بعد استشهاد البابا بطرس أظهر ندماً أمام خلفه البابا أرشلاوس، فقبله كاهناً علي إحدى كنائس الإسكندرية، وبعد انتقال البابا رشح نفسه للبطريركية، فرفضه الشعب وأقاموا البابا الكسندروس. بدأ أريوس ببث سمومه، فانعقد مجمع مسكوني من ٣١٨ أسقفًا سنة ٣٢٥م حرّمه هو وأتباعه، وقد تَلَأَّتْ غيرَةُ أثناسيوس في هذا المجمع حتى أعجب الكل منه، وصار بطريركًا بعد الكسندروس. حاول أريوس استمالته فلم يقبله. التجأ إلى الإمبراطور ليتوسط له لدى بطريرك القسطنطينية ليقبله في الخدمة كاتبًا بخط يده أنه يؤمن بلاهوت المسيح.

لم يستطع البطريرك أن يرفضه بعدما اعترف بالإيمان المستقيم كتابة، فطلب مهلة لمدة أسبوع صلي فيها مع كهنته وشعبه لكي ينقذ الله كنيسته من خداعات أريوس. وفي يوم الأحد دخل أريوس وأتباعه إلى الكنيسة بعدما أشاعوا الخبر في كل القسطنطينية. دخل البطريرك حزينا، لكن أريوس شعر بمغصٍ حادٍ، فدخل إلى المرحاض، وهناك اندلقت أحشاؤه وصار في خزيٍ عظيم.
^٢ السنكسار اليوناني.

^٣ مقال ٧.

^٤ ذكره القديس جيروم في كتابه: "حياة مشاهير الرجال، فصل ٩٨" أنه كان فاقداً أحد عينيّه، كتب ١٧ مجلداً عن الجامعة Ecclesiastes، ٦ مجلدات في الإجابة عن أسئلة متنوعة، وله عدة مقالات في مواضيع مختلفة.

^٥ Cf. N. & P. N. Fathers Series ٢. vo ١ ٧.

كيرلس الراهب

جاء في التقليد أنه راهب ناسك، وربما اعتمد في ذلك على ما ورد في مقالاته من عبارات ينسب فيها نفسه إلى فئة المتوحدين. إلا أننا نعلم أن كثيرين لم تتح لهم فرصة الانطلاق إلى البرية أو التمتع بالشركة في دير، ف عاشوا في حياة التوحد داخل المدن في بيوت منعزلة، هكذا التهب قلب كيرلس بالحب الإلهي، فعشق الخلوة مع الله، وكرس كل وقته للعبادة والدراسة.

لم يكن يخرج من منزله إلا للاشتراك مع المؤمنين في الصلاة مكرسًا نهاره وليله للخلوة مع سيده، حتى قال مختبرًا: [هل يوجد أنفع من الليل ليصير الإنسان حكيماً؟!] فقد اختبر حياة السهر والجهد في الصلاة مع القراءة والتأمل ليتعلم الحكمة السمائية^١.

كيرلس الكاهن

جاء عرضًا في إحدى ملاحظات القديس إيرونيموس (جيروم) أن الأنبا مكاريوس أسقف أورشليم رسمه شماسًا. وغالبًا ما يكون هذا في أواخر حياته على الأرض إذ تنجح حوالي آخر سنة ٣٣٤م، أو على الأكثر بداية سنة ٣٣٥م^٢.

بعد نياحة الأنبا مكاريوس خلفه الأنبا مكسيموس المعترف^٣ أسقفًا على أورشليم، وقد أحب كيرلس جدًا ووثق فيه، فرسمه كاهنًا سنة ٣٤٣م، وأوكل إليه تعليم الموعوظين، وكان ذلك حوالي سنة ٣٤٧م أو ٣٤٨م، والتي تكاد أن تكون كل ما وصل إلينا من مؤلفاته.

كيرلس رئيس أساقفة أورشليم

في أواخر عام ٣٥٠م سيم أسقفًا على أورشليم، وكان ذلك بمساعدة أكاسيوس أسقف قيصرية بفلسطين وبتروفلين للذين كانت لهما ميول أريوسية وبيغضان الأنبا مكسيموس^٤.

إننا لا نعرف ما هو الدافع الذي بعثهما إلى ذلك، إذا كانت رسامته غير واضحة.

وقد بدأ عهده بحادث مفرح، وذلك أنه في ٧ مايو سنة ٣٥١م حوالي التاسعة صباحًا في يوم صحو مشمس، ظهر صليب منير في السماء أكثر لمعانًا من الشمس، تعلق فوق جبل الجلجثة، وامتد إلى جبل الزيتون، وبقي ساعات طويلة حتى رآه جميع سكان أورشليم: المواطنون والغرباء، المسيحيون واليهود والوثنيون، الشيوخ والصغار، فتدفق الكل نحو الكنيسة وكانوا يسبحون الله ويمجدونه، إذ تأكد لكثيرين صحة الديانة المسيحية.

ارتجت المدينة كلها لهذا المنظر، وبادر الأنبا كيرلس بكتابة رسالة إلى الإمبراطور يصف له ما حدث. ويُشتَم من رسالته أن هذا الأمر كان في بدء أسقفيته.

رعايته

^١ القديس كيرلس الأورشليمي، مورييس فيرسل، ترجمة القمص سمعان.

^٢ ذكر سوزومين في كتابه "التاريخ الكنسي" ٢ : ٢٥ أنه في مجمع صور Tyre المنعقد سنة ٣٣٥ كان الأنبا مكسيموس حاضرًا فيه خلفًا للأنبا مكاريوس الأورشليمي.

^٣ اشتهر بغيرته الدينية لذلك أرسل للعمل في المناجم في أيام اضطهادات الإمبراطور مكسيميانوس، وقد فقد عينيه اليمنى وتبترت ذراعه اليمنى (راجع ثيودورت: التاريخ الكنسي ٢ : ٢٢).

^٤ Socrates: Ecclesiastical History ٣٨.

نستطيع أن نلتمس مدى ما اتسمت به شخصية الراعي كيرلس مما ذكره عنه المؤرخ سوزومين^١ Sozomen. إذ حدثت مجاعة في أورشليم والبلاد المجاورة لها، وقد تكس الفقراء في البطريركية يتضورون جوعاً، رافعين أنظارهم إلى أسقفهم المملوء حباً. وإذا كان الراعي يعيش في حياة نسكية تقشفية لا يملك في بطريركيته شيئاً، لم يجد مفرّاً من أن يبيع بعض أواني الكنيسة ويوزعها على أولاده الفقراء.

قد يبدو هذا التصرف غريباً، لكن أمام الحب المتقد في قلب الأب لم يجد سبيلاً آخر غير هذا. وإننا نجد **القديس يوحنا الذهبي الفم** يطلب الاهتمام بالفقراء قبل الاهتمام بشراء أوانٍ ثمينة لبيت الرب، إذ يقول^٢: [أتريد أن تكرم جسد يسوع؟! لا تتغافل عنه وهو عريان! فلا تكرمه هنا في الكنيسة بثياب ديباج وفي الخارج تضرب عنه صفحاً وهو يموت من البرد والعري. إنه غير محتاج إلى كأس ذهبية بل إلى نفس نقية!]

كيرلس والآلام

وقع صدام بين كيرلس وأكاسيوس ربما كان سبب رغبة الثاني في خضوع الأول له في آرائه الأريوسية، الأمر الذي جعل كيرلس يقوم بمقاومته علناً، مفنداً الآراء الأريوسية ومننداً بها. ولما كان قسطنس يحتضن الأريوسيين، أسرع أكاسيوس بعقد مجمع اتهم فيه كيرلس أنه مبدد لأموال الكنيسة. ولكي يقوي مركزه أسند الاتهام باتهام لاهوتي مدعيّاً أن كيرلس يخلط بين الأقانيم الثلاثة، وبهذا صدر الحكم بتجريدته من أسقفية ونفيه.

لم يبال كيرلس بهذا، بل قام من جانبه بعقد مجمع يبرئه من الاتهامات الموجهة ضده. لكن أكاسيوس المتقرب من الإمبراطور جاء ومعه شزيمة من الجنود، وطارده كيرلس، وأقام أسقفاً أريوسياً عوضاً عنه.

نفى كيرلس إلى أنطاكية، وبعد ذلك إلى طرسوس، فقبله أسقفها سلفانوس كزميل له يشاركه أعمال أسقفية. لكن للأسف كان هذا الأسقف من أتباع الهومائيين^٣ الأمر الذي عرض الأنبا كيرلس للنقد. أسرع أكاسيوس بتحذير سلفانوس ألاّ يشرك كيرلس معه في الخدمة، لكن الثاني لم يبال من أجل محبته لكيرلس، ومن ناحية أخرى كان الشعب قد أعجب بالأسقف الجديد وتعلق به^٤.

وفي عام ٣٥٩م انعقد بسبب أودكسيوس مجمع في سلوكية بـ *Isauria* غرب أرمينيا. وإذا أثر موضوع نفى الأنبا كيرلس فحدث شقاق حاول البعض إقناعه بالانسحاب^٥، لكن بفضل الهومائيين بقي وانسحب أكاسيوس. وبانسحابه استطاع هو وأتباعه من الالتقاء بعظماء القسطنطينية المتصلين بالقصر الإمبراطوري، وعن طريقهم توصلوا إلى الإمبراطور حيث أثاروا غضبه ضد مجمع سلوكية، مقدّمين شكوى أكاسيوس ضد كيرلس التي تتلخص في اتهامه أنه باع لإحدى الراقصات الثوب المقدس الذي أهداه قسطنطين إلى الأنبا مكاريوس الأورشليمي تكريماً لكنيسة أورشليم، لكي ما يلبسه أثناء خدمته طقس العمد المقدس، وهو منسوج بالذهب، وقد أستخدم في المسارح.

هذا الاتهام كان بمثابة عينة قُدمت للإمبراطور لإثارتته ضد كل أعضاء المجمع.

^١ Sozomen: Ecclesiastical History.

^٢ الحب الأخوي طبعه ١٩٦٤ ص ١٧١، ١٧٣.

^٣ "الهومائيون" نسبة إلى كلمة "هومبوس" اليونانية، ومعناها "شبيه"، إذ هم يقولون إن الابن شبيه بالآب.

^٤ Theodoret: Eccles. Hist ٢ : ٢٢.

^٥ Ibid ٢: ٢٣.

وقد قام رجال البلاط بإقناع الإمبراطور إلاّ يستدعي المجمع كله، بل يكتفي بعشرة من قادته منهم: أوسطاسيوس^١ الأرمني وباسيليوس الغلاطي وسلفانوس الطرسوسي وإيليسوس من *Cyzicus*.

نفيه الثاني

مع بداية عام ٣٦٠م انعقد مجمع في القسطنطينية اتهم فيه كيرلس ودين بسبب مشاركته لأوسطاسيوس الأرمني وباسيليوس من أنقرا^٢ وجورج من لاودكية^٣. هؤلاء الثلاثة ليسوا على مبدأ واحد، ولا هم متفقين في شيء، بل منهم من هو أريوسي المذهب كأكاسيوس لكنه كان يبغضهم لدوافع شخصية، خاصة بعدما قبلوا كيرلس عدوه.

هذا وقد شهد التاريخ الكنسي الأول للقدّيس كيرلس أنه بالرغم من اختلاطه بهؤلاء الأساقفة وغيرهم، إلاّ أنه لم ينحرف قط عن مبادئه ولا في سلوكه، بل بقي أرثوذكسي العقيدة والمسلّك. وهذا ما أكده أيضاً مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١م في إحدى محاضره.

نعود لنؤكد أن أكاسيوس لم يستطيع أن يثبت عليه أي اتهام، ولم يكن غايته العقيدة الإيمانية، بل كان كل همه الانتقام منه.

انتهى المجمع بالحكم على الأنبا كيرلس بالنفي للمرة الثانية، وإن كنا لا نعلم عن مكان نفيه شيئاً.

كيرلس في عهد يوليانيوس

لم يبقَ كيرلس في النفي أكثر من سنتين، إذ في ٣ نوفمبر من سنة ٣٦١م مات قنسطنس *Constantius* وهو يستعد لمحاربة ابن عمه يوليانيوس، الذي بعدما تولى الحكم أصدر أمراً بعودة جميع الأساقفة المنفيين إلى كراسيهم. ويقول المؤرخ سوزومين^٤ إنه لم يكن الدافع هو الإشفاق عليهم ولا حباً فيهم، لكنه كان يلذ له أن يري الكنيسة منقسمة متنازعة في داخلها.

عاد كيرلس إلى إيبارشيتته ماراً على أنطاكية حيث استقبله أسقفها القدّيس ميليتوس استقبلاً حاراً. وفي سنة ٣٦٣م قرّب يوليانيوس الجاحد جماعة اليهود إليه. لا محبة فيهم بل إثارة للمسيحيين

^١ أوسطاسيوس أسقف سبسطية في أرمينيا:

اتسم هذا الأب بحياة مقدسة كانت موضع إعجاب وتقدير حتى أعدائه. وقد ألقي به القدّيس باسيليوس الكبير، وقامت بينهما صداقة عريقة. ومدحه جداً بسبب اهتمامه بحياته وتدابير سلوكه (رسائل باسيليوس، ٢٤٤). لكن للأسف لم يكن مستقراً على مبدأ، يتأرجح من تعليم إلى آخر، ويتقبل مبادئ متضاربة. تقبل هرطقات كثيرة منها ما ذكره عنه المؤرخ سقراط (في ٤٣) وهي:

أ. **تحريم الزواج**، فقد أثار كثيرين على ترك زوجاتهم، ومنع الصلاة في بيوت المتزوجين، ونادى بمقت الكاهن الذي يبقى مع زوجته الشرعية التي تزوجها وهو علماني. وبسبب هذا انعقد مجمع جنجرا في *Paplogania* جاء فيه أن من يتمتع عن الشركة في الخدمة بسبب اشتراك كاهن متزوج فيها يكون محروماً (٤٨٠).

ب. **الامتناع عن اللحوم** ليس نسكاً بل كشيء دنس.

ج. **تشجيع بعض غير الراغبين في الاجتماع بالكنيسة** أن يجتمعوا في المنازل.

د. تحت دفاع الشفقة **حرض بعض الخدام على سادتهم**.

و. **سمح بالاستهانة بالأصوام المفروضة**، وأباح الصوم الانتقائي أيام الآحاد.

^٢ **باسيليوس من أنقرا**: على درجة كبيرة من الأخلاق والعلم والذكاء. مقاوم للهومانية والأريوسية والأنومانية *Anomoean*.

^٣ **جورج من لاودكية**: خليع، على درجة منخفضة للغاية في الأخلاق، أريوسي المذهب. جرده البابا الكسندروس من الكهنوت، ولقبه البابا أنثاسيوس "أشر كل الأريوسيين" كان ينتهره حتى أتباعه بسبب بشاعة شره، يبغضه أكاسيوس وأودكسيوس ليس غيراً على الحق، بل لدوافع شخصية.

^٤ Sozomen: E. H. ٥: ٥.

ولإغاثتهم. يذكر لنا المؤرخون أنه أمد اليهود بالمال، وساعدهم مشجعاً إياهم على بناء الهيكل تكذيباً لقول السيد المسيح بخصوص خراب الهيكل. وفعلاً أُعدت جميع أدوات البناء، وتهيأ العمال للعمل، وكان القديس كيرلس يُطمئن نفوس شعبه أن كلمات ربنا يسوع لن تسقط.

ذكر لنا سقراط ثلاث معجزات حدثت في ذلك الوقت^١.

أ. حدثت بالليل زلزلة عنيفة جداً أرعبت العمال اليهود.

ب. جاءت نار، أحرقت مواد البناء استمرت من الصباح حتى المساء.

ج. في الليلة التالية ظهرت انطباعات لصلبان منيرة على ثيابهم، باطلاً حاولوا التخلص منها. ومع هذا كله، فقلوبهم الغبية المظلمة لم تقدر أن تؤمن!

وفي أيام يوليانوس الجاحد أيضاً، يذكر لنا المؤرخ ثيودورت قصة ابن كاهن وثني من المقربين إلى البلاط، أخبره الابن بها بنفسه^٢، ملخصها أنه وهو صبي تعلم على يدي شماسة صديقة حميمة لأمه. آمن بالمسيحية علي يديها، ولما اكتشف أمره هربته إلى الأنبا ميليتوس. وإذ بحث عنه والده ووجده جلدته كثيراً وحرق يديه ورجليه وظهره بمسامير محماة، ثم حبسه في حجرة النوم وذهب إلى معبده... فتمكن الابن من الهروب والالتجاء إلى الشماسة التي ألبسته ثوب فتاة وأخذته في عربة مغطاة وأعادته إلى القديس ميليتوس، وهو بدوره أسلمه إلى القديس كيرلس أسقف أورشليم.

وبعد موت يوليانوس قاد الابن أباه طريق الحق.

أما يوليانوس ففي ٢٦ يونيو من ذات العام (٣٦٣) الذي حاول فيه بناء هيكل اليهود قُتل في حربه ضد الفرس وهو يقول: "غلبتني أيها الجليلي!"

نفيه الثالث

بعد يوليانوس خلفه جوفنيان صاحب الإيمان المستقيم، الذي في عهده استراحت الكنيسة. لكنه لم يبق سوى ٧ شهور، إذ مات في فبراير ٣٦٤م، وخلفه فالنتينيان الأرثوذكسي المبدأ في شهر مارس. وقد سلم الولايات الشرقية إلى أخيه فالنزر معضد الأريوسية.

مضي العامان الأولان دون أن نسمع شيئاً عن الأنبا كيرلس، وفي عام ٣٦٦م مات أكاسيوس، وعلي أثر ذلك قام خلاف بين كيرلس والأريوسيين بخصوص ترشيح خلف له وانتهى الأمر بنفي كيرلس وذلك بمعاونه الإمبراطور الأريوسي.

بقي كيرلس منفياً أحد عشر عاماً حيث عاد إلى كرسيه ليرى كنيسته متألّمة مجروحة من الأريوسيين وأتباع أبوليناريوس^٣.

^١ Socrates: E. H. ٣: ١٠; Rufinius ١: ٣٧.

^٢ Theodoret: E. H.

^٣ أبوليناريوس المبتدع: درس الفلسفة الأفلاطونية، وسيم أسقفًا على اللاذقية بالشام، وقد دفعته فلسفته إلى الاعتقاد بوجود نفسين في الإنسان نفس حيوانية وأخرى عاقلة.

وأن لاهوت المسيح قام مقام الروح الإنسانية، وأن الآلام وقعت عليها أي علي اللاهوت.

وأنه يوجد تمييز بين الثالث: الروح القدس عظيم، والابن أعظم، والأب الأعظم.

وقد عقد البابا أثناسيوس مجمعاً محلياً سنة ٣٦٢م بالإسكندرية رد فيه على بدعته مظهرًا بطلانها.

ويمكننا أن نتلمس مدى ما وصلت إليه الكنيسة في ذلك الوقت من التقرير المحزن الذي قدمه القديس غريغوريوس النيسي (٣٣٥-٣٩٤م) بناء على طلب مجمع أنطاكية المنعقد سنة ٣٧٨م لافتقاد كنائس فلسطين والعربية.

على أي الأحوال عاد الراعي إلى رعيته يتفقدتها ويهتم بشئونها. وقد اشترك في مجمع القسطنطينية^١ المنعقد سنة ٣٨١م بناء على أمر الإمبراطور ثيودوسيوس. وفي عام ٣٨٨م تتيح القديس كيرلس بعدما قضى ٣٨ عامًا أسقفًا على كرسي أورشليم.

هذا وقد قام المبتدع ببحث كل سمومه في كتاب احتفظ به لدى إحدى النساء في أنطاكية، فقام القديس أفرام السرياني باستعارته ثم رده بعدما لصق كل أوراقه ببعضها البعض، ولما حاول المبتدع استخدامه للجدال ووجده هكذا لم يستطع أن يجادل فتأثر جدًا ومات مغتاضًا.

^١ **مجمع القسطنطينية:** انعقد في عهد الإمبراطور ثيودوسيوس الكبير، وقد حضره ١٥٠ أسقفًا من بينهم البابا تيموثاوس السكندري، وميلانيوس أسقف أنطاكية، وغريغوريوس النزينزي... قام للرد علي مكذوبيوس الأريوسي المذهب الذي أنكر لاهوت الروح القدس، وأوسابيوس مجدد بدعة سابيلوس منكر وجود الثلاثة أقانيم، وأبوليناريوس السابق ذكره.

وقد أكمل هذا المجمع قانون الإيمان، خاصًا بالروح القدس فبعد عبارة (نؤمن بالروح القدس) أضاف (الرب المحيي المنيثق من الآب...)

كتابات^١

أهم أعماله

١. مقالاته لطالبي العماد

سجلها الأب كيرلس وهو بعد كاهن عندما أنابه الأنبا مكسيموس المعتبر لتعليمهم سنة ٣٤٧ أو ٣٤٨ م. وتعتبر هذه المقالات فريدة في نوعها، إذ هي مجموعة كاملة للتعاليم التي تقدمها الكنيسة الأولى للموعوظين طالبي العماد. يعلق Quasten على هذه المقالات، قائلاً: "ألقى أغلبها في كنيسة القبر المقدس، وهي إحدى أعظم الكنوز المسيحية القديمة الثمينة. توجد ملاحظة مدونة في كثير من المخطوطات، وهي أنها مختزلة، مما يعني أن لدينا نسخة سجلها أحد المستمعين، وليست نسخة الأسقف^٢."

حقاً لقد سجل لنا القديس يوحنا الذهبي الفم مقالين إلى طالبي العماد^٣، وكان غاية اهتمامه أن يكرّم في العادات الوثنية الشريرة التي تأصلت فيهم. كما سجل لنا القديسان غريغوريوس النيسي وأغسطينوس^٤ أحاديث وإرشادات موجهة إلى معلمي الموعوظين لا إلى الموعوظين أنفسهم. وقد وصلت إلينا مقالات أخرى موجهة إلى الموعوظين، جاءت كمقالات فردية أو بين مجموعة مقالات أو عظات^٥.

٢. مقالاته عن الأسرار للمعمدين حديثاً

وهي خمس مقالات، تعتبر تكملة للمقالات السابقة، ولها أهمية خاصة، إذ سجلت لنا الكثير من طقوس الكنيسة الخاصة بأسرار المعمودية والميرون والإفخارستيا، ومعانيها في القرن الرابع.

٣. رسالة إلى الإمبراطور قنستنس Constantius بمناسبة الظهور العجيب لصليب ضخم من النور في ٧ مايو ٣٥١ م، نظروه في أورشليم فوق جبل الجلجثة المقدس ويمتد حتى جبل الزيتون المقدس.

لم ينظره شخص أو اثنان، وإنما رآته الجماهير كلها في المدينة بكل وضوح، ليس إلى لحظات، بل إلى عدة ساعات. وكان نوره يغطي على نور الشمس. فجأة اندفعت الجماهير إلى الكنيسة في خوفٍ ممتزج بالفرح، وكانوا يسبحون ربنا يسوع المسيح. (رسالة إلى الإمبراطور قنستنس، ٤)

٤. عظة على مفلوج بركة بيت صيدا (يو ٥: ٥).

In paralyticum iuxta piscinam iacentem

^١ Cf. N & P N Fathers. Series ٢. vol ٧ ; Johannes Quasten: Patrology, vol. III, p.٣٦٣ ff. (Spectrum Publishers, ١٩٦٦)

^٢ ; Johannes Quasten: Patrology, vol. III, p.٣٦٣.

^٣ Chrysostom: Instructions to Catechumens.

^٤ Greg. Nez: The great Catechetical Oration. Augustine: De Catech..

^٥ من هذه المقالات: (أ) مقال للقديس أغسطينوس عن قانون الإيمان ترجم ولم يطبع بعد.

(ب) أربع عظات عن الصلاة الربانية موجهة للمستعدين للعماد، وقد سبق لي ترجمتها وطبعت بالاستئصال: "عظات على فصول منتخبة من العهد الجديد ٦-٩"، الناشر مدارس أحد العذراء محرم بك. وأعادت طبعتها بعد دمجها وتبويبها تحت عنوان "الصلاة الربانية" لأغسطينوس.

غالبًا ألقاها وهو كاهن، إذ أشار إلى الأسقف التابع له.

٥. مقتطفات من عظات على معجزة تحويل الماء خمرًا وعلى يو ١٦ : ٢٨.

٦. مقال عن حضور المسيح في الهيكل ومقابلته مع سمعان... وينسبها البعض إلى القديس كيرلس السكندري.

٧. رسائل ومقتطفات وردت في الطبعة البندكتية. لم يقم الدليل بعد علي صدق نسبتها إليه.

أرثوذكسية إيمانه

إذ قام أكايوس مطران قيصرية بسيامته، وهو أريوسي، اتهمه البعض أنه قدم تنازلات للأريوسية مقابل هذه السيامة.

لم يشر القديس إلى الأريوسية أو الأريوسيين بالاسم، كما أشار إلى بعض الهرطقات والهرطقة، لكنه هاجم أفكار الأريوسيين بكل وضوح، نذكر على سبيل المثال العبارات التالية:

[عندما تسمع "ابن" لا تحسبه أنه مُتَّبَعِي، بل ابنًا بالطبيعة، الابن الوحيد، ليس له أخ. من أجل هذا دعي "الوحيد الجنس"، إذ ليس له أخ من جهة شرف اللاهوت ونسبته للأب. ونحن لا ندعوه "ابن الله" من عندنا، بل الأب دعي المسيح (دون غيره) ابنه وما يدعوه الآباء لأبنائهم هو اسم حق.] مقال ١١ : ٢.

[مرة أخرى أقول عند سماعك عن الابن لا تفهم هذا في معنى غير لائق بل هو ابن بالحق. أنه ابن بالطبيعة بلا بداية، لم يأت من حالة العبودية إلى التبنّي، أي انتقل إلى حالة أعظم، بل هو ابن أبدي مولود بنسب لا يُفحص ولا يدرك.

وينفس الطريقة عند سماعك "البكر" لا تفكر في هذا الأمر بمستوى بشري، لأن البكر في البشر له إخوة آخرون.] مقال ١١ : ٤.

تعليم الموعوظين وطالبي العماد

ترفع الكنيسة أنظارها إلى عريسها ربنا يسوع لتراه علي الدوام باسطاً يديه ليضم إليه أحباءه كل بني البشر، تراه لا يكف عن مناداة الجميع ليلتقوا معه مهما كلفه الأمر.

هذا الموضوع هو سرور عريسها أن يجمع الكل في حضنه، "الأئمة والمتمردين، الفجار والخطاة، الدنسين والمستبحين، قاتلي الآباء وقاتلي الأمهات، قاتلي الناس، الزناة..."^١، بعدما يقدسهم ويطهرهم ويهيئهم للحياة السمائية الملائكية.

هكذا أيضاً تتقدم الكنيسة، كهنتها وشعبها، رجالها ونساؤها، شيوخها وأطفالها، المتزوجون والبتوليون والأرامل. الكل يتقدم بروح عريسهم القدوس ممارسين عملهم، مقدمين له ثمار دمه المسفوك على عود الصليب، نفوساً عرفته وأمنت به.

لم تكن الكنيسة الأولى تعرف السلبية في العبادة، بل تتقدم كنور حقيقي أمام اليهود غير المؤمنين والوثنيين الأشرار، فتشهد لعريسها أمامهم بالحياة المقدسة والسلوك الطيب والقلب المنفتح للخطاة والفم المبارك للمضطهدين والصلاة الدائمة من أجل الكل والحديث عن الحق.

هكذا يقول القديس أغسطينوس^٢: [ما بين اضطهادات العالم وتعزيزات الله تتقدم الكنيسة في سعيها إلى

[الأمام].

وإنني أترك الحديث عن عمل الكنيسة الكرازي للعودة إليه في مجال آخر^٣ مكتفياً الآن بالقول أنها لا تألو جهداً عن أن تشرق تلقائياً بنور المسيح وسط الظلمة فتبددها؛ وتعلن الحق فيموت الباطل، وتشهد للرب لتكسبهم أبناء له، فمتى تقبل إنسان هذا التعليم أو اشتاق إليه يدعى موعوظاً حتى لحظة عماده فيُسمى ابناً. ولما كانت مقالات الأنبا كيرلس الموجهة إلى طالبي العماد تُعتبر من أهم أعماله، لهذا رأيت ضرورة التحدث عن تعليم الموعوظين وطالبي العماد وعن طقوس العماد في الكنيسة الأولى^٤.

أولاً: الموعوظون *Catechumens*

الموعوظ الحقيقي هو من يتقبل التعليم المسيحي لا لمجرد الدراسة العلمية أو الفلسفية أو بغرض آخر سوى التعرف علي الحق وتقبله. حقاً إن كثيرين دخلوا بين صفوف الموعوظين خلسة، منهم من دخل إلى المسيحية معجباً بها كفلسفة أو من أجل البلاغة، كما أعجب أغسطينوس بعظات القديس أمبروسيوس أسقف ميلان، فكان يحضر لا ليعيش في شركة مع الرب بل لمجرد الدراسة الفلسفية. ومنهم من دخل بنية شريرة، أو حباً للاستطلاع، أو بقصد إرضاء الغير، كأن يريد أحد الوثنيين الزواج بفنأة مسيحية أو تريد فتاة وثنية التزوج بمسيحي^٥.

^١ راجع ١ تي ١: ٩.

^٢ الكنيسة الكارزة لأيريس المصري، أخذاً عن

G. Foster; Why Thy Church P. ٤٦.

^٣ راجع كتاب الحب الأخوي، ٤ الحب الجامع أو دور الشعب كنسياً.

^٤ استعنت بما جاء في مجموعة آباء نيقية مجموعة ٢ مجلد ٧.

^٥ راجع المقال الافتتاحي.

هؤلاء يلزم على الراعي أن يفرزهم، فلا يحرمهم من الحضور للوعظ لكن لا يقبلهم في المسيحية ما لم يكن من أجل المسيح المصلوب.

ليس هناك طريق آخر لقبولنا دخول أحد إلى المسيحية سوى قبوله الإيمان بالمسيح، وشوقه لحمل الصليب، والدخول من الباب الضيق للعبور إلى الأبدية. فالكنيسة لا تُسر بالعدد لأنها ليست حزناً منافساً، ولا تتخذ بالمظهر بل تطلب نفوساً حية مُحبة تود الاتحاد بالله والتمتع بالميراث الأبدي. والموعوظون في الكنيسة كانوا ينقسمون إلى أربع درجات حسب درجة تجاوبهم مع التعاليم وغيرتهم وشوقهم للشركة مع الله.

أما عناصر الموعوظين فثلاث:

١. موعوظون من أصل يهودي: تُقدم لهم دراسات في نبوات العهد القديم وتحقيقتها في شخص ربنا يسوع، وتكميل المسيحية للناموس الموسوي.
 ٢. موعوظون من أصل وثني: تُقدم لهم دراسات تتناسب مع ثقافتهم ودراساتهم، فلا عجب إن رأينا معلمين تخصصوا في دراسة الفلسفات الوثنية لجذبوا الوثنيين إلى الحق.
 ٣. موعوظون هم أطفال المسيحيين المؤمنين.
- وقد عُرف عماد الأطفال في الكنيسة الأولى^١ بصورة عامة، تحت مسؤولية آبائهم أو أشابينهم وفي عهدتهم^٢، إذ تعرف الكنيسة قيمة نفوسهم، وتترك أهمية عضويتهم في جسد الرب.
- يقول العلامة أوريجينوس^٣: [تسلّمت الكنيسة من الرسل تقليد عماد الأطفال أيضاً. فالأطفال يعمدون لمغفرة الخطايا ليُغسلوا من الوسخ الجدي بسر المعمودية].
- وقد زعم بيلاجيوس (٣٦٠-٤٣٠م) وأتباعه أن خطيئة آدم أصابته وحده دون أن تسري في أولاده. على هذا يُولد الرضيع بغير الخطية الأصلية، ولا يحتاج إلى عماد لأنه كآدم قبل السقوط.
- انبرى له القديس أغسطينوس (٣٥٤-٤٣٠م) وغيره من الآباء يؤكدون من الكتاب المقدس كيف أنه حبل بنا بالآثام، وتثقلت البشرية كلها بالخطية الجدية (رو ٥: ١٢). وبهذا يحتاج الطفل كما الكبير إلى صليب ربنا يسوع والتمتع بعمل قيامته. كما أصدر مجمع قرطاجنة^٤ (٤١٨-٤٢٤م) قانوناً يوجب عماد الأطفال ليتطهروا

^١ عرفت الكنيسة الأولى عماد أطفال المؤمنين على مسؤولية وتحت رعاية أولادها ويظهر ذلك من أقوال الآباء الأولين نذكر منهم: يقول القديس إيريناؤس تلميذ بوليكاربوس تلميذ يوحنا الحبيب، من رجال القرن الثاني [أن يسوع المسيح قد أتى ليخلص الجميع بذاته، أعنى جميع الذين ولدوا به ثانية سواء كانوا أطفالاً أو شباباً أو شيوخاً]. ضد الهرطقات ٢: ٩: ٢٢.

يقول الشهيد كبريانوس من رجال القرن الثالث [الأطفال الذين ضميرهم غير متفتح ولم يخطئوا في شيء، والذين نظراً للخطيئة الجدية الكامنة فيهم تدنسوا بها وصاروا مشاركي الموت الأدمي، يحتاجون هم أيضاً إلى المعمودية لأنها شرط لنوال الخلاص والصفح... فالمعمودية للجميع وخصوصاً للأطفال الصغار]. رسالة ٥٩.

^٢ "إشبين" كلمة سريانية الأصل، معناها "حارس أو وصي".

^٣ من رجال القرنين الثاني والثالث (١٥٨-٢٥٤) تفسير رو ٥: ٩، مقال ١٤، مقال ٨.

^٤ انعقد في قرطاجنة، وهي الآن خربة، من أطلالها وعلى بعد ١٢ ميلاً بنيت مدينة تونس الحالية. انعقد المجمع في زمن الإمبراطورين هونوريوس وثيودوسيوس الصغير، عام ٤١٨/٤١٩ من أكثر من مائتي أسقف، برئاسة أوريليوس وقد حضره القديس أغسطينوس أسقف هيبو، واستمر انعقاده ست سنوات كاملة، حيث اختتم أعماله سنة ٤٢٤م. وأصدر ١٤٠ قانوناً هاماً من بينها القانون ١٢١. "يسر المجمع أن يأمر بأن كل من ينكر أن الأطفال المولودين حديثاً من أرحام أمهاتهم يحتاجون إلى المعمودية، أو يزعم أنهم يعتمدون لمغفرة الخطايا لكنهم لم يرثوا من آدم الخطيئة الأصلية التي تضطربهم لأن يتطهروا منها في جرن الولادة الثانية، مما يترتب عليه أن تصير عبارة "المغفرة الخطايا" المستخدمة في المعمودية، تستعمل بالنسبة لهؤلاء الأطفال لا بمعنى حقيقي بل بمعنى وهمي،

من الخطية الجدية.

قد يعترض البعض قائلين: "لا يدرك الأطفال قيمة نعمة المعمودية، ولا يصونونها"، فيجيب القديس غريغوريوس النزينزي^١ بعد أن وَبَّخَ الذين يحجمون عن التمتع بسرّ العماد بدعوى الحرص والحذر لئلا يسقطوا في الخطية بعد العماد، فيقول لهم: إن هذا الحذر في ذاته يحمل عدم حذر، بل هو خداع شيطاني، به تغلق النفس على ذاتها من أن تتمتع بعمل النعمة الإلهية، والتمتع ببركات المعمودية تحت ستار الخوف والحرص... وأخيرًا يوبَّخُ المُحجمين عن عماد أطفالهم قائلاً:

[هل لديك طفل؟ لا تسمح للخطية أن تجد لها فرصة فيه!

ليتقدس في طفولته، وليتكسر بالروح منذ نعومة أظافره!

لا تخف على "الختم" بسبب ضعف الطبيعة!

أيُّها الأم ضعيفة الروح وقليلة الإيمان! لماذا وعدت حنة أن يكون صموئيل للرب من قبل أن تلده (١ صم ١: ١٠)؟! وبعد ميلاده كرسته له في الحال... ولم تخف قط من الضعف البشري بل وثقت في الله...

سلمي ابنك للتالوث، فإنه حارس عظيم ونبي!

هذا وقد فرضت الكنيسة تأديباً على الوالدين إذا أجلا عماد طفلها فمات دون عماد، قانونه الصوم والصلاة والحرمان من شركة الأسرار المقدسة لمدة عام كامل^٢.

ومن شدة شوقها واهتمامها بعضوية هؤلاء الأطفال فيها فرضت أيضاً عقوبات مختلفة على الوالدين اللذين يمتنعان عن عماد ابنهما بسبب نذر العماد في مكان معين، أو على يد إنسان معين. ومات طفلها، إذ حرّمت الكنيسة النذر في أمر المعمودية مطلقاً!

ويرى **بنجهام**^٣ أن أطفال المؤمنين إذ ينالون سرّ العماد في الطفولة ينضمون إلى صفوف الموعوظين حالما يستطيعون التعليم. غير أننا نجد في كتابات آباء الكنيسة الأولى، ومنهم القديس كيرلس الأورشليمي - كما سنرى - أن مهمة تعليم أطفال المؤمنين غالباً ما توكل إلى الآب أو الأم أو شماس أو شماسة.

يقول **القديس ديونيسيوس الأريوباغي**^٤: [إن هذا الأمر افترق فيه معلمونا الإلهيون ورأوه موافقاً أن يُقبل الأطفال على هذا الوجه الشريف، أعني أن يُسلم الوالدان الطبيعيان ولدهما لمربٍ صالح، وأن يبقى الطفل فيما بعد تحت إدارته، كأنه تحت عناية أبٍ إلهي وكفيلٍ لخالصٍ مقدس، فتمت السّر يرفعه وهو معترف إلى الحياة المقدسة، طالباً جدد الشيطان والإقرار بالإيمان].

ويقول **القديس أغسطينوس**: [إننا نؤمن ونصدق بتقوى وصواب أن إيمان الوالدين والأشابين يفيد الأطفال، وعلى هذا الإيمان يُعمدون].

فليكن محروماً". فإن عبارة الرسول: "بإنسانٍ واحدٍ دخلت الخطيئة إلى العالم وبالخطيئة الموت، وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس إذ أخطأ الجميع" (رو ٥: ١٢) يجب ألا تفهم بفهم آخر إلا كما فهمتها دائماً الكنيسة الجامعة المنتشرة والممتدة في كل مكان. وبناء على قاعدة الإيمان هذه، فحتى الأطفال الذين لم يستطيعوا بذواتهم أن يرتكبوا أية خطيئة من الخطايا تجعلهم مذنبين بها، يعتمدون حقاً لمغفرة الخطايا، حتى تتطهر فيهم بواسطة الولادة الثانية كل خطيئة ورثوها عن طريق الولادة الأولى. راجع سرّ المعمودية لنيافة أنبا غريغوريوس، كتاب ٦٨٨ P. (١٩٥٧) The Rudder, D Cummings، كتاب الأنوار في الأسرار لجراسيموس مسرة بيروت ١٨٨٨ ص ٤٨، ٤٩.

^١ Greg. Nez : On The Holy Baptism ١٦ & ١٧.

^٢ سرّ المعمودية لنيافة أنبا غريغوريوس، ص ٥٣.

^٣ Bingham: The Antiquities of Christian Church ١٠: ١٥٤.

^٤ تلميذ الرسول بولس: الكهنوت ٧: ١١.

نعود مرة أخرى إلى الموعوظين لنقول إنهم غالبًا ما يبقون في رعاية الكنيسة لمدة سنتين أو ثلاث سنوات، ينتقلون من فئة إلى أخرى، حتى تطمئن الكنيسة على حسن نيتهم وتمسكهم بالإيمان وقبولهم للصليب، وعندئذ ينتقلون إلى آخر درجة من الموعوظين وهي: "طالبو العماد". هذا الانتقال يختلف من شخص إلى آخر حسب غيرته ودراسته الفردية الخاصة قبلما ينضم إلى صفوف الموعوظين أو أثناءها.

ثانيًا: معلوم الموعوظين

إننا نعلم أن الكنيسة كلها منذ نشأتها كانت منطلقة للكراسة، مدركة قول الرب: "من لا يجمع فهو يفرق". فالكل يشعر بمسئوليته نحو الشهادة للرب، إن لم يكن بالكلام فبالقدوة الحسنة... يعمل أعمال المسيح الحي. وكما يقول العلامة أوريجينوس^١: [إن كل تلميذ للمسيح هو صخرة، وفيه تكتمل الكنيسة الجاري بناؤها بيد الله]. ويحمل القديس كيرلس الأورشليمي مسؤولية تعليم الموعوظين الأطفال أو الكبار على الآباء والأشابين، إذ يقول^٢: [إن كان لك ابن حسب الجسد أنصح به، وإن كنت قد ولدت أحدًا خلال التعليم، فتعهده برعايتك].

إن كل مؤمن حقيقي يلتزم أن يكون له نصيب في تعليم موعوظ أو موعوظين، بصورة أو أخرى، فماذا نقول عن الكاهن الذي يدعوه الذهبي الفم "أب كل البشرية"؟! لقد سيم القديس غريغوريوس العجائبي^٣ أسقفًا على قيصرية الجديدة، وكان بها سبعة عشر مسيحيًا فقط، وحين نتيج بسلام لم يكن بها سوى سبعة عشرة وثنيًا.

على أي الأحوال لم يكن يُحرم كاهن ما من خدمة الموعوظين المنظمة في الكنيسة، بل يقوم كل منهم بنصيبه فيها. أما المرحلة الأخيرة للتعليم، فغالبًا ما كان يقوم بها الأسقف نفسه، أو كاهن يثق فيه من جهة قدرته التعليمية بالنسبة لهم.

غير أن التاريخ سجل لنا عن أناس تخصصوا في تعليم الموعوظين، نذكر منهم على سبيل المثال أن البابا ديمتريوس سلم العلامة أوريجينوس مدرسة الإسكندرية التعليمية وهو بعد في الثامنة عشر من عمره^٤. وأيضًا كتب القديس أغسطينوس إلى الشماس ديوجرانيوس بقرطاجنة الذي اتسم بمهارة عظيمة ونجاح في تعليم الموعوظين.

ثالثًا: مادة الوعظ لهم

١. تُقدّم دراسات خاصة بالذين كانوا من أصل يهودي تختلف عن هم من أصل وثني، فيقدم لكل فئة ما يتناسب مع ثقافتهم ودراساتهم السابقة وأفكارهم.

٢. تُقدّم لهم دراسات تأملية لاهوتية مبسطة لأهم العقائد المسيحية، وقد رتبنا هذه الدراسات بعد مجمع نيقية المسكوني في القرن الرابع، بصور قانون الإيمان، الذي يُعتبر ملخصًا شاملاً، يقدم للموعوظين مع شرحه لكي يحفظوه ويفهموه.

ويظهر اهتمام الكنيسة بتسليم قانون الإيمان أن الأسقف بنفسه هو الذي يقوم بذلك إذ نجد الأسقف

^١ G. Foster ; Why The Church? p ٢٢.

^٢ مقال ١٥ : ١٨.

^٣ من رجال القرن الثالث عرف المسيحية على يدي أوريجينوس (موجز تاريخ المسيحية ليسطس الدويرى -الأثنا ديسقورس - ص

١٤٢، ١٤٣، الكنيسة الكارزة لإيريس المصري، ص ١١).

^٤ يوسابيوس: التاريخ الكنسي ٦ : ٣.

أمبروسيوس يكتب رسالة إلى أخته مرسيلينا قائلاً^١: [في اليوم التالي إذ كان يوم الرب، بعد الدروس والعظة - لما خرج الموعوظون - سلمت لطالبي العماد قانون الإيمان في معمودية الباسليكي.]

ويقول الأنبا يوحنا خلف كيرلس الأورشليمي في رسالته إلى جيروم^٢: [إن العادة عندنا أن نسلم تعليم الثالوث القدوس بصورة عامة خلال الأربعين يوماً للذين سيتعمدون.]

كذلك يفتتح القديس أغسطينوس^٣ مقاله عن "قانون الإيمان" لطالبي العماد قائلاً: [استلموا يا أولادي دستور الإيمان الذي يُدعى قانون الإيمان، وإذ تتقبلونه اكتبوه في قلوبكم وردّدوه يومياً قبل النوم وقبل الخروج، سلّحوا أنفسكم بقانون إيمانكم. قانون لا يكتبه الإنسان لكي يقرأه، بل كي يردده، حتى لا ينسى ما تسلمه بعناية. سجلوه في ذاكرتكم...]

٣. بعد قانون الإيمان يقومون بشرح الصلاة الربانية، وكما يقول القديس أغسطينوس^٤: [بعدما نعرف من نؤمن به نصلي إليه. إذ كيف نصلي لمن لا نعرفه ولا نؤمن به؟!]

٤. في الفترة الأخيرة يقوم المعلمون بتحفيظهم بعض التلاوات، أي صلوات قصيرة.

٥. وفي الأيام القليلة قبل العماد أو بعده مباشرة تقدم لهم مائدة دسمة عن شرح ترتيب العماد ومفاهيمه، وسرّ المسحة وفعاليتها، وسرّ تناول وبركاته... الأمور التي لا تجيز الكنيسة الحديث عنها مع المبتدئين.

وأخيراً يمكننا تقسيم جميع التعاليم السابقة إلى قسمين رئيسيين هما:

١. دراسات بسيطة تقدم المبادئ الأولية للإيمان المسيحي.

٢. دراسات أعمق تقدم شرحاً لأسرار الكنيسة.

يظهر هذا التقسيم بوضوح في مقالات القديس كيرلس، كما تظهر أيضاً في "تعاليم الاثني عشر رسولاً"^٥، التي ذكرها البابا أثناسيوس الرسولي^٦ أنها ليست من الكتب المقدسة لكن الآباء أشادوا بقراءتها للداخلين إلى الإيمان حديثاً.

هذه التعاليم موجهة على وجه الخصوص إلى الذين هم من أصل وثني حتى دعيت "تعاليم الرب للأُمميين خلال الاثني عشر"، وهي تنقسم إلى قسمين:

١. الفصول الست الأولى: تحمل تعاليم أولية للأُمميين.

٢. بقية الفصول تشرح ترتيب العماد الصلاة والصوم وخدمة يوم الرب وتقديس سرّ الإفخارستيا...

هذا وإننا نختتم حديثنا عن تعليم الموعوظين بالقول: خصصت الكنيسة الجزء الأول من القداس الإلهي للموعوظين، يحمل قراءات ووعظ يحضرها المؤمنون والموعوظون ليتعرفوا على الحق. ولكن قبل البدء في قداس المؤمنين يصرخ الشماس^٧ منادياً بخروج الموعوظين، وتغلق الأبواب، ويقوم الشماسة بحراستها حتى ينتهي القداس الإلهي!

^١ أمبروسيوس: رسالة ٢٠.

^٢ Hieron Ep. ٦١.

^٣ أغسطينوس: قانون الإيمان (تحت الطبع).

^٤ أغسطينوس: الصلاة الربانية.

^٥ تسمى الديداكية Didache أو تعليم الرسل.

^٦ Festal Ep. ٣٩.

^٧ Const. Apost. ٨: ١: ٥.

طقوس عماد الموعوظين

عيد القيامة وطقوس العماد

ارتبط عيد القيامة في الكنيسة الأولى بطقس العماد. أما الآن ففي كنيستنا القبطية الأرثوذكسية حُصص يوم الأحد السابق لأحد الشعانين للعماد، ويدعى "أحد التناصير".

سرّ ارتباط القيامة بالعماد هو أن عيد قيامة الرب محور حياة الكنيسة ومركزها. قيامة الرب هي الصخرة التي تتكى عليها الكنيسة لتعيش مطمئنة وسط دوامة هذا العالم، لا تخاف أمواجه أو عواصفه أو شروره، تحيا على رجاء القيامة، مرتبطة بعريسها الذي لا يموت، متبررة، مقدسة به.

هذا الرجاء وذلك التبرير والتقديس لا يمكن أن نتمتع به إلاّ خلال المعمودية، التي فيها نُدفن مع الرب ونقوم، كقول الرسول: "أم تجهلون أننا كل من اعتمد ليسوع اعتمدنا لموته، فدفنا معه بالمعمودية للموت، حتى كما أقيم المسيح بمجد الآب هكذا نسلك أيضًا في جدة الحياة" (رو ٦: ٢-٦).

خلال المعمودية نجتاز مع ربنا يسوع آلامه وموته ودفنه، ونختبر عمل قيامته وأمجادها وقوتها في أعماق حياتنا الداخلية. "عالمين هذا أن إنساننا العتيق قد صلب معه ليبتل جسد الخطية، كي لا نعود نستعبد للخطية" (رو ٦: ٦).

من أجل هذا رتبت الكنيسة منذ القرون الأولى أن تقوم بعماد عدد كبير من الموعوظين ليلة عيد الفصح أو عيد القيامة، حتى يرفع المعمّدون أنظارهم إلى قيامة الرب على الدوام ويعيشون بقوتها. وفي نفس الوقت ترفع أنظار المؤمنين في ليلة عيد القيامة ليزكروا عمادهم، فيعيشوا كأبناء الله مولودين منه بالروح للتمتع بقيامة الرب في حياتهم.

في عيد القيامة تختلط الأفراح وتمتزج المشاعر، إذ تقوم الكنيسة كلها مرتجة متلهّلة بالمعمّدين حديثاً بصورة علنية، تبعث في كل إنسان ذكريات عماده، ليعيش سالكاً بما يليق به كإنسانٍ معمد، وفي نفس الوقت تهتز مشاعرهم لأجل هذه الثمار التي هي عمل الرب القائم من الأموات في الكنيسة خلال أعضائها الكهنة والشعب، السادة والعبيد، الشيوخ والأطفال... إنها ثمرة مبهجة، تفرح الرب القائم من الأموات، والنفوس القائمة به!

ويمكننا تلخيص مراسيم العماد في كلمات قليلة:

أولاً: تقديمهم للعماد

مع بداية صوم الأربعين المقدسة يختار الموعوظون الذين تطمئن الكنيسة لتقبلهم سرّ العماد، وتتعهدهم خلال الأربعين المقدسة بدراسات خاصة كما سبق أن رأينا. غير أنه لا يقف الإعداد لقبولهم في عضوية الكنيسة عند مجرد الاستماع إلى التعاليم أو حفظ التلاوات، بل كما يقول العلامة ترثليان^١: [يجدر بالآتين إلى المعمودية أن ينشغلوا على الدوام بالصلوات والأصوام والمطانيات والأسهار، كل هذا مع الاعتراف بالخطايا السابقة].

هكذا لا يليق تسليمهم عطية العماد بهدف آخر سوى خلاص نفوسهم، أي تبرئتها من خطاياها وتمتعها بالشركة مع الرب. وهذا لن يكون بالنسبة للكبار بغير التوبة الصادقة والاعتراف بالخطايا والضعفات، مع المثابرة في الصلوات والأصوام والمطانيات والأسهار.

^١ Tert. On Baptism ٢٠.

لهذا يخصص القديس كيرلس مقالاً كاملاً عن "التوبة عن الأخطاء السابقة" وأخرى عن "فاعلية التوبة في غفران الخطية"^١.

ويحدث القديس يوحنا الذهبي الفم طالبي العماد قائلاً^٢:

[لذلك يسبق هذا أن نتوب ونرفض أعمالنا السابقة الشريرة، وهكذا نتقدم للنعمة. اسمع ما يقوله يوحنا، وما يقوله الرسول لمن اقتربوا للعماد. الواحد يقول: "فاصنعوا ثماراً تليق بالتوبة. ولا تبتدئوا تقولون في أنفسكم لنا إبراهيم أباً" (لو ٣: ٨). والآخر يجيب سائليه: "توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح" (أع ٢: ٣٨). ليتة لا يرجع أحد فيمس ما قد تاب عنه! على هذا الأساس أمرنا أن نقول: "أجحدك أيها الشيطان"، كي لا نرتد إليه مرة أخرى.]

ثانياً: فرز طالبي العماد

في يوم أحد الشعانين^٣ يُفرز طالبو العماد، وقد وصف العلامة أوريجينوس^٤ دقة الفحص الذي يليق بالكنيسة أن تقوم به من جهة الموعوظين، سواء قبلوا الإيمان بطريقة أو أخرى، حتى لا يُعتمد إنسان دون التأكد من صدق نيته.

ويشبههم القديس كيرلس بالمنضمين إلى صفوف الجندية^٥، إذ يلزم الاهتمام بفحصهم قبل دخول المعركة، فكأعضاء في جيش المسيح الخلاصي، يحاربون الشيطان. بعد الفرز من وُجد مستحقاً يحضر قدام الأسقف أو الكاهن وعندئذ:

١. يتلو طالب العماد قانون الإيمان علناً.

٢. يتقبل علامة الصليب من الأسقف.

٣. يصلي الأسقف عليه.

٤. يضع الأسقف عليه الأيدي.

ويعتبر القديس أغسطينوس أن تقبلهم علامة الصليب أشبه بالحبس بهم في أحشاء الكنيسة، إذ يقول لهم^٦: [إنكم لم تولدوا بعد بالعماد المقدس، لكنكم بعلامة الصليب قد حُملت في أحشاء أُمكم الكنيسة]. كما يقول لهم^٧: [إنهم تباركوا بعلامة الصليب، والصلوات ووضع الأيدي، وأنهم وإن كانوا لم يتمتعوا بعد بجسد المسيح، إلا أنهم ينالون شيئاً مقدساً].

ولعلّه يقصد بالشيء المقدس الخبز المقدس (القران) الذي يأكلونه. وإن كان بنجهام يرى أنه ملح مقدس، يستخدم كرمزٍ إلى أن المؤمنين ملح الأرض. وقد اعتمد في ذلك على ما ورد في اعترافات أغسطينوس أنه أكل ملحاً.

ومن عادة الكنيسة الأفريقية في أيام أغسطينوس أن يُدهن طالبو العماد بزيت مصلّى عليه قبل

^١ المقال ١، ٢.

^٢ Chrysostom: Instructions to Catechumens.

^٣ القديس كيرلس الأورشليمي لموريس فيرسل.

^٤ Cf. Origin: Against Celsum ٣: ٥١.

^٥ مقال ١، ٣: ٣، ٣: ٣، ١٣: ٤، ٣٦: ٢١، ٢٤: ٢٤.

^٦ Augustine: De Symbole Sermon De Catechumens.

^٧ Augustine: De Paccotrum meities ٢: ٤٢.

عمادهم^١. ولا تزال هذه العادة قائمة إلى يومنا هذا في كنيستنا حيث يدهن الكاهن الموعوظ وهو يقول: "أدهنك يا فلان باسم الآب والابن والروح القدس. زيت عظة لفلان في الكنيسة الواحدة المقدسة الجامعة الرسولية".

ثالثاً: حمل المشاعل ولبس الثياب البيضاء

يبقى طالبو العماد طول أسبوع الآلام بغير وعظٍ اللهم إلا الاشتراك مع المؤمنين في التأمل حول آلام الرب يسوع وموته. هكذا يتوقف كل عمل للكنيسة في هذا الأسبوع عند شغل كل الأذهان بالرب المتألم من أجل البشرية!

هكذا يصير أسبوع الآلام فرصة ثمينة لطالبي العماد أن يتفرغوا عن كل عمل، حتى الاستماع للتعاليم، لكي تنطلق نفوسهم مشتاقة للتمتع مع المسيح في آلامه، وتزداد غيرتهم لحمل الصليب معه.

وفي ليلة عيد القيامة التي يسميها **القديس أغسطينوس^٢** أم جميع الأمسيات، يسهر طالبو العماد طول الليل حاملين مشاعل أو شموع أو مصابيح في أيديهم، لابسين الثياب البيض، لينالوا أسرار العماد والميرون والإفخارستيا.

يا لها من ليلة سماوية، تمتلئ الكنيسة بالفرح، وتمتزج تسابيح القيامة مع تسابيح البهجة بقبول النفوس الساقطة وإقامتها لتحيا كعروس مقدسة للرب السماوي!

لقد حق **للقديس كيرلس الأورشليمي** أن يدعو المعمودية "حجال العريس الداخلي". ففي هذه الليلة يرتدي المعمدون ثياب العرس البيضاء، رمزاً لتطهير الرب إيانا، وقبوله لنا في السماء الطاهرة، التي كل من يسكنها يلبس ثياباً بيضاء.

يشير الثوب الأبيض إلى انعكاسات اشراقات المجد الإلهي على الإنسان، إذ في تجلّي السيد المسيح "صارت ثيابه بيضاء كالنور" (مت ١٧: ٢). هذا اللون كما يقول **القديس إكليمنضس السكندري^٣**: [لون الحق الطبيعي، إذ يلبسون الحق ويكون مجدهم].

وتحمل الثياب البيض علامة الطهارة والنقاوة، كما تحمل سمة الغلبة^٤.

أما المشاعل أو الشموع التي يحملها المعمدون الجدد، فبسبب كثرتها يختفي الليل وظلامه، ولا يميز من بداخل الكنيسة الليل من النهار، بل تكون أشبه بسماء منيرة!

ويصف **القديس غريغوريوس النيسي** هذا المنظر البديع فيقول^٥: [في هذا الليل اللامع يختلط لهب المشاعل بأشعة شمس الصباح، فتخلق نهائاً مستمراً واحداً بغير انقسام، لا يفصله وجود ظلام]. وتشير المشاعل إلى:

١. يقول **القديس كيرلس** إنها تشير إلى نور الإيمان الذي يضيء العقل.

٢. نور المعرفة الإلهية، هذه المعرفة التي يقول عنها **القديس مرقس الناسك^٦**: [إنها تحفظ النفس في يقظة العقل، وتشددها حتى تبدد ظلام الجهل الخبيث. هذه المعرفة المنيرة لن تتحقق عملياً في حياتنا إلاّ

^١ Cf. N & P N Fathers, Series. ٢ Vol ٧.

^٢ القديس كيرلس الأورشليمي لموريس فيرسل.

^٣ Clem Alex: Paedagogus.

^٤ راجع: من تفسير وتأملات الآباء - سفر الرؤيا طبعة ٦٩ ص ٩٩ - ١٠٠.

^٥ Greg. Nyssa: Oration on Resurrection.

^٦ الفيلوكاليا ج ١ طبعة ١٩٦٦ ص ٨٨، ٨٩.

بالمعمودية.]

حقاً كما يقول القديس إكليمنضس السكندري^١: [إن التعليم ينير النفس، إذ يكشف لها الأمور الخفية].
وكما يقول القديس الأورشليمي^٢ لطالبي العماد: [لقد سبق أن استنارت نفوسكم بكلمة التعليم، فإن كل واحدٍ منكم يكتشف شخصياً عظمة العطايا التي يمتحنكم إياها الله].
إذن يمكننا أن نقول إن الاستنارة تبدأ بالتدريج بتقبل الإنسان التعليم السليم، بكونه إعداداً ضرورياً ونيةً عمليةً للعماد، ولكن لا تتحقق الاستنارة إلا في سرّ العماد، ويبقى الروح المنير فينا يضيء لنا مادامنا نقبل استنارته، ولا نطفئ فاعليته في حياتنا.

فطالبو العماد يُحسبون مستنيرين مجازاً من قبل نيتهم الصادقة لقبول "الاستنارة"، إذ ينتقل الإنسان من مملكة الظلمة - مملكة إبليس - إلى مملكة النور الحقيقي.

لهذا متى ذكر في كتابات الآباء كلمة "الاستنارة" ندرك في الحال أنه يتحدث عن المعمودية.
يقول القديس غريغوريوس النزينزي^٣: [الاستنارة وهي المعمودية... هي معينة الضعفاء... مساهمة النور... انتفاض الظلمة. الاستنارة مركب يسير تجاه الله، مساهمة المسيح، أس الدين، تمام العقل! الاستنارة مفتاح الملكوت، استعادة الحياة!... نحن ندعوها هدية، وموهبة، ومعمودية، واستنارة، ولباس الخلود، وعدم الفساد، وحميم الميلاد الثاني، وخاتمة، وكل ما هو كريم...]
ويقول الشهيد يوستينوس^٤: [هذا الاغتسال يُدعى استنارة، لأن الذين يتعلمون هذه الأمور يستنثرون في فهمهم].

ويقول القديس إكليمنضس الإسكندري^٥: [إذ نعتد نستنير، وإذ نستنير نتبني، وإذ نتبني نكمل... ويدعى هذا الفعل بأسماء كثيرة أعني: نعمة واستنارة، وكمالاً، وحميمياً... فهو استنارة، إذ به نرى النور القدوس الخلاصي، أعني أننا به نشخص إلى الله بوضوح].
٣. إشارة إلى مصابيح موكب العرس الأبدي حيث تُزف النفس البشرية عروساً للمسيح. فخلال المعمودية نال التبتّي، إذ نتحد به... هذا الاتحاد السري المقدس بين النفس والله يدعى عُرساً.
لذلك يحمل المعمّدون حديثاً مصابيح عرسهم، وذلك كما جاء عن العرس الأبدي، حيث يتم في أكمل صورة. إذ يقول الرب: يشبه ملكوت السماوات عشر عذارى، خمس منهن حكيماً حاملات مصابيح متقدة، مستعدات للدخول مع الخدر السماوي.

هكذا يقول القديس غريغوريوس النزينزي^٦ عن هذه المصابيح: [إنها تحمل معنى سري عن عملية الإنارة، حيث تدخل النفوس اللامعة البتول لتقابل العريس بمصابيح الإيمان المتألئة نوراً].

رابعاً : جدد الشيطان

عند جرن المعمودية يقف الموعوظ ووجهه إلى الغرب، أو تقف الأم أو الأب أو الإشبين حاملاً على

^١ Clem. Alex.: Stromata ٥: ١٠ & ٥: ١٥ & ٥: ٢٠.

^٢ مقال ١٨: ٣٢.

^٣ الحب الإلهي طبعة ٦٧ ص ٨٥٥. ٨٥٦.

^٤ يوستينوس: دفاعه الأول ٦١.

^٥ الحب الإلهي ص ٨٥٤ - ٨٥٥.

^٦ Greg Nez. Oration on Baptism.

ذراعه الأيسر الطفل، ويعلن جحده لإبليس، ورفضه مملكة الظلمة بجسارة علانية^١. قبل أن تُدفن مع المسيح يسوع، النور الحقيقي، يلزمنا أن نعلن جهاراً وبصراحة رفضنا للشيطان وكراهيتنا لأعماله، أي رغبتنا في التحرر من عبوديته. هذا الرفض، كما يقول العلامة ترلتيان^٢: [يتم أولاً في الكنيسة تحت يد الأسقف، ومرة أخرى قبيل الدخول في الماء مباشرة].

أما مصدر هذا الطقس، فكما يقول القديس باسيليوس الكبير هو التقليد، إذ يقول^٣: [إننا نبارك ماء المعمودية وزيت المسحة كما نبارك المعمد نفسه أيضاً. أي وصايا مكتوبة علمتنا أن نفعل هذا؟! أليس من التقليد السري المقدس؟! وأيضاً الدهن بالزيت، أي كلمة في الإنجيل علمت به؟! وأين ورد تعطيس الإنسان ثلاث مرات؟ أي كتاب جاء بكل الأمور اللازمة للعماد وجدد الشيطان وملأته؟! ألم يأت إلينا من التعليم السري الذي حافظ عليه آباؤنا في صمت دون أن (يُكتب) كتعليم عام... إذن لا تبحثوا الأمر بتطفل... لأنه كيف يحق تعميم تعليم الأسرار كتابة، هذه التي لا يُسمح لغير المعمدين حتى أن يطلعوا عليها؟!]

خامساً: الاعتراف بالإيمان

يقول القديس كيرلس^٤: [إن طالب العماد يحوّل وجهه من الغرب إلى الشرق مكان النور، معلناً رفضه مملكة الظلمة وقبوله الانتساب لمملكة النور. هذا الاعتراف العلني يتم في بعض الكنائس يوم الخميس المبارك حسب قانون ٤٦ لمجمع لادوكية^٥. إلا أن قوانين الرسل تطالب بأن يكون ذلك قبل العماد مباشرة. وهذا ما يحدث في كنيستنا إلى يومنا هذا، حيث يواجه الموعوظ وجهه ناحية الشرق، أو يقوم الإشبين بذلك، حاملاً الطفل على يده اليمنى، معلناً اعترافه بالتالوث القدوس والكنيسة الواحدة.

يقول القديس يوحنا الذهبي الفم^٦: [إن كان المعمدون أطفالاً أو صُماً لا يستطيعون استماع التعليم، يجابون أشابينهم عنهم. وهكذا يُعمدون حسب العادة].

وما يعلنه الموعوظ أو الإشبين من جحد الشيطان والاعتراف بالإيمان هما من ضمن برنامج التلوات Exorcism التي يقوم المعلمون بتحفيظها لطالبي العماد، كصلوات قصيرة فعّالة، يستخدمها الإنسان كل أيام غربته في محاربته للأفكار والشهوات الخ. وقد تحدّث القديس كيرلس عن أهميتها^٧. كما تحدث عنها الذهبي الفم^٨ قائلاً: [بعدما تسمعون تعليمنا تخلعون صنادلكم ويعرونكم وتسيرون عراة حفاة الأقدام، مرتدين فقط التت^٩

^١ راجع كيرلس: مقالاته عن الأسرار ١: ٢.

^٢ Tert: The Chaplet ٣ & The Shows ٤.

^٣ Basil: The Holy Spirit ٢٧.

^٤ الأسرار ١: ٩.

^٥ N. & P. N. Fathers. Seris ٢. Vol ٧.

^٦ الذهبي الفم: شرح مز ١٤.

^٧ المقال الافتتاحي.

^٨ Chrys. Ad Illuminadas ١: ٢.

التتك^١ الذي لكم *Your tunic* لكي تتطلقوا بالتلوات.

سادسًا: المسح الأول بالزيت

يبدو أن كل الخطوات السابقة كانت تمارس في البهو الخارجي للمعمودية، بعدها يعبر طالب العماد الذي مارس الاعتراف وجدد الشيطان وقبل الشركة مع المسيح، يسير حافي القدمين عاريًا من كل الملابس ماعدا التتك إشارة إلى خلع الإنسان العتيق وأعماله كقول **القديس كيرلس**^٢: [كما يرى أيضًا أن فيه إقتداء بالسيد المسيح الذي عُلق على الصليب عاريًا. ويعريه هذا نتذكر آدم الذي كان في الفردوس عاريًا ولم يخجل. ثم يدهن الشخص بزيت مُصلّى عليه من شعر رأسه إلى قدميه^٣.]

هذا ولم يذكر العلامة **ترتليان** شيئًا عن هذه المسحة، لكن ذكرها **الشهيد يوستينوس**^٤.

سابعًا: العماد

بعد مسح الشخص بالزيت يُقاد الشخص إلى بركة المعمودية المقدسة المملوءة ماء^٥. وإننا نلاحظ أن جميع المعموديات القديمة معموديات ضخمة. وكثيرًا ما يكون لها سُلمين، ينزل على أحدهما الموعوظون، والثاني يقف عليه الكاهن الذي يتم مراسيم العماد. وضخامة حجم المعموديات جعلت البعض يرى أن الكنيسة الأولى كانت تعتمد جماعات معًا في نفس الوقت.

أما عن قداس المعمودية الذي به يتقدس الماء، فإنني أرجو أن يهيئ الله لي مجالاً آخر لشرحه.

لكن في داخل المياه المصلّى عليها، المقدسة، يقول **القديس كيرلس**: [إن طالبي العماد يعلنون ما يسمى "بالاعتراف المخلص *The Saving Confession*" وهو يحمل اعترافًا مختصرًا جدًا للإيمان المسيحي المستقيم. يُسأل المعمد ثلاث أسئلة: أتؤمن بالآب؟ أتؤمن بالابن؟ أتؤمن بالروح القدس؟ وفي كل مرة يجيب بالإيجاب].

ويذكر **القديس كيرلس السكندري**^٦، أن الكاهن يسأله ثلاث مرات عن الإيمان بالسيد المسيح. أما العلامة **ترتليان**^٧ فيقول إن الأسئلة لا تخص إيمانه بالثالوث القدوس فحسب بل والكنيسة أيضًا.

ثامنًا: الغطسات الثلاث

يقول **المرحوم حبيب جرجس** في كتابه: "أسرار الكنيسة السبعة"، إنه طبقًا للتسليم الرسولي تمارس الكنيسة سرّ المعمودية بتغطيس المعتمد ثلاث مرات في الماء باسم الثالوث القدوس: الآب والابن، والروح القدس.

^١ يطلق التتك على:

أ. رداء كهنوتي ربما "التونية". البيضاء التي يلبسها الكاهن أو الشماس أثناء الخدمة في المذبح.

ب. سترة قصيرة ضيقة كان يرتديها الجنود والشرطة.

ج. رداء إغريقي أو روماني طويل.

^٢ الأسرار ٢: ٢.

^٣ Const. Apost. ٧: ٣٤.

^٤ Justin Mart : Responsiones ad Orthodoxos.

^٥ الأسرار ٢: ٤.

^٦ Bingham: Antiq. ١١: ٧ & ١١

^٧ Tert.: On Baptism ٧.

ويرى القديس كيرلس الأورشليمي^١ أن هذه الغطسات الثلاث لا تحمل فقط إشارة إلى الثالوث القدوس، بل وأيضًا هي دفن مع المسيح الذي بقي مدفونًا ثلاثة أيام. ويقول القديس باسيليوس^٢ [ثلاث غطسات ودُعاء مساوٍ لها في العدد يتم سرّ المعمودية العظيم، لكي يتصور رسم الموت، وتستتير نفوس المعمدين بتسليم معرفة الله.]. بعد الخروج من الماء لم يذكر القديس كيرلس عما ذكره بنجهام^٣ من ممارسة المعمدين الجدد قبلة السلام وأكلهم خليطًا من اللبن والعسل. لقد ذكر ترتليان^٤ عادة أكل اللبن المخلوط بالعسل. ولعل أكلهم اللبن يحمل رمزًا للبن النقي غير الفاسد الفاسد الذي تقدمه الكنيسة لأولادها خلال إيمانها وطقوسها وعباداتها غذاء لنفوسهم. والعسل يشير إلى وصايا المسيح العذبة في فم أولاده، أحلى من العسل وقطر الشهد.

تاسعًا: المسحة أو التثبيت

ذكر القديس كيرلس^٥ مقالًا كاملاً بخصوص "المسحة بزيت الميرون" بعد العماد يتم كعمل سري مقدس *Sacramental*. هذا الطقس قديم جدًا في الكنيسة، ويظهر ذلك من أقوال الآباء. فيقول الأب ثاوفيلس الأنطاكي^٦ من رجال القرن الثاني (١١٥-١٨١م)، "إننا ندعى مسيحيين لأننا نُدهن بمسحة الله".

وأيضًا العلامة ترتليان^٧ بعد حديثه عن العماد يقول: [بعد الخروج من الجُرن نُدهن في الحال بمسحة مكرسة.]. ويقول: [بعد هذا تُوضع اليد علينا في منح البركة والابتهال، مستدعين الروح القدس.].

كما يقول^٨: [غسل الجسد لكي تتطهر النفس!]

دُهن الجسد لكي تتقدس النفس!

رشم الجسد (بالصليب) لكي تُحفظ النفس!

وُضع اليد عليه لكي تستتير النفس بالروح!]

يقول الشهيد كبريانوس^٩: [ينبغي على من اعتمد أن يُمسح أيضًا، لكي يصير بواسطة المسحة ممسوحًا، ويأخذ نعمة المسيح.].

أما عن عمل هذا السرّ في حياتنا وفاعليته فينا، فقد سبق لي شرحه، وقد سبق أن عرضت لبعض أقوال الآباء فيه^{١٠}.

وإنما أكتفي هنا بالقول أن هذا الرشم يتم على جميع أعضاء الجسد لكي تصير كل الأعضاء والحواس، وكل طاقات النفس قدس للرب.

^١ الأسرار ٢: ٤.

^٢ باسيليوس: الروح القدس ١٥ (راجع الذهبي الفم: إنجيل يوحنا عظة ٢٥: ٢؛ أمبروسيوس الأسرار ٢: ٧؛ جيروم ضد لوقيون ٤).

^٣ Bingham: Antiq. ١٢: ٤ & ٥ & ٦.

^٤ Tert: The Chaplet ٣.

^٥ الأسرار ٣: ١.

^٦ Thuf: Ad Antolycum ١

^٧ Tert: On Baptism ٧ & ٨.

^٨ Tert. On resur. Flesh ٨.

^٩ كبريانوس رسالة ٧. راجع أقوال الآباء في أسرار الكنيسة السبعة لحبيب جرجس.

^{١٠} الحب الإلهي - الله مقدسي، مقال سر الميرون أو التثبيت.

بالميريون انتقلنا من ملكيتنا لذواتنا لنصير بكليتنا ملكاً للرب.
وقد شرح القديس كيرلس المعنى الرمزي لكل رشم كما سنرى في مقالاته عن الأسرار إن شاء الرب وعشنا.

حقاً لقد اختلفت الكنائس في أماكن الرشم، لكن الجميع اتفق على ضرورتها، خاصة رشم جبهة المعمد بعلامة الصليب. ويسمى القديس كيرلس بـ "العلامة الملوكية"، "السمة الملوكية التي تحملها جبهة جنود المسيح"، "ختم التبعية للروح القدس".^١

عاشراً: منظر روحي سماوي

بعد إتمام سريّ العماد والميريون يلبس المعمّدون الجدد ثياباً بيضاء، ويحملون المشاعل. في هذه اللحظات تدوي في الكنيسة تسابيح الفرح والتهليل. وكما يقول القديس كيرلس^٢: [إن السماء ذاتها تتهلل والملائكة والملائكة السمائيون يرددون "طوبى للذي غفر إثمه وسترت خطيته"].
وفي طقس الكنيسة إلى اليوم ينشد الشماس قائلين للمعمد: "أكسيوس، أكسيوس، أكسيوس"، أي مستحق، مستحق، مستحق. بدم المسيح صار له هذا الاستحقاق أن يدعى ابن الله.
في طقس الكنيسة إلى الآن توجد تسابيح شكر الله من أجل نعمه على بني البشر، كما يلبس المعمّدون أكاليل، هي رمز لحياة النصر التي بدأت منذ لحظة العماد، لكنها لا تكمل إلاّ خلال الجهاد ضد إبليس وشروره حتى النفس الأخير، حيث تنطلق النفس إلى الفردوس منتظرة إكليل مجد أبدي في كماله.
ثم يدخل الكل بين صفوف المؤمنين فتمتلئ الكنيسة، ويشارك الكل معاً في التناول من الأسرار المقدسة.

يا لها من فرحة الشعب كله!
يرون كنيسة الله التي لا تشيخ، بل ككرمةٍ مخصبةٍ دائمة الإثمار.
يرونهم لابسين الثياب البيضاء، فيذكر كل منهم ثوبه المقدس الذي تسلّمه يوماً عند عماده، عربوناً للثوب السماوي!
وإذ يتطلعون إلى الشموع، ترتفع أنظارهم إلى النور الحقيقي، ذاكرين أنهم أبناء نور، لا تليق بهم أعمال الظلمة.

يسمعون تسابيح الفرح، فتهتز أصوات الكل: ملائكة السماء، أبناء الفردوس المؤمنون، المعمّدون حديثاً... بفرح وتسبيح وشكر الله محب البشر!

حادي عشر: أسبوع الثياب البيضاء

بعد التناول يبقى المعمّدون الجدد أسبوعاً كاملاً في الكنيسة لا يخلعون فيه ثيابهم البيضاء، أسبوع الفرح بميلادهم الجديد.

وأخيراً نختم قولنا بما ذكرته الراهبة اثيريه الأسبانية^٣ التي جاءت إلى القدس في القرن الرابع [عندما تأتي أيام الفصح ولمدة ثمانية أيام يتوجه المعمّدون مرتلين الأناشيد إلى كنيسة القيامة، وبعد الانتهاء من الطقوس

^١ مقال ٤: ١٤، ١٢: ٨، ١٨: ٣٣..

^٢ مز ٣٢: ١ - مقال ١.

^٣ القديس كيرلس الأورشليمي لموريس فيرسل.

التي بعدها يخرج غير المعمدين تُقام صلاة خاصة وبيبارك الأسقف المؤمنين ثم يقف وراء الحاجز الذي يقوم أمام مغارة القيامة ويشرح وهو مستند على هذه المغارة كل ما يُعمل في العماد.

وفي هذه اللحظة لا يجوز للموعوظين أن يدخلوا كنيسة القيامة، وللمعمدين حديثاً والمؤمنين فقط الذين يريدون سماع العظات عن الأسرار أن يدخلوا وحدهم.

فتغلق الأبواب لكي لا يدخل أحد الموعوظين، بينما الأسقف يشرح كل هذه المسائل، يهتف السامعون له بأصوات قوية بحيث تُسمع في خارج الكنيسة، لأنه يشرح لهم هكذا شرحاً واضحاً وقوياً، حتى أنه لا يستطيع أحد أن يحبس شعوره أمام ما يسمعه!]

الباب الثاني

القديس كيرلس الأورشليمي

٢

مقالاته لطالبي العماد

مقال افتتاحي

تقديم^١

هذا المقال الافتتاحي الذي كتبه القديس كيرلس هو بداية الحديث مع طالبي العماد، في اليوم الأول من الأريعاء المقدسة (أريعاء البصخة)، حيث يحدثهم حديثاً مجملاً مختصراً عن المعمودية والجهاد، فيتحدث عن:

أولاً: عدم الدخول في المعمودية بنية غير خلاص النفس

- أ. فلا يكون بدافع شرير كما فعل سيمون الساحر.
- ب. ولا يكون الدافع مجرد حب الاستطلاع ليرى ما يناله المسيحيون.
- ج. ولا يكون الدافع التودد إلى إنسان، كمن يعتمد لمجرد الزواج من إنسانٍ مسيحي، أو بقصد التودد إلى سيد مسيحي.

ثانياً: فاعلية النعمة وعملها في حياة المؤمن

ثالثاً: المعمودية كباعثٍ للمثابرة

- أ. التلاوات والصلوات.
- ب. الجهاد في الحرب الروحية.
- ج. مداومة التعليم.
- د. مخافة بيت الرب.

^١ المترجم.

مقال افتتاحي

البنيان الروحي^١

١. رائحة المعمودية الذكية^٢

ها هي رائحة السعادة تتبعث منكم يا من تتقبلون الاستنارة!
ها أنتم تستعدون لقطف الأزهار الروحية^٣، لتضفروا منها أكاليل سمائية! إنه يفوح فيكم شذا الروح القدس (نش ٢: ١٢)!

إنكم تجتمعون في بهو قصر الملك^٤، ليت الملك بنفسه يقودكم!
الآن تظهر الأزهار على الأشجار، ليت الثمر يكون كاملاً! إذ صار لكم:
تسجيل أسمائكم (في قوائم طالبي العماد)،
دعوتكم للخدمة (في جيش المسيح)،
حمل مشاعل كوكب العرس،
شوق إلى الوطن السمائي،
نية صالحة ورجاء مرافق!...
الله سخي جداً في هباته، لكنه ينتظر الإرادة الصالحة لكل أحد. لذلك يضيف الرسول قائلاً: "الذين هم مدعون حسب قصده" في قوله الذي لم يكذب فيه "كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الله" (رو ٨: ٢٨).
إن إخلاص نيتك يجعلك مدعواً.
أما إذا كنت ها هنا بجسدك (بين صفوف طالبي العماد) دون ذهنك فلن تنتفع شيئاً.

٢. مثال لمن يعتمد بنية شريرة

جاء سيمون الساحر يوماً إلى الجرن (أع ٨: ١٣)، واعتمد دون أن يستنير، فمع أنه غطس بجسده في الماء، لكن قلبه لم يستنر بالروح. لقد نزل بجسده وصعد، أما نفسه فلم تُدفن مع المسيح ولا قامت معه (رو ٦: ٤؛ كو ٢: ١٢).
ها أنا أقدم لكم مثلاً لساقت حتى لا تسقطوا أنتم. فإن ما حدث كان عبرة لأجل تعليم المتقربين لهذا اليوم (يوم العماد).
ليته إذن لا يكون بينكم من يجرب نعمة الله، لئلا ينبع فيه أصل مرارة ويصنع انزعاجاً! (عب ١٢: ١٥)
ليته لا يدخل أحدكم وهو يقول: لأنظر ماذا يعمل المؤمنون! لأدخل وأرى حتى أعرف ماذا يحدث؟! (أي يدخل لمجرد حب الاستطلاع).

^١ من وضع المترجم.

^٢ العناوين الجانبية من وضع المترجم، أما الهوامش فبعضها مترجم عن مجموعة آباء نيقية.

^٣ الأزهار الروحية أو العقلية mental هي الحقائق الإلهية التي نتسم فيها عبير الروح القدس.

^٤ يقصد به الصالة الخارجية للمعمودية، إذ يقصد بالقصر الإلهي الملكي المعمودية؛ حيث في المعمودية تتحد النفس بالله كعروس الملك عظيم.

أتظن إنك ترى الآخرين وأنت (في نيتك أن) لا ترى؟! أما تعلم أنك وأنت تفحص ما يحدث معهم، يفحص الله قلبك؟!

٣. مثال لإنسان يعتمد لمجرد حب الاستطلاع

جاء في الإنجيل أن إنساناً دخل مرة إلى وليمة العرس يستطلعها^١، وقد ارتدى ثوباً غير لائق. دخل وجلس وأكل، إذ سمح له العريس بذلك. كان يليق به لما رأى الكل لابسين ثياباً بيضاء أن يرتدي ثوباً مثلهم، لكنه اشترك معهم في الطعام دون الهيئة والنية.

والعريس مع سخائه هكذا فهو ليس بعديم الفطنة، إذ بينما كان يسير بين الضيوف ويلاحظهم... رأى إنساناً غريباً غير مرتد ثوب العرس، فقال له: "يا صاحب. كيف أتيت إلى هنا؟ وبأي وجه؟^٢ وبأي ضمير أتيت؟! هل دخلت هكذا لأن الحارس لم يمنعك من الدخول بسبب وجود صاحب الوليمة؟ أم أنك تجهل الزي اللائق بدخولك الوليمة؟! ألم تتعلم هذا مما رأيته عيناك حين دخلت ونظرت ثياب الضيوف المتألقة؟! أما كان يليق بك أن ترجع في الوقت المناسب لكي تعود وتدخل أيضاً في الوقت المناسب؟! لكن لأنك دخلت بغير لياقة تخرج". وهكذا أمر عبيده قائلاً: "أوثقوا قدميه اللتين اقتحمتا الموضع بوقاحة. اربطوا يديه اللتين لم تعرفا كيف تلبسانه الثوب اللامع. اطرحوه في الظلمة الخارجية لأنه غير مستحق لمشاعل العرس".

لقد رأيتم ما حدث مع هذا الرجل، فاسلكوا أنتم في الطريق الآمن.

٤. لا تعتمد بنية خاطئة

إننا عبيد نقبل كل من يتقدم إلينا، كبوابين نترك الأبواب مفتوحة.

هل تمكنت من الدخول بنفس ملوثة بالخطايا ونية دنسه؟ لقد سُمح لك بذلك، وسُجل اسمك.

أخبرني، هل ترى هيئة اجتماعنا؟! هل ترى نظامه وتدبيره^٣؟! وقرارات الأسفار المقدسة^٤، وحضور المكرسين^٥، ونظام تعليمنا؟! إذن فلتحز في هذا المكان (الذي اقتحمته) وتعلم مما تراه!

أخرج الآن بلياقة (أي لا تتعجل الدخول في صفوف طالبي العماد وأنت بنية شريرة)، وادخل غداً وأنت أكثر استعداداً.

إن كان ثوب نفسك هو "الطمع"، البس آخر غيره وتعال اخلع ثوبك القديم ولا ترتده.

أرجوك أن تخلع الزنا والنجاسة، وتلبس ثوب النقاوة المتألق.

إنني أوصيك بهذا قبل أن يدخل العريس يسوع ويتطلع إلى ثوبك.

إنني اترك لك زماناً طويلاً للتوبة. إنها فرصة كافية لك كي تخلع وتغسل وتلبس وتدخل!

لكنك إن بقيت مقاوماً بنية شريرة، فإن المتكلم لا يكون مسئولاً، بل أنت تحرم نفسك من النعمة، إذ تتقبل

^١ مت ٢٢: ٢ طبق القديس المثل على المعمودية في المقال ٣: ٢.

^٢ الترجمة الحرفية "وبأي لون".

^٣ الكلمة اليونانية في معناها العام تعني "المعرفة أو الفهم" لكنها في الكتابات الكنسية تستخدم بمعنى تدبير خدمات الكنيسة بوقار ومهابة.

^٤ منذ القرون الأولى رتبّت الكنيسة قراءات معينة متناسبة ومتكاملة معاً كقراءات قداس الموعوظين من بولس وكاثوليكون وإبركسيس وفصل من الإنجيل...

^٥ اللفظ اليوناني يحمل معنى كل فئات كل فئات المكرسين الذين يخدمون في الكنيسة من كهنة وشمامسة وشماسات ورهبان وعذارى وأرامل.

الماء (ونيتك شريرة) لا يقبلك الروح^١.

إن شعر أحد بجرحه فليأخذ المرهم، وإن كان ساقطاً فليقم!
ليته لا يكون بينكم سيمون، ولا رياء، ولا حباً للاستطلاع مملوء بلادة من جهة هذا الأمر.

٥. العماد بقصد التودد للغير^٢

...قد يحدث أن رجلاً يرغب في التودد إلى امرأة، فيأتي بهذا الدافع. ويمكن أن نقول نفس الأمر لامرأة، أو قد يأتي عبد إرضاء لسيده أو صديق ليهج صديقه.
إنني أقبل هذا كقطع الصنارة. أقبلك بالرغم من مجيئك بنية غير سليمة، إذ لي وطيد الأمل إنك ستخلص.

ربما لا تعرف إلى أين قد أتيت؟ ولا في أي شبكة أنت تُصطاد؟ إنك أتيت في داخل شباك الكنيسة!
(مت ١٣: ٤٧) لقد أخذت حباً فلا تهرب، لأن يسوع اصطادك كالسمكة لا لتقتل بل لتصير بالموت حياً.
يلزمك أن تموت وتقوم ثانية، إذ تسمع الرسول يقول: "أموت عن الخطية لكن أحيأ في البر" (راجع رو ٦: ١١، ١٤). مُت عن خطاياك وعش للبر. عش هكذا اليوم.

٦. يا لعظمة المعمودية!

أرجو أن تتأمل عظمة عطايا المسيح التي يشرفك بها. لقد كنت تدعى "موعوفاً"، كنت تسمع الكلمة تدوي حولك من الخارج، كنت تسمع الرجاء ولا تدركه، تسمع عن الأسرار ولا تفهمها، تسمع الأسفار المقدسة ولا تلمس أعماقها. هوذا لا يعود الصدى يدوي حولك، بل يكون في داخلك، لأن الروح الساكن فيك (رو ٨: ٩، ١١) يجعل من ذهك بيتاً لله.

عندما تقرأ عن الأسرار وتفهم ما لا تفهمه عنها الآن، اعلم أن هذا الأمر ليس بشيء هين. فبالرغم من أنك إنسان بائس تتقبل أحد ألقاب الله.

اسمع القديس بولس يقول "أمين هو الله" (١ كو ١: ٩). ويقول سفر آخر: "هو أمين وعادل" (١ يو ١: ٩)، فإذا ينال الإنسان لقب من ألقاب الله، أي "أمين". لهذا تنبأ المرتل في شخص الله قائلاً: "أنا قلت أنكم آلهة وبني العلي تُدعون". لكن أحذر لئلا يكون لك اللقب أنك "أمين" وأنت لك إرادة غير مؤمن "أي غير أمين في إرادتك".

إنك تدخل سباقاً، جاهد فقد لا تجد فرصة أخرى كهذه^٣.

إن يوم زفافك (عمادك) أمام عينيك، ألا تريد أن تترك كل شيء وتتفرغ لإعداد الوليمة؟! لقد اقترب يوم تكريس نفسك للعريس السماوي، أما تكف عن الانشغال بالأمور الزمنية حتى تريح الروحانية؟!

٧. معمودية واحدة!

إننا لا ننال المعمودية مرتين أو ثلاثاً... لأنه يوجد "رب واحد، وإيمان واحد، ومعمودية واحدة" (أف ٤: ٥)، فلا تُعاد المعمودية، إلا معمودية الهراطقة، إذ لا تحسب معمودية.

^١ راجع مقال ١٧: ٣٦.

^٢ تحدث أيضاً القديس أمبروسوس في مز ١١٩ عظة ١٠: ٤٨ كيف يتظاهر البعض باعتناق المسيحية ويكون - للأسف - واقعهم الرغبة في التزوج مسيحية يرفض والدها أن يزوجها لوثني.

^٣ راجع مقال ١٧: ٣٦.

٨. آمن بفاعلية المعمودية

لا يطلب الله منا سوى النية الصالحة.

لا تقل كيف ثمحي خطاياي؟ فإنني أقول بواسطة الإرادة^١ والإيمان.

أي طريق أقصر من هذا؟! لكن إن أعلنت شفتاك الإرادة (في التمتع بمغفرة الخطايا) وقلبك صامت، فإن الذي يدينك يعلم قلبك.

من اليوم كف عن كل ما هو رديء! كف لسانك عن أن ينطق بكلمات غير لائقة. أغمض عينك عن التطلع إلى الخطية والتجول فيما لا ينفع.

٩. المعمودية والتلاوات^٢

لتسرع قدمك بشغف إلى التعاليم^٣ المستلمة، سواء تلك التي تسمعها أو تتلوها، فإن العمل بالنسبة لكم هو الخلاص.

لو كان لديك ذهب خام مخلوط بمواد أخرى مثل النحاس والقصدير والحديد والرصاص، وأنت تطلب ذهباً نقياً، فهل يمكن تنقيته بطريق آخر غير النار؟! هكذا لا يمكن للنفس أن تنتقى بدون التلاوات الإلهية المجمعة من الأسفار المقدسة.

لتستر وجهك^٤ لكي يتحرر ذهنك، لئلا تزوغ عينك، فلا ينضبط قلبك. لكن متى أغمضت عينيك لا يعوق شيء أيضاً أذنك عن تقبل معاني الخلاص.

وكما أن المهرة في حرفة الصياغة ينفخون النار بأدوات دقيقة فيشعلونها تجاه الذهب الموضوع في البوتقة، وبهذا يبلغون غايتهم، هكذا بنفس الطريقة أصحاب التلاوات يشيرون رعباً بواسطة روح الرب، وتصير النفس كما لو كانت على نار بوتقة الجسد، فيهرب الخصم الشيطان، ويسكن الخلاص ورجاء الحياة الأبدية، وعندئذ تنتقى النفس من خطاياها ويكون لها خلاص.

يا إخوة، ليتنا نسكن في رجاء، ونسلم أنفسنا للرب ونترجاه، حتى يرى إله الكل غايتنا وينقينا من خطايانا، ويهبنا أمالاً صالحة فيما نحن عليه، ويعطينا توبة تنشي خلاصاً.

الله يدعو، والدعوة هي لك أنت!

١٠. المعمودية والحرب الروحية

أصغ إلى التعاليم بكل طاعتك^٥. ومع أنه يجدر بنا أن نطيل مقالنا لكنني لا أترك ذهنك يمل، فإنك تتسلم عدة حربية ضد قوة العدو، سلاحاً ضد الهراطقة، ضد اليهود والسامريين^٦ والأمم.

^١ يقول روفينوس في كتابه "شرح قانون الإيمان" عن غفران الخطايا أن الوثنيين يدعون إننا نخدع أنفسنا بالقول إن الخطايا تُغفر بالكلام، أي مجرد الإيمان الكلامي بالمسيح الفادي، مع أننا نؤكد أن إيماننا ليس كلاماً بل تصحبه إرادة عملية لعمل الله فينا وتجاوبنا معه.

^٢ راجع مفهوم التلاوات أو الصلوات القصيرة.

^٣ أي التعاليم الدينية الشفهية التي تُلقي على طالب العباد.

^٤ ربما يقصد أن الإنسان في أثناء ترديد التلاوات أو الصلوات يغمض عينيه حتى لا ينشغل بشيء مما حوله. ويرى البعض أن الموعوظ كان يستتر وجهة أثناء التلاوة، ثم ينزع الغطاء إشارة إلى أن البرقع قد نُزع عن قلبه وذهنه ليذكر المفاهيم الروحية.

^٥ الترجمة الحرفية "تماماً".

^٦ كان ابيفانيوس وغيره من الآباء في القرن الرابع ينظرون إلى السامريين كمقاومين عُنفاء للمسيحية.

إن لك أعداء كثيرين. تسلم سهامًا كثيرة ترشقهم بها، إذ يجدر بك أن تتعلم كيف تتأزل اليونانيين^١، وكيف تصارع الهراطقة وأيضًا اليهود والسامريين.

هوذا السلاح مُعد "سيف الروح" (أف ٦: ١٧) مهياً. يليق بك أن تبسط يدك اليمنى بطريقة صالحة لكي تحارب حرب الله، وتغلب القوات المقاومة وتصير (حصناً) منيعاً يصد كل محاولة للهراطقة.

١١. المعمودية وملزمة التعليم

دعني أقدم لك هذه الوصية أيضاً. اعرف التعاليم^٢، واحفظها إلى الأبد.

لا تظنها عظات عادية، فإن العظات العادية مع كونها صالحة وتستحق المديح، لكننا إن أهملناها اليوم ندرسها غداً. أما التعاليم بخصوص جرن المعمودية التي نقدمها لك في حلقات سلسلة إن أهملتها اليوم متى ندرسها كما ينبغي؟!!

تصور أن الآن فصل غرس الأشجار، فإننا إن لم نحفر، ونحفر بعمق، كيف نقدر أن نغرس الشجرة بطريقة سليمة إن غرسناها بطريقة خاطئة (وضاع وقت الغرس)؟!!

التعليم نوع من البناء، إن لم يرتبط بعضه مع البعض بربطات منتظمة يكون البيت معيباً، ويصير البناء غير سليم، ويؤول عملنا السابق إلى لا شيء.

إذن يلزمنا أن نلحق الحجر بحجر، ونزج الزاوية بأخرى، وخلال اللمسات الأخيرة لإزالة الزيادات يصير البناء منسقاً، هكذا بنفس الطريقة نجلب المعرفة كما لو كانت حجارة، فنسمعك عن الله الحي، والدينونة، والمسيح، والقيامة... وأمور أخرى كثيرة يلزم تتابع مناقشتها، هذه التي نحيا واحدة فواحدة حتى يتهيأ لنا بناء مترابط متناسق. فإن لم تنتهياً (التعاليم) في وحدة واحدة، ونرتبها كما يليق التعليم الأول فالثاني... فإن البناء يُعد لكنه لا يكون سليماً.

١٢. نقدم كل تعليم في الوقت المناسب

عندما نتسلم تعليمًا، إن سألك موعوظ من الخارج^٣ قائلاً لك: ماذا يقول المعلمون؟ لا تجبه بشيء. إننا نسلمك سرًا ورجاء في الحياة المقبلة، احفظ السرّ لذاك الذي يهبك المكافأة.

لا يقول لك أحد: ماذا يصيبك لو عرفته أنا أيضاً؟ فإنه كالمريض الذي يطلب خمراً، فإذا يأخذه في وقت غير مناسب يحدث له هذيان، وبهذا يتحقق شران: المريض يموت والطبيب يُلام! هكذا أيضاً متى سمع الموعوظ شيئاً من المؤمن يصير في حالة هذيان (إذ لا يفهم ما يسمعه، ويجد فيه خطأ، ويتهمك على ما يسمعه)، ويُدان المؤمن كخائن.

أنت الآن على الشاطئ، احذر من أن تقول شيئاً في الخارج، لا لأن ما تقوله لا يستحق أن يُقال، بل لأن الأذن لم تنتهياً للسمع له.

إكنت يوماً ما موعوظاً، ولم أخبرك بما أعلنه لك الآن.

إنك ستختبر كيف أن أمور تعاليمنا عالية، وعندئذ تدرك أن الموعوظين لم يتأهلوا بعد لسماعها.

^١ أي الأمميين أي الوثنيين... وهنا الحرب ليست حرباً مادية بل حرب روحية أساسها أن يفند المسيحيون مقاومة المناقضين... وإننا نعرف بروح الكتاب وبروح الكنيسة ليس عملنا جرح مشاعر الناس ولا مهاجمتهم بل تقديم الإيمان السليم ومجاوبة الذين يسألوننا.

^٢ التعاليم التي نقدم خلال الأربعين المقدسة، لا كعظات عادية، بل تعاليم منظمة مدروسة.

^٣ الموعوظون الذين لم يقبلوا بعد كطالبي عماد.

١٣. المعمودية والاهتمام بخلص النفس

أنتم الذين سُجلت أسماؤكم تصيرون أبناء وبنات أم واحدة. عندما تدخلون إلى وقت التلاوات، فليتكلم كل واحدٍ منكم بما هو للصالح. وإن لم يأت أحدكم في دوره فلتبحثوا عنه، لأنه متى دعيتم إلى وليمة أما تنتظرون حتى يأتي زميلكم الضعيف؟! إن كان لك أخ أما تطلب خيره؟! لا تنهمكوا في أمور باطلة، فلا تشغلوا (في وقت الأربعين المقدسة) بما يحدث في المدينة أو القرية أو مع الملك أو الأسقف أو الكاهن. انظروا إلى فوق واطلبوا ما تحتاجون إليه في هذه الساعة التي أنتم فيها. لتصمتوا ولتعرفوا إني أنا الله!

أن رأيتم المؤمنين يخدمون... وهم مطمئنون، فلتعترفوا أنهم في ملكية النعمة... أما أنتم فإلى الآن على كفة ميزان، قد تقبلون وقد لا تقبلون، فلا تقلدوا من تحرروا من القلق، إنما اطلبوا المخافة.

١٤. آداب الحضور في الكنيسة

عندما تتم التلاوة، فإلى أن يجيء دور الآخرين يجب أن يبقى الرجال مع الرجال والنساء مع النساء.^١ إنكم محتاجون أن أقدم لكم فلك نوح كمثال، إذ كان فيه نوح وبنوه، وزوجته ونساء بنيه. فمع أن الفلك واحد والباب مغلق، لكن كل الأمور فيه كانت مرتبة ترتيباً حسناً.

هكذا متى أغلقت الكنيسة وأنتم في داخلها، لينفصل الرجال مع الرجال، والنساء مع النساء، لئلا يكون علة خلاصكم فرصة للهلاك. إن وجد عذر مقبول لجلوسكم مع بعضكم البعض (أي جلوس رجل مع امرأة) فلتطرد شهوراتكم!^٢

بالأحرى ليت الرجال عند جلوسهم يكون معهم كتاباً مفيداً، واحد يقرأ والآخر يستمع، وإن لم يوجد كتاب فليصل واحد وينطق آخر بكلام نافع.

كذلك ليت الحدّثات يجلسن معاً بنفس الطريقة، يسبحن أو يقرأن بهدوء، فتتحرك شفاهن دون أن يسمع أحد أصواتهن، إذ لا يُسمح للمرأة أن تتكلم في الكنيسة (١ كو ١٤: ٣٤؛ ١ تي ٢: ١٢).

وليتبع النساء المتزوجات نفس المثال ويصلين. لتتحرك شفاهن دون أن تُسمع أصواتهن حتى يوهب لهن "صموئيل"^٣ - الذي معناه "الله الذي يسمع الصلاة"، إذ هكذا هو تفسير اسم "صموئيل" - وتلد نفوسهن العواقر الخلاص.

١٥. اقبلوا عمل الله

سأرى غيرة كل رجل وتقوى كل امرأة.

ليت ذهنكم يتتقى كما بنار في وقار! ليت نفوسكم تُصهر كالمعدن! ليت الشوائب تُزال، ويتبقى المعدن

^١ جاء في أغسطينوس ٥١:١ De symbol أن الموعوظين يحضرون أمام المجمع ويدخلون واحداً فواحداً، ليُصلى عليهم. هنا يظهر كيرلس أنه بليق بكل واحدٍ أن ينتظر إخوته.

^٢ يقول القديس يوحنا الذهبي الفم في مت عظة ٧٤: ٣ [يلزم أن يكون في داخلكم حائط يفصلكم عن النساء. ولكن إذ لا تريدون هذا، فكر الآباء في ضرورة فصلكم عن بعض على الأقل بهذه الحواجز "الخارجية"، إذ سمعت من آبائي أنه لم تكن توجد مثل هذه الحواجز في الأيام السابقة.]

هذه الحواجز التي يتحدث عنها القديس يوحنا الذهبي الفم والتي نراها في الكنائس الأثرية لم تكن موجودة في أورشليم حتى أيام كيرلس الاورشليمي كما نرى من حديثه المذكور.

^٣ ١ صم ١: ١٣، ٢٠ صموئيل أي سمع إيل، أي سمع الله.

خالصًا. لينزع زغل الحديد، ويتبقى المعدن الحقيقي!

ليظهر الله لكم الليلة الظلام الذي يتلأأ كالنهار، إذ قيل عنه: "الظلمة لا تظلم لديك، الليل مثل النهار يضيء" (مز ١٣٩: ١٢). لينفتح باب الفردوس في وجه كل واحدٍ منكم، عندئذٍ تبتهجون بمياه المسيح^١ التي لها رائحة ذكية.

اقبلوا اسم المسيح^٢، وقوة الأمور الإلهية.

الآن أرجوكم أن ترفعوا عيون أذهانكم، فتروا طغمت الملائكة، والله رب الجميع جالسًا مع الآب عن يمينه والروح القدس...، تنظرون العروش والسلاطين يخدمون (الثالوث القدوس)، ترون كل واحدٍ وواحدة منكم سيخلص.

لتنصت آذانكم من الآن إلى الصوت المجيد الذي ستتغنى به الملائكة بسبب خلاصكم قائلة: "طوبى للذي غفر إثمهُ وسُئرت خطيته"^٣. وذلك عندما تدخلون ككواكب الكنيسة المتألقة جسدًا، ومتألئة نفسًا.

عظيم هو العماد الذي يوهب لكم فإنه^٤:

عتق الأسرى،

غفران المعاصي،

موت الخطية،

ميلاد جديد للنفس،

ثوب النور،

ختم مقدس لا ينفك،

مركبة للسموات،

بهجة الفردوس،

ترحيب في الملكوت،

عطية التبتّي!

لكن احذروا، فإنه توجد حية في الخارج تترقب المارين. احترسوا لئلا تلدغكم بلدغات عدم الإيمان.

إنها إذ ترى كثيرين يقبلون الخلاص تلتمس أن تبتلعه منهم (١ بط ٥: ٨).

إنكم داخلون إلى أب الأرواح، لكنكم ستعبرون على هذه الحية.

كيف تعبرون عليها؟ كونوا "حاذين أرجلكم باستعداد إنجيل السلام" (أف ٦: ١٥)، حتى إذا لدغتم لا

تؤذيكم. فإذا يكون لكم إيمان حي ورجاء ثابت وصندل قوى تجتازون العدو وتدخلون إلى حضرة الرب.

هيئوا قلوبكم لتقبل التعليم من أجل شركة الأسرار المقدسة.

صلوا بأكثر مثابرة، لكي ما يجعلكم الله مستحقين للأسرار السماوية الخالدة. لا تنقطعوا عنها نهائًا وليلاً،

بل عندما يُطرد النوم من عيونكم تحرر أذهانكم للصلاة. وإن ثار فيكم أي فكر معيب، حوّلوا أذهانكم إلى التأمل

^١ النص هو Christ bearing في الطبعة البندكتية "عندئذٍ تبتهجون بالمياه التي تحمل رائحة المسيح".

^٢ مقال ٢١: ١ "تكونون شركاء المسيح أنتم الذين بحق تدعون مسحاء".

^٣ مز ٣٢: ١، لا زالت الكنيسة اليونانية تستخدم هذه التسبحة بعد العماد.

^٤ يستخدم القديس باسيليوس الكبير نفس الكلمات والعبارات في مدح المعمودية، إذ يُحتمل أن يكون هو وغيره من الآباء قد اقتبسوها من القديس كيرلس الأورشليمي.

في الدينونة، فتتذكرون الخلاص.

قدموا أذهانكم كلها للدراسة، حتى تحتقروا الأمور الدنيئة.

وإن قال لكم أحد: "هل أنت داخل لكي تغطس في الماء"؟ ألا توجد طرق أخرى للمدينة؟" أذكر هذا قول: "التين الذي في البحر" (إش ٢٧: ١) الذي يبث خداعاته ضدك، فلا تنصت إلى شفتيه، بل أصغ إلى الله الذي يعمل فيك.

لاحظوا أنفسكم إلى النهاية، حتى لا تسقطوا في الشباك، فتعيشوا في رجاء، وتصيروا وارثين للخلاص الأبدى.

١٦. أنتم عملنا

نحن نوصيكم ونعلمكم وأنتم كبناء لنا لا تكونوا خشباً وعشباً وقشاً حتى لا نفقد بناءنا فيحترق عملنا، بل كونوا ذهباً وفضة وحجارة كريمة (١ كو ٣: ١٢، ١٥).

مهمتي أن أتكم، وعملكم أن تصغوا بذهنكم فيما أقول^١، وتركزوه في الله ليجعلكم كاملين.

لنشدد أذهانكم وننهض نفوسكم على رجاء نوال الأبديات، والله الذي يعرف قلوبكم ويميز الصادق من المرائي قادر أن يحفظ من هو صادق النية، ويهب إيماناً للمرائي، لأنه حتى غير المؤمن متى سلم قلبه لله قادر أن يهبه الإيمان.

ليوف الله الصك الذي عليكم (كو ٢: ١٤) ويهبكم غفران معاصيكم السابقة، ويغرسكم في كنيسته، ويجندكم في خدمته، ويلبسكم سلاح البر (٢ كو ٦: ٧)، ويغمركم بخيرات العهد الجديد السمائية، ويعطيكم ختم الروح القدس الذي لا يمحي على مر الأزمنة، في المسيح يسوع ربنا الذي له المجد إلى الأبد. آمين.

إلى القارئ^٢

هذه المقالات التعليمية موجهة إلى لذين يستتيرون، فتُعطى للموعوظين المتقدمين للعماد وللمؤمنين الذي اعتمدوا فعلاً لكي يقرأوها، لكنها لا تُقدم دفعة واحدة للموعوظين... وإن كتبت نسخة منها فاكتب هذه في المقدمة.

^١ أو "تنزل في الماء"

^٢ جاءت الكلمة اليونانية في تث ١٣: ٤ (الترجمة السبعينية) بمعنى "التصقوا به" وفي يش ٢٣: ١٢، مز ١١٢: ١٠ بان يقيم الإنسان قلبه عليه.

^٣ يُشك في أن يكون القديس كيرلس الأورشليمي هو كاتب هذه الملاحظة.

المقال الأول^١

اغسلوا، تنقوا

"اغسلوا، تنقوا، اعزلوا شر أفعالكم من أمام عيني..." (إش ١:

(١٦

١. السماء تفرح بكم!

يتوق تلاميذ العهد الجديد وشركاء أسرار المسيح أن يكون لهم قلب جديد وروح جديد، ليس بحكم عملهم بل وبالنعمة أيضاً، إذ تعم السعادة سكان السماء. لأنه إن كان كقول الإنجيل: "يكون هناك فرح من أجل خاطئ واحد يتوب" (لو ١٥: ٧)، فكم بالأكثر يسعد سكان السماء بخلاص نفوس كثيرة؟! إذ كما لو كنتم داخلين ممراً صالحاً مجيداً، راكضين بوقار في جهادٍ وورع.

إن ابن الله الوحيد خال هنا، ومستعد على الدوام أن يخلصكم، قائلاً: "تعالوا إليّ يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم" (مت ١١: ٢٨).

يا لابسي ثوب المعاصي الدنس، أيها المقيّدون بحبال خطاياكم، أنصتوا إلى صوت النبي القائل: "اغسلوا، تنقوا، اعزلوا شر أفعالكم من أمام عيني" (إش ١: ١٦)، فإن طغمات الملائكة تترنم بسببكم قائلة: "طوبى لمن غفر إثمه، وسُتُرت خطيته" (مز ٣٢: ١).

يا من تضيئون مشاعل الإيمان، لا تسمحوا لها أن تنطفئ بين أيديكم حتى يهبكم - ذاك الذي قديماً على جبل الجلجثة المقدس فتح باب الفردوس للص بسبب إيمانه - أن تسبحوا ترنيمة العرس.

٢. اخلعوا الإنسان العتيق

إن كان بينكم من هو عبد للخطية، فليستعد بالإيمان استعداداً تاماً للميلاد الجديد في الحرية والتبني. وبخلع عبوديته لخطاياها المزدولة وارتدائه عبوديته للرب المطوبة، يصير أهلاً لميراث ملكوت السموات. اخلعوا "الإنسان العتيق الفاسد حسب شهوات الغرور" (أف ٤: ٢٢) بالاعتراف، حتى تلبسوا "الإنسان الجديد الذي يتجدد للمعرفة حسب صورة خالقه" (كو ٣: ١٠).

بالإيمان خذوا "عربون الروح القدس" (٢ كو ١: ٢٢) "لكي يقبلوكم في المظال الأبديّة" (راجع لو ١٦: ٩).

تعالوا لتتالوا الختم السري حتى يعرفكم السيد بسهولة، وتكونوا محصيين بين قطيع المسيح المقدس الروحاني، ويكون مكانكم عن يمينه، فترثوا الحياة المعدة لكم. أما هؤلاء اللابسون ثوب خطاياهم الدنس فيبقون عن يساره، إذ لم يقتربوا بالمسيح إلى نعمة الله في الميلاد الجديد بالمعمودية. وإنني لا أعني بالميلاد الجديد ميلاداً جسدياً، بل ميلاداً روحياً جديداً للنفس، فوالدانا المنظوران يلدونا حسب الجسد، أما أرواحنا فتولد ميلاداً جديداً بالإيمان. إذ "الريح تهب حيث تشاء" (يو ٣: ٨).

عندئذ متى وُجِدتم مستحقين، تسمعون الصوت القائل: "تعمّا أيها العبد الصالح والأمين" (مت ٢٥: ٢١)، وذلك إن كان ضميركم غير ملوث بدنس الرياء.

^١ العنوان الأصلي: أول مقال تعليمي لأبينا القديس كيرلس رئيس أساقفة أورشليم إلى الذين يستنبطون، ألقاها ارتجالياً كمقالٍ موجه للمُتأهّبين لقبول العماد.

٣. اخلعوا الرياء

إن ظن أحد الحاضرين في نفسه أن يجرب الله، فإنه يخدع نفسه ولا يختبر قوة الله. تحرر يا إنسان من الرياء، وذلك من أجل فاحص القلوب والكلى (مز ٧: ٩). وكما أن الذين يتقدمون للحرب يفحصون أعمار المتقدمين للخدمة العسكرية ويختبرون لياقتهم البدنية، هكذا يختبر الرب نيات الأرواح المجندة (ضد إبليس)، فإن وُجد في إحداها رياء خفيًا يطردها، إذ لا تصلح لخدمته الحقيقية، أما إن رأى من تستحق فإنه للحال يهبه نعمتها. إنه لا يعطى القدس للكلاب (مت ٧: ٦)، لكن من رأى فيه ضميرًا صالحًا يهبه ختم الخلاص، الختم الذي يرعب الشياطين وتعرفه الملائكة، يهرب منه الأولون، ويتطلع إليه الآخرون كأقرباء... لذلك يليق بمن يتقبل هذا الختم الروحي المخلص أن تكون له الأخلاق الثلاثة به. وكما أن القلم والسهم يحتاجان إلى من يستخدمهما، هكذا تحتاج الخدمة إلى أذهان مؤمنة تستخدمهما.

٤. تأمل عظمة المركز الجديد

إنك لا تتقبل درعًا فاسدًا، بل درعًا روحياً! منذ الآن تُزرع في فردوس غير منظور! إنك تتسلم اسمًا جديدًا لم يكن لك من قبل، إذ كنت تُدعى موعوظًا، أما الآن فمؤمنًا! من الآن فصاعدًا تُطعم في زيتونة روحية (رو ١١: ٢٤)، إذ قُطعت من الزيتون البرية، وطُعمت في الزيتون الجيدة. نُزعت من الخطايا إلى البر، ومن الأدناس إلى النقاوة. ها أنت تصير شريكًا في الكرمة المقدسة! (يو ١٥: ١، ٤، ٥) حسنًا فإن ثبّت في الكرمة تنمو كغصنٍ مثمرٍ، وإن لم تثبت فيها تهلك بالنار. إذن لتحمل ثمرًا باستحقاق! فلا يسمح الله أن يحل بك ما حلّ بشجرة التين العقيمة (مت ٢١: ١٩)، إذ لم يأت بعد المسيح (للدنونة)، ولا لعننا بسبب عُقمنا. لتكن لنا القدرة أن نقول: "أما أنا فمثل زيتونة مثمرة في بيت الله، توكلت على رحمة الله إلى الدهر والأبد" (راجع مز ٥٢: ٨)، وهنا لا نفهم الزيتون بمعناها المادي، بل نفهمها ذهنيًا بكمال النور. فإن كان الله يزرع ويسقي^١، فإنه يليق بك أن تأتي بثمار. الله يهب نعمته، وأنت من جانبك تتقبلها وتحافظ عليها.

لا تحتقر النعمة من أجل مجانيتها بل اقبلها واكتنزها بورع.

٥. جاهد لتنال أكثر

الآن وقت للاعتراف. اعترف بما تقتفره بالقول أو بالعمل، نهارًا وليلاً. اعترف في وقت مقبول وفي يوم خلاص (٢ كو ٦: ٢)، ففتسلم الكنز السماوي. كرّس وقتك للتلاوات، واضبط على التعليم، تذكر ما تتلقنه، لأن ما يُقال لك هو ليس لأذنك فحسب، إنما بالإيمان اختمه في ذاكرتك.

^١ يقول الرسول: "أنا غرست وأبلوس سقى، لكن الله ينمي" (١ كو ٣: ٦). نسب القديس كيرلس الغرس والسقي لله العامل الذي ينمي الزرع.

أمح من ذهنك كل اهتمام أرضي^١، فإنك تركض من أجل نفسك، إنك تطلب أمور العالم فقط، وهذه قليلة بينما يهبك الله الأمور العظيمة!

أطلب الأمور الحاضرة، لكن لتكن ثقتك في الأمور المقبلة.
العلك ركضت حلقات من السنين هذا عددها منهمكاً في العمليات الباطلة، ولا تتفرغ في الأربعين يوماً للصلاة^٢ من أجل نفسك؟!

يقول الكتاب: "كفوا واعلموا أنني أنا الله" (مز ٤٦ : ١٠).
اعف نفسك من النقوّه بكلمات كثيرة باطلة، وامتنع عن الوشايات، ولا تمل أذنك إلى النمامين، بل بالأحرى كن متأهباً للصلاة، وليظهر قلبك متشددًا في التدبير النسكي.
نق كأسك لتقبل فيضاً أكثر من النعمة! حقاً إن غفران الخطايا يوهب للجميع بالتساوي، لكن شركة الروح القدس تُوهب حسب إيمان كل إنسان. فإن كنت تعمل قليلاً تتال قليلاً، وإن كثيراً تكسب مكافأة عظيمة.
إذن اركض لأجل نفسك واهتم بها.

٦. نصائح ووصايا

إن كان لك شيء على أحد أصفح عنه. فإذا تأتي هنا لنوال غفران خطاياك يلزمك أن تصفح لمن أخطأ ضدك. وإلا فبأي وجه تقول للرب: "اغفر لي خطاياي الكثيرة"، إن كنت لا تصفح عن أخطاء العبد رفيقك القليلة؟!

واظب على اجتماعات الكنيسة بنشاط، ليس فقط في هذه الوقت حيث يطالبك الكهنة بالمتابعة على الحضور، بل وبعد أن تتال النعمة، لأنه إن كنت قبل نوالها تعمل عملاً صالحاً، أفما يليق بالأكثر بعد نوالها؟!
إن كنت وأنت لم تُطعم بعد لك فرصة آمنة لكي تُسقى ويُعتنى بك، فكم بالأولى بعد تطعيمك؟!
صارح من أجل نفسك، خاصة في مثل هذه الأيام. أنعشها بالقراءات المقدسة، إذ يعد الرب لك مائدة روحية. عندئذ تقول مع المرتل: "الرب راعي فلا يعوزني شيء، في مراعي خضر يربضني، إلى مياه الراحة يوردني، يرد نفسي" (مز ٢٣ : ١-٣)، حتى الملائكة أيضاً تشاركك فرحتك، والمسيح نفسه رئيس الكهنة الأعظم إذ يتقبل صدق عزيمتك يحضرك أمام الآب قائلاً: "ها أنا والأولاد الذين أعطانيهم الله" (عب ٢ : ١٣؛ إش ٨ : ١٨).

ليحفظك الرب موضع سرور في عينه، هذا الذي له المجد والسلطان إلى دهر الدهور الأبدية. آمين

^١ الترجمة الحرفية "بشري".

^٢ محذوفة في بعض النسخ.

التوبة وغفران الخطية

"بر البار عليه يكون، وشر الشرير عليه يكون، فإذا رجع الشرير عن جميع خطاياہ التي فعلها، وحفظ كل فرائضي، وفعل حقاً وعدلاً، فحياة يحيا لا يموت..." (حز ١٨ : ٢٠-٢٣).

١. الخطية لهيب نار متقدة!

الخطية مرعبة للغاية، والعصيان مرض النفس الويل، إذ يشل طاقاتها خفية، ويجعلها مستحقة للنار الأبدية.

إن الشر الذي يختاره الإنسان بنفسه هو نتاج الإرادة، وتظهر إرادتنا الحرة في ارتكاب الخطية من قول النبي بوضوح: "وأنا قد غرسنك كرمة مثمرة، شجرة كاملة، فكيف تحولت إلى شجرة بريّة وكرمة غريبة؟! (راجع إر ٢ : ٢١) كان الزرع جيّداً ولكن الثمر جاء رديئاً! فالزارع بريء، وأمّا الشجرة فتُحرق بالنار، لأنها زُرعت جيدة وإبرادتها حملت ثمرًا رديئاً. وكما يقول المبشر: "الله صنع الإنسان مستقيماً، أما هم فطلبوا اختراعات كثيرة" (جا ٧ : ٢٩). ويقول الرسول: "لأننا نحن عمله، مخلوقين... لأعمال صالحة وقد سبق الله فأعدها لكي نسلك فيها" (أف ٢ : ٢-١). فالخالق صالح، خلقنا لأعمال صالحة، أما الخليقة فانحرفت إلى الشر بإرادتها الحرة.

إذن الخطية كما قلنا شر مرعب للغاية، لكنها ليست بالمرض المستعصي شفاءه. هي مرعبة لمن يلتصق بها، لكن من يتركها بالتوبة يُشفى منها بسهولة.

تصور إنساناً يحمل ناراً في يديه، فإنه مادام يحمل الفحم يتأكد احتراقه، وإن ألّفاه يلقى اللهب أيضاً! لكن أن ظن أحد أنه لا يحترق إن أخطأ، فإن الكتاب المقدس يخبره قائلاً: "أياخذ إنسان ناراً في حضنه ولا تحترق ثيابه؟!" (أم ٦ : ٢٧)

الخطية تحرق طاقات النفس (تكسر عظام الذهن الروحية، وتظلم نور القلب)^١.

٢. اهتم بحياتك الداخلية!

قد يقول قائل: ماذا يمكن أن تكون الخطية؟ هل هي شيء؟ هل هي ملاك؟ هل هي شيطان؟ ما هذه التي تعمل في داخلنا؟ يا إنسان، إنها ليست عدواً يحاربك من الخارج، بل هي برعم يبرز في داخلك. (احفظ نفسك^٢)، ولا تشغل بأمر آخر، فستنتهي أعمال اللصوصية^٣ (التي للخطية).

تذكر الدينونة، فلا يسيطر عليك الزنا ولا الدعارة ولا القتل ولا عصيان الشريعة، أما إن نسيت الله فالشر يراودك وترتكب المعصية.

٣. الشيطان يخدعنا بأفكاره

لست وحدك صانع الشر، بل يوجد من يدفعك إليه بعنف. إنه الشيطان الذي يقترح عليك الشر دون أن

^١ هذه العبارة محذوفة من النسختين البندكتية، وال Milles لكنها وردت في الطبقات الحديثة الدقيقة.

^٢ هذه العبارة حذفت في الطبقات الحديثة الدقيقة.

^٣ لعله يقصد إلا ننشغل بالخطية كأمر خارجي، بل نهتم بحياتنا الداخلية فلا تسرق الخطية قلبنا.

تكون له سيادة إلزامية على من يقبله. لذلك يقول المبشر: "إن صعدت عليك روح المتسلط فلا تترك مكانك".^١
أغلق بابك واطرده بعيداً عنك، فلا يصنع بك سوءاً، أما إن قبلت فكر الشهوة بغير مبالاة، فستتغلغل
جذوره فيك، ويُفتن ذهنك بحيله، ويهوي بك في هاوية الشرور.
قد تقول: أنا مؤمن، لا تقدر الشهوة أن تصعد إليّ حتى وإن فكرت فيها كثيراً! أما تعلم أن جذع الشجرة
بالمقاومة المستمرة يستطيع أن يحطم حتى الصخرة؟! فلا تسمح للبذرة أن توجد فيك حتى لا تمزق إيمانك
وتحطمه. اقتلع الشر بجذره قبلما يزهر، لئلا باهمالك في البداية تحتاج بعد ذلك إلى فؤوس ونار.
عالج عينيك في الوقت المناسب عندما يلتهبان، لئلا تصير أعمى، وتحتاج إلى طبيب!

٤. الشيطان يجرف معه البشرية

الشيطان هو المصدر الأول للخطية وأب الأشرار.
هذا القول ليس من عندي، بل هو قول الرب. "لأن إبليس من البدء يخطئ" (١ يو ٣: ٨، يو ٨: ٤٤)،
إذا لم يخطئ أحد من قبله. لكنه لم يخطئ عن إلزام، كأن فيه نزوع طبيعي للخطية، وإلا ارتدت علة الخطيئة إلى
خالقه أيضاً، إنما هو خُلق صالحاً، وإرادته الحرة صار إبليس، متقبلاً هذا الاسم من عمله.
كان رئيس ملائكة، لكنه دُعي "إبليس" بسبب أفضاليه. كان خادم الله الصالح، وقد صار مدعواً شيطاناً
بحق، لأن كلمة "شيطان" معناها "خصم".
هذا التعليم ليس من عندي، بل هو تعليم حزقيال النبي الموحى به، إذ رفع مرثاة عليه قائلاً: "كنت خاتم
صورة الله، وتاج البهاء، وُلدت في الفردوس" (راجع حز ٢٨: ١٢-١٧). يعود فيقول بعد قليل: "عشت بلا عيب
في طرقك من يوم خُلقت حتى وُجد فيك إثم". إنه بحق يقول: "حتى وُجد فيك إثم"، إذ لم يُجلب عليه من الخارج،
بل هو جلبه لنفسه.
وللتوّ أشار إلى السبب قائلاً: "قد ارتفع قلبك لجمالك بسبب كثرة خطاياك، طعنت فطرحت على
الأرض". هذا القول يتفق مع قول الرب في الإنجيل: "رأيت الشيطان ساقطاً مثل البرق من السماء" (لو ١٠: ١٨).
ها أنت ترى اتفاق العهدين القديم والجديد!
عندما طُرد سحب معه كثيرين، إذ يبث الشهوات فيمن ينصتون إليه. منه تنبع الدعارة والزنا وكل أنواع
الشر. خلاله طُرد أبونا بسبب العصيان، وتحول عن الفردوس ذي الثمر العجيب إلى الأرض المنبتة شوكة.

الرب يردنا ويخلصنا

ماذا إذن؟ قد يقول قائل: لقد سُلِبنا وفُقدنا، أما من خلاص لنا؟! لقد سقطنا، أما يمكن أن نقوم؟! صرنا
عمى، أما يمكن أن نشفي؟ وفي كلمة، نحن أموات ألا يمكن أن نقوم؟! الذي أقام لعازر بعد موته بأربعة أيام
وننته، ألا يقدر بالأكثر أن يقيمك يا إنسان وأنت حي؟!
ليتنا لا نستهيئ بأنفسنا يا إخوة! ليتنا لا نهجر أنفسنا، فنسلك في اليأس. إذ مخيف هو عدم الإيمان
برجاء التوبة. لأن من لا يتطلع إلى (برجو) الخلاص لا يكف عن أن يزيد الشر شراً، أما من يترجى الشفاء
بسهولة يقدر أن يعتني بنفسه.
للص الذي لا يترجى العفو ييأس، أما من يرجوه فغالباً ما يأتي إلى التوبة.
ماذا إذن؟! هل تتسلخ الأفعى عن جلدها، وأنت لا تخلع خطيئتك؟!
^١ جا ١٠: ٤. راجع أيضاً أف ٢: ٧. "ولا تعطوا إبليس مكاناً".

إن كانت الأرض المملوءة شوكة متى فُلِحَتْ جيداً تصير خصبة، أفلا نترجى نحن الخلاص؟
حاشا! بل بالأحرى طبيعتنا تربة صالحة للخلاص، إنما نحتاج إلى الإرادة!

٦. الله يحبك!

الله محب البشر، لا يحبهم في مقاييس قليلة. لهذا لا تقل إنني ارتكبت الزنا والدعارة وفعلت خطايا فظيعة، ليس مرة بل مرات، فهل يغفر لي؟ هل يهمني عفو؟! اسمع ما يقوله المرتل: "ما أعظم جودك الذي ذخرته لخائفك" (مز ٣١: ١٩)، فإن معاصيك المتراكمة لن تعلو مراحم الله الكثيرة. جراحاتك لن تغلب مهارة الطبيب الفاتكة. سلم نفسك له بإيمان. أخبر الطبيب عن مرضك المزمن. قل أيضاً مثل داود: "قلت أعتز للرب بذنبي"، فيحدث معك ما قد حدث معه، فنقول للتو "أنت رفعت أثام خطيبي" (مز ٣٢: ٥).

٧. أمثلة عن محبة الله لأناس ساقطين

يا من أتيت لسماع التعاليم متأخراً، أتريد أن ترى محبة الله المترفة؟ أتريد أن تتظر حنو الله وغنى طول أناته؟! اسمع ما حدث مع آدم.

آدم - أول خليفة الله البشرية - عصى الله، أما كان يمكن أن يُفرض عليه الموت فوراً؟! لكن أنظر ماذا فعل الله بالإنسان في محبته العظيمة؟ لقد طرده من الفردوس، إذ صار بالخطيئة غير مستحق للعيش هناك، "وأقامه ليسكن مقابل الفردوس"^١ حتى متى تطلع إلى حيث سقط وتأمل ما كان عليه وما بلغ إليه، يخلص بالتوبة.

قايين أول مواليد البشر صار قاتلاً لأخيه، مخترعاً كل الشرور، وأول الحاسدين والقتلة. ومع هذا بماذا حكم الله عليه بعد أن أزال أخيه من الوجود؟ "تكون متتهذا ومرتباً على الأرض" (راجع تك ٤: ١٢). يا لبشاعة الإثم، ويا لخفة الحكم!

٨. وفي الطوفان

هذه الأمور تكشف عن محبة الله المترفة الحقيقية، لكنها قليلة إن قورنت بما يلي ذلك: تأمل ما حدث في أيام نوح فإن الجبابرة أخطأوا، وانتشر على الأرض شر عظيم بسببه حدث الطوفان. بقي الله يهدد خمسمائه عاماً، وفي المئة السادسة جاء بالطوفان على الأرض.

تأمل مدى اتساع محبة الله المترفة على مدى هذه المئات من السنوات! أما كان يمكنه أن ينفذ في الحال ما قد صنعه بعد انتظار مئات السنين! لكنه أمد في الزمن لكي يهبهم مهلة للتوبة فلو أنهم تابوا لما أخفقوا في التمتع بمحبة الله المترفة.

٩. ترفقه براحاب الزانية الوثنية

تعال معي الآن إلى فئة أخرى خلصت بالتوبة.

قد تقول امرأة ما: لقد ارتكبت الزنا والدعارة ودنست جسدي بكل أنواع الترف والإفراط فهل لي خلاص؟ حولي عينيك إلى راحاب، وتطلعي أيضاً إلى الخلاص. إن كانت زانية عامة تزني علناً خلصت بالتوبة، أفما تخلص بالتوبة والصوم من سقطت في الزنا قبل قبولها النعمة؟!

أسألي كيف خلصت؟ إنها فقط قالت: "الرب إلهكم هو الله في السماء من فوق وعلى الأرض من تحت"

^١ الترجمة السبعينية بدلاً من القول: "وأقامه شرق جنة عدن".

(يش ٢: ١). إنها تقول: "إلهكم" دون أن تجسر لتنسبه لنفسها بسبب حياتها المملوءة ضلالاً. وإن أردتم التأكد من خلاصها بشهادة من الكتاب المقدس فإنك تجد في سفر المزامير: "أذكر راحاب وبابل بين الذين يعرفونني"^١ (مز ٨٧: ٤).

يا لعظمة حنو الله المترفق، فإن الكتاب المقدس يشير حتى إلى الزانيات. إنه لا يقول: "أذكر راحاب وبابل" فقط بل يكمل "بين الذين يعرفونني"، فالخلاص نبغته بالتوبة سواء كنا رجالاً أو نساء على قدم المساواة.

١٠. أمثلة أخرى

لا، بل وإن أخطأ الشعب كله. فهذا ليس بكثير على حنو الله المترفق فقد صنع الشعب (القديم) عجلاً، ومع ذلك لم يكف عن محبته^٢. هم أنكروا الله، أما هو فلم ينكر نفسه...

ليس فقط الشعب، بل حتى هارون رئيس الكهنة أخطأ، إذ يقول موسى "وعلى هارون غضب الرب جداً لبيده فصليت أيضاً من أجل هارون في ذلك الوقت (فسامحه)". ماذا إذن؟ يصلى موسى من أجل رئيس كهنة مخطئ فيغلب الله (بالمحبة) بينما لا تقبل شفاعته يسوع ابنه الوحيد عند الآب؟! إن كان هرون لم يُمنع من الكهنوت السامي بسبب عصيانه، فهل تمنع من الدخول إلى الخلاص يا من أتيت من بين الأمم؟! فقط تب يا إنسان هكذا، فلا ترفضك النعمة!

عُد بلا خجل إلى طريقك الذي للحياة، فإن الله بحق محب للبشر، ولا تقدر كل الأزمنة^٣ أن تخبر عن محبته المترفقة، بل وكل الألسنة إن اجتمعت معاً لا تستطيع أن تخبر بما يليق بها. وإنما نحن نخبركم قليلاً مما ورد بشأن محبته للبشر المتحننة...

١١. ترفقه بداود الساقط

...تعال إلى داود الطوباوي واقبله مثلاً للتوبة. فيقدر ما كان عظيماً سقط. إذ قام من نومه وأخذ يتمشى على السطح في المساء، تاركاً لنفسه أن ينظر بغير حرص، ف شعر بشهوة بشرية. لقد أكمل خطيته لكنه لم يمت بسببها، وذلك بسبب صراحته في الاعتراف بها، عندما جاءه ناثان النبي كمتهم مفاجئ له ليشفى جرحه. إنه يقول له بأن الرب غاضب وأنت تخطيء.

لقد عُرض الأمر على الملك الحاكم، فلم يتهاون داود الملك، إذ لم يهتم بمن يكلمه بل بالله الذي أرسله. إنه لم يتعجرف بحشود الجند المحيطين به، لأنه تطلع إلى جنود الرب الملائكية. لقد ارتعب إذ رأى من لا يرى (عب ١١: ٧). لهذا قال للرسول بل بالأحرى أجاب الرب مرسله قائلاً: "أخطأت إلى الرب" (١ صم ١٢: ١٣). أنظر إلى تواضع الملك! تأمل اعترافه... لقد حدث كل شيء على وجه السرعة، فما أن ظهر النبي كمتهم حتى أعترف الخاطئ بخطيئته، وإذ أسرع بالاعتراف نال الشفاء بأقصى سرعة! فثان الذي هدد هو بنفسه نطق للحال: "الرب أيضاً قد نقل عنك خطيئتك". يا لعظمة رقة مراحم الله!...

١٢. هكذا إذن أراحه النبي، لكن الطوباوي داود إذ سمعه يقول: "الرب قد نقل عنك خطيئتك"، لم يكف عن التوبة. ومع أنه كان ملكاً، لبس المسموح عوض الأرجوان، وجلس في الرماد عوض التاج الملكي... لا بل

^١ في الطباعة البيروتية "راحاب وبابل اللتين تعرفانني".

^٢ لقد أطال الله أناته كثيراً على الشعب اليهودي بالرغم من قسوة قلوبهم حتى انتهى الأمر برفضهم للمسيح وصلبه، فصار دمه عليهم، وترك بيتهم خراباً، ونزع عنهم سمة "شعب الله"، وفقدوا في نظر الله اسم "إسرائيل" روحياً، ولم يعودوا أبناء إبراهيم بالروح.

^٣ الطبعة البندكتية: "لا تقدر كل البشرية أن تخبر..."

جعل الرماد طعامه، قائلاً: "إني قد أكلت الرماد مثل الخبز" (مز ١٠٢: ١٠). لقد غسل عينيه الشهبانيتين بالدموع قائلاً: "أعوّم كل ليلة سريري، وبدموعي أبل فراشي" (مز ١٠٢: ٧). وعندما سأله موظفوه أن يأكل خبزاً لم يسمع لهم، بل بقي صائماً سبعة أيام كاملة. إن كان الملك قد اعترف هكذا، أفما يليق بك أيها الشخص العادي أن تعترف؟ أيضاً عند عصيان أبشالوم عليه كان أمامه طرق كثيرة للهروب، أما هو فاختار الهروب خلال جبل الزيتون (٢ صم ١٥: ٢٣)، وكأنه يناشد المخلص إذ من هناك صعد الرب إلى السماوات. وعندما لعنه شخص بمرارة قال "دعوه" (٢ صم ١٦: ١٠)، عالماً أن من يغفر يُغفر له!

١٣. رحمته مع سليمان وآخاب ملك السامرة

لقد رأيت نفع الاعتراف. لقد أدركت كيف يوجد خلاص للتائبين. سليمان أيضاً سقط، لكنه قال: "إني تُبِت".^١ أيضاً آخاب ملك السامرة، صار أشر عبدة الأوثان. صار إنساناً وحشياً قاتلاً للأنبياء،^٢ غريباً عن الصلاح، مغتصباً حقوق الآخرين وكرومهم (١ مل ٢١: ١٩). لكنه عندما قتل نابال مخدوعاً من إيزابيل وجاءه إيليا النبي يهدده خلع ثيابه ولبس المسوح، فماذا قال الله الرحوم لإيليا؟ "هل رأيت كيف أتضع (تُخس في قلبه) آخاب أمامي؟" (١ مل ٢١: ٢٩) وكان الله يريد أن يهدئ غيرة إيليا المتقدمة من جهة التائب ويلطفها، إذ قال له: "لا أجلب الشر في أيامه".

ومع تأكده أنه لا يترك شره سامحه، ليس جهلاً بما سيكون عليه في المستقبل، بل كواهبٍ للغفران حسب التوبة المقدمة في ذلك الوقت. فإن عدل الله يقتضيه أن يحكم في كل قضية حسبما هي عليه في حينها.

١٤. ومع يريعام

وأيضاً يريعام كان قائماً عند المذبح يقدم ضحايا للأوثان، يده ملطخة بالدماء، هذا عندما قبض علي النبي الذي وبخه، بخبرته أدرك قوة الواقع أمامه، فقال له: "تضرع إلى وجه الرب إلهك" (١ مل ١٣: ٦) وبسبب هذا القول رجعت يده مرة أخرى كما كانت. إن كان النبي شفي يريعام، أفما يستطيع المسيح أن يشفيك وينقذك من خطاياك؟!

ومع منسى

وأيضاً كان منسى شريراً إلى أبعد حد (٢ مل ٢١: ٢-٧). لقد نشر إشعياء ومزقه، وتدنس بكل العبادات الوثنية، ولطخ أورشليم بدم الأبرياء، لكنه عندما أُسر استخدم خبرته في محنته مستعيناً بالتوبة كعلاج، إذ يقول الكتاب عنه أنه تواضع جداً أمام الرب، وصلى إليه، فاستجاب له، وردّه إلي مملكته (٢ أي ٣٣: ١٢). فإن كانت التوبة قد أنقذت من نشر النبي ومزقه، أفما تخلصك أنت يا من لم ترتكب مثل هذا الشر العظيم؟!

١٥. ومع حزقيا

أتريد أن تعرف ما هي قوة التوبة؟

^١ راجع أم ٢٤: ٣٢. الترجمة السبعينية. يرى القديس هيلاري أسقف بواتييه (مز ١٢)، وأمبروسيو (دفاعه ١) وآباء آخرون أن سليمان قد تاب، بينما يقول أغسطينوس إن الكتاب المقدس لم يذكر شيئاً عن توبته (راجع كتابنا عن تفسير سفر الحكمة، ص ٧).

^٢ ١ مل ٢١: ٤. Dantè L' Aradise Canto ١٠: ١٠٩

أتريد أن تعلم سلاح الخلاص القوي وتترك قوة الاعتراف؟

حزقيا بالاعتراف ضرب خمسة وثمانين ألفاً ومائة من أعدائه (٢ مل ١٩: ٢٥). يا له من أمر عظيم، لكنه يحسب قليلاً بالنسبة لما أذكره لك. إذ بالتوبة استطاع الملك أن يحصل على تغيير في القول الإلهي الذي نطق به فعلاً. إذ لما مرض قال له إشعياء: "أوص بيتك، لأنك تموت ولا تعيش" (٢ مل ٢٠: ١). هل يمكن أن يقوم استثناء بعد، أو يوجد رجاء شفاء بعدما قال له النبي: "لأنك تموت"؟!

لكن حزقيا لم يكف عن التوبة. ويتذكره ما هو مكتوب: "متي رجعت وبكيت تخلص" (راجع إش ٣٠: ١٥)، اتجه بوجهه إلى الحائط وهو على سريرته، رافعاً ذهنه إلى السماء (حيث لا تعوق الحائط بلوغ الصلوات بورع إلى السماء) وقال: "أذكرني يا رب. يكفي أن تذكرني فأشفي!" (راجع إشعياء ٣٨) إنك لا تخضع للزمان، بل أنت خالق القانون. أنت واهب قانون الحياة وتديرها حسب إرادتك، إذ لا تعتمد حياتنا على يوم ميلادنا، ولا على اقتران النجوم معاً في برج واحد كما يظن البعض في غباوة. ذاك الذي كان يمكنه إلّا يرجو الحياة بسبب العبارة النبوية، صار له خمسة عشر عاماً مضافة إلى حياته، وكانت العلامة أن الشمس رجعت إلى خلف عشر درجات (٢ مل ٢٠: ١١).

حسناً! من أجل حزقيا رجعت، وأما من أجل المسيح انكسفت. لم ترجع درجات بل انكسفت معلنة بذلك الفارق بين حزقيا ويسوع!

الأول أبطل قرار الله (بالتوبة)، أفما يقدر يسوع على غفران الخطايا؟!

أرجعوا ونوحوا على أنفسكم! أغلقوا أبوابكم وصلوا لكي يغفر لكم!

صلوا لكي ينزع عنكم النار المحرقة، لأن له السلطان أن يطفئ حتى النار، وله قوة أن يبيكم حتى

الأسود!

١٦. مع حنانيا وصاحبيه

لكنك إن كنت لا تؤمن بهذا، فتأمل ما حدث مع **حنانيا وصاحبيه**، أي عواصف أطفأوها^١! كم من مياه كانت تحتاج إليها النار لإطفاء لهيبها الذي ارتفع تسعة وأربعين ذراعاً إلى فوق^٢! فإذا ارتفع اللهب قليلاً^٣ إلى العلى، تدفق عليها الإيمان، إذ تكلموا ضد كل الشرور^٤. إذن توبتهم أطفأت اللهب^٥.

إن كنت لا تؤمن بقدرة التوبة على إطفاء نار جهنم فلتتعلم هذا من حنانيا.

لكن قد يقول أحد السامعين الحاذقين: هؤلاء الفتية خلصهم الله بعدل، إذ هم رفضوا الاشتراك في عبادة الأصنام فوهبهم الله هذا السلطان.

إذ يثور هذا الفكر فإنني أقدم مثلاً آخر بخصوص التوبة^٦

١٧. ماذا تظن في نبوخذنصر؟

^١ تضيف طبعة Roe & Casauban عبارة "في أتون النار".

^٢ تسبحة الثلاثة فتية.

^٣ طبعة R. & C. "كثيراً".

^٤ تسبحة الثلاثة فتية وقد جاءت في طبعة R. & C. "ينابيع التوبة العظيمة قد تدفقت عليهم فقالوا..."

^٥ جاء في الطبعة المذكورة "إذن التوبة تطفئ لهيب الأتون، افما تؤمن إنها قادرة أيضاً على إطفاء نار جهنم؟!".

^٦ جاء في الطبعة المذكورة (إذ هذه القصة لا تتناسب مع الحاضرين، لذلك لأن حنانيا وصاحبا رفضوا عبادة الأوثان، فوهبهم الله سلطاناً عجيباً)، لذلك أخذت على عاتقي أن أقدم مثلاً آخر نظراً لوجود أمثلة كثيرة...

ألم تسمع عنه في الكتاب المقدس كيف كان متعطشاً لسفك الدماء، وحشاً كالأسد^١؟! ألم تسمع عنه أنه أخرج إلى النور عظام الملوك من قبورهم (إر ٨ : ١ ، با ٢ : ٢٥). ألم تسمع^٢ أنه حمل الشعب إلى السبي؟ ألم تسمع أنه خلع عيني الملك بعدما أراه أولاده يذبحون؟! (٢ مل ٢٥ : ٧)

ألم تسمع أنه كسر الشاروبيم إلى أجزاء؟! لست أقصد الشاروبيم غير المنظورين^٣ - هذا ما لا يخطر على الفكر قط يا إنسان^٤ - بل الصورتين المنحوتتين على غطاء التابوت الذي في وسطه يتكلم الله بصوته^٥، كما كما داس تحت قدميه حجاب القدس^٦، وأخذ مذبج البخور وحمله إلى مذبج الأوثان؟! (٢ أي ٢٦ : ٧) أخذ كل التقدّمات، والهيكل حرقه من أساساته^٧!

أية عقوبة شديدة يستحقها هذا من أجل ذبحه الملوك وحرقه القدس وسبيته الناس وحمله الأواني المقدسة إلى بيت الأوثان؟! أما يستحق الموت عشرات الألوف؟!!

١٨. لقد رأيت تفاقم شروره! تعال لترى محبة الله الحانية! لقد تحول إلى وحش بري^٨، وتأدب بالسكنى في البرية لكي يخلص. لقد صارت له مخالف كالأسد^٩، إذ كان زائرًا علي القدس. أكل العشب كالثور، إذ كان بهيمي لا يعرف من الذي أعطاه المملكة. تبلل جسده بالندي، لأنه رأى النار تتطفئ بالندي ولم يؤمن^{١٠}.

وماذا حدث؟ يقول^{١١}: "بعد هذا أنا نبوخذنصر رفعت عيني إلى السماء... وباركت العلي، وسبحت وحمدت الحي إلى الأبد" (دا ٤ : ٣٤).

إذ عرف العلي^{١٢} نطق بالحمد لله، وتاب عن فعله. لقد عرف ضعفه فأعاده الله إلى كرامة ملكه. ١٩. ماذا إذن؟^{١٣} هل عندما اعترف نبوخذنصر الذي فعل كل هذه الأعمال ردّه إلى الملك وغفر له، وأنت عندما تتوب إلّا يهبك مغفرة الخطايا وملوك السماوات متى عشت في حياة بلا لوم؟!!

الرب محب للبشر، مسرع إلى المغفرة، لكنه يظهر العقوبة (التأديب)! إذن ليته لا ييأس أحد من خلاصه.

فبطرس الرسول^{١٤} أنكر الرب ثلاث مرات، لكنه تاب وبكى بمرارة. بالبكاء تطهر قلبه، فلم ينل فقط المغفرة عن إنكاره، بل وعاد إلى كرامة الرسولية كما كان.

^١ جاء في الطبعة المذكورة (قاسياً متوحشاً في طبعه).

^٢ جاء في الطبعة المذكورة R. & C. (أما تعلم...).

^٣ جاء في الطبعة المذكورة (السمائين)

^٤ محذوفة من الطبعة R. & C.

^٥ راجع خر ٣٧ : ٧ الخ...، ١ مل ٦ : ٢٣-٢٦، ٨ : ٦، ٧، ٢ مل ٢٤ : ١٣.

^٦ الكلمة اليونانية تعني "القداسة".

^٧ جاء في طبعة R. & C. (حجاب الهيكل مزقه، وعاد إلى المذبج وحمل الأواني إلى هيكل أوثان، والهيكل نفسه حرقه).

^٨ جاء في طبعة R. & C. (بعد هذا تحول إلى وحش مفترس هذا الذي كان في تصرفاته كوحش بري. تحول إلى وحش لا لكي يهلك بل لكي بالتوبة يخلص).

^٩ الطبعة المذكورة (كالطيور) راجع دا ٤ : ٣٣.

^{١٠} الطبعة المذكورة (لأنه رأى حنانيا وأخويه في أتون النار كمن يسمعون صوت الندي ولم يؤمن!).

^{١١} الطبعة المذكورة "بعد هذا عاد إلى عقله وتاب ثم قال بنفسه...".

^{١٢} الطبعة المذكورة جاءت بأكثر توسع.

^{١٣} الطبعة المذكورة جاءت بأكثر توسع.

^{١٤} الطباعات الكاثوليكية جاءت "رئيس الرسل وأولهم".

خاتمة

إذ قدمت لكم يا إخوة أمثلة كثيرة لأناس أخطأوا وتابوا وخلصوا، فهل تعترفون أنتم أيضاً من قلوبكم للرب، حتى يجعلكم مستحقين للعطية السمائية وميراث ملكوت السماوات مع كل القديسين في المسيح يسوع الذي له المجد إلى أبد الأبد، آمين^١.

^١ الطبعة R. & C. جاءت بأكثر توسع.

المقال الثالث

في العماد

"أم تجهلون أننا كل من اعتمد ليسوع المسيح اعتمدنا لموته،
فدفنا معه بالمعمودية للموت..." (رو ٦: ٣-٤).

١. السماوات تفرح لاتحادكم بالعريس

"لتفرح السماوات ولتبتهج الأرض" (مز ٩٦: ١١) من أجل أولئك الذين يُنضحون بالزُوف^١، ويتطهرون بزُوف^٢ رُوح^٣ هو قوة ذاك الذي في آلامه قُدم له أن يشرب من زُوف^٤ وقسبة^٥.
فإذ تفرح القوات السمائية، ليته تستعد هذه النفوس التي تتحد مع العريس الروحي، فتسمع صوتًا صارخًا في البرية: "أعدوا طريق الرب" (إش ٤٠: ٣).
إنه ليس أمرًا بسيطًا ولا شيئًا هينًا ولا اتحادًا حسب الجسد، بل هو اختيار الإيمان يقوم به الروح القدس فاحص الكل (١ كو ٢: ٢٠).
إنه حيث توجد ثروة أو جمال يوافق العريس بسرعة، أما هنا فلا يطلب (العريس) جمال الإنسان بل نقاوة ضمير النفس. إنه لا يسعى إلى ماله بل ثروة النفس في الصلاح.

٢. أعدوا طريق الرب

يا أبناء البر، أنصتوا إلى نصيحة يوحنا، القائل: "اصنعوا طريق الرب مستقيماً" (يو ١: ٢٣). انزعوا العقبات وكل حجر عثرة لكي تسيروا تجاه الحياة الأبدية باستقامة.
لتكن أواني النفس مستعدة، مطهرة بإيمان ثابت، لكي تتقبل الروح القدس.
ابدأوا فورًا في غسل ثيابكم بالتوبة، حتى متى دعيتم إلى حجال العريس يجدكم أنقياء.
حقًا إن العريس يدعو الجميع بغير تمييز، لأن نعمته غنية، وصوت الرسل يعلو صارخًا لكي يجمع الكل. لكن العريس نفسه يقوم بفرز من دخلوا معه في علاقة زوجية رمزية.
آه ليت له لا يسمع أحد ممن سُجلت أسمائهم هذه الكلمات: "يا صاحب كيف دخلت إلى هنا وليس عليك لباس العرس؟" (مت ٢٢: ١٢).
ليتنا نسمع جميعًا: "نعمًا أيها العبد الصالح الأمين، كنت أمينًا في القليل، فأقيمك على الكثير. أدخل إلى فرح سيدك" (مت ٢٥: ٢٣).
فإذ أنتم الآن جالسون خارج الباب، يهبكم الرب أن تقولوا: "أدخلني الملك إلى حجاله" (نش ١: ٤)،
"لتبتهج نفسي بالرب، لأنه قد ألبسني ثوب الخلاص. كساني رداء البهجة. توجني بعمامة" *garland* كعريس،
وزينتني بحلي كعروس" (راجع إش ٦١: ١٠)، وبهذا تكون نفوسكم بلا دنس ولا شيء من هذا القبيل.
لست أقصد أن يكون لكم هذا قبل نوالكم النعمة، إذ كيف يمكن أن يتحقق هذا؟! إذ أنتم مدعوون لنوال غفران الخطايا! لكن حين توهبون النعمة يكون ضميركم غير ملوم، منسجمًا مع النعمة.

^١ أو أشنان داود: نبات من الفصيلة الشفوية ذات أوراق عطرة حريفة المذاق.

^٢ الزُوف^٣ الروحي أو غير المنظور هو قوة الروح القدس المطهرة في المعمودية، كقول المرتل "اغسلني بزُوفاك فأطهر" (مز ٥١: ٧).

^٣ يتحدث عن السيد المسيح في آلامه إذ قدم له ليشرب من زُوف^٤ (يو ١٩: ٢٩)، ومن قسبة (مت ٢٧: ٤٨).

^٤ الكلمة اليونانية في النص تعني تاج الكاهن أو البرطل الكهنوتي.

٣. استعدوا للنعمة العظيمة

يا إخوة، حقاً أنها العماد أمر خطير، يليق بكم أن تقتربوا إليه بكل اهتمام صالح. لقد اقترب وقت امتثال كل واحد منكم في حضرة الرب أمام عشرات الألوف من الأجناد الملائكية، والروح القدس يختم نفوسكم. إنكم تسجلون في جيش ملكٍ عظيم. لذلك تزودوا بارتدائكم ليس لباساً لامعاً، بل ورع النفس بضمير صالح.

لا تنتظروا إلى الجرن كماء بسيط، بل بالأحرى تطلّعوا إلى النعمة الروحية التي توهب مع الماء. فكما أن التقدّمات التي ترفع على مذابح الأوثان تتدنس بتكريسها للأصنام بالرغم من كونها بسيطة في طبيعتها، هكذا على النقيض يحمل الماء البسيط قوة جديدة للقداسة بتكريس الروح القدس والمسيح والآب.

٤. تقدّسوا بالماء والروح

للإنسان طبيعة ذات جانبين هما النفس والجسد، هكذا تحمل التتقية جانبين: جانب غير مادي من أجل ما هو غير مادي (النفس)، وجانب جسدي من أجل الجسد. الماء ينظف الجسد، والروح يختم النفس. بهذا تقترب إلى الله بقلب مرشوش بالروح، وجسد مغتسل بالماء (عب ١٠: ٢٢). إذن عندما تنزلون في الماء لا تفكروا في المادة المجردة، بل تطلّوا إلى الخلاص بقوة الروح القدس. لأن بدونهما - كلاهما - لا يمكن أن تصيروا كاملين. وما أقوله هذا ليس من عندي، إنما هو كلام الرب يسوع صاحب السلطان في هذا الأمر. إنه يقول: "إن كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله" (راجع يو ٣: ٣). فمن يعتمد بالماء ولا يكون متأهلاً للروح (بسبب سوء نيته) لا يتقبل نعمة الكمال، كذلك إن كان فاضلاً في أعماله ولم يتقبل الختم بالماء لا يدخل ملكوت السماوات.

هذا القول فيه جسارة، لكنه ليس مني، بل أعلنه يسوع. وفيما يلي برهان على ذلك بشهادات من الكتاب المقدس. كان كرنيليوس إنساناً بارّاً، تكرم بروية ملائكة، وصعدت صلواته وصدقاته تذكّاراً صالحاً أمام الله في السماء. جاءه بطرس وانسكب الروح القدس على المؤمنين، وتكلموا بالسنّة وتنبأوا، وبعد نعمة الروح يقول الكتاب إن بطرس أمرهم أن يعتمدوا باسم يسوع المسيح (راجع أع ١٠: ٤٨) حتى تولد النفس مرة أخرى بالإيمان، ويكون للجسد شركة في النعمة بواسطة الماء.

٥. لماذا اختار الماء للعماد؟

إن أراد أحد أن يعرف سبب إعطاء النعمة بواسطة الماء دون سواه، فليتعلم هذا من الكتاب المقدس. الماء شيء عظيم، وهو أطفئ العناصر المنظورة التي يتكون منها العالم... فقبل الأيام الست التي فيها تكونت الأشياء كان "روح الله يرف على وجه المياه" (تث ١: ٢). الماء هو بدء العالم، كما أن الأردن هو بداية بشارة الإنجيل.

خلاص إسرائيل^١ من فرعون كان خلال البحر، وخلاص العالم من الخطيئة يتم بغسل الماء بكلمة الله (أف ٥: ٢٦). وحيث يقطع عهد يكون الماء أيضاً. فبعد الطوفان قطع عهد مع نوح، ومن جبل سيناء كان هناك عهد بماء وصوفاً قرمزيّاً وزوفاً (عب ٩: ١٩)...

^١ سبق لي في مواضع كثيرة الإشارة أن ما حدث مع بني إسرائيل لم يكن إلا رمزاً لما يتم مع كنيسة العهد الجديد التي قبلت الإيمان بينما رفضه اليهود وصاروا غير مؤمنين، وانتفت عنهم جميع المواعيد، وخلعوا أنفسهم من دائرة شعب الله.

إيليا صعد بوجود الماء، إذ عبر أولاً على الأردن وبعد ذلك ارتفع في مركبة إلى السماء.
رئيس الكهنة كان يلزمه أن يغتسل قبل أن يقدم بخوراً، إذ اغتسل هارون وبعد ذلك صار رئيس كهنة،
لأنه كيف يقدر أن يصلي عن الآخرين من لم يتطهر بالماء؟!
كذلك كانت توجد مرحضة في خيمة الاجتماع تشير إلى المعمودية.

٦. العماد خاتمة العهد القديم وبداية الجديد

العماد هو خاتمة العهد القديم وبداية العهد الجديد، إذ قام به يوحنا الذي ليس من بين مواليد النساء من هو أعظم منه. إنه نهاية الأنبياء "لأن جميع الأنبياء والناموس إلى يوحنا تنبأوا" (مت ١١ : ١٣). وهو بكر ثمار الإنجيل إذ قيل: "بدء إنجيل يسوع المسيح... كان يوحنا يعمد في البرية" (مر ١ : ٤١).
قد تشير إلى إيليا التسييتي الذي أخذ إلى السماء، لكنه مع هذا ليس أعظم من يوحنا.
أخنوخ انتقل، ومع ذلك ليس أعظم من يوحنا.

موسى مستلم الشريعة العظيم جداً، وكل الأنبياء تُعجب بهم لكنهم ليسوا أعظم من يوحنا. إنني لست أتجاسر فأقارن بين الأنبياء بالأنبياء، لكن سيدهم وسيدنا، الرب يسوع، أعلن ذلك قائلاً: "الحق أقول لكم لم يقم بين المولودين من النساء أعظم من يوحنا" (مت ١١ : ١١). إنه لم يقل "بين المولودين من العذارى"، بل "بين المولودين من النساء". فالمقارنة هنا بين الخادم العظيم وزملائه من الخدام، أما سمو الابن ونعمته فيفوقان كل مقارنة...

انظر كيف اختار الله إنساناً عظيماً كأول خادم للنعمة؟! اختار إنساناً لا يملك شيئاً، محباً للبرية، لكنه غير مبغض للبشرية. يأكل الجراد وتطير نفسه تجاه السماويات. يقات بالعدل، ويتحدث عن أمورٍ أحلى من العسل وأقيم منه، يلبس ثوباً من وبر الإبل، مقدماً نفسه مثلاً للحياة النسكية. تقدس بالروح وهو بعد محمول في أحشاء أمه!

إرميا تقدس، لكنه لم يتنبأ وهو في الرحم (إر ١ : ٥)، إنما يوحنا وحده الذي ركض بابتهاج وهو محمول في الرحم (لو ١ : ٤٤). ومع أنه لم يرَ سيده بعينيهِ الجسديتين لكنه عرفه بالروح. فإذا كانت نعمة العماد عظيمة لهذا تطلبت أن يكون موجدتها عظيماً أيضاً.

٧. اعترفوا بخطاياكم

كان هذا الرجل يعمد في الأردن فخرجت كل أورشليم (مت ٣ : ٥) لتتمتع ببكورات العماد، إذ يوهب لأورشليم امتياز في كل عملٍ صالح.

تعلموا يا سكان أورشليم كيف كان يعمد الخارجين إليه، "المعترفين بخطاياهم" (مت ٣ : ٦). لقد كانوا يكشفون له جراحاتهم، ويقدم لهم العلاج، فيخلص الذين يؤمنون من النار الأبدية.

وإن أردت فحص هذه النقطة، أي أن عماد يوحنا يخلصهم من التهديد بالنار، اسمعوا قوله: "يا أولاد الأفاعي من أراكم أن تهربوا من الغضب الآتي" (مت ٣ : ٧). لا تكن بعد أفعى. فإذا لك جلد أفعى قديم، أي حياتك الماضية، اخلعه عنك. لأن كل أفعى تزحف في جحر وتتخلص من جلدها القديم، وبهذا يتجدد شباب جسدها. هكذا ادخل أنت أيضاً من الطريق الكرب الضيق (مت ٧ : ١٣-١٤)، واخلع القديم بالأصوام، واترك ذاك الذي يهلكك. اخلع الإنسان العتيق مع أعماله (كو ٣ : ٩). وقل مع نشيد الأناشيد: "قد خلعت ثوبي فكيف

ألبسه؟! ^١.

لكن ربما يكون فيكم مرائي أو من يحب إرضاء الناس، ومن يتظاهر بالنقوى دون أن يكون له إيمان القلب، فيكون له رياء سيمون الساحر، فيأتي لا ليتقبل النعمة بل ليتجسس على ما يُعطى هنا. لئنه يتعلم أيضًا من يوحنا "الآن قد وُضعت الفأس على أصل الشجر، فكل شجرة لا تصنع ثمرًا جيدًا، تُقَطع وتلقى في النار" (مت ٣: ١٠).

إن الديان لا يتهاون، اخلع عنك الرياء!

٨. ثمار التوبة العملية

إذن ماذا يليق بكم أن تفعلوا؟! وما هي ثمار التوبة؟ "من له ثوبان فليعط من ليس له" (لو ٣: ١١). المعلم بهذا مستحق للثناء، إذ مارس بنفسه ما علّم به. لهذا لم يخجل من أن ينطق بهذا، إذ ضميره لم يخالف لسانه.

"ومن له طعام فليفعل هكذا". أتريد أن تتمتع بنعمة الروح القدس، ومع ذلك تحكم بأن الفقير غير مستحق للطعام المادي؟! أطلب الخيرات العظيمة وأنت لا تجود بالخيرات البسيطة؟! حتى إن كنت عشارًا أو زانيًا ترجّ الخلاص، فإن العشارين والزناة يسبقونكم إلى ملكوت الله (مت ٢١: ٣١). لقد شهد بولس بذلك قائلاً: "لا زناة ولا فاسقون... يرثون ملكوت الله، وهكذا كان أناس منكم. لكن اغتسلتم بل قدستم" (١ كو ٦: ٩-١١). إنه لم يقل "هكذا فيكم أناس" بل "كان أناس منكم". إذ الخطية المرتكبة بجهل يُعفي عنها، أما عناد الشرير فيُدان عنه.

٩. يا لعظمة المسيح واهب العماد

إن كان لكم الابن نفسه، ابن الله الوحيد، كمجد العماد فلماذا أتكلم بعد عن إنسان؟! حقًا كان يوحنا عظيمًا، لكن ماذا يكون يوحنا بجانب الرب؟! إنه صوت صارخ، لكن ماذا يكون إن قورن الصوت بالكلمة؟! هذا الرسول نبيل جدًا، لكن ماذا يحسب إن قورن بالملك؟!.

نبيل هو هذا الذي عمد بماء، لكن ماذا يكون إن قورن بالذي يعمد بالروح القدس ونار؟! (مت ٣: ١١) إذ عمد المخلص الرسل بالروح القدس ونار عندما "صار بغتة من السماء صوت كما من هبوب ريح عاصفة، وملاً كل البيت حيث كانوا جالسين. وظهرت لهم ألسنة منقسمة كأنها من نار واستقرت على كل واحدٍ منهم، وامتلأ الجميع من الروح القدس" (أع ٢: ٢-٤).

١٠. المعمودية الدم

من لا ينال المعمودية لا يتمتع بالخلاص، اللهم إلا الشهداء الذين يتقبلون الملكوت حتى بدون ماء. لأنه عندما طُعن المخلص في جنبه لخلاص العالم بصليبه أفاض دمًا وماء، لكي يتعمد من هم في زمن السلم بالماء، ومن هم في وقت الاستشهاد بدمهم.

اعتاد الرب أن يدعو الاستشهاد عمادًا قائلاً: "أستطيع أن تشرب الكأس التي أشربها أنا، وأن تعتمداً (تصطبغان) بالمعمودية (الصبغة) التي اعتمد بها أنا؟! (مر ١٠: ٣٨)...

^١ في سفر النشيد (٥: ٣) يشير النص إلى الاعتذار عن عدم القيام من السرير للسير مع الرب، لكن القديس يستخدمه هنا بمعنى مغاير.

١١. في المعمودية رضض الرب رؤوس الشيطان

لقد قدس يسوع المعمودية باعتماده بنفسه. إن كان ابن الله قد اعتمد فكيف يمكن أن يكون ورعًا من يحتقر العماد؟!^١

إنه لم يعتمد لينال غفران خطايا، إذ هو بلا خطيته. لكنه إذ هو هكذا بلا خطية اعتمد ليهب المعمدين نعمة سماوية علوية. "فإذ قد تشارك الأولاد في اللحم والدم اشتراك هو أيضًا كذلك فيهما" (عب ٢: ١٤)، حتى إذ تشاركنا بحضوره في الجسد نصير شركاء معه في نعمته الإلهية. هكذا اعتمد يسوع لكي بشركتنا معه نتقبل الخلاص والكرامة. جاء في أيوب أنه كان في المياه الوحش الذي "اندفق الأرين في فمه" (أي ٤٠: ٢٣)، وكان يلزم تحطيم رؤوسه (مز ٧٤: ١٤)، لهذا نزل (السيد) وربط القوي في المياه، حتى نال قوة فيها إذ يكون لنا سلطان أن ندوس على الحيات والعقارب (لو ١٠: ١٩).

كان الوحش عظيمًا ومرعبًا، لا يقدر أي قارب صيد أن يقاوم ضربة واحدة من ذيله^١، ثائرًا على كل من يلتقي به. لقد نزل "الحياة" إليه ليلتقي معه، فيسد فم الموت هناك، عندئذ إذ نخلص نقول: "أين شوكتك يا موت؟! أين غلبتك يا قبر؟!" (راجع ١ كو ١٠: ٥٥) لقد نُزعت شوكة الموت بالعماد.

١٢. بالمعمودية ندفن ونقوم في برّ

إنكم تدخلون المياه حاملين خطاياكم، وبابتهاال النعمة التي تختتم نفوسكم لا يعود يبتلعكم الوحش المرعب.

إذ تنزلون أمواتًا في الخطايا تصعدون أحياء في البرّ. فان كنتم قد صرتم متّحدين مع المخلص بشبه موته تصيرون جديرين أيضًا بقيامته (رو ٦: ٥). لأنه كما حمل يسوع خطايا العالم ومات، حتى بإماتته الخطية نقوم في برّ، هكذا بنزولكم في الماء إذ تُدفنون فيه، كما دُفن هو في الصخرة، تقومون أيضًا سالكين في جدة الحياة (رو ٦: ٤).

١٣. بالمعمودية ننال سلطانًا لمقاومة إبليس

أضف إلى هذا، أنكم إذ تتأهلون للنعمة يهبكم سلطانًا لمحاربة القوات المضادة. فكما جُرب أربعين يومًا بعد عماده، لا لأنه كان عاجزًا عن نوال النصر قبل ذلك، بل أراد أن يفعل كل شيء بترتيب حسنٍ وتبديرٍ صالحٍ، هكذا أنتم أيضًا على نفس المثال بعد نوالكم النعمة تصيرون واثقين في سلاح البرّ (٢ كو ٦: ٧)، فتدخلون المعركة وتكرزون بالإنجيل إن أردتم، أنتم الذين كنتم قبل العماد لا تتجاسرون على الصراع مع المقاومين (الشياطين).

١٤. بالمعمودية ننال التبني

يسوع المسيح هو ابن الله، ومع هذا لم يركز قبل العماد بالإنجيل (الذي جوهره هو التمتع بالتبني لله خلال السيد المسيح).

إن كان السيد نفسه قد اتبع هذا الوقت المناسب اللائق، فهل يجوز لنا نحن خدامه أن نخالفه النظام؟! إذ من ذلك الزمان ابتدأ يسوع يركز "عندما نزل عليه الروح القدس بهيئة جسيمة مثل حمامة" (مت ٤: ١٧؛ لو ٣: ٢٢) لا لكي يراه يسوع فيعرفه، إذ هو يعرفه قبلما يأتي عليه على هيئة جسيمة، إنما لكي يراه يوحنا الذي يعمده إذ

^١ الترجمة السبعينية أي ٤٠: ٢٦ عوض أي ٤١: ٧ التي بين أيدينا.

يقول: "لكن الذي أرسلني لأعمد بالماء ذاك قال لي الذي ترى الروح نازلاً ومستقراً عليه فهذا هو الذي يعمد بالروح القدس" (يو ١: ٢٣).

إن كنت أنت أيضاً تحمل درعاً قوياً، فإن الروح القدس يحل عليك، والآب يكلمك من فوق من الأعالي ليس قائلاً: "هذا هو ابني" بل "الآن صرت ابني"، لأن فعل المضارع في "هذا يكون ابني" يخص الابن وحده الذي "في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله" (يو ١: ١)، فهو وحده الذي يقال له: "هو يكون ابني" إذ هو على الدوام ابن الله. أما أنت فيقال لك: "الآن تكون" إذ لا تحمل بنوة طبيعية بل تتقبلها بالتبني. هو ابن سرمدى، أما أنت فتقبل النعمة مؤخرًا.

١٥. استعد مهما بلغت خطاياك

ليكن إناء نفسك مهيأً لتصير ابن لله ووارث مع المسيح (رو ٨: ١٧).
إن كنت حقاً تُعد نفسك لتقبل هذا، إن كنت بحق تقترب إلى الإيمان لتكون مؤمناً، إن كنت تخلع الإنسان العتيق من أجل غرض أمامك، فإن كل ما اقترفته يُغفر لك، سواء الزنا أو الدعارة أو أي شكل من أشكال الفسق.

أية خطية أعظم من أن يَصَلب الإنسان المسيح، ومع هذا فإن العماد يغسلها! لأنه هكذا تحدث بطرس مع الثلاثة آلاف الذين جاءوا إليه. هؤلاء الذين صلبوا الرب، إذ سألوهم قائلين: "ماذا نصنع أيها الرجال الإخوة؟!" (أع ٢: ٣٧) فإن الجرح عظيم! لقد جعلتنا يا بطرس نفكر في خطيتنا بقولك: "رئيس الحياة قتلتموه" (أع ٣: ٥١). فأني تضميد يصلح لجرح عظيم كهذا! أي تطهير يكون لغباوة كهذه! أي خلاصٍ لهلك مثل هذا! إنه يقول: "توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح ربنا لغفران الخطايا، فتقبلوا عطية الروح القدس" (أع ٢: ٣٨).

يا لحب الله المترفق غير المنطوق به! مع أنهم كانوا بلا رجاء من جهة خلاصهم، لكنهم مع ذلك تأهلوا للروح القدس! هل رأيت قوة المعمودية؟!
إن كان أحدكم يصلب المسيح بكلمات تجديفه، إن كان أحدكم ينكره في جهلٍ أمام الناس، إن كان أحدكم يجدف على التعاليم بكلمات شريرة، فليتب، وليكن له رجاء صالح، لأن النعمة حاضرة إلى الآن.

١٦. تشجعوا... الرب يطهركم!

"تشجعي يا أورشليم فإن الرب ينزع عنك كل آثامك"، "الرب يغسل دنس أبنائه ويناته بروح القضاء وبروح الإحراق"، "سيرش عليكم ماء طاهراً، فيطهركم من كل خطاياكم" (راجع صف ٣: ١٤، ١٥؛ إش ٤: ٤؛ حز ٣٦: ٢٥).

إن الملائكة سترقص حولكم قائلة: "من هذه الطالعة في ثوب أبيض مستندة على حبيبها" (راجع نش ٨: ٥).

لأن النفس التي كانت قبلاً عبدة تبنها سيدها كقريبة له، وإذ يرى أمامه غاية راسخة يجيب: "ها أنت جميلة يا حبيبتي. ها أنت جميلة... أسنانك كقطيع الجرائر الصادرة من الغسل، وذلك بسبب الاعتراف بضمير صالح، كل واحدة مثم" (نش ٤: ١، ٢) وذلك بسبب النعمة ذات الجانبين "أي توأم": أقصد أنها تصير كاملة بالماء والروح، أو النعمة المعلنة في العهدين القديم والجديد.

ليت الله يسمح أن تذكروا جميعكم ما أقوله لكم عندما تنهون فترة الصوم، وتأتون بثمر أعمال صالحة، فتقفوا أمام العريس الروحي بلا لوم وتناولوا غفران خطاياكم من الله الذي له المجد مع الابن والروح القدس إلى

الأبد. آمين.

المقال الرابع

في البنود العشر التعليمية^١

"انظروا أن لا يكون أحد يسيبكم "يفسدكم" بالفلسفة ويغرور باطل حسب تقليد الناس حسب أركان العالم..." (كو ٢ : ٨).

دعوة للتمتع بروح التمييز

١. الرذيلة تحاكي الفضيلة، وذلك كما يجتهد الزوان أن يبدو قمحاً، فينمو مثله في مظهره، لكن يكتشفه عارفوه ويميزونه من طعمه. هكذا أيضاً يُغَيَّر الشيطان نفسه في شكل ملاك نور (كو ١١ : ١٤)، لا لكي يصعد مرة أخرى إلى حيث كان، إذ قلبه صلب كالسنديان^٢، فصارت إرادته عاجزة عن أن تتوب، إنما يفعل هذا بقصد إغراق السالكين في حياة ملاتكية في ظلمات العمى والكفر المهلك.

ثئاب كثيرة تجول في ثياب حملان (مت ٧ : ١٥)، نعم ثيابها ثياب حملان وليس أظافرها أو أسنانها. وإذا هم يسيرون في الجلد الناعم يخدعون الأبرياء بمظهرهم، فيبتئون فيهم من أنيابهم سم الدنس المهلك.

إذن نحن نفتقر إلى نعمة إلهية وذهن علوي وبصيرة نفاذة، حتى لا نأكل الزوان علي أنه حنطة، فيصيبنا ضرر من الجهل، ونسقط فريسة للذئاب التي نحسبها حملان، ويبيدنا الشيطان المهلك الذي نظنه ملاكاً مباركاً. إذ يقول الكتاب: "كأسد زائر يجول ملتصقاً من يبتلعه هو" (١ بط ٥ : ٨). هذا هو السبب لتحذيرات الكنيسة، وهو الدافع لتعليماتنا الحالية، الدروس التي تقرأ الآن.

الحاجة إلى الإيمان العملي

٢. لأن طريق الصلاح يحمل أمرين: تعاليم ورعة، وتدريب عملي للفضيلة. ولن تكون التعاليم مقبولة لدى الله بعيداً عن الأعمال، ولا الأعمال دون أن تتكامل بالتعاليم التقوية. لأنه ما الفائدة إن عرفت التعاليم الخاصة بالله معرفة حسنة ومع ذلك أنت زانٍ دنيء؟! أو أي أنفع أن تكون نبيل الطبع وأنت مجدف جاحد؟! لذلك فإن معرفة التعاليم تُعتبر مقتنيات ثمينة، لكنها في نفس الوقت تحتاج إلى نفسٍ متيقظة، إذ كثيرون يفسدون بالفلسفة والخداع الباطل (كو ٢ : ٨).

فالإيونانيون^٣، من ناحية يسحبون الناس خارجاً بلسانهم اللين، إذ يقطر العسل من شفتي الزانية (أم ٥ : ٣). وأهل الختان^٤، من ناحية أخرى يخدعون من يلتقون بهم بتفسيرهم الكتاب المقدس تفسيراً خاطئاً رغم دراستهم له منذ الطفولة حتى الشيخوخة (راجع إش ٤٦ : ٣ LXX). أما الهرطقة فبأعمالهم الصالحة ولسانهم اللين يخدعون قلوب البسطاء (رو ١٦ : ١٧) تحت ستار اسم المسيح، إذ يدسون أسهمًا مسمومة هي تعاليمهم المملوءة

^١ هذا الرقم "١٠" لبنود التعليم ذكره المؤرخ ثيودورت حين اقتبس بنداً منهم خاص بـ "ميلاد السيد المسيح من عذراء" ذاكراً أنه مقتطف عن المقال التعليمي الرابع لكيرلس الأورشليمي.

لكن اختلفت المخطوطات في تحديد البنود بين ١٠، ١١. واختلفت أيضاً في العناوين وعملية الترقيم بكل بند على حده.

وأنني في هذا المقال اقتبس التبويب والعناوين عن مجموعة آباء نيقية كما هي.

^٢ راجع أي ٤١ : ٢٤ الترجمة السبعينية وقد استخدم هذا النص في الرد على الأفكار الاوريجانية القائلة بان الشيطان يمكن أن يخلص.

^٣ يقصد باليونانيين الوثنيين الذين عشقوا الفلسفات اليونانية الوثنية.

^٤ أي اليهود.

كفرًا.

عن هؤلاء جميعًا يقول الرب "انظروا لا يضركم أحد" (مت ٢٤: ٤).

لهذا نقوم بتعليم قانون الإيمان وشرحه لكم.

٣. لكنني أظن أنه يليق قبل تسليمكم قانون الإيمان أن نقدم لكم ملخصًا مقتضبًا للتعاليم الضرورية حتى لا يسبب كثرة الكلام مع طول فترة أيام الصوم الكبير المقدس نسيانًا في أذهان البسطاء منكم. فأقوم بغرس بعض بذور التعاليم باقتضاب فلا تنسونها، نعالجها بأكثر إسهاب فيما بعد.

ليت الناضجون ذهنيًا من الحاضرين الآن، والذين "لهم الحواس مدربة على التمييز بين الخير والشر" (عب ٥: ١٤)، يحتملون بصبر الإنصات إلى أمور تتناسب بالأكثر مع الأطفال، إذ هو حديث افتتاحي يُقدم مثل لبني (للأطفال). بهذا ينتفع المحتاجون إلى التعليم، وفي نفس الوقت يتذكرو جيدًا الذين لهم سابق معرفة به.

الله الواحد

٤. أولًا لنلقِ "التعليم عن الله" كأساس في أنفسكم.

إنه الله (الآب)، واحد وحيد غير مولود، بلا بداية ولا تغيير، ليس فيه تنوع، ليس مولودًا من آخر، ولا يعقبه آخر، لم يبدأ في زمن للحياة ولا ينتهي قط.

إنه صالح وعادل في نفس الوقت، فإن سمعت من هرطوقي ينادي بوجود إله عادل وآخر صالح^١ تذكر في الحال سهام الهراطقة المسمومة. إذ يتجاسر البعض في كفر أن يقسموا الله الواحد. وقال البعض إن واحد خالق للنفس وآخر إله الجسد^٢. وهذا التعليم غامض وشرير. لأنه كيف يمكن لإنسان أن يصير خادمًا للسيد، بينما يقول ربنا في الإنجيل "لا يقدر أحد أن يخدم سيدين؟!!" (مت ٦: ٢٤؛ لو ٦: ١٣) يوجد الله، واحد وحيد، خالق للنفوس والأجساد، واحد هو خالق السماء والأرض، صانع الملائكة ورؤساء الملائكة.

هو خالق لكثيرين، لكنه أب لواحدٍ وحيد قبل كل الدهور، الابن الواحد الوحيد ربنا يسوع المسيح، الذي به خلق كل شيء، ما يرى وما لا يرى (يو ١: ٣؛ كو ١: ١٦).

سمو كمال الله

٥. إن أبنا ربنا يسوع المسيح، الذي لا يحده مكان، هو ليس بأقل من السماء، بل هي عمل يديه (مز ٨: ٣)، وكل الأرض في قبضته (إش ٤٠: ١٢). إنه في كل شيء ومحيط بكل شيء! لا تظن أن الشمس أكثر منه بهاءً، ولا مساوية له في الضياء، بل يليق بموجدها أن يكون أعظم منها وأبهى بما لا يقاس!

لقد سبق فعرف كل شيء قبل كونه. هو أقدر من الكل، عالم بكل شيء. يعمل ما يريد دون أن يخضع إلى حتمية إلزامية، ولا لحركات نجم^٣، ولا لمحض صدفة أو قضاء وقدر. إنه كامل في كل شيء. يملك كل أشكال الفضائل في كمال مطلق متساوٍ، لا ينقص ولا يزيد. بل كما هو بلا تغيير... يُعد العقوبة للخطاة

^١ ذكر القديس إيريناؤس (ضد الهرطقات ١: ٢٧) أن Cerdo نادى بأن إله الناموس والأنبياء ليس هو أبنا ربنا يسوع المسيح، بل هو واحد عادل والآخر صالح. كذلك جاء في (ضد الهرطقات ٣: ٢٥: ٣) أن مرقيون قسم الله إلى اثنين الواحد يدعي صالحًا والآخر عادلاً، وبهذا وضع حدًا للاهوت. راجع أيضًا العلامة تريليان ضد مرقيون ١: ٢، ٦. والعلامة أوريجينوس ضد مكسيموس ٤: ٥٤.

^٢ من هؤلاء أتباع ماني.

^٣ كان كثيرون يؤمنون أن مجريات الأمور تحدث حسب حركات النجوم.

والإكليل للأبرار.

الحفظ من عبادة الأوثان

٦. لقد ضل كثيرون عن الله الواحد بطرقٍ متعددة، فعبد البعض الشمس حتى متى غابت يسكنون في الليل بغير الله. والبعض عبدوا القمر فلا يكون لهم الله في النهار^١. والبعض عبدوا أجزاء العالم الأخرى^٢. والبعض عبدوا الفنون^٣. وعبدَ البعض أنواع أطعمة مختلفة^٤، والبعض ملذاتهم^٥، وسُحر البعض بالنساء، فأقاموا تمثالاً لامرأة عارية ودعوها أفروديت^٦، وعبدوا شهواتهم بصورة منظورة. وبُهر البعض ببريق الذهب فعبده^٧، وآخرون عبدوا أنواعاً أخرى من هذه الأمور. أما من ألقى في قلبه تعليم وحدانية الله كأول أساس، ووثق فيه للحال ينزع عنه حصيلة^٨، شرور عبادة عبادة الأصنام وكل أخطاء الهرطقة. إذن ألقوا بالإيمان بهذا التعليم الديني الأول كأساس في أنفسكم.

المسيح

٧. آمن أيضاً بآب الله الواحد الوحيد، ربنا يسوع المسيح، المولود، إله من إله، حياة من حياة، نور من نور، مساوٍ لمن ولده في كل شيء^٩، لم يتقبل وجوده في زمان، بل هو أزلي قبل كل الدهر، مولود من الآب بطريقة لا تدرك. إنه حكمة الله وقوته، وبرّه، كائن فيه شخصياً^{١٠}. جالس عن يمين الآب قبل كل الدهور. لأنه لم يتقبل العرش الذي عن يمين الآب كجزء لاحتماله بصبرٍ كما يظن البعض، إنما تقبله بوجوده السرمدى... هو شريك الآب في عرشه بكونه الله والحكمة والقوة، وكما يقال عنه إنه يملك مع الآب... دون أن ينقص شيئاً من الكرامة الإلهية. إنه يعرف (الآب) الذي ولده، كما يعرف هو أيضاً أنه مولود منه. وباختصار أذكر ما جاء في الإنجيل: "لا يعرف أحد الابن إلا الآب، ولا الآب إلا الابن" (مت ١١: ٢٧؛ يو ١٠: ١٥؛ ١٧: ٢٥).

^١ أي ٣١: ٢٦، ٢٧ كان التعبد للشمس والقمر منتشرًا في المسكونة تحت أسماء مختلفة.

^٢ الإله Gaea أو Tellus هو الأرض، وزيوس أو جوبيتر هو السماء. كما عبد البعض الأنهار والينابيع.

^٣ لقد عُبدت الموسيقى والطب والصيد والحرب والزراعة والتعدين. وأبولو إله الجمال والرجولة والشعر والموسيقى. واسكولابوس أو عسقلاف إله الطب عند الإغريق. وديانا إله الصيد، ومارس إله الحرب عند الرومان. وفلكان إله النار والمعادن عندهم.

^٤ ذكر هيرودت أن المصريين يتعبدون لطيور معينة وأسماك وبهاثم.

^٥ مثل عروس Eros إلهة الحب عند الإغريق.

^٦ إلهة العشق والجمال عند الإغريق.

^٧ مثل فلوطس Blutus إله الثروة عند الإغريق.

^٨ في بعض النسخ "فساد".

^٩ الكلمة اليونانية تعني "مشابه". وقد أثار هذا اللفظ مشاكل كثيرة إذ خشي الأرثوذكس أن يُظن وجود إلهين متشابهين، لذلك فالدقة تستلزم القول "واحد مع الآب في كل شيء (في ذات الجوهر)".

^{١٠} His Righteousness Personally Subsisting.

واحد مع الآب

٨. علاوة على هذا، لا تفصل بين الابن والآب^١. لا تعتقد في ابن شبيه بالآب - Son (Fatherhood)... بل آمن أن الله الواحد ابن واحد وحيد، هو كلمة الله من قبل الدهور. ليس كلمة منطوقه^٢ منتشرة في الهواء، ولا شبه الكلمات غير الذاتية، بل هو الكلمة الابن خالق كل المخلوقات العاقلة، يسمع الآب وهو نفسه يتكلم.

ليت الله يسمح فنتكلم عن هذه الأمور بأكثر توسع في الوقت المناسب حتى لا ننسى هدفنا الحالي، أي تقديم تمهيد لعقائد الإيمان باختصار.

ميلاده من عذراء

٩. آمن أن ابن الله الوحيد هذا نزل من السماء إلى الأرض من أجل خطايانا. لبس هذه الطبيعة البشرية وتشبه بنا (أع ١٤: ١٥؛ يع ٥: ١٧)... وولد من العذراء القديسة من الروح القدس، وصار إنساناً. لم يكن هذا خيالاً، ولا مجرد مظهر، بل بالحق صار هكذا^٣، ولا عبر في العذراء كما في قناة^٤ بل صار منها جسداً فعلاً "وانتعش باللبن فعلاً"^٥، وأكل مثلنا فعلاً، وبحق شرب، فلو كان التجسد خيالاً لصار الخلاص أيضاً خيالاً...

الصليب

١٠. بحق صُلب عن خطايانا. فإن أردت إنكار هذا يرفضك بطريقة منظورة هذا المكان أي الجلجثة المباركة التي نجتمع فيها الآن (من أجل المصلوب هنا. وقد امتلأ العالم بأجزاء من خشبة الصليب)^٦. لكنه لم يُصَلَّب عن خطايا ارتكبتها، بل لكي يخلصنا من خطايانا. وفي الوقت الذي فيه احتقره البشر فطموه، كانت الخليقة تعرف أنه ابن الله، فانكسفت الشمس لما رأت ربها مُهاناً، مرتعبة كيف تحتمل هذا المنظر؟!

دفنه

١١. بحق وُضع في قبرٍ منحوتٍ في الصخر، لكن الصخور تشققت مرتعبة بسببه! لقد نزل إلى أسافل الأرض ليخلص الأبرار^٧.

^١ أثارت هذه النقطة اهتمام أساقفة مجمع نيقية، وهو أن الابن، الوحيد واحد مع الآب في الجوهر غير منفصل قط عنه.

(نسخة المطولة) ٦. Ignatius to Trall & ٦: ٤: Tert : marcion & ٢٠. St Athans. De Decrets Syno Cf:

^٢ قال بولس السموساطي إن الكلمة غير شخصية، وإنما مجرد عمل من أعمال الله وليس نطاقاً إلهياً.

^٣ ظهرت بعض الهرطقات لها سمات فارسية، تؤمن بأن المادة ظلمة والجسد من صنع آلهة الشر، لذلك في نظرهم السيد المسيح لم يكن له جسد حقيقي حتى لا تكون فيه ظلمة، بل شبه للناس أنه يحمل جسداً وأنه جاع وعطش ونما وتألم.

^٤ "علم فالنتينوس الغنوسي أن الله أوجد ابنًا من طبيعة حيوانية عبر خلال مريم كما تعبر المياه خلال القناة، وإن المخلص حل عليه أثناء عماده" (إيريناؤس: ضد الهرطقات ١: ٧: ٢).

^٥ وجدت هذه العبارة في كتابات ثيودورت التي نقلها من القديس كيرلس، وقد أخذت بها الطبقات الحديثة.

^٦ روى سقراط (١: ١٧) قصة اكتشاف الصليب، وأيضاً سوزومين (٢: ١) فقد تركت هيلانة في أورشليم جزءاً منه بعد تغطيته بغطاء فضي، وأرسل جزء إلى مدينة القسطنطينية حيث كساه قسطنطين بطريقة خاصة.

أعطى يوسابيوس اهتماماً كبيراً لاكتشاف القبر المقدس (حياة قسطنطين ٣: ٢٥، ٣٠). لكنه لم يشر إلى اكتشاف الصليب.

^٧ راجع مقال ١٤: ١٨، ١٩.

اخبرني، هل ترغب في أن يتمتع الأحياء وحدهم بنعمته ولا ترغب في أن ينالوا حريتهم من لهم زمان طويل مسجونون من آدم؟! لقد أعلن إشعياء النبي بصوت عالٍ عن أمورٍ كثيرة تخصه، ألا تريد أن ينزل الملك ويخلص رسوله؟!

أيضًا داود وصموئيل وكل الأنبياء كانوا هناك، ويوحنا نفسه القائل خلال تلميذه "أنت هو الآتي أم ننتظر آخر" (مت ١١: ٣)، أفما ترغب أن ينزل ويخلص أمثال هؤلاء؟!

قيامته

١٢. لكن الذي نزل إلى طبقات الأرض السفلي قام أيضًا. يسوع الذي دفن بالحق قام في اليوم الثالث. وإن ضايقتك اليهود في هذا اسألهم: هل يخرج يونان من جوف الحوت في اليوم الثالث ولا يقوم المسيح من الأرض في اليوم الثالث؟! إن كان الميت بلمسه عظام إليشع عاد إلى الحياة، أفليس بالأولي جدًا على خالق البشرية أن يقوم بالآب؟!

حسنًا، إنه قام حقًا، وبعد قيامته رآه التلاميذ، وشهد الاثنا عشر بقيامته^١، حاملين الشهادة لا بكلمات مفرحة، بل باحتمال الآلام والموت من أجل حقيقة القيامة. ماذا إذن؟ إن كان "على فم شاهدين أو على فم ثلاثة شهود يقوم الأمر" كقول الكتاب (تث ١٩: ١٥)، فهل لازلت غير مؤمن بقيامة المسيح وها اثنا عشر رسولاً يشهدون؟!

صعوده

١٣. إذ تم يسوع نصيبه من الاحتمال بصبرٍ، وخلص البشرية من خطاياها، صعد إلى السماوات مرة أخرى إذ رفعته سحابة، وإذ ارتفع صارت ملائكة بجواره والتلاميذ يتطلعون إليه. إن كان أحد لا يؤمن بهذه الكلمات التي أنطق بها، فليؤمن بقوة الأمور التي يراها الآن. لأن كل الملوك ينطفئ سلطانهم بموتهم، أي بانتهاء حياتهم، أما المسيح المصلوب فهو معبود من العالم كله. نحن نعلن عن المصلوب، والشياطين ترتعب منه! كثيرون صُلبوا في أزمنة مختلفة، لكن أي شخص آخر مصلوب صنع ابتهالاً يطرد الشياطين!

قوة علامة صليب المسيح

١٤. ليتنا لا نخجل من صليب المسيح. وإن استحي منه البعض، فاطبعه بوضوح على جبهتك، فتهرب منك الشياطين مرتعبة، إذ ترى العلامة الملوكية^٢. اصنع هذه العلامة عندما تأكل وعندما تشرب، عندما تجلس وعندما تنام وعندما تنهض، وعندما تتكلم وعندما تسير، وباختصار ارسماها في كل تصرف^٣. لأن الذي صُلب هنا هو في السماوات في الأعلى. لو أنه

^١ ضم للأحد عشر شهادة متىاس الذي شهد معهم بقيامته.

^٢ يقول القديس يوستينوس (ضد تريفو ٢٤٧) "أننا ندعوه معيّنًا ومخلصًا. إن قوة اسمنا تخيف الشياطين، إذ تنهزم عند ما يتلى اسم يسوع المسيح الذي صلب في عهد بيلاطس بنطس حاكم اليهودية".

^٣ تحدث القديس غريغوريوس النيسي والقديس يوحنا الذهبي الفم عن عدم الخجل من رسمه. يقول العلامة ترلتيان (De Colona ٣): [إننا نطبع على جبيننا العلامة في كل خطوة وكل حركة، عند كل دخولنا وخروجنا، عندما نرتدي ملابسنا وأحذيتنا، عندما نستحم وعندما نجلس على المائدة، عندما نشعل مصابيحنا، على السرير وعلى المقعد وفي كل شؤون حياتنا اليومية].

بقي في القبر بعد صلبه ودفنه لكننا نستحي منه، لكن في الواقع الذي صُلب على الجلجثة صعد إلى السماوات من فوق جبل الزيتون من ناحية الشرق، فإنه بعدما نزل إلى الجحيم وصعد إلينا ارتفع من بيننا إلى السماوات، فيحدثه أبوه قائلاً: "اجلس عن يميني، حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك" (مز ١١٠: ١).

الدينونة المقبلة

١٥. يسوع المسيح الذي صعد يأتي لا من الأرض بل من السماوات، وأنا أقول "لا من الأرض، وذلك لأن مسحاء كذبه كثيرون يأتون في هذا الوقت من الأرض. وقد بدأوا فعلاً في المحييء قائلين: "أنا هو المسيح" (مت ٢٤: ٥)، مدعين لأنفسهم باطلاً اسم المسيح، وقد أوشكت "رجسة الخراب" أن تحل (مت ٢٤: ١٥). لكن تطلع إلى المسيح الحقيقي، ابن الله، الابن الوحيد، إنه لا يأتي بعد من الأرض بل من السماوات، ظاهراً للجميع أكثر لمعاناً من أي نورٍ مبرقٍ، تحيط به الجنود الملائكية، يأتي ليدين الأحياء والأموات ويملك ملكاً سماوياً أبدياً لا ينتهي.

أرجوك أن تحتاط في هذا الأمر لأن كثيرين يقولون إن ملكوت المسيح له نهاية^١.

الروح القدس

١٦. آمن أيضاً بالروح القدس، وما تسلمته بخصوص الآب والابن، واقبله بالنسبة للروح القدس. ولا تتبع المعلمين بتجاذيف عنه^٢.

اعلم أن هذا الروح القدس هو واحد غير منقسم، له قوة ذات جوانب متعددة وأعمال كثيرة، أما هو فغير منقسم.

إنه يفحص كل شيء حتى أعماق الله (١ كو ٢: ١٠)، نزل على الرب يسوع في شكل حمامة. عمل في الناموس والأنبياء، وهو يختم نفوسكم عند العماد.

تحتاج كل خليفة عاقلة إلى قداسته، ومن يجدف عليه "لن يُعفر له، لا في هذا العالم ولا في الآتي" (مت ١٢: ٣٢).

هو مع الآب والابن^٣، مكرّم بذات اللاهوت.

تحتاج إليه العروش والسيادات والرئاسات والقوات (راجع كو ١: ١٦).

إذ يوجد الله واحد، أب المسيح، رب واحد هو يسوع المسيح الابن الوحيد لله الواحد، روح قدس واحد يقدس الجميع ويتعبدون له، هذا الذي تحدث في الناموس والأنبياء، في العهد القديم والعهد الجديد...

ختم الروح القدس

١٧. هل تفكر في الختم الذي تلمسته لمساً خفيفاً خلال مقالي المختصر عنه، والذي أعرضه بمشيئة الرب فيما بعد ببراهين الأسفار المقدسة قدر المستطاع، إذ لا يكفي أن نتحدث بعبارات عرضية فيما يختص بأسرار الإيمان الإلهية دون الرجوع إلى شهادات الأسفار المقدسة؟! حتى بالنسبة لي أنا الذي أخبرك عن هذه الأمور لا أقدم تصديقاً مطلقاً لما أقوله دون أن استند على الكتب الإلهية. لأن الخلاص الذي نؤمن به لا يعتمد على حذاقة الذهن بل برهان الأسفار المقدسة.

^١ راجع مقال ١٥: ٢٧ حيث نادى أتباع مارقليوس الذي من أنقرا بهذا الفكر.

^٢ راجع مقال ١٦: ٦-١٠ حيث قدم القديس كيرلس قائمة بالهرطقات التي قامت ضد الروح القدس.

^٣ راجع كتابنا: "التجديف على الروح القدس للقديس أغسطينوس"، ٢٠٠٥.

النفس

١٨. بعد معرفة هذا الإيمان الموقر المجيد الكلّي القداسة يليق بك أن تعرف من أنت. الإنسان له طبيعة ذات جانبيين، إذ يتكون من النفس والجسد. وكما سبق أن قلنا منذ قليل أن الله ذاته هو خالق النفس والجسد^١.

اعرف أيضاً أن لك نفس سيدة ذاتها، هي أسمى أعمال الله، خلقت على صورة خالقها. خالدة إذ وهبها الله الخلود. إنها كائن حي عاقل غير فاسد، إذ وهبها الله هذه النعم.

لها سلطان أن تفعل في حرية ما تشاء^٢، فأنت لا تخطئ حسب (تاريخ) ميلادك، أو ترتكب الزنا بمحض الصدفة، ولا تُجبر على ارتكاب الفجور حسب سير النجوم كما ينطق البعض بكلمات فارغة^٣.

لماذا تُحجم عن الاعتراف بأفعالك الشريرة، ناسباً اللوم إلى النجوم البريئة؟! أرجوك إلا تعطي اهتماماً للمنجمين، إذ يقول الكتاب المقدس الإلهي "ليقف الراصدون النجوم يخلصوك"، ثم يكمل: "ها إنهم قد صاروا كالقش. أحرقتهم النار. لا ينجون أنفسهم من يد اللهيب" (إش ٤٧: ١٣، ١٤).

مسؤولية النفس وحرية إرادتها

١٩. إننا نعلم أيضاً أن النفس لم ترتكب خطيئة قبل مجيئها^٤، بل جاءت بلا خطية^٥، إنما أخطأنا بإرادتنا الحرة.

أرجوك إلا تجوي وراء من يفسر الكلمات التالية تفسيراً خاطئاً "إن كنت أفعل ما لست أريده" (رو ٧: ١٦)، بل تذكر القائل: "إن شئتم وسمعتم تأكلون خير الأرض، وإن أبيتم وتحررتم تأكلون بالسيف" (إش ١: ٢٠-١٩). وأيضاً "كما قدّمتم أعضاءكم عبيداً للنجاسة والاثم، هكذا الآن قدّموا أعضاءكم عبيداً للبر للقداسة" (رو ٦: ١٩). تذكر أيضاً الكتاب المقدس القائل: "وكما لم يستحسنوا أن يبقوا الله في معرفتهم" (رو ١: ٢٨). وأيضاً "إذ معرفة الله ظاهرة فيهم" (رو ١: ١٩). وأيضاً "غمضوا عيونهم" (مت ١٣: ١٥).

تذكر أيضاً كيف اتهمهم الله مرة أخرى قائلاً: "أنا قد غرستك أفضل كرمة (سورق)، زرع حق كلها، كيف تحولت إلى مرارة أينها الكرمة الغريبة؟! (راجع إر ٢: ٢١)

نفوس الرجال والنساء متشابهة

٢٠. النفس خالدة. وكل نفوس الرجال والنساء متشابهة، إنما التمييز هو في أعضاء الجسد^٦. لا

^١ مقال ٤: ٤.

^٢ يقول العلامة ترنتليان (ضد مرقيون ٢: ٦) إنه يليق بالذي يتمتع بكونه على صورة الله ومثاله أن تكون له إرادة حرة وسيادة على نفسه، إذ بحرية الإرادة والسيادة الذاتية يكون على صورة الله ومثاله.

^٣ القديس أغسطينوس (مدينة الله ٥: ١) يذكر أن المنجمين يقولون بأن تحركات معينه لكوكب المريخ تجعل الإنسان قاتلاً.

^٤ نادى أفلاطون بأن النفس أخطأت فجاءت إلى الجسد كحبس للتأديب.

Plato, Cralyl ٤٠٠ & Clem. Alex.: Stromata ٣: ٣، ١٧

^٥ إيماننا المسيحي أن النفس في طبيعتها الأصلية كما الجسد بلا خطية، أي صالحين، لكن منذ سقوط آدم تسربت الخطية إلينا، فبالآثام حبل بينا وبالخطية ولدتنا أمنا. لكننا لا نعتقد بأن النفس أخطأت فلبست الجسد تأديباً لها.

^٦ نسب Apelles الهرطوقي اختلاف الجنس إلى النفس التي هي موجودة قبل الجسد، والتي تؤثر عليه حسب جنسها (ترنتليان: النفس ٣٦).

يوجد أنواع معينة في النفوس، نوع يخطئ بالطبيعة، وآخر يمارس البرّ بالطبيعة^١. بل كلها تعمل بحريتها. فمادة النفوس واحدة، جميعها متشابهة.

على أي الأحوال أنني أدرك أنني تكلمت كثيرًا، وأن الوقت فعلاً قد طال، لكن أي شيء أهم من الخلاص؟

أما تريد أن تتعب في الحصول على إمدادات في الطريق ضد الهراطقة؟!
ألا تشاء أن تعرف الممرات الجانبية التي للطريق حتى لا تسقط في هوة بسبب الجهل؟!
إن كان معلومك يحسبون تعليم مثل هذه الأمور شيئاً نافعا ليس بقليل، أما تتقبل بفرح ما نحدثك به ونحن مسرورون؟!

حرية إرادة النفس والمكافأة

٢١. تتمتع النفس بحرية الإرادة. ومع أن الشيطان يقدر أن يقترح عليها، لكنه ليس له سلطان يلزمها بشيء بغير إرادتها. إنه يصور لك فكر الزنا، فإن أردت قبلته، وإن لم ترد تحتقره. لأنك لو كنت زانياً قهراً لما أعد الله جهنم؟! وإن كنت صانع بر بالطبيعة وليس بإرادتك لما أعد الله أكاليل مجد لا يُنطق بها؟! الغنم وديع، لكنه لا يكلل على وداعته، لأنها ليست باختياره بل بحكم الطبيعة.

جمال الجسم البشري

٢٢. لقد تعلمت أيها الحبيب عن طبيعة النفس قدر ما سمح الوقت، اجتهد أن تقبل التعليم الخاص بالجسد أيضاً.

لا تقبل القائلين أن هذا الجسد ليس من عمل الله^٢. لأن الذين يعتقدون بأن الجسد لا يعتمد على الله وأن النفس تسكن فيه كما في وعاء غريب، هؤلاء يدنسونه بالزنا.
ومع هذا أي خطأ يجدونه في هذا الجسد العجيب؟!
ماذا ينقصه في كماله؟!

أما يحمل تكوينه مهارة كاملة؟!
ألا يلزمهم أن يتأملوا تكوين العينين المضيئتين؟! وكيف توضع الإذن بميل لتستقبل الصوت بغير عائق؟! وكيف يميز الشم الروائح؟! وكيف يخدم اللسان غرضين: حاسة التذوق وقوة الكلام؟! وكيف تستنشق الرئتان غير المنظورتين استنشاق الهواء بغير انقطاع؟!
من الذي جعل نبضات القلب غير منقطعة؟!
ترى من الذي وزع (الدورة الدموية) بين أوردة وشرابيين هذا عددها؟!
من الذي ربط بمهارة بين العظام والعضلات؟

^١ كثيراً ما كان القديس أغسطينوس يرد على أتباع ماني في عظاته ومقالاته، إذ يقولون بوجود صنفين من البشر، أبرار بطبيعتهم لا يخطئون، وأشرار بطبيعتهم لا يتغيرون. يقول العلامة أوريجينوس في تفسيره رومية مقال ٨: ١٠ "لست اعرف كيف يظن المتخرجون من مدرسة أتباع فالنتينوس وباسيليوس أنه يوجد نفوس من طبيعة دائماً آمنة لن تهلك، وأخرى دائماً تهلك لن تخلص؟!"
ويقول القديس إيريناؤس (١: ٧: ٥) عن أتباع فلانتيونوس إنهم يعرفون ٣ أنواع من البشر: روحي ومادي وحيواني. هذه الطوائف الثلاث لا توجد في شخص واحد بل هي أنواع مختلفة من البشر... وفي إعادة تقسيمهم للنفوس الحيوانية يقولون إن البعض بالطبيعة صالحون والآخر بالطبيعة أشرار.

^٢ مقال ٤: ١٨.

من الذي يحول جزء من الأطعمة إلى طبيعتنا وآخر إلى عصابات مناسبة؟! من الذي وهب البشرية أن تبقى خلال الاتصال الجسدي البسيط، مع أنها كانت ستنتهي وتموت؟!

النفس هو وراء الخطية

٢٣. لا تقل لي إن هذا الجسد هو علّة الخطية^١. فلو كان الجسد سبب الخطية، فلماذا لا تخطئ الجثة الميتة؟ ضع سيفاً في يمين إنسان مات حالاً، فإنه لا يرتكب جريمة قتل! ليقترّب جمال ما من كل نوع نحو شابٍ ميت حالاً، فإنه لا تثور فيه شهوة دنسة. لماذا؟ لأن الجسد لا يخطئ بذاته، بل النفس تخطئ خلال الجسد.

الجسد هو آلة، إنه بالنسبة للنفس بمثابة ثوب أو رداء لها. فإن غلبته بالزنا تدنس، وإن قطننت فيه نفساً مقدسة يصير هيكلاً للروح القدس.

لست أنا القائل بهذا، بل الرسول بولس الذي قال: "أم لستم تعلمون أن جسدكم هو هيكل للروح القدس الذي فيكم؟!" (١ كو ٦: ١٩).

إن اهتم بجسدك بكونه هيكل للروح القدس. لا تفسده بالزنا، ولا توسّخ ثوبك الجميل. وإن كنت دنسته فأغسله الآن بالتوبة. اغسله جيداً إذ سمح الوقت.

دعوة إلى البتولية

٢٤. أما بخصوص التعليم عن العفة، فلنهتم أولاً بخصوص نظام المتوحدين والعداري الذين يمارسون الحياة الملائكية في العالم. ليت بقية شعب الكنيسة يتمثل بهم. لأنه قد أعد لكم أيها الإخوة إكليل عظيم، فلا تستبدلوا شرفاً عظيماً مقابل لذة زهيدة. اسمعوا قول الرسول: "لئلا يكون أحد زانياً أو مستبيحاً كعيسو الذي لأجل أكلة واحدة باع باكوريته" (عب ١٢: ١٦).

ليسجل (اسمك) هنا في الكتب الملائكية من أجل عمل العفة، ناظرًا أنك تسمح مرة أخرى بارتكابك الزنا.

كرامة الزواج

٢٥. من ناحية أخرى لا تنتفخ بسبب عفتك (بتوليتك) أمام السالكين في طريق الزواج الذي هي أقل. إذ يقول الرسول: "ليكن الزواج مكرماً عند كل أحد، والمضطجع غير دنس" (عب ١٣: ٤). ألم تولد من أناس متزوجين أيها المحافظ على عفتك (بتوليتك)؟! فإن كنت تملك ذهباً، فلماذا تحترق الفضة؟ بل ليكن المتزوجون منبسطي السريرة، هؤلاء الذين يستخدمون الزواج حسب الشريعة، حسب أقوال الله، وليس للفجور، طالبيين شهوات بلا ضابط. هؤلاء الذين يعرفون أوقاتاً للامتناع ليتفرغوا للصلاة (١ كو ٧: ٥)، الذين يحضرون اجتماعاتنا في الكنيسة بأجساد طاهرة وثياب نقية، إذ دخلوا قصدوا من الزواج إنجاب الأطفال لا للانغماس في متعة اللذة.

شرعية الزواج

٢٦. أيضاً لا يحتقر المتزوجون مرة واحدة الذين قبلوا الزواج الثاني (بعد وفاة الطرف الأول). فمع أن ضبط النفس أمر نبيل وعجيب، لكن الزواج الثاني مسموح به للضعيف كي لا يسقط في الزنا. يقول الرسول: "إنه حسن لهم إذا لبثوا كما أنا، ولكن إن لم يضبطوا أنفسهم فليتزوجوا، لأن التزوج أفضل من التحرق" (١ كو ٧: ٨،

^١ عالج القديس أغسطينوس هذا الأمر في مقاله العفة Contenance، ١٩٦٨.

اترك جميع الممارسات الأخرى من زنا ودعارة وكل أنواع الفسق. احفظ جسدك طاهرًا للرب فيكرم الرب في جسدك.

لتنعش جسدك بالطعام لكي يعيش ويخدم دون أي عائق وليس لكي تدفعه للذات.

الطعام

٢٧. أما من جهة الطعام، فلنكن هذه هي قوانينك، إذ توجد عثرات كثيرة من جهته. فالبعض لا يبالي بما يقدم للأوثان. بينما يدرّب البعض نفسه (على عدم أكله) لكنهم في نفس الوقت يدينون من يأكلون منه. وهكذا بطرق متنوعة تتدنس نفوس البشر في أمر الأطعمة بسبب جهلهم الأسباب المعقولة النافعة للأكل أو الامتناع عنه.

فنحن نصوم ممتنعين عن الخمر واللحوم، ليس احتقارًا لهما كأشياء دنسة، بل أملًا في المكافأة. فنستهيئ بالأمور المادية لكي نتمتع بالوليمة الروحية العقلية، وإذ نزرع الآن بالدموع نحصد في العالم الآتي بالفرح (مز ١٢٦: ٥).

إذن لا تدنّ من يأكل، إذ بسبب ضعف جسده يشترك في الطعام (رو ١٤: ٣). وأيضًا لا تلم من يستخدم قليل خمر من أجل معدته وأمراضه الكثيرة (١ تي ٥: ٢٣)، لا تحسبهم خطاة، ولا تبغض اللحم كطعام غريب، فإن الرسول عرف أناسًا من هذا النوع عندما قال: "مانعين عن الزواج وأميرين أن يمتنع عن أطعمة قد خلقها الله لتتناول بالشكر من المؤمنين" (١ تي ٤: ٣).

فالامتناع لا يكون بالنظر إليها على أنها أمور دنسة^١ بل من أجل المكافأة. فتترك أمورًا صالحة بسبب تطلّعك إلى أمور روحية أفضل.

عدم الأكل مما يقدم الأوثان

٢٨. احفظ نفسك في أمان فلا تأكل مما يقدم الأوثان... فإن هذا الأمر لست أنا وحدي أمنعك عنه، بل والرسول ويعقوب أسقف هذه الكنيسة كان مملوء غير من جهته. فلقد كتب الرسل والشيخ رسالة جامعة لكل الأمم أنه ينبغي أن يمتنعوا أولاً عما ذبح للأصنام ثم عن الدم والمخنوق (راجع أع ١٥: ٢٠، ٢٩). لأن كثيرين يشربون الدم بصورة وحشية، سالكين مثل الكلاب. وأيضًا يتمثلون بالحيوانات المفترسة التي تفترس المخنوق. أما أنت يا خادم المسيح فاحترس في الأكل مراعيًا أن تأكل بوقار... ما قلته هذا يكفي بخصوص الأطعمة.

الكساء

٢٩. ليكون لباسك بسيطًا، لا للزينة، بل للستر للضرورة، لا لكي تخدم غرورك بل لتدفعتك في الشتاء وإخفاء ما هو غير لائق من جسدك، لئلا في إخفاء ما هو غير لائق من جسدك تسقط في أمر غير لائق بملبسك المغالي فيه.

القيامة

^١ قامت جماعات كثيرة مثل الغنوسيين والمانيين تنادى بتحريم الزواج والامتناع عن بعض الأطعمة كأمو دنسة.

Cf. Iren. Hoer ١: ٨. & Clem Poed ٢: ٢ & Aug. Hoer ٤٦.

٣٠. أتوسل إليك أن تهتم بهذا الجسد، فإنك ستقوم من الأموات لتدان به. إن ساورك بعض الشك باستحالة هذا الأمر، تأمل بنفسك على ما تراه من الأحداث.

اخبرني أين كنت منذ مائة عام ونيف؟ ومن أية مادة حقيرة جدًا وصغيرة للغاية أخذت هذه القامة العظيمة وصار لك هذا الجمال؟ ماذا إذن؟ الذي أوجدك من العدم أما يستطيع أن يقيمك مرة أخرى بعدما صرت موجودًا الآن وتفسد؟!

الذي يقيم المحصول الذي يُزرع من أجلنا عامًا بعد عام^١، هل يجد صعوبة في إقامتنا نحن؟!...
ها أنت ترى كيف تتجدد الأشجار من الثمار والأوراق شهوًّا كثيرة، وإن يعبر الشتاء تحيا من جديد كما من الموت! أو ليس بالأحرى والأسهل جدًا أن نعود نحن إلى الحياة؟!
لقد تحولت عصا موسى بإرادة الله إلى طبيعة غير طبيعتها، إلى حية، فالإنسان الذي مات أما يمكن أن يُعاد إلى ما هو عليه مرة أخرى؟

٣١. لا تهتم بالقائلين إن هذا الجسد لا يقوم، فقد شهد إشعياء قائلاً: "تحيا أمواتك تقوم الجثث" (إش ٢٦: ٩). ودانيال يقول: "وكثيرون من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون، هؤلاء إلى الحياة الأبدية وهؤلاء إلى العار للاندراء الأبدية" (دا ١٢: ٢).

ومع أن القيامة عامة للجميع لكنها ليست متشابهة بالنسبة للجميع. جميعًا يستلم أجسادًا أبدية، لكنها ليست متشابهة. فالبعض يتقبلها خلال الأبدية مرتبطين بجوقات الملائكة، وأما الأشرار فيتقبلونها لاحتمال عذابات خطاياهم.

جرن المعمودية

٣٢. لهذا السبب وهبنا الرب حسب محبته المترفقة التوبة عند العماد لحمايتنا.
فننبذ الخطايا الرئيسية، بل بالأحرى نترك كل ثقل خطايانا، ونقبل ختم الروح القدس لنكون ورثة الحياة الأبدية. وإن تكلمنا بالأمس عن جرن المعمودية بما فيه الكفاية. ليتنا نعود الآن، فنثبت المواضيع التي ذكرناها في افتتاحية تعليمنا.

الأسفار المقدسة

٣٣. الأسفار المقدسة الإلهية الموحى بها: كل العهد القديم والعهد الجديد، هي التي تعلمنا. فإن إله العهدين هو واحد، فقد أخبرنا في العهد القديم عن المسيح، الذي يظهر في العهد الجديد، والذي قادنا خلال الشريعة والأنبياء إلى مدرسة المسيح... إذ "كان الناموس مؤدبنا إلى المسيح" (غل ٣: ٢٤).
إن سمعت أحد الهرطقة ينطق بشيء على الناموس والأنبياء أجبه بكلمات المخلص إذ جاء يسوع "لا لينقض الناموس بل ليكمله" (راجع مت ٥: ١٧).

اعرف أيضًا بمثابة من الكنيسة ما هي أسفار العهد القديم وما هي أسفار العهد الجديد. ولا تقرأ من كتابات الأبوكريفا^٢، لأنه ما الداعي أن تتعب نفسك باطلاً في كتب مُتَنَازَع فيها يا من لم تعرف بعد ما هو

^١ راجع يو ١٢: ٢٤ "إن لم تقع حبة الحنطة في الأرض وتمت فهي تبقى وحدها، ولكن إن ماتت تأتي بثمر كثير"، ١ كو ١٥: ٣٦ "يا غبي الذي تزرعه لا يحيا أن لم يم!".

^٢ ربما اخذ كلمة "أبو كريفا" هنا عن روفينوس الذي يقسم الكتب إلى ثلاثة أصناف:

١. كتب قانونية في العهد القديم والعهد الجديد.

معروف للجميع.

اقرأ الأسفار الإلهية الاثنتين وعشرين سفرًا للعهد القديم التي قام بترجمتها اثنان وسبعون مفسرًا.

تاريخ الترجمة السبعينية

٣٤. فإنه بعد موت الإسكندر ملك مكدونية وتقسيم مملكته إلى أربعة أقسام بابلون ومكدونية، وآسيا، ومصر، فإن أحد الذين ملكوا مصر هو بطليموس الفيلاذلفي كان مغرمًا بالقراءة، يجمع الكتب من كل بقعة، فسمع من أمين مكتبته ديمتريوس فيلاذلفيوس عن الكتاب المقدس الذي يحوى الشريعة والأنبياء، وإذ يرى أنه من الأفضل جدًا إلا يأخذ الكتب من أصحابها عنوة بل خلال تقديم الهدايا والصدقات، إذ يعلم إن ما يؤخذ عنوة غالبًا ما لا يُسلم كما هو، أما ما يُقدم إليه بطيب خاطر فإنه يُقدم بإخلاص بغير تغيير. لهذا أرسل إلى اليعازر رئيس الكهنة هدايا كثيرة عظيمة للهيكل في أورشليم، وطلب منه أن يرسل عشرة مفسرين من كل سبط من أسباط إسرائيل الاثني عشر للترجمة^١.

وقد صنع تجربة لمعرفة أنه الكتاب الإلهي (أي لئلا يكونوا قد خدعوه)، فمن حذرهم منع القادمين إليه من الاجتماع معًا بل جعل لكل واحد منهم حجرة مستقلة منفصلة في جزيرة فاروس مقابل الإسكندرية. وأمر كل واحد منهم أن يقدم ترجمة للكتب المقدسة. ولما انتهوا من العمل في اثنتين وسبعين يومًا أحضر جميع الترجمات التي تمت في حجرات مختلفة، دون أن يرسل الواحدة إلى الأخرى فوجدها متشابهة لا في المعنى فقط، بل وفي الكلمات، لأن الترجمة لم تكن وسيلة لإبراز بلاغة بشرية، بل نطق بها الروح القدس وتمت به...

أسفار العهد القديم

٣٥. من هذه الترجمة اقرأ الاثنتين وعشرين سفرًا...

ادرس بشغف الأسفار التي تقرأ علانية في الكنيسة، لأن الرسل والأساقفة الأولون ورؤساء الكنيسة الذين سلمونا هذه الأسفار هم أكثر منك حكمة وتقوى....

فبخصوص العهد القديم - كما نقول - ادرس الاثنتين وعشرين سفرًا التي متى كنت مشتاقًا للتعليم

ب. كتب كنسية تقرأ في الكنيسة. ويسمى بعض الآباء الأولون كتب من الدرجة الثانية (وهي كتب قانونية وجدت في أقدم النسخ السبعينية المشهورة: السينائية، الإسكندرية، الفاتيكانية... راجع المقدمة الواردة في الأسفار القانونية الثانية التي حذفها البروتستانت المرحوم يسي عبد المسيح والدكتور مراد كامل).

ج. كتب الابركيفا أي المزيفة والتي لا تقرأ في الكنائس...

^١ إلى هذه النقطة يعتمد القديس كيرلس على العبارات Pseudo - Aristee والوزير الموثوق فيه لدى فيلاذلفيوس. أما ما جاء بعد ذلك من أقوال بخصوص الحجرات المستقلة، وأنه قام كل واحد منهم بترجمة كاملة للأسفار، وأن جميع الترجمات تشابهت حرفيًا فهذا مأخوذ عن فليون اليهودي (حياة موسى ٢ : ٧).

وان إيماننا المسيحي لا يطلب فكرة الترجمة أنها جاءت في كل النسخ حرفية، لأننا لا نفكر أن الروح القدس هو الذي أوحى بالكتاب وهو الذي أعان المترجمين، لكنه لا يهتم أن تكون جميع الترجمات متشابهة حرفيًا... فالكتاب المقدس روح وحياة. وقد تتبع يوسفوس المؤرخ (٢ : ١٢ Antiquities . ٣-١٤) رسالة Aristee مقدمًا وصفًا مطولًا عن الهدايا العجيبة التي أرسلها فيلاذلفيوس إلى أورشليم وعظمة سخائه علي المترجمين، لكنه لم يذكر الحجر المنفصلة ولا اتفاق الترجمة في الكلمات والحروف، بل بالعكس يقول أن ال ٧٢ مترجمًا جلسوا معًا في النهاية وراجعوا النصوص مع بعضهم البعض واكملوا عملهم المشترك في ٧٢ يومًا. و المحتمل أن يكون فعلًا قد قام بفصلهم فرادي أو كما يقول لنا التاريخ الكنسي أنه عزلهم اثنان اثنان لما عرف عن اليهود انهم مخادعون ولا يريدون ترجمة الكتاب المقدس إلى غير العبرية.... وفي نهاية المدة رجع هذه النصوص المترجمة وبعد التأكد من أنها جميعًا تمثل كتابًا واحدًا اجتمعوا معًا واتفقوا علي ترجمة واحدة.

تحفظ أسماءها كما أتلوها لك:

- ❖ الشريعة، أي أسفار موسى، الأسفار الخمس الأولى: التكوين والخروج واللاويين والعدد وتثنية.
- ❖ بعد ذلك يشوع بن نون *Nave*^١
- ❖ سفر القضاة شاملاً راعوث محسوباً السفر السابع.
- ❖ الكتب التاريخية الأخرى: ملوك الأول والثاني^٢، وهما عند العبرانيين سفر واحد. والثالث والرابع سفر واحد. وينفس الطريقة أخبار الأيام الأول والثاني سفر واحد.
- وأيضاً *Esdras* الأول والثاني (عزرا ونحميا) سفر واحد.
- أستير هو الكتاب الثاني عشر. هذه هي الكتب التاريخية.
- ❖ أما الكتب الشعرية فهي خمسة: أيوب، المزامير، الأمثال، الجامعة، نشيد الأنشيد. وبهذا يكون العدد سبعة عشر سفرًا.
- ❖ يأتي بعد هذا الكتب الخمس للأنبياء وهي:
أ. الاثنا عشر نبيًا وهي تكوّن سفرًا واحد.
ب. إشعياء.
ج. إرميا ويحوى باروخ ومراثي إرميا والرسالة^٣.
د. حزقيال.
هـ. دانيال.
هذه هي أسفار العهد القديم الاثنان وعشرون^٤.

أسفار العهد الجديد

- ٣٦. يحوى العهد الجديد أربعة أناجيل فقط، أما بقية الأناجيل مزورة...
- فقد كتب أتباع ماني إنجيلاً دعوه "حسب توما" وقد أعطوه اسم الرسول لكي يفسدوا أرواح البسطاء.
- بعد ذلك سفر أعمال الرسول ومعه سبعة رسائل الجامعة ليعقوب وبطرس ويوحنا ويهوذا.
- وكخاتم لهذه كلها أخرى أعمال التلاميذ الأربعة عشر رسالة لبولس^٥.
- أما ما تبقى فهو من الدرجة الثاني.
- الأسفار التي لا تقرأها الكنيسة لا تقرأها أنت أيضًا، بل اقرأ ما تسمعه...

حياة المسيحي في المسيح

- ٣٧. ابطل كل عمل شيطاني ولا تصدق "الحية" المقاومة التي تغيرت عن طبيعتها الأصلي بإرادتها

^١ حسب الترجمة السبعينية.

^٢ أي صموئيل الأول والثاني.

^٣ وهي الأصحاح الأخير من سفر باروخ.

^٤ لم يذكر القديس كيرلس الأسفار الأخرى، وهو في هذا اختلف مع سائر الآباء فيما عدا البابا اثناسيوس الذي دعي بقية الأسفار أنها هامة وضرورية لكنها ليست جزءا من الكتاب المقدس.... أما بقية الآباء فحسبوا جزء منه... "أرجو أن يهئ الله لي عرض بحث عنها".

^٥ لم يذكر سفر الرؤيا وقد رأينا في سلسلة "من تفسير وتأملات الآباء - رؤيا يوحنا اللاهوتي" طبعة ١٩٦٩ أهمية هذا السفر في الكنيسة الأولى. وكيف اهتمت بشرحه وإلقاء محاضرات عنه.

الحرّة. والتي تستطيع أن تغري الإرادة دون أن تلزمها بشيء..
أيضًا لا تنصت إلى أقوال التنجيم والعرافة والتكهنات ولا إلى خرافات الإغريق في الإلهيات^١. فإن
العرافة والسحر واستحضار الأرواح لا تستحق حتى سماعها.
ابتعد عن كل نوع من الإفراط ولا تنسق إلى النهم ولا إلى الفسق، ولتكن ساميًا فوق كل طمع وربما
فاحش.
لا تهلك نفسك بحضورك اجتماعات الوثنيين في مشاهدهم العامة ولا تستخدم الاحجية عند المرض
أبطل أيضًا كل فظاظ...
لا تنزلق في مذهب السامريين أو اليهودية، لأن يسوع المسيح فاديك.
ابتعد عن ملاحظة السبوت (غل ٤ : ١٠)، ولا تدع أطعمة ما أنها دنسة.
على وجه الخصوص أبغض كل اجتماعات الهرطقة الأشرار. وفي كل طريق آمن نفسك بالأصوام
والصلوات والصدقات والقراءة في أقوال الله، فإذ تعيش بقية حياتك في الجسد في تعقل متمسكًا بالتعاليم الصادقة
تتمتع بالخلاص الواحد الذي يفيض من العماد. بهذا تُحسب عضوًا في جيوش السماء بواسطة الله الآب،
وتستحق أكاليل سمائية في المسيح يسوع ربنا الذي له المجد إلى أبد الأبد آمين.

^١ راجع مقال ١٩ : ٨ حيث يشير إلى أعمال خرافية تقدم لخدمة الشيطان.

المقال الخامس

الإيمان

"وأما الإيمان، فهو الثقة بما يُرجى والإيقان بأمور لا تُرى. فإنه في هذا شُهد للقديس" (عب ١١ : ١-٢)

١. يا لعظمة لقبك: "مؤمن"!

أظهر الرسول بولس عظمة الشرف الذي يهبه لك الله بانتقالك من نظام الموعوظين إلى جماعة المؤمنين، مؤكداً "أمين هو الله الذي به دُعيتُم إلى شركة ابنه يسوع المسيح" (١ كو ١ : ٩). فإذا دُعِيَ "أميناً *Faithful*"، هكذا أنت أيضاً تُدعى بنفس اللقب (أميناً أو مؤمناً *faithful*)، فتتقبل كرامة عظيمة. فكما يدعى الله صالحاً وعادلاً وقديراً وخالق المسكونة، هكذا هو أمين. تأمل إذن أية كرامة ارتفعت إليها إذ صرت شريكاً في لقب يخص الله!

٢. لتكن أميناً أو مؤمناً بالعمل

بالأحرى يليق بكل واحدٍ منكم أن يكون أميناً (مؤمناً) في ضميره. "أما الرجل الأمين فمن يجده؟!" (أم ٢٠ : ٦) أظهر صدق إيمانك (أمانتك) لله فاحص الكلى والقلوب (مز ٧ : ٩)، والعارف بأفكار البشر (مز ٩٤ : ١١)، ولا تكشف ضميرك لي أنا، لأنك لا تُدان بحسب حكم إنسان (١ كو ٤ : ٣-٥). عظيم هو الإنسان المؤمن، وأغنى من جميع الأغنياء، لأن المؤمن يملك العالم بكل ثروته، إذ يستهين به وببطأه. أما الغني في المظهر صاحب الممتلكات الكثيرة فهو فقير في نفسه، إذ قدر ما يجمع يُنخس بالشوق إلى ما لم ينله بعد. يحمل المؤمن نقبضين غريبين. إنه غني وهو فقير، إذ يعلم أنه إن كان له قوت وكسوة فليكتف بهما (١ تي ٦ : ٨)، وبهذا يبطأ الغنى تحت قدميه.

٣. أهمية الإيمان حتى في الأمور الزمنية بين غير المؤمنين

ليس وحدنا نحن الذين نحمل اسم المسيح نعرف كرامة الإيمان العظيمة أن كل ما يجري في العالم - حتى ما يتم على أيدي الغرباء عن الكنيسة^١ - يحدث بإيمان^٢. فبالإيمان تُرُبط شرائع الزوجية بين أطراف غرباء معاً، فيصير الغريب شريكاً لغريب عنه من جهة شخصه وممتلكاته...

بالإيمان تقوم الزراعة أيضاً، فمن لا يؤمن أنه ينال محصولاً لا يتحمل المشاق. بالإيمان يثق البحارة في قطعة خشب رقيقة ويستبدلون الأرض الصلبة جداً بأموال لا تهدأ، معتمدين على آمال غير أكيدة، حاملين معهم إيماناً أقوى من كل مرسة. إذن بالإيمان تتم أغلب شؤون البشر فيما بينهم، ليس بيننا نحن وحدنا بل كما أقول حتى بالنسبة للذين

^١ يقصد بالغرباء عن الكنيسة أو الذين في الخارج الأمم الوثنيين (ترتليان: العماد ١٤) أو الهراطقة (ترتليان: العماد ١٥).

^٢ من الاعتراضات العامة التي كان الوثنيون يوجهونها ضد المسيحية أنها لا تقوم على المنطق والعقل، بل على الإيمان وحده. وهنا يظهر القديس كيرلس لزوم الإيمان حتى في شؤون الحياة العادية. هذا ما قاله أيضاً العلامة أوريجينوس ضد صلصا اليهودي ١ : ١١، وأرنوبياس ضد الأمم ٢ : ٨.

هم من خارج... فإن كانوا لا يقبلون الأسفار المقدسة، لكنهم تعلموا هذا من ذواتهم وقبلوها بإيمان...

٤. بالإيمان نتحصن ضد إبليس

القراءة التي تُتلى عليكم اليوم تدعوكم إلى الإيمان الحقيقي، فتقدم لكم الطريق الذي فيه يُسر الله بك إذ قد تؤكد أنه بدون إيمان لا يمكن إرضاءه (عب ١١: ٦).

كيف يُقبل إنسان على خدمة الله إن لم يؤمن أنه واهب المكافأة؟
كيف تختار شابة حياة العذراوية أو يعيش شاب في تعقل ما لم يؤمن أن للعفة إكليلًا لا يفنى؟! (١ بط ٤: ٥)

الإيمان بمثابة عين تتبر كل ضمير وتهب الفهم، إذ يقول النبي: "إن لم تؤمنوا لا تفهموا" (إش ٧: ٩ LXX). الإيمان يسد أفواه الأسود (عب ١١: ٣٤)، كما حدث مع دانيال، إذ يقول الكتاب عنه: "قاصد دانيال من الجب، ولم يوجد فيه ضرر، لأنه آمن بالله" (دا ٦: ٢٣).

هل يوجد ما هو مرعب أكثر من الشيطان؟ نعم، فإننا في مقاومته لا نجد درعًا سوى الإيمان (١ بط ١: ٩)، إذ هو ترس خفي ضد عدو غير منظور، يرشق سهامًا متنوعة في ليلٍ بهيم (مز ١١: ٢) تجاه غير المتيقظين. فإذ لنا عدو غير منظور يلزمنا الإيمان كعدة حربية قوية، إذ يقول الرسول: "حاملين فوق الكل ترس الإيمان الذي به تقدرون أن تطفئوا جميع سهام الشرير الملتهبة" (أف ٦: ١٦). فإذ يصوب إبليس سهم الشهوة الدنس الملتهب، يُقدم الإيمان صورة الدينونة، فيبرد الذهن وينطفئ السهم.

٥. مثال من العهد القديم: إبراهيم

إن لي كثيرًا أقوله عن الإيمان، ولا يكفيني اليوم كله لوصفه كما ينبغي. إنما لنكتفِ بإبراهيم كمثال من العهد القديم، ناظرين أننا قد صرنا أبناءه بالإيمان. لقد تبرر ليس فقط بالأعمال^١، بل وأيضًا بالإيمان. فمع أنه صنع أعمالًا صالحة كثيرة، لكنه لم يُدع خليل الله إلا عندما آمن. وهكذا كما تبرر هو تتبرر أنت أيضًا.
لقد مات جسده فعلاً من جهة النسل، وشاخت سارة، ولم يوجد بعد أي رجاء لهما لإنجاب أبناء. وإذ وعد الله الشيخ بآبَن، فإن إبراهيم "إذ لم يكن ضعيفًا في الإيمان لم يعتبر جسده وهو صار مماتًا" (رو ٤: ١٩) إذ لم يتطلع إلى ضعف جسده، بل إلى قوة من وعده، إذ حسب الذي وعده صادقًا (عب ١١: ١١). هكذا بغير تردد اقتنى ابنه من الجسدين اللذين ماتا فعلاً.

وعندما اقتنى ابنه أمر أن يقدمه ذبيحة، ومع أنه سمع الكلمة "بإسحق يُدعى لك نسل" (تك ٢١: ١٢؛ ٢٢: ٢)، قدم ابنه الوحيد لله مؤمنًا أنه قادر أن يقيمه من الأموات (عب ١١: ١٩). وإذ ربط ابنه ووضعه على الحطب، قدمه فعلاً بالنية، لكن خلال صلاح الله الذي أعطاه حملًا عوض ابنه، تقبل (إبراهيم) ابنه حيًا.
وإذ آمن إبراهيم في هذه الأمور ختم بره "وأخذ علامة الختان ختمًا لبرّ الإيمان الذي كان في الغرلة" أخذًا وعدًا أن يكون "أبًا لجمهور من الأمم" (رو ٤: ١١؛ تك ١٧: ٥).

إبراهيم أب لأمم كثيرة

٦. إذن ليتنا نرى كيف صار إبراهيم أبًا لأمم كثيرة؟ (رو ٤: ١٧، ١٨) فبالنسبة لليهود هو أب لهم كما هو معروف، إذ هم نسله حسب الجسد.

لكننا إن أخذنا بالنسل حسب الجسد تكون الأقوال باطلة. لأنه حسب الجسد إبراهيم ليس أبًا لجميعنا،

^١ حذفها Casauban في طبعته مع أنها موجودة في بقية الطباعات وفي المخطوطات.

إنما نحن صرنا أبناء لإبراهيم على مثال إيمانه. كيف؟ وبأية طريقة؟ إنه بحسب البشر لا يُعقل قيامة إنسان من الأموات، ولا يُصدق أن يأتي نسل من شيخين متقدمين في السن كالأموات. هكذا أيضًا عندما كُرز بالمسيح أنه صُلب على شجرة، وأنه مات وقام آمنًا نحن. فعلى مثال إبراهيم، بإيماننا صرنا أبناء له. ويتبع إيماننا أننا نتقبل مثله الختم الروحي، إذ نُختن بالروح القدس خلال المعمودية، ليس في غرلة الجسد بل في القلب، كقول إرميا: "اختننوا للرب في غرلة قلوبكم" (راجع إر ٤ : ٤). وقول الرسول "بختان المسيح مدفونين معه في المعمودية..." (كو ٢ : ١١، ١٢).

٧. مثال من العهد الجديد: بطرس على المياه

إن حفظنا هذا الإيمان نتحرر من الدينونة وننتزيع بكل أنواع الفضائل. عظيم هو السير على البحر فبطرس إذ كان إنسانًا مثلاً له جسد ودم وبقايات بطعام، عندما قال له يسوع: "تعال" (مت ١٤ : ٢٩) آمن وسار على المياه في أمان أكثر مما لو كان على الأرض، وارتفع جسده بفعل سمو إيمانه. ومع أن سيره على المياه كان فيه أمان طالما هو مؤمن، فإنه عندما شكّ في الحال بدأ يغرق. وعندما رأى يسوع - مخفف الآلام - هلاكه قال له: "يا قليل الإيمان لماذا شككت؟" (مت ١٤ : ٣١) وإذ تقوى من جديد بالذي أمسكه بيمينه. وعاد إليه إيمانه وهو ممسك بيد السيد، عاد إلى سيره على المياه. وقد أُشير إلى هذا بطريق غير مباشر إذ يقول: "ولما دخل السفينة" (مت ١٤ : ٣٦)، إذ لم يذكر أن بطرس سبج وعبر، بل نفهم أنه رجع إلى السفينة مرة أخرى نفس المسافة التي جاءها ليقابل يسوع.

٨. بالإيمان يخلص الغير أيضًا

نعم، الإيمان هكذا هو قدير، حتى أنه ليس فقط المؤمن وحده هو الذي يخلص، بل ويخلص البعض بإيمان الآخرين. فالمفلوج بكفر ناحوم لم يكن مؤمنًا، لكن الذين أحضروه كانوا مؤمنين ودلّوه من السقف (مر ٢ : ٤)، إذ كان مرض نفسه مشتركًا في مرض جسده. لا تظن أنني أتهمه باطلاً، فإن الإنجيل نفسه يقول: "ولما رأى يسوع إيمانهم - وليس إيمانه - قال للمفلوج: قم" (مت ٩ : ٢، ٦).
الحاملون آمنوا والمريض بالفالج انتفع ببركة الشفاء!

أختا لعازر

٩. أتريد دليلاً أقوى على أن البعض يخلص بإيمان آخرون؟! لعازر مات (يو ١١ : ١٤-٤٤). ومضى عليه يوم واثنان وثلاثة، وانحلت عضلاته، ودب الفساد فعلاً في جسده. كيف يمكن لميت له أربعة أيام أن يؤمن، ويطلب بنفسه من المخلص؟ ولكن ما نقص عند الميت، وُجد عند أختيه الحقيقيتين، فعندما أتى الرب سجدت الأخت أمامه. وعندما قال: "أين وضعتموه؟" أجابته: "يا سيد قد أنتن، لأن له أربعة أيام". فأجابها: "إن آمنَتِ ترين مجد الله". كأنه يقول لها: ليكن عندك الإيمان الذي يقيم جثة الميت.
كان لإيمان الأختين قوة عظيمة هكذا حتى أعاد الميت من أبواب الجحيم! إن كان للبشر بالإيمان - واحد لحساب الآخر - يمكن أن يقوم الميت، أما يكون النفع أعظم إن كان لك إيمان خالص لأجل نفسك؟! بلى، حتى وإن كنت غير مؤمن أو قليل الإيمان فإن الله محب البشر يتعطف عليك عند توبتك. فمن جانبك يليق بك أن تقول بذهن أمين: "أؤمن يا سيد، فأعن عدم إيماني" (مر ٩ : ٢٤).

أما إذا حسبت أنك مؤمن بحق، لكنك لست في كمال الإيمان، فإنك محتاج أن تقول مثل الرسل: "يا رب زد إيماننا" (راجع لو ١٧: ٥). فإذا لك نصيب من جانبك، تتقبل النصيب الأعظم من الله.

الإيمان العقائدي

١٠. كلمة "الإيمان" من جهة اللفظ واحدة، لكنها تحمل معنيين متميزين. يوجد نوع من الإيمان عقائدي *dogmatic* يحمل قبول النفس لأمرٍ معينة. وهو مفيد للنفس كقول الرب: "إن من يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني فله حياة أبدية ولا يأتي إلى دينونة" (يو ٥: ٣٤). وأيضًا من "يؤمن بالابن لا يدان بل انتقل من الموت إلى الحياة" (يو ٣: ١٨، ٥: ٢٤).

يا لمحبة الله المتحننة! لأنه كان الأبرار لسنوات طويلة موضع سروره، وما اقتنوه خلال السنوات العديدة لإرضائه يمنحه لك يسوع في ساعة واحدة. فإنك إن آمنت أن يسوع المسيح رب، وأن الله أقامه من الأموات تخلص، وينقلك في الفردوس الذي أدخل فيه اللص. لا تشك في إمكانية هذا، لأن الذي خلص اللص على هذه الجلجثة المقدسة بعد ساعة واحدة من إيمانه هو بنفسه يخلصك بإيمانك (لو ٢٣: ٢٤).

الإيمان بحسب النعمة من الروح القدس

١١. يوجد نوع آخر من الإيمان يمنحه المسيح كهبة للنعمة، "فإنه لواحد يُعطى بالروح كلام حكمة، ولآخر كلام علم بحسب الروح الواحد، ولآخر إيمان بالروح الواحد، ولآخر مواهب شفاء" (١ كو ١٢: ٨، ٩). هذا الإيمان المُعطى هو نعمة من الروح القدس وليس مجرد إيمان تعليمي، إنما يعمل أفعالاً فوق طاقة الإنسان. فمن له هذا الإيمان ويقول لهذا الجبل انتقل من هنا إلى هناك ينتقل (راجع مر ١١: ٢٣). من يقول هذا بإيمان أنه يكون ولا يشك في قلبه يتقبل نعمة.

وقد قيل عن هذا الإيمان: "لو كان لكم إيمان مثل حبة الخردل" (مت ١٧: ٢٠). وحبّة الخردل صغيرة الحجم لكنها متقدمة في عملها حتى أنه وإن كانت تُزرع في موضع صغير لكن بنموها يصير لها مجموعة أغصان عظيمة تؤوي الطيور (مت ١٣: ٣٢).

هكذا أيضًا للإيمان فاعلية عظيمة في النفس في لحظة سريعة، فعندما تستتير تتمتع برؤى خاصة بالله، إذ تراه قدر ما تستطيع، وتهيم فوق رباطات العالم، وترى الدينونة ونوال المكافأة الموعود بها قبل نهاية هذا العالم. ألك الإيمان في الله الذي من جانبك^١ حتى تتقبل منه ذاك الإيمان الذي يعمل ما هو فوق حدود البشر؟!^٢

أهمية قانون الإيمان الكنسي

١٢. عندما نتعلم "الإيمان" والاعتراف به، أطلب هذا الإيمان وحده الذي تسلمه لك الكنيسة الآن^٣، واحتفظ به، هذا المشيّد من كل الكتاب المقدس تشييدًا قويًا.

فإذا لا يستطيع الكل أن يقرأ الكتاب المقدس (بكامله)، فلكي لا تهلك النفس بسبب الجهل لحرمانها من المعرفة بسبب نقص تعلمها... نلخص كل تعليم الإيمان في سطورٍ قليلة.

^١ لا يمكن إنكار معونة الله حتى في هذا النوع من الإيمان الذي من جانبنا. هذا ما نادى به القديس نفسه (بند ١٠).

^٢ ميّز أيضا القديس يوحنا الذهبي الفم بين الإيمان الذي العقائدي والإيمان الذي هو "أم المعجزات". عظاته على كورنثوس الأولى، ٢٩.

^٣ إذ جاء المقال بعد شرح مختصر لقانون الإيمان.

هذا الملخص أريد منك أن تتذكره عندما أتلوه عليك، وتردده أنت بكل اجتهاد. فلا تكتبه على ورق، بل انقشه بذاكرتك في قلبك، واحذر لئلا يسمعه أحد الموعوظين^١...

إنني أرغب في تقديمه لك كعونٍ يسندك كل أيام حياتك، لا تطلب آخر سواء حتى إن تغيرنا نحن أنفسنا ونقضنا هذا التعليم الحالي، أو جاءكم ملاك مقاوم مغيرًا شكله إلى ملاك نوراني (٢ كو ١١: ٥٤) لكي يضللكم. "ولكن إن بشرناكم نحن أو ملاك من السماء بغير ما بشرناكم فليكن أناثيما" (غل ١: ٨-٩). أنصت الآن إذا حدثك ببساطة ناطقًا قانون الإيمان.

أودعه في ذاكرتك، وفي الوقت المناسب سأثبت كل بند من بنوده ببراهين من الأسفار المقدسة، لأن بنود الإيمان لم تُجمع حسبما يبدو صالحًا في عيني إنسان، بل جمعت البنود الهامة الواردة في الكتاب المقدس كله مكونة تعليمًا للإيمان واحدًا كاملاً.

وكما تحمل حبة الخردل أغصانًا كثيرة في حبة واحدة صغيرة، هكذا يحتضن الإيمان كل معرفة الصلاح الواردة في العهد القديم والعهد الجديد مسطرًا في كلمات قليلة...
يا إخوة، انظروا وتمسكوا بالتقاليد^٢ التي تتسلمونها الآن. اكتبوها على ألواح قلوبكم.

الإيمان كوديعة

١٣. كرموها (التقاليد) لئلا يهلك العدو من يتراخى، أو يشوّه أحد الهراطقة إحدى الحقائق المسلمة إليكم. فإن الإيمان يشبه إيداع الأموال في مصرف (مت ٢٥: ٢٧، لو ١٩: ٢٣) كما نفعل نحن الآن، لكن اطلبوا الحسابات المودعة من الله.

وكما يقول الرسول: "أوصيك أمام الله الذي يحيي الكل، والمسيح يسوع الذي شهد لدى بيلاطس بنطس بالاعتراف الحسن أن تحفظ هذا الإيمان المسلم إليك بلا دنس إلى ظهور ربنا يسوع المسيح" (راجع ١ تي ١٣: ١٤).

لقد تسلمت الآن كنز الحياة، ويطلب السيد منك أن تودعه إلى مجيئه، "الذي سيبيّنه في أوقاته، المبارك العزيز الوحيد ملك الملوك ورب الأرباب، الذي وحده له عدم الموت، ساكنًا في نور لا يُدنى منه، الذي لم يره أحد من الناس، ولا يقدر أن يراه، الذي له (المجد) والكرامة والقدرة" (١ تي ٦: ١٥-١٦) إلى الأبد. آمين.

^١ لكي يتسلمه الموعوظون بالتدريج قدر استطاعته.

^٢ ٢ تي ٢: ١٥. راجع مقال ٢٣: ٢٣.

المقال السادس

وحدانية الله

"أؤمن بآله واحد"، وبخصوص "الهرطقة"

"أما إسرائيل، فيخلص بالرب خلاصاً أبدياً، لا تخزون ولا تخجلون إلى الأبد. لأنه هكذا قال خالق السماوات...أنا الرب وليس آخر".
(إش ٤٥: ١٧-١٨)

١. وحدانية المجد للآب والابن

"مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح" (٢ كو ١: ٣). مبارك أيضاً ابنه الوحيد^١.
إذ نفكر في الله، فلنفكر في الحال في الآب دون أن نجزي مجد الآب عن الابن، لأنه ليس للآب مجد والابن مجد آخر، بل هو مجد واحد بذاته، إذ هو أب الابن الوحيد.
إذ يتمجد الآب يشاركه الابن مجده، لأن مجد الابن من كرامة الآب!
وأيضاً عندما يتمجد الابن يُكرم الآب - الذي له بركة عظيمة - بكرامة علوية!

٢. مجد الله لا يُنطق به!

إن كان الذهن يستوعب أفكاره في غاية السرعة، لكن اللسان يتطلب كلمات وإبراز حديث طويل كوسيط (للتعبير عما يجول في الذهن).
العين تدرك عدداً من مجموعات الكواكب في لحظة واحدة، لكن متى رغب الإنسان في وصفها واحدة فواحدة، ليصف كوكب الصباح وكوكب المساء... يحتاج إلى كلمات كثيرة!
وهكذا أيضاً في لحظة خاطفة يستوعب الذهن الأرض والبحر وكل أفق المسكونة، وما يدركه في لحظة يستلزم الكثير من الكلمات لوصفه^٢.
هذا المثال الذي قدمته قوي، لكنه أيضاً ضعيف وغير لائق، لأننا لا نتكلم عن الله كل ما ينبغي الحديث به (إذ لا يعرفه إلا الله وحده)، وإنما نتكلم حسبما تسعفنا الطاقة البشرية قدر ما يحتمل ضعفنا. إننا لا نشرح الله كما هو، بل في صراحة أقول إننا نشهد بأن معرفتنا لله كما هو غير دقيقة!

^١ حذفت هذه العبارة من بعض الطبعات.

لقد أخذت تسابيح الحمد لله في أيام القديس كيرلس الأورشليمي أشكالاً متنوعة، ففتبني كل جماعة صيغة متميزة. وقد أشار المؤرخ ثيودورت (١٩: ٢) إلى أن الأب لينتوس أسقف أنطاكية (٣٤٨-٣٥٧ م) إذ لاحظ انقسام الكهنة والمجمع إلى جماعتين، جماعة تستخدم صيغة "المجد للآب والابن والروح القدس"، والأخرى "المجد للآب بالابن في الروح القدس" اعتاد أن يكرر تسبحة الحمد هذه بصمت حتى لا تُسمع إلا نهايتها "إلى دهر الدهور أمين". أما الصيغة التي استخدمها غالبية الأرثوذكس وتبنتها الليتورجيات فهي "المجد للآب والابن والروح القدس، الآن وكل أوان وإلى الأبد وإلى دهر الدهور". (عن مجموعة آباء نيقية وما بعد نيقية).

^٢ يقول القديس إيريناؤس (٢: ٢٨: ٤): (حيث أن الله هو كل الذهن وكل العقل وكل الروح العامل وكل النور ودائماً يوجد كما هو بذاته... فإن مثل هذا لا يمكن وصفه كما ينبغي. لأن لساننا الجسدي يعجز عن خدمة أحاسيس الإنسان التي هي من طبيعة روحية. لذلك يقف الحديث عنها معوقاً في داخلنا نعجز عن التعبير عنه كما يدركه الذهن، إنما ننطق في أحاديث متتالية قدر ما يستطيع اللسان أن يسعفنا).

إن أفضل معرفة هي اعترافنا بجهلنا فيما يخص الله!

إذن "عظموا الرب معي ولنُعلِّ اسمَه معًا" (مز ٣٤: ٣). لنجتمع كلنا معًا في مجموعنا، لأن الإنسان ضعيف بمفرده. لا بل بالأحرى وإن اتحدنا جميعًا معًا لا نقوم بالعمل (تعظيم الله وتسبيحه) كما ينبغي! إنني لا أقصدكم أنتم فقط الحاضرين هنا، بل ولو اجتمع كل أبناء الكنيسة في العالم، سواء الموجودين الآن أو الذين سيكونون فيما بعد، فإن الجميع معًا يعجزون عن الترنم بتسابيح راعيهم!

٣. إبراهيم أدرك عجزه أمام الله!

إبراهيم رجل عظيم ومكرم بمقارنته بالبشر فقط، لكنه متى امتثل أمام الله تكلم بحق قائلاً في صراحة: "أنا أرض ورماد" (تك ١٧: ٢٧). إنه لا يقف عند حد قوله "أنا أرض" لئلا يكون قد لُقب نفسه بعنصر عظيم بل أكمل "ورماد" معلناً طبيعته الواهية. هل يوجد شيء أقل من الرماد وأهون منه؟ فلنقارن الرماد بالبيت، والبيت بالمدينة، والمدينة بمقاطعة الإمبراطورية الرومانية، والإمبراطورية الرومانية بكل الأرض، وكل الأرض بالسموات التي تحيط بها...

وعندما تستوعب بالفكر السموات بأجمعها، ومع هذا فإن السموات أيضًا لا تستطيع تمجيد الله كما يستحق، حتى ولو كانت أصواتها أقوى من الرعد. إن كانت هذه القوات السمائية العظيمة لا تقدر أن تتغنى بتسابيح الله كما ينبغي، فهل يقدر "الأرض والرماد" الذي هو أقل الأشياء وأصغرها أن يقدم التسبيح لله، أو يستحق الحديث عن "الجالس على كرة الأرض و(الممسك) سكانها كالجنبد (نوع من الجراد)" (إش ٤٠: ٢٢).

٤. من يدرك الله في كماله؟!

إن حاول أحد الحديث عن الله، فليبدأ أولاً بالحديث عن الأرض، فإن كنت وأنت تسكن الأرض لا تعرف حدودها... كيف تقدر أن تشكل فكرًا سليمًا عن خالقها؟! إنك تنتظر الكواكب ولا ترى خالقها، أحصي هذه الكواكب المنظورة، وبعد ذلك صف ذاك الغير منظور، إذ هو "يحصي عدد الكواكب، يدعو كلها بأسماء" (مز ٤٧: ٤). منذ فترة قليلة اجتاحتنا السيول متأخرًا وأهلكتنا. أحصي قطرات الأمطار التي سقطت على هذه المدينة وحدها، لا بل أقول إن استطعت فأحصي فقط القطرات التي سقطت على منزلك - وليس على المدينة - لمدة ساعة واحدة! إنك لا تستطيع!

إذن، فلتعرف ضعفك ولتعلم من هذه اللحظة قدرة الله "المحصى قطرات الأمطار" (راجع أي ٣٦: ٢٧) على المسكونة كلها، ليس الآن فقط بل خلال كل الأزمنة.

والشمس هي من صنع الله. ومع عظمتها فهي أشبه بنقطة وسط السماء. تأمل الشمس وبعد ذلك تفرّس في رب الشمس مندهشًا. "لا تطلب ما يعيبك نيله، ولا تبحث عما يتجاوز قدرتك، لكن ما أمرك الله به فيه تأمل" (ابن سيراخ ٣: ٢٢).

٥. إذن، كيف نتكلم عن الله؟!

رب قائل يعترض: إن كان جوهر اللاهوت لا يقع تحت الحواس، فلماذا نتحدث في هذه الأمور؟ نعم،

^١ يقول العلامة ترنتليان في دفاعه (٧) (غير المحدود لا يعرفه غير نفسه) هو يقدم عقيدة بخصوص الله الذي هو فوق كل إدراكنا وكل طاقتنا بكاملها لننزود بفكرة عن الله في حقيقته. (إنه يقدم لأذهاننا في عظمة فائقة الحد فيظهر لنا أنه معروف وغير معروف في نفس الوقت).

هل لأنني لا أستطيع أن أشرب النهر كله يكون هذا سبباً في ألا أستقي منه باعتدال قدر ما يناسبني؟! هل لأن عيني تعجزان عن استيعاب أشعة الشمس في كمالها ألا أنظر إليها قدر ما احتاج؟! وإذا دخلت حديقة عظيمة ولم أقدر أن أكل كل ثمارها هل تريد مني أن أخرج منها جائعاً؟! إذن لأسبح الله خالقنا وأمجده، إذ وهبت لنا وصية إلهيه تقول: "كل نسمة فلتسبح الرب" (مز ٥٠: ٦).

إنني أسعى الآن، أقوم بتمجيده دون أن أصفه، عالماً أنه بالرغم من عجزني عن القيام بتمجيده حسبما يستحق، لكن حتى مجرد السعي هو من الأعمال التقوية. ويشجع الرب يسوع ضعفي بقوله: "الله لم يره أحد في أي زمان" (يو ١: ١٨).

٦. الملائكة ترى الله قدر احتمالها!

رب قائل يعترض: ماذا إذن، ألم يُكتب: "إن ملائكة الصغار كل حين ينظرون وجه أبي الذي في السماوات؟" (أنظر مت ١٨: ١٠). نعم لكن الملائكة ترى الله ليس كما هو، بل قدر ما تحتمل. إذ يقول يسوع المسيح: "ليس أن أحداً رأى الآب إلا الذي من الله، هذا قد رأى الآب" (يو ٦: ٤٦).

لذلك فالملائكة ترى الله قدر ما تحتمل، ورؤساء الملائكة يرون قدر ما يحتملون، والعروش والسلطين يرون أكثر من السابقين، لكنها لا ترى كما يستحق الله^١.

فالابن - مع الروح القدس - هو وحده الذي يقدر أن يراه بحق كما هو، لأنه: "يفحص كل شيء حتى أعماق الله" (١ كو ٢: ١٠). هكذا الابن الوحيد مع الروح القدس يدركان الآب في كماله، إذ قيل: "لا أحد يعرف الآب إلا الابن، ومن أراد الابن أن يعلن له" (مت ١١: ٢٧).

إذ يري الكل حسب احتمالهم، لذلك فهو يرى الآب بكماله، معلناً الله (الآب) خلال الروح، إذ الابن مع الروح شريك (واحد) مع الآب في اللاهوت. المولود يعرف الوالد، والوالد يعرف المولود.

إن كان الملائكة جاهلين (بمعرفة الله في كماله)، فلا يخجل أحدكم من الاعتراف بجهله. حقاً إنني أتكلم الآن كما يتكلم أي إنسان في مناسبة ما، أما كيفية الكلام فلست أعرفه. إذن كيف أستطيع أن أخبركم عن واهب الكلام نفسه؟! وإذ لي نفس لا أقدر أن أخبركم عن سماتها المميزة لها، فكيف أصف واهب النفس؟!

٧. كماله مطلق!

من أجل التقديس يكفيننا أن ندرك في بساطة أن لنا إله، هذا الإله واحد حي، حيّ إلى الأبد، يشبه ذاته على الدوام "بلا تغيير"، ليس له أب غيره ولا أحد أقوى منه، لي ينازعه خليفة مملكته. له أسماء متعددة، سلطانه بلا حدود، جوهره بلا تغيير.

وإذ يدعى صالحاً وعادلاً وقديراً وصبأوت^٢، فلا يفهم من ذلك أي تنوع أو أنه أخذ أشكالاً متغيرة. إنما هو واحد، يقوم بأعمال كثيرة بفعل لاهوته دون زيادة أو نقص، بل في كل شيء شبيه بذاته بلا تغيير.

^١ تحدث القديس يوحنا الذهبي الفم في مقاله عن "العناية الإلهية" ترجمة الأخت عايدة حنا (فصل ٣) عن "قصر حكمة السمايين في التعرف على الله كما هو ولا أحكامه بكماله". إذ يقول: "حقاً أن الله حتى بالنسبة لهذه الطغمة غير مدرك، ولا يقدر على الدنو منه، لهذا يتنازل بالطريقة التي جاءت في الرؤيا، لأن الله لا يحده مكان ولا يجلس على عرش... وأما جلوسه على عرش وإحاطته بالقوات السمائية إنما هو من قبل حبه لهم" كما تحدث في شيء من التفصيل في مقاله: "عدم إدراك الله".

^٢ يدعو الكتاب المقدس والكنيسة: "رب الصبأوت" أي "رب الجنود" السمائية.

إنه ليس عظيمًا في حبه المترفق وقليلًا في الحكمة، بل له قوة متساوية في الحكمة والحب المترفق. لا يرى من ناحية معينة فيه دون أخرى، بل كله عين وكله إذن وكله ذهن^١. إنه ليس مثلنا يُدرك من جانب دون آخر. فإن مثل هذا تجديف لا يليق بجوهر الله الذي يعرف الأمور قبل كونها. قدوس وقدير، يفوق الكل في الصلاح والعظمة والحكمة. لا يمكننا أن نخبر عن بداية له أو شكل أو مظهر، إذ يقول الكتاب: "لم تسمعوا صوته قط، ولا أبصرتم هيئته" (يو ٥: ٣٧). وكما قال موسى: "احتفظوا جدًّا لأنفسكم، فإنكم لم تروا صورة ما (يوم كلمتكم)"^٢. فإذ يستحيل تمامًا رؤية شكله، كيف تفكر في الاقتراب من جوهره؟!

٨. لا تتصور اللاهوت بشكل!

كثيرون قدموا تصورات لله، وجميعهم فشلوا. فالبعض تخيلوه نازًا، وآخرون حسبوه إنسانًا مجنأ، إذ أساءوا فهم العبارة الحقانية القائلة: "بطل جناحيك استرني" (مز ١٧: ٨). لقد نسوا قول ربنا يسوع المسيح في حديثه إلى أورشليم عن نفسه: "كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا" (مت ٢٣: ٣٧).

إنه يتطلع إلى قوة حماية الله كأجنحة، أما هم ففشلوا في فهم هذا، ساقطين في إدراكات بشرية (حسية)، ظانين غير المفحوص على شكل إنسان!

كذلك تجاسر البعض قائلين إن له سبع أعين، إذ مكتوب "إنما هي (سبع) أعين الرب الجائلة في الأرض" (زك ٤: ١٠). فإن وضعت حوله سبع أعين منفصلة، يكون بهذا نظره منفصل وغير كامل. وفي هذا القول عن الله تجديف، إذ يليق بنا أن نعتقد في كمال الله في كل شيء، كقول المخلص: "إن أباكم الذي في السماوات هو كامل" (مت ٥: ٤٨).

إنه كامل في النظر، وكامل في القوة، وكامل في العظمة، وكامل في العدل، وكامل في المحبة المترفقة. ليس بمحصور بفراغ، بل هو خالق كل الفراغ، موجود في الكل، لا يحده شيء. حقًا "السمااء كرسية"، لكن ليس بجالسٍ عليها، "والأرض موطئ قدميه" (راجع إش ٦٦: ٨٠)، لكن قوته تبلغ إلى ما تحت الأرض...

١٠. تركوا الله الحقيقي وعبدوا الخليفة!

الله عظيم هكذا بل وأعظم (لأنه وإن تحول كل كياني إلى لسان لما استطعت التحدث عن سموه. بلى ولو اجتمعت كل الملائكة معًا لما قدرت أن تتحدث عنه كما يستحق).

ومع أنه عظيم هكذا في صلاحه وجلاله لكن الإنسان تجاسر وقال للحجر الذي نحته "لأنك أنت إلهي" (إش ٤٤: ١٧). يا للعمى المريع، إذ نهوي من عظمة هذا قدرها إلى انحطاط هذا عمقه! الشجرة التي أوجدها الله وتعهدها بالأمطار، التي ستحرق وتصير رمادًا تُدعى الله، والله الحقيقي يُزدرى به!

^١ راجع القديس إيريناؤس ٢: ٣٥، ٣، ٤، ٧.

^٢ يحدثنا القديس أغسطينوس في هذا الشأن قائلاً: [لا تستسلموا للتفكير بأنكم ترون الله وجهًا جسديًا، لئلا بتفكيركم هذا تهيئون أعينكم الجسدية لرؤيته فتبحثون عن وجه مادي لله... تنبهوا من هو هذا الذي نقول له بإخلاص: "ك قال قلبي... وجهك يا رب أطلب" (١) كو ٣: ١٧]... لتبحثوا عنه بقلوبكم. يتحدث الكتاب المقدس عن وجه الله وذراعه ويديه وقدميه وكُرسِيه وموطئ قدميه... لكن لا تحسبوا أنه يقصد بها أعضاء بشرية. فإن أردتم أن تكونوا هيكل الله، فلتكسروا تمثال البهتان هذا]. عظات على فصول منتخبة من العهد الجديد، ٣.

بل انتشر شر الوثنية بأكثر إصراف، فُعِدَت القطعة والكلب والذئب عوض الله! ^١ عُبد الأسد مفترس الإنسان بدل الله صديق الإنسان المحب له إلى الغاية! عُبد الثعبان والحية ^٢ التي خدعته، وأخرجته من الفردوس، ومستهينًا بالذي غرس له الفردوس!

إنني أخجل أن أقول، لكنني أقول إنهم عبدوا حتى البصل!
لقد أُعطى الخمر ليهيج قلب الإنسان (مز ١٠٤: ١٠)، لكن ديوناسيوس (باخوس) عبده عوض الله (لأجل البهجة)! خلق الله القمح بقوله "لتنبت الأرض عشبًا" (تك ١: ١١)، وتأتي البذور كل بنوعها، وبهذا يتقوّت قلب الإنسان بالخبز، فلماذا يعبد ديميتير *Demeter*!
إلى يومنا هذا تتولد النار من احتكاك الحجارة معًا، فكيف يكون هيفاستوس (فولكان) خالق النار؟ (مز ١٠٤: ١٥)

تعدد الآلهة يدعو إلى مجيء الابن

١١. كيف جاء الشرك بالله عند اليونانيين؟ الله ليس له جسد، فكيف وُجد بين المدعويين آلهة زناة؟! إنني لست أتكلم بخصوص تحول زيوس إلى خنزير. إنني أخجل من التحدث عن تحوله إلى ثور، لأن النعير لا يليق باله!
لقد وُجد عند الإغريق إلهًا زانيًا، وهم لا يخلطون من هذا، إذ كيف يدعى إلهًا من كان زانيًا؟! يتحدثون عن آلهة سقطوا في ميئات ^٣ وسقطات ^٤ وانحطاط. انظروا كيف سقطوا من علوّ شاهر هكذا إلى انحطاط شديد.
إذن هل جاء ابن الله من السماء باطلاً؟! ألم يأت ليشفى جرحًا كان عظيمًا هكذا؟!
هل جاء الابن باطلاً؟ أم جاء لكي يخبر عن الآب؟! لقد عرفت ما هو الدافع لمجيء الابن الوحيد من العرش عن يمين الآب فإذا هم احتقروا الآب جاء الابن يصلح الأمر.
إذ به خُلِق كل شيء التزم أن يحضر "الخلقة" بأسرها كتقدمة لرب الكون!
لاق به أن يضمم الجراح، لأنه أي جرح أضر من أن يُعبد الحجر عوض الله!؟

الهطقات

١٢. لهم اسم المسيح وهم أعداء له!

لا يصنع الشيطان هذه الحروب بين الوثنيين وحدهم، بل حتى بين كثيرين من المدعويين مسيحيين باطلاً، هؤلاء الذين ينتسبون خطأ إلى اسم المسيح العذب، إذ يخطئون في كُفر متجاسرين أن يُبعدوا الله عن

^١ عبد الإغريق القطعة ودعوها Bubastis وقد حققها هيروتد المؤرخ (٢: ١٣٧) بـ Artemis أو ديانا هي إلهة الصيد. كانت القطط بعد موتها تُحنط إذ وجدت لها مومياء في أماكن كثيرة خاصة في بوباستس (هيروتد ٢: ٦٧). أما عن الكلاب فيقول عنها هيروتد (٢: ٦٧) إنها كانت تعبد خاصة في مدينة Cynopolis أي مدينة الكلاب، إذ عبد المصريون الإله "أتوبيس" وهو إله رأسه رأس كلب. كما وجدت مومياء للذئب في حجرات نقبت في صخور ليكوبوليس حيث كانوا يعبدون الإله أوزوريس. عُبد الأسد في لينوتوبوليس.

^٢ ذكر المؤرخ هيروتد (٢: ٧٤) [تُوجد بجوار طيبة حياة مقدسة، لا تضر الإنسان قط. هذه يدفونها في معبد زيوس، الإله الذي يقدسونه].

^٣ اقتبس القديس إكليمنضس السكندري (Exhort ٢: ٣٧) عبارة عن تسبحة كليماخوس بخصوص موت الإله زيوس. وجاء عن الإله أدونيس أنه عاش ومات مرات كثيرة.

^٤ يشير إلى السقطات الواردة في قصة هيفاستوس.

خليقته. أقصد بذلك جماعة الهرطقة، أشر الناس، أصحاب الاسم الرديء، يتظاهرون بالصدافة مع المسيح، وهم مبغضون له تمامًا. إذ من يجدف على أبي المسيح يكون عدوًّا للابن.

لقد تجاسروا فنادوا بوجود إلهين: واحد صالح والآخر شرير. يا للعمى المريع! كيف ندعو من هو غير صالح إلهًا! الله بالتأكيد صالح؟! يُحسب الصلاح هكذا إذ هو من خصائص الله، فإله وحده يخصصه الحب المترفق والبركة والقدرة والسلطان. فلهم أحد اختياريين، إما يربطون الاسم بالعمل لمن يدعونه الله، أو لا يعطونه الاسم مجردًا بغير عمل.

سخافة الثنائية

١٣. يتجاسر الهرطقة فينادون بوجود إلهين: مصدرين للخير والشر، وهما غير مولودين. فإن كانا غير مولودين، فهما متساويان وقديران، فكيف يبدد النور الظلمة؟! ثم هل يتواجدان معًا أم هما منفصلان عن بعضهما البعض؟ لا يمكن أن يكونا معًا، إذ يقول الرسول: "أية شركة للنور مع الظلمة؟!"^١ وإن كان أحدهما منفصلاً عن الآخر فبلا شك يحتل كل منهما مكانًا مستقلًا. وعلى هذا نكون تحت سيادة أحدهما، وبالتالي نعبد إلهًا واحدًا.

إذن ننتهي إلى أننا حتى إن قبلنا غباوتهم نلتزم بالتعبد لله الواحد^٢. لنسألهم عما يقولون في صدد الإله الصالح: هل هو قدير أم غير قدير؟ إن كان قديرًا، فكيف لا يستطيع أن يسحق الشر؟ وكيف يتأتى الشر على الرغم من إرادته؟ فإن كان يراه ولا يستطيع منعه، بهذا ينسبون إليه العجز. وإن كان يستطيع أن يمنعه ولا يفعل ذلك، فيُحسب غير صالح. أنظر إذن إلى جنونهم؛ فإنهم يدعون أحيانًا أنه إله الشر، لا علاقة له بإله الخير فيما يختص بالخلقية.

يقولون أحيانًا إن له رُبع العالم. ويقولون أيضًا إن الإله الصالح هو أبو المسيح، ويُسمون المسيح بالشمس. فإن كان العالم - حسب عقيدتهم - من صنع إله الشر؛ وإذا كانت الشمس في العالم، فكيف يمكن لابن الله الصالح أن يخدم إله أشر مكرها؟

إننا نتلوث بالحديث عن هذه الأمور، لكننا نتحدث عنها حتى لا يسقط أحد من الحاضرين في حماة الهرطقة عن جهلٍ.

أنا أعلم أن فمي قد تلوث، وكذلك آذان السامعين. لكن الأمر لا يخلو من فائدة، إذ من الأفضل أن نحكم عن عقائد الآخرين الخاطئة، عن أن نتركهم تسقطون فيها عن جهلٍ. عقيدة الهرطقة الشريرة متشعبة، وعندما يضل أحد عن طريق التقوى ينساق إلى إحدى شُعبها.

١٤. سيمون الساحر مصدر كل هرطقة

مصدر كل هرطقة هو سيمون الساحر^٣، هذا الذي جاء عنه في سفر أعمال الرسل أنه فُكر أن يشتري بمال نعمة الروح القدس، فسمع القول: "ليس لك نصيب في هذا الأمر" (أع ٨: ٢١-٢٠). وعنه أيضًا كُتب:

^١ ٢ كو ٦: ١٤. يتحدث القديس كيرلس الأورشليمي على وجه الخصوص ضد هرطقة ماني.

^٢ في تكملة هذا البند استعنت بالتعريب الذي قام به الأب جورج نصور، في سلسلة النصوص الليتورجية.

^٣ نادى القديس إيريناؤس بهذا الرأي (ضد الهرطقات ١: ٢٣).

"منا خرجوا، لكنهم لم يكونوا منا، لأنهم لو كانوا منا لبقوا معنا" (١ يو ٢: ١٩). هذا الإنسان بعدما طرده الرسل جاء إلى روما حيث استمال إليه زانية تدعى هيلين Helene^١. وقد تجاسر بفمه المملوء تجديفاً أن يدعي أنه هو الذي ظهر على جبل سيناء كالآب، وظهر كيسوع المسيح بين اليهود، ليس في جسد حقيقي، بل كان يبدو هكذا^٢، وبعد ذلك كالروح القدس الذي وعد المسيح أن يرسله كمعز^٣.

لقد خدع مدينة روما حتى أقام له كلوديوس تمثالاً، نُقش عليه من أسفل بلغة الرومان: *Simoni Deo Sancto* وهي تعني "إلى سيمون الله القدوس"^٤.

وضع بطرس وبولس نهاية لخطأ سيمون

١٥. وإذ كان الضلال سينتشر لهذا وضع النبيان - بطرس وبولس - من قادة الكنيسة^٥ نهاية لهذا الخطأ. وعندما أراد سيمون مُدعي الألوهية أن يظهر نفسه أظهره كجيفة ميتة، إذ وعد سيمون أنه يرتفع إلى السماوات ويأتي على مركبة شيطانية في الهواء... هذان طرحا إلى الأرض الإله المزعوم أنه من السماء، حتى يُحمل إلى طبقات الأرض السفلى. لقد ظهرت حياة الشر في هذا الرجل، وإذ قُطع رأس كل منها وُجدت جذور الشر برووس أخرى عديدة...

ضلال الأبيونيين ومرقيون

١٦. صنع كيرنثوس^٦ خراباً في الكنيسة. وأيضاً *Menander*^٧ وكريوقراط^٨ وأبيونيت^٩ ومرقيون فم

^١ قال القديس إيريناؤس (إذ اشترى من Tyre صور وهي مدينة فينيقية، زانية معينة تدعى Helene أعتاد أن يأخذها معه، معلناً أن هذه المرأة أول ادراكات ذهنية، وهي أم الجميع، وبواسطتها أدرك منذ البداية خلقه الملائكة ورؤساء الملائكة).
^٢ ابيفان (هراطقة ص ٥٥) (قال عن نفسه إنه الابن، وإنه لم يتألم حقيقة بل بدى لهم هكذا).
^٣ جاء في القديس إيريناؤس ١: ٢٣: ١ علم سيمون أنه جاء بين اليهود بكونه الابن، وبين السامريين كالآب، ولبقية الأمم بكونه الروح القدس.

^٤ الشهيد يوستينوس في دفاعه الموجه إلى أنطونيوس بيوس ٢٦، كتب قائلاً: [كان يوجد سيمون السامري من قرية تدعى gitton في أيام حكم كلاوديوس قيصر في روما مدينتكم الملكية، هذا صنع أعمالاً وسحراً، وذلك بواسطة الشياطين العاملة فيه. لقد حسبوه إلهاً وكرم بينكم بعمل تمثال له، حيث أقيم في نهر التيرير بين جسرين وحمل هذا النقش "Simoni Deo Sanceto" أي "سيمون الله القدوس".] كرر إيريناؤس هذه القصة (ضد الهرطقة ١: ٢٣: ١)، وترتليان (دفاع ١٣).
^٥ جاء في النسخ الكاثوليكية: "رئيساً قادة الكنيسة".

^٦ كيرنثوس: من مبتدعي القرن الأول نادى بأن العالم لم يخلقه الله العلي، بل خلقته قوة منفصلة يجهلها الله. وإذ علم الإله الأعظم بخلقه العالم، أرسل أحد الأرواح الخالدة (الأيونين) وهو المسيح، نزل واتحد بيسوع البار ابن يوسف ومريم أثناء عماده من يوحنا، إذ نزل عليه بصورة حمامة، ولما اعتمد هجم على إله اليهود لينتقم منه، غير أن إله اليهود حرض عليه شعبة فأمسكوه وسمروه على الصليب، وللحال طار المسيح إلى السماء وصلب يسوع. على هذا نادى هذا الهرطوقي بعبادة الإله الأعظم أو المسيح أحد الأرواح الخالدة دون إله اليهود. كما نادى بأن الأجساد تقوم وتعيش مع المسيح المزمع أن يملك في هذا العالم ألف سنة.

^٧ ميناندر Menander : ذكره الشهيد يوستينوس (دفاعه ١: ٢٦)، وهو سامري تلميذ لسيمون. خدع كثيرين في أنطاكية بفنون سحره. واقنع الملتصقين به أنهم لن يموتوا (إيريناؤس ١: ٢٣: ٥). وأعلن أنه المخلص، مرسل من قبل غير المرتبين. ونادى بأن العالم من صنع الملائكة (Tert: Anima ٥٠).

^٨ كريوقراط Carpocrates فيلسوف أفلاطوني، علم في الإسكندرية (سنة ١٢٥م) وقال إن العالم وكل ما فيه من صنع الملائكة (راجع إيريناؤس ١: ٢٥: ١، ترتليان: ضد الهرطقة ٥) وإن العالم مخلوق من مادة خبيثة، والأنفس خلقت قبل الأجساد وحبست فيها للقصاص. علم بالسحر وأنكر القيامة وأباح الشهوات.

^٩ أبليون: عاش في القرن الأول بعد خراب أورشليم وقد ذكر إيريناؤس (١: ٢٦) عن الأبيونيين Ebionites أنهم يتفقون في أن العالم من صنع الله. وقد ارتأى أن السيد المسيح ولد من يوسف ومريم ولادة طبيعية، وامتناز عن الناس بالفضيلة والطهارة. ولا يكفي الإيمان

الشر، لأنه أعلن عن وجود إلهين مختلفين، واحد صالح والآخر عادل، يناقض الابن القائل "أيها الآب البار" (يو ١٧: ٢٥).

وأيضاً من يقول إن الآب غير خالق المسكونة يناقض الابن القائل: "فإن كان العشب الذي يوجد اليوم في الحقل ويُطرح غداً في التور يلبسه الله"، "ويشرق شمس على الأشرار والصالحين، ويمطر على الأبرار والظالمين" (لو ١٢: ٢٨؛ مت ٥: ٤٥).

كذلك يُعتبر مرقيون^١ مصدر ثابٍ لضرر أعظم. وقد دُحض بإبراز شهادات من العهد القديم اقتبست في العهد الجديد، إذ تجاسر وعزل العهديين عن بعضهما، تاركاً الكرازة بكلمة الإيمان بغير شاهدٍ، نازعاً الإله الحقيقي، طالباً تخريب إيمان الكنيسة كأن لا يشائر لها.

١٧. باسيليدس فالنتينوس

هذا تبعه آخر هو باسيليدس^٢ الشرير صاحب الشخصية الخطيرة، والكارز بالأدناس. وجاء أيضاً فالنتينوس^٣ معيناً للشر، هذا الذي نادى بوجود ثلاثين إلهاً. لقد تحدث الإغريق عن آلهة قليلة، أما هذا الإنسان الذي ادعى المسيحية باطلاً فقد بالغ في الفساد فجعلهم ثلاثين إلهاً. لقد قال أيضاً أن بيثوس Bythus الذي من الهاوية وُلد صامتاً والصمت ولد الكلمة... البيتوس هذا أشر من زيوس الذي للإغريق، هذا الذي اتحد بأخته... أما ترى السخافات التي اقترحها مستتراً تحت المسيحية؟! انتظر قليلاً فستصعق من شره، إذ يؤكد أن بيثوس هذا ولد ثمانية أيونات، ومنهم وُلد عشرة، كما ولد اثنا عشر ذكراً وأنثى (٨ + ١٠ + ١٢ = ٣٠) من أين يدل على هذا؟! من أين جاء بالثلاثين أيونا؟؟

به للخلاص بل ينبغي أن يتحد بإتمام الختان وحفظ السبت موجز تاريخ المسيحية (يسطس الدويرى ص ١٥١) وقد نقض تعليمه ثم علم بخلافه وسار إلى روما وكان يقدم في سر الافخرستيا الخمر الصرف والفطير (الخريدة النفيسة ج ١ ص ٩٤).

^١ مرقيون: من سوريا، حاول التوفيق بين المبادئ المسيحية والفارسية فانجرف في الشرك بالله والكفر بعيداً عن كل مفهوم مسيحي. لم يقبل من البشائر سوى إنجيل لوقا. أساء إلى الكتاب المقدس... اعتقد بوجود ثلاثة مبادئ: أ. الأول طاهر وهو أبو المسيح. ب. الثاني شرير وهو إله الشر. ج. الثالث متوسط بينهما وهو إله اليهود، مهندس العالم. كان إله الشر على الدوام في حرب مع إله اليهود، فلكي ينهي الإله الطاهر النزاع أرسل ابنه المسيح لابساً هيئة جسد لكي يخرب المملكتين.

^٢ باسيليدس: سبق مرقيون، أنشأ الغنوسية في الإسكندرية في عهد هديران (١١٧-١٣٨م) اعتقد بمبدأ واحد انبثق منه سبعة أشخاص منهم الحكمة والقوة اللتان ولدتا رتبة الملائكة التي ابنتت السماء الأولى، وولدتا ملائكة آخرين ابنتت السماء الثانية وهكذا صارت عدد السماوات ورتب الملائكة معادلاً لعدد أيام السنة. ثم أن سكان السماء الأخيرة خلفوا هذا العالم وكونوا أناساً استحسنهم الله ومنحهم عقولاً. فاتخذ أحد هذه طغمة اليهود له شعباً وسن لهم شرائع، بينما تسلط باقي الطغمة على الأمم وتعظموا ونزعوا منهم معرفة الله. فلكي يخلص الله البشر من عبوديتهم أرسل ابنه "توس" أي العقل وهو المسيح، فاتحد بالإنسان يسوع وإذ لحظ إله اليهود تجسد المسيح حرّض شعبة على قتله فقبضوا على يسوع وقتلوه، لكنهم لم يقدروا على المسيح.

^٣ فالنتينوس: ظهر في القرن الثاني، نادى بان مسكن الله فيه ثلاثون أيوناً، نصفها ذكوراً والنصف الآخر إناث. كذلك يوجد أربعة هم: أ. أروس حافظ حدود مسكن الإله الأعظم. ب. المسيح. ج. الروح القدس. د. يسوع الذي ساعد الفلسفة، ابنة الحكمة، حتى ولدت خالق هذا العالم. وما أن خلق حتى ادعى الإلهية واتخذ اليهود له شعباً. لذلك نزل المسيح لكي يبطل قوته ويهدى اليهود والأمم إلى معرفة الإله الأعظم، وقد زعم أن المسيح نزل من السماء بجسد واجتاز من العذراء كما يجتاز الماء في قناة. وقد ذكر إيريناؤس (١: ١) تعاليمه.

وقد ذكر ثيودورت (رسالة ٤٥) بأن فالنتينوس وباسيليدس وبارديسيانيس وهارمونيوس وجماعاتهم قالوا بالحبل بالمسيح وميلاده من عذراء، لكنهم قالوا إن الله الكلمة لم يتقبل شيئاً من العذراء، بل عبر عبوراً خلالها كما في قناة، وكان خيالاً في ظهوره للبشر.

إنه يجيب: مكتوب عن يسوع أنه اعتمد وهو في الثلاثين من عمره (لو ٣: ٢٣).
إن كان قد اعتمد في الثلاثين من عمره، فهل في هذا دليل؟! هل يوجد خمسة آلهة لأنه كسر خمسة
أرغفة لخمسة آلاف رجل؟! أو هل يلزم وجود اثني عشر إلهاً لأنه كان تلاميذه اثني عشر؟!

المسيح حسب فالنتينوس

١٨. حتى هذه الأقوال لا تزال أقل شراً من غيرها، فقد تجاسر قائلًا: إن آخر الآلهة الكائنة هو ذكر
وأُنثى، وهذا الإله يدعى الحكمة^١. أي شر هذا، فإنه حَقَّرَ حكمة الله (١ كو ١: ٢٤)، أي المسيح الابن الوحيد،
فدعاه أُنثى، وجعله أحد ثلاثين (أيونا)، وآخر خالق!
كذلك يقول إن الحكمة سعت لترى الإله الأول، وإذ لم تحتل بهاءه سقطت من السماء وطردت في
ثلاثين، فتهدت، ومن تنهدا وُلد الشيطان، ومن بكائها على سقوطها صنعت دموعها البحر. يا له من كفر!
كيف تخلق الحكمة الشيطان، والتعقل والشر، والنور والظلمة؟!
كذلك قال إن إبليس ولد آخرين، ومن هؤلاء خلق العالم. وقد نزل المسيح لكي ما يُعصي البشرية ضد
خالق العالم.

اهرب من الهرطقة

١٩. لكن اسمع ماذا يقولون عن شخص يسوع المسيح، إذ يشوهون أنفسهم أكثر بقولهم إن الحكمة
بعدما انطرحت أسفل، فلكي لا يكون العدد ثلاثين كاملاً، فإن التسعة وعشرين أيونًا ساهم كل منهم بنصيبٍ قليلٍ
وتكوّن المسيح^٢. قد قالوا إنه ذكر وأُنثى في نفس الوقت. هل يوجد كفر أشد من هذا؟! هل يوجد بؤس أكثر
منه؟!
إنني أصف لك ضلالهم حتى تمقتهم أكثر. ارفض كفرهم، ولا تسلم على من كان هذا حالهم (٢ يو
١٠: ١١)، لئلا تشترك معهم في أعمال الظلمة. لا تسألهم ولا تجاملهم^٣.

^١ إيريناؤس ١: ٢: ٢.

^٢ اختلف عما ذكره عن إيريناؤس ١: ٢: ٦.

^٣ لما كان فالنتينوس أحد أصحاب المذاهب الغنوسية لذلك أذكر فكرة عن الغنوسية مختصرة عن كتاب "الفلسفة المسيحية" لنيافة الأبا
غريغوريوس أسقف الدراسات القبطية (بالاستنسل).

[الغنوسية بمثابة ملقى أو مصب هائل لعناصر مختلفة: يهودية، مسيحية، يونانية، وشرقية...]

وهي تنادى بالمعرفة بدلاً من الإيمان. ولها مذهب خاص فيما يتصل بالله والخلق وأصل الشر والخلص، تقدمه للذين يميلون إلى
أن ينظروا إلى أنفسهم وكأنهم أشخاص أرفع وأفضل من غيرهم من المسيحيين العاديين.

والعناصر الشرقية والهينية فمن الواضح بمكان بحيث لا يمكن معها أن تكون الغنوسية هرطقة مسيحية بالمعنى العادي للكلمة،
ولو أنها كانت تشكل خطراً حقيقياً في القرن الثاني للميلاد، وقد أضلت بالفعل أولئك المسيحيين الذين جذبتهم التأملات النيوصوفية
(أي الباطنية) الغريبة التي قدمتها الغنوسية على أنها معرفة.

ومن أهم خصائص الغنوسية بصفة عامة، قولهم بثنائية بين الله والمادة، وإن لم تكن ثنائيتهم هذه مطلقة لكنها على أي الأحوال
تذكرنا بمذهب ماني. وأما الهوة الناشئة بين الله والمادة، فقد ملأها الغنوسيون بسلسلة من الصدورات أو الكائنات المتوسطة التي يحتل
المسيح مكاناً بينها، وتكمل عملية الصدور بالعودة إلى الله عن طريق الخلاص.

ولم تكن الخاصة العامة الرئيسية التي يتميز بها الغنوسيون هي ميلهم إلى الثنائية بقدر ما هو الإصرار على الغنوسية أنها سبيل
الخلاص.

أما سبب تبينهم بعض العناصر المسيحية فهو رغبتهم في امتصاص المسيحية وإحلال المعرفة محل الإيمان.

المبتدع ماني

٢٠. أمفت كل الهرطقة، خاصة ذاك الذي يدعى بحق "ماني"، الذي قام من زمن ليس ببعيد في أيام حكم بروبس *Probus*. لقد بدأ ضلاله منذ تمام سبعين عامًا^١، ولا يزال إلى يومنا هذا، أحياء رأوه بأعينهم... لقد طمح في أن يصير أول الأشرار، فأخذ بتعاليم الكل وربط بينها في هرطقة واحدة مملوءة تجاديف وكل شرور، وضع رمادًا في الكنيسة، بل بالأحرى أهلك الذين هم في الخارج، إذ كان زائرًا كالأسد مفترسًا من يجده (١ بط ٥: ٨). لا تُبال بكلماتهم الرقيقة، ولا بتواضعهم المزعوم، فإنهم حيات أولاد أفاعي (مت ٣: ٧). لقد قال يهوذا وهو يخون سيده "السلام يا سيدي" (مت ٢٦: ٤٩)، هكذا لا تهتم بقبالاتهم، بل أحذر خبثهم.

٢١. نشأة ماني ومعلموه

ولئلا أبدو لك إنني اتهمه باطلاً، اسمح لي أن أميل وأخبرك من هو ماني؟ وأحدثك قليلاً عما عُلم به، وإن كان الوقت لا يسمح بالحديث عن كل تعاليمه الغريبة بما فيه الكفاية. ولكن "لكي تجد عونًا في حينه" (عب ٤: ١٦) تذكر ما سبق أن أخبرت به من قبل، وأكرره الآن حتى يعرفه من لم يسبق لهم معرفته، ويتذكروه من سبق لهم معرفته. ماني ليس من أصل مسيحي. حاشا! ولا هو كسيمون محروم من الكنيسة، ليس هو هكذا ولا معلموه. إنما هو سرق شر الآخرين ونسب شرورهم إلى نفسه...

سيتيانوس (سكيثيانوس) وترينثوس أصل المانية

٢٢. لقد كان في مصر إنسان يدعى سيتيانوس (*سكيثيانوس*) *Scythianus* عربي المولد^٢، لا علاقة له لا بالمسيحية ولا اليهودية. سكن في الإسكندرية وتمثل بحياة أرسطو، وصنف أربعة كتب^٣، ودعى أحدها إنجيلًا دون أن تحمل أعمال المسيح إنما حمل مجرد الاسم. والثاني دُعي "الفصول Chapters" والثالث "الأسرار" والأخير هو المتداول اليوم ويدعى "الكنز". ولما قصد سكيثيانوس الذهاب إلى اليهودية ليصنع فسادًا (بتعاليمه الوثنية) ضربه الرب بمرضٍ خطيرٍ موقفًا سمومه، وقد كان له تلميذ يدعى ترينثوس *Terebinthus*.

والذي ساعد على قبولها أنها ظهرت في وقت كانت فيه المدارس الفلسفية والديانات السرية مع انتشار المذاهب الباطنية والتيوصوفية التي يحيط بها السحر الكاذب...

وفي الواقع كان هناك كثير من المذاهب الغنوسية منها:

أ. مذهب كيرنثوس. ب. مذهب مرقيون: كان مسيخًا صدر ضده حكم بالحرمان من الكنيسة وقد نادى بأن إله العهد القديم أقل من إله العهد الجديد الذي ظل مجهولاً إلى أن أعلن نفسه في يسوع المسيح. ج. مذهب عبدة الحياة *The Ophites* ربما كانوا من أصل يهودي إسكندري. د. مذهب باسيلوس. هـ. مذهب فالنتينوس وهو السابق لم يكونا مسيحيين يومًا ولم يحملًا في مذهبيهما عناصر مسيحية هامة.

^١ وصل Routh إلى هذه النتيجة: وهي أن الضلال والجدل الذي حدث بين ماني وأرشلوس كان بين يوليو وديسمبر ٢٧٧م، وبهذا تكون هذه المحاضرات بعد تمام سبعين عامًا كاملة أي قبل ربيع ٣٤٨م.

^٢ "Soracen by birth" وبلا شك كان وثنيًا.

^٣ ذكر أرشلوس (٣ acta) هذه الكتب الأربعة التي كتبها ماني بواسطة تلميذه ترينثوس.

موت تريبنثوس *Terebinthus*

٢٣. ورث تلميذه خطأ الشرير كما ورث ماله وكتبه وهرطقته. فذهب إلى فلسطين، وهناك اشتهر، وقد أدين في اليهودية، لذلك وضع في نفسه أن يذهب إلى بلاد فارس، ولكي لا تُعرف شخصيته هناك استبدل اسمه مدعيًا أنه بيداس *Buddas*^١.

على أي الأحوال صنع قلائل بين كهنة ميثراس *Mithras*، وإذ دخلوا معه في نقاشٍ وفندوا أقواله ببراهين كثيرة ومجادلات، التجأ إلى أرملة معينة لتحمية. وإذ صعد إلى سطح بيته استدعى شياطين الهواء، الذين لا يزال يستخدمهم أتباع ماني إلى اليوم، الذين صنعوا محفلًا تافهًا ممقوتًا، فضربه الله وسقط من السطح وأماته، وهكذا انقطع الوحش الثاني.

كوبريكوس *Cubricus* يخلفه باسم ماني

٢٤. بقيت الكتب المسجلة لكفره، إذ ورثتها الأرملة مع أمواله، وإذ لم يكن لها قريب أو صديق قررت أن تشتري ولدًا يدعى كوبريكوس *Cubricus*^٢، تبنته وعلمته التعاليم الفارسية، فاستل سيفًا شريًا أشهره ضد البشرية.

نشأ العبد كوبريكوس بين الفلاسفة، وعند موت الأرملة ورث الكتب والمال. ولكي يخفي اسم العبودية دعى نفسه "ماني" التي تعني في الفارسية "مجادل"... إذ حسب نفسه باحثًا. لقب نفسه "ماني" كما لو كان سيدًا ممتازًا في الجدل. ومع أنه نسب لنفسه اسمًا مكرمًا في لغة الفارسيين، لكن عناية الله اتهمته، إذ هو ديان نفسه بغير إرادته، فإذ يظن أنه مُكرم عند الفرس إذ يدعى مانيا *Manioe* عند اليونان، ومعناها "الجنون".

ادعى أنه الروح القدس "المعزي"

٢٥. لقد تجاسر فادعى أنه "المعزي" بالرغم مما كتب: "أما من جدف على الروح القدس فلا يُغفر له" (مز ٣: ٢٩). لقد ارتكب تجديفًا بادعائه أنه الروح القدس. ليت هؤلاء الهراطقة ينظرون في اجتماعاتهم إلى ما ادعاه لنفسه!...

لقد اشتهر فبدأ يتحدث بأمرٍ فوق طاقة الشر. حدث أن مرض ابن ملك الفرس، فوعد ماني أنه كإنسان إلهي يشفيه طالبًا الاستغناء عن الأطباء الذين يبرعون، وهنا انفضح كفره، وصار الفيلسوف سجينًا. لم يسجن من أجل انتهاره الملك لأجل الحق، ولا لرغبته في إبادة الأوثان، إنما سُجن بسبب كذبه وادعائه أنه يخلص، مع أنه كان يليق به أن يقول الحق ولا يرتكب جريمة، إذ قتل الطفل بحرمانه من الأطباء الذين كان يمكن أن ينقذوه بالعلاج.

ماني بعد فشله

٢٦. هنا ظهرت شرور كثيرة أخبرك بها: أولاً: تذكر تجديفه.

^١ ذكر القديس إكليمنضس السكندري ١٥: ١٠ Stromata [أطاع بعض الهنود وصايا بوتا Butta وكرسوه كإله من أجل تقديسه العجيب].

^٢ كان عمره حوالي ٧ سنوات.

ثانيًا: عبوديته (إذ حسبها عازًا، فتتكر لها).

ثالثًا: بطلان وعده.

رابعًا: قتله الطفل.

خامسًا: عار سجنه. ولم يقف الأمر عند عار السجن بل هرب منه، هرب الذي ادعى أنه "الباراكليت" و"قائد الحق". إنه لم يتبع يسوع الذي ذهب إلى الصليب، بل على العكس هرب.

سادسًا: علاوة على هذا أمر ملك الفرس بعقاب حراس السجن. وهكذا كان سببًا في موت الطفل خلال عجرفته الباطلة، وسببًا في موت الحراس بسبب هروبه.

فهل يُعبد من ساهم في جريمة قتل؟! أما كان يليق به أن يقتفي مثال يسوع القائل: "فإن كنتم تطلبونني، فدعوا هؤلاء يذهبون؟!" (يو ١٨ : ٨) أما كان يلزمه أن يقول مع يونان "خذوني واطرحوني في البحر... أنه بسببي هذا النوء العظيم عليكم؟!" (يونا ١ : ١٢)

٢٧. جدال بين الأسقف أرشلاوس ومانى

لقد هرب إلى ما بين النهرين^١ وهناك تدرع الأسقف أرشلاوس بالبرّ واصطدم به. لقد جمع محفلًا من الأمم، واتهم مانى في حضرة الفلاسفة كقضاة، إذ خشي أن يصدر عليه المسيحيون حكمًا فلا يبالي به القضاة. قال أرشلاوس لمانى: أخبرنا بماذا تبشر؟

تكلم ذاك الذي فمه مثل قبرٍ مفتوحٍ (مز ٥ : ٩) بتجاديف ضد خالق الكل، إذ قال إنه إله العهد القديم مصدر الشرور، مدللًا بذلك أنه قال عن نفسه أنه "نار آكلة" (تث ٤ : ٢٤).

أفسد الحكيم أرشلاوس برهانه المملوء تجديفًا بقوله: إن كان إله العهد القديم كما تقول أنه يدعو نفسه نار آكلة، فإن ابنه أيضًا قال "جئت لألقي نازًا على الأرض" (لو ١٢ : ٤٩). وإن كنت تُخطئ القائل: "الرب يحيي ويميت" (١ صم ٢ : ٦) فلماذا تكرم بطرس الذي أقام طابيثا وجعل سفيره تموت (أع ٥ : ١٠). وإن كنت تجد فيه شرًا لأنه أعد نازًا، فلماذا لا تجد ذلك في (المسيح) "اذهبوا عني إلى النار الأبدية؟" (مت ٢٥ : ٤١) إن كنت تجد خطأ في القائل: "أنا الله، مبلغ السلام وموجد الشر" (إش ٤٥ : ٧) فكيف تفسر قول يسوع: "ما جئت لألقي سلامًا بل سيفًا؟!" (مت ١٠ : ٣٤)

فإن كان الاثنان تحدثا بكلام مشابه، بل الاثنان هما واحد. فإما أنهما صالحان، وإلا فلماذا لا تلوم يسوع على حديث نطق به، بينما تلوم ذات الحديث إن ورد في العهد القديم؟

تابع الجدال حول إله العهد القديم ويسوع المسيح

٢٨. عندئذ أجابه مانى: "أي إله هذا الذي يسبب العمى"، إذ يقول بولس: "الذين فيهم إله هذا الدهر قد أعمى أذهان غير المؤمنين، لئلا يضيء لهم إنارة إنجيل (مجد المسيح)" (٢ كو ٤ : ٤). لكن أرشلاوس قدم إجابة مفحمة صالحة بقوله اقرأ ما جاء قبل هذا بقليل: "ولكن إن كان إنجيلنا مكتومًا، فإنما مكتوم في الهالكين" (٢ كو ٤ : ٣). أنظر إذن، أنه مكتوم في الهالكين. فليس من الحق أن يُقدم القدس للكلاب (مت ٧ : ٦).

ثم هل إله العهد القديم وحده هو الذي أعمى أذهان غير المؤمنين؟ ألم يقل المسيح نفسه: "من أجل هذا أكلمكم بأمثال، حتى لا يبصروا (لأنهم مبصرين لا يبصرون)؟" (مت ١٣ : ١٣) هل بدافع البغضة يريدونهم إلّا

^١ Mestopetamia.

يبصروا؟ أم بسبب عدم استحقاقهم إذ هم "غمضوا عيونهم؟! (مت ١٣ : ١٥)، فإذا يوجد شر إرادي، تُحجز النعمة عنهم، "لأن كل من له يُعطى فيزداد، ومن ليس له فالذي عنده يؤخذ منه" (مت ٢٥ : ٢٩؛ لو ٨ : ١٨).

لماذا تُعمى بصيرة غير المؤمنين؟

٢٩. هذا والبعض يفسره تفسيراً محققاً يليق بنا أن نأخذ به. إن كان حقاً هو أعمى أذهانهم لكي لا يؤمنوا، فقد أعماه من أجل غاية صالحة. إذ لم يقل: "أعمى أنفسهم" بل "أذهان غير المؤمنين" (٢ كو ٤ : ٤). وهذا معناه أنه يعمي الشهبانيين في ذهنهم الشهباني لكي يخلصوا، ويعمي خبث اللصوصية المستحوز على أذهان السالبيين لكي يخلص الإنسان نفسه.

وإن كنت لا تقبل هذا التفسير، فإنه يوجد تفسير آخر.

الشمس تعمي من كان ضعيف البصر. فمن كانت أعينهم متوعكة يؤذيهم النور ويصبهم العمى. فليست طبيعة الشمس أن تعمي، بل العين غير قادرة على النظر.

هكذا أيضاً غير المؤمنين كمرضى القلوب لا يستطيعون التطلع إلى بهاء اللاهوت. وإذا لم يقل: "قد أعمى أذهانكم لكي لا يسمعو الإنجيل"، بل "ثلاً يضيء لهم إنارة إنجيل مجد المسيح..." لذلك فإن سماع الإنجيل مكفول للجميع، أما مجده فمحفوظ لأولاد المسيح الحقيقيين وحدهم.

من أجل هذا تحدث الرب بأمثال مع الذين لم يقدروا أن يسمعو (مت ١٣ : ٣)، أما التلاميذ ففسر لهم الأمثال على وجه الخصوص (مز ٤ : ٣٤)، لأن ضياء المجد هو للذين يستتبرون، والعمى للذين لا يؤمنون^١. هذه الأسرار التي تشرحها الكنيسة الآن يا من تعبر من فصل الموعوظين لم تشرحها للوثنيين. فلا تشرح للوثني الأسرار الخاصة بالآب والابن والروح القدس، وحتى أمام الموعوظين لا نتكلم عن الأسرار بوضوح، إنما نتحدث عن أمور كثيرة بطريقة محجبة، يفهمها المؤمنون العارفون بها، ولا يتأذى منها غير العارفين.

إعدام ماني

٣٠. بمنزل هذه البراهين وغيرها تُطرح الحجة خارجاً. هكذا قاوم أرشلاوس ماني وطرحه. فهرب من هذا المكان ذاك الذي سبق فهرب من السجن، وذهب إلى قرية صغيرة جداً، متشبهاً بالحياة التي في الفردوس، تركت آدم وذهبت إلى حواء.

لكن الراعي الصالح أرشلاوس المهتم بقطيعه، ما أن سمع بهروبه حتى أسرع بالبحث عن الذئب. وإذا فوجئ ماني برؤية خصمه اندفع هارباً، وكان ذلك آخر هروب له، إذ بحث عنه أتباع ملك الفرس في كل مكان، وقبضوا على الشارد. وهكذا إذ كان يلزم أن يحكم عليه أرشلاوس تم ذلك بواسطة اتباع الملك. ماني هذا الذي عبده تلاميذه ألقى القبض عليه، وأحضر أمام الملك. وبخه الملك على بطلان ادعائه وهروبه، موثقاً إياه بعبوديته، ومنتقماً لقتله ابنه، كما أدانته بسبب قتل الحراس، فأمر بسلخ جلده على النظام الفارسي، وقدم جسده طعاماً للوحوش، أما جلده فعلق على الأبواب كما لو كان كيساً (جرباً). ذاك الذي ادعى أنه الباراكليت، وأنه عالم بالمستقبل، لم يكن يعرف بأنه سيهرب وسيُقبض عليه.

تلاميذ ماني والتقمص

٣١. كان لهذا الرجل ثلاثة تلاميذ هم: توماس وباداس وهرماس. ليطه لا يقرأ أحد إنجيل توماس، فإنه ليس من عمل أحد الاثني عشر رسولاً، بل أحد تلاميذ ماني الثلاثة

^١ إلى هنا انتهى حديث أرشلاوس.

الأشرار.

ليته لا يجتمع أحد مع أتباع ماني مهلكي النفوس... الذين يتكلمون بشرٍ على خالق الأطعمة، وهم يبتلعون ما لذ وطاب بنهم. إنهم يُعلمون أن من يقطع عشبًا من نوعٍ أو آخر يتحول نفسه إلى ذات العشب. فإن كان أحد يجمع عشبًا أو أي نوع من الخضروات يتحول إليه. فإلى كم نوع يتحول المزارعون وأصحاب الحدائق؟! يستخدم البستاني منجله ليحصد أنواعًا كثيرة، فإلى أي نوع يتحول؟! راعي القطيع يصير قطيعًا، فإن قتل ذنبًا فإلى ماذا يتحول؟! كثيرون اصطادوا سمكًا وطيورًا فإلى أيهما يتحولون؟!

أتباع ماني يلعن بدلاً من أن يبارك

٣٢. فليرد أبناء الكسل أتباع ماني الذين يأكلون من تعب العاملين. إنهم يرحبون ببشاشة بالذين يحضرون لهم أطعمة، ثم يعودون فيلعنهم... فإذا يأتيهم أحد بسيط بشيء ما يقولون له: قف خارجًا إلى حين ونحن نباركك. وإذا يأخذ أحد أتباع ماني الخبز على يديه يقول: "أنا لم أصنعك"، ثم يصب اللعنة على العلي، ويلعن خالق الخبز، وبعد هذا يأكل ما قد خلقه الخالق. إن كنت تبغض الطعام، فلماذا تبتسم لمن يقدمه لك؟! وإن كنت تشكر من أحضره لك، فلماذا تجدف على خالق الطعام وموجده؟! كذلك يقول: "أنا لم أزرعك، ليُزرع من زرعك! أنا لم أحصدك، ليُحصد من حصدك. أنا لم أخبزك، ليُخبز بالنار من خبزك..."

تصرفات أتباع ماني الشنيعة

٣٣. هذه أخطاء شنيعة لكنها ليست بشيء إن قورنت بما تبقى. إنني لا أتجاسر فأصف لكم استممامهم أمام الرجال والنساء. لا أجسر فأقول ماذا يحدث عندما يغطسون، وأية قباحات يتعاطون! فليُفهم بالتلميح ما أقوله... فإنه بالحق ندنس فمنا إن تحدثنا عن هذه الأمور المخزية. ألع الوثنيين يستحقون أن يُمقتوا أكثر من هؤلاء؟! ألع السامريين أكثر بؤسًا منهم؟! ألع اليهود أكثر جحودًا منهم؟! ألع الزناة أكثر دنسًا منهم؟! لأن الذي يستسلم للفسق، إنما يفعل ذلك للذة لمدة ساعة، لكنه يعود ويدين عمله، ويقر بأنه تتجس، ويشعر بالحاجة إلى التطهير، ويعترف بفباجة فعله. لكن الماني يقيم مذبحه^١ وسط الأدناس ويلوث فمه ولسانه. وأنت يا إنسان، أتقبل تعليمًا من فم كهذا؟ هل تسلم على إنسان كهذا بقبلة متى اجتمعت معه؟ وإني إذ لا أقول شيئًا عن شرهم الآخر، أما تهرب من دنسهم، إذ هم أشر من الفاجرين، تمجهم النفس أكثر من العاهرات؟!

تحذير من المانيين

^١ يفتخر أتباع ماني بسموهم على الوثنيين أنهم يعبدون الله بلا مذبح ولا هياكل ولا صور ولا ذبائح ولا بخور مع أنهم يستخدمونها (Augustine: Contra Faustum ٢٠: ١٥)

٣٤. هوذا الكنيسة تتصحك وتخبرك عن هذه الأمور المملوءة وحلاً حتى لا تتوَحَّل.

تحدثك عن الجراحات لكي لا تُجرح.

يكفيك أن تعرف ما قلته لك دون أن تمارسه.

الله يردد وكلنا نرتعب، أما هم فيجذفون.

الله ينير وجميعنا ننحني حتى الأرض، وهم يجذفون على السماوات.

لقد كُتبت هذه في كتب أتباع ماني. ونحن نقرأها بأنفسنا، إذ لا يمكننا أن نصدق من يرويها لنا. نعم

من أجل خلاصكم نحن استقصينا بتدقيق عن هلاكهم...

بين الكنيسة وجماعات ماني

٣٥. ليخلصنا الله من ضلال كهذا، ويعطيك كراهية للحية، إذ هم يرقدون منتظرين عقبك، فاندوسوا

أنتم على رأسهم.

تذكروا ما أقوله: أي اتفاق يمكن أن يقوم بيننا وبينهم؟! أية شركة بين النور والظلمة؟! بين سمو

الكنيسة وذنس أتباع ماني؟!

هنا يوجد ترتيب ويقوم النظام، هنا السمو، هنا النقاوة، هنا من ينظر إلى امرأة ليستهيها يُدان (مت ٥:

٢٨).

هنا الزواج المقدس، والعفة ثابتة.

هنا تُكرم البتولية كما بين الملائكة.

هنا يؤخذ الطعام بشكر.

هنا يُحمد خالق العالم.

هنا يُعبد أب المسيح.

هنا نتعلم المخافة والخشوع أمام مرسل الأمطار.

هنا نمجد صانع الرعد والبرق.

٣٦. لترع مع القطيع، ولتهرب من الذئاب

لا تتفصل عن الكنيسة. ولتمقت الذين يشكون في هذه الأمور (أتباع بدعة ماني). وإن لم تدرك

توبتهم، فلا تتق فيهم، مندفعاً بنفسك في وسطهم.

إنه يُسلم إليك وحدانية الله. فتعلم أن تميز مراعي التعليم.

كن صرافاً مژكي. "تمسك بالحسن، وامتنع عن كل شبه شر" (راجع ١ تس ٥: ٢١، ٢٢).

إن كنت تحبهم اعرف ضلالهم وأبغضه.

إنه يوجد طريق الخلاص، إن ازدريت بالقيء ومقتهم من قلبك، وانفصلت عنهم بنفسك لا بشفتيك، إن

تعبدت لأب المسيح إله الشريعة والأنبياء، إن عرفت أن الصالح والعاقل إله واحد بنفسه.

وإذ هو حافظكم كلكم، يحفظكم من السقوط والتعثر ويقيمكم في الإيمان في المسيح يسوع ربنا الذي له

المجد إلى أبد الأبد. آمين.

في الله الآب

"بسبب هذا أحنى ركبتيّ لدى الآب الذي منه تسمى كل أبوة في السماوات وعلى الأرض" (راجع أف ٣: ١٤-١٥).

مقدمة

١. تحدثنا بالأمس عن الله العلة الوحيدة بما فيه الكفاية. وإني لا أقصد بـ "ما فيه الكفاية" من حيث استحقاق الموضوع، لكن حسبما وُهب لضعفنا. كذلك فندت عرضاً أخطاء الهراطقة الأشرار المتعددة الجوانب. والآن ليتنا ننفض عنا غباوتهم وتعاليمهم السامة للنفس. وإذ نتذكر ما يخصهم، لا لكي يصيبنا ضرر، إنما لكي نمقت خطأهم بمرارة، ونرجع إلى أنفسنا متقبلين تعاليم الإيمان الحقيقي المخلصة. فنرتبط خلال الأبوة التي للوحدانية، ونؤمن بالله الآب الواحد، إذ يليق بنا لا أن نؤمن بإله واحد فحسب، بل بخشوع نتقبله أباً للابن الوحيد ربنا يسوع المسيح.

اليهود رافضو المسيح

٢. لنسمو بأفكارنا على اليهود، فإنهم حقاً يقرون بتعاليمهم بالله الواحد، (ولكن ماذا يكون هذا وهم ينكرونه خلال عبادتهم للأصنام؟!) لكنهم يرفضون أنه أبو ربنا يسوع المسيح. وهم بهذا ينقضون أنبياءهم الذين يؤكدون هذا في الأسفار المقدسة، إذ جاء فيها "الرب قال لي: أنت ابني وأنا اليوم ولدتك" (مز ٢: ٧). إنهم إلى يومنا هذا يرتجون مجتمعين على الرب ومسيحه (مز ٢: ٢)، حاسبين أنهم قادرون أن يكونوا أصدقاء للآب وهم منفصلون عن تعبدهم للابن، جاهلين أنه لا يأتي أحد إلى الآب إلا بالابن، القائل: "أنا هو الباب والطريق" (يو ١٤: ٦؛ ١٠: ٩). فمن يرفض الطريق الذي يقود إلى الآب وينكر الباب، كيف يتأهل للدخول لدى الله (الآب)؟!

إنهم يناقضون ما جاء في المزمور الثامن والثمانين: "هو يدعوني أبي. أنت إلهي وصخرة خلاصي. أنا أيضاً أجعله بكرًا أعلى من ملوك الأرض" (مز ٨٩: ٢٦-٢٧). فلو أصرّوا أن هذا قيل عن داود أو سليمان أو واحدٍ من نسلهم، فليظهروا كيف يكون عرشه حسبما وُصف في النبوة، كأيام السماء وكالشمس قدام الله وكالقمر يقوم إلى الأبد؟ كيف يكون هذا ولا يخلطون مما كتب: "قبل كوكب الصبح أنا ولدتك"¹. وأيضاً أنه "يثبت مع الشمس وقدام القمر إلى دور فدور"².

الإيمان بالآب يمهد للإيمان بالابن

٣. على أي الأحوال، لقد بقي اليهود في جحودهم الشرير كعادتهم، سواء في تفسيرهم لهذه العبارات أو غيرها... أما نحن فلنتقبل تعاليم إيماننا الورعة، متعبدين لله الواحد، أبي المسيح (لأن تجريده من مثل هذه الكرامة، ذاك الذي يهب الكل نعمة البنوة يكون جاحداً). لنؤمن بالله الآب الواحد، حتى أننا قبل أن نتعرض لتعليمنا بخصوص المسيح يزرع الإيمان بالابن الوحيد في نفوس السامعين دون أن يحدث ارتباك في تعاليمنا بخصوص الآب.

¹ مز ١١٠: ٣ "من رحم الفجر لك كل حدثك".

² مز ٧٢: ٥ "يخشونك مادامت الشمس وقدام القمر إلى دور فدور".

عدم الفصل بين الآب والابن

٤. فإذا نطق باللقب "الآب" يوحي لنا ضمناً أن نفكر في "الابن". وهكذا من يدعو "الابن" يفكر ضمناً في "الآب".^١ لأنه إن كان الآب فهو أب الابن، بالتأكيد الابن هو ابن الآب. لذلك في حديثنا في قانون الإيمان نقول "نؤمن بإله واحد، الآب القدير خالق السماء والأرض ما يرى"، نكمل "نؤمن برينا يسوع"، قد يظن أحد في سخافة أن الابن يأتي في المرتبة الثانية في السماء وعلى الأرض، لهذا قبلما نبدأ بدعوتها نقول: "نؤمن بالآب والآب"، فإذا نفكر في "الآب" للحال نفكر في الابن، إذ لا يوجد فاصل بين الآب والابن.

أبوة طبيعية

٥. إذن يقال أن الله أب لكثيرين في معنى غير لائق (غير طبيعي)، أما بحسب الطبيعة وبالحق فهو أب لواحد وحده، الابن الوحيد، ربنا يسوع المسيح. لم يوجد في زمن ليصير فيه أباً بل منذ الأزل هو أب الابن الوحيد.^٢

لم يكن قبلاً بدون الابن، ولا بتغيير في قصده صار أباً. إنما قبل وجود أية مادة وأي فهم، وقبل الزمان والدهور كان للآب الأبوة، ممجداً نفسه في هذا أكثر من كل الكرامات الأخرى التي له. إنه ليس أباً خلال شهوة، ولا باتحاد، ولا في جهل، ولا بحدوث زيادة فيه أو إصابته بنقص، ولا في تعاقب زمني، إذ "كل عطية صالحة وموهبة تامة هي من فوق نازلة من عند أبي الأنوار الذي ليس عنده تغيير ولا ظل دوران" (يع ١: ١٧).

أب كامل ولد ابنًا كاملاً، وسلم كل شيء للمولود، إذ قال: "كل شيء قد دُفع لي من أبي" (مت ١١: ٢٧)، وتمجد بواسطة الابن الوحيد، إذ يقول الابن: "أكرم أبي" (يو ٨: ٤٩)، وأيضاً: "كما إنني أنا قد حفظت وصايا أبي وأثبتت في محبته" (يو ١٥: ١٠).

لذلك فنحن نقول مع الرسول: "مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح أبو الرأفة وإله كل تعزية" (٢ كو ١: ٣). ونحني ركبتنا لدى الآب الذي منه تسمى كل أبوة ما في السماوات وما على الأرض (أف ٣: ١٤-١٥). فتمجده مع الابن الوحيد، لأن "الذي ينكر الابن ليس له الآب أيضاً ومن يعترف بالابن، فله الآب أيضاً" (١ يو ٢: ٢٣)، عالمين أن "يسوع المسيح هو رب لمجد الله الآب" (في ٢: ١١).

رد على أتباع ماني المسيئين إلى إله العهد القديم^٣

٦. لذلك فنحن نعبد الله بكونه أب المسيح، خالق السماء والأرض، "إله إبراهيم وإله اسحق وإله يعقوب" (خر ٣: ٦)، الذي من أجل تكريمه بني الهيكل القديم، الذي هو ضدنا الآن (إذ صار اليهود أصحاب الهيكل القديم ضد المسيحيين).

إننا لا نسكت على الهراطقة الذين يفصلون العهد القديم عن العهد الجديد. إنما نؤمن بالمسيح القائل عن الهيكل: "أما تعلمان أنه ينبغي أن أكون في بيت أبي" (راجع لو ٢: ٤٩). وأيضاً: "ارفعوا هذه من ههنا، لا

^١ يقول البابا أثناسيوس: "كل اسم منهما، اللذين أشرت إليهما، غير منفصل عن الآخر ولا منقسم عليه. إذ تكلمت عن الآب فإنه قبلما أتحدث عن الابن أكون قد أشرت إليه ضمناً في الآب. وإن قدمت لكم الابن، فإنني أكون بهذا قد أشرت إلى الآب حتى ولم أكن قد سبق لي الحديث عنه". ١٧ De Sentia Dionysii

^٢ يقول البابا أثناسيوس: "من جهة اللاهوت، فإن الآب وحده هو أب بحق، الابن ابن بحق... وفيهما وحدهما نجد الآب أب على الدوام، والابن ابن على الدوام". عظة على الأريوسيين ١: ٢١.

^٣ راجع المقال السابق في اتهامهم إله العهد القديم كخالق للعالم والمادة إله الظلمة في نظرهم وهو إله عادل وقاسي وشرير.

تجعلوا بيت أبي بيت تجارة" (يو ٢: ١٦). هنا يعترف بأكثر وضوح أن الهيكل السابق في أورشليم هو بيت أبيه. ولكن إن طلب أحد في جحود براهين أخرى على أن أب المسيح هو خالق العالم. فليسمع ما قاله أيضاً: "أليس عصفوران يباعان بفلسٍ وواحدٍ منهما لا يسقط بدون أبي الذي في السماوات؟!¹" وأيضاً قوله: "انظروا إلى طيور السماء، أنها لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع إلى مخازن. وأبوكم السماوي يقوتها" (مت ٦: ٢٦). وأيضاً قوله: "أبي يعمل حتى الآن وأنا أيضاً أعمل" (يو ٥: ٧).

أبي وأبيكم

٧. ولئلا يظن أحد في بساطة أو عن سرعة خاطر مع عنادٍ أن في قول المسيح: "أصعد إلى أبي وأبيكم" (يو ٢٠: ١٧) أنه مساوٍ في الكرامة مع الأبرار، لهذا يجدر بنا أن نصنع تمييزاً. وهو أن اسم "الأب" هو واحد (أي أب لابن واحد)، أما عمله متعدد (أي يعطي البنوة بالتبني لكثيرين). وإذا علم المسيح نفسه هذا قال في عصمة عن الخطأ: "أصعد إلى أبي وأبيكم"، ولم يقل: "أبينا"، بل مميّزاً بينهما. فقال أولاً بما يليق به "إلى أبي" الذي هو بالطبيعة، وبعد ذلك أضاف: "وأبيكم" الذي هو بالبنوة. لأنه مهما بلغ سمو الامتياز الذي تقبلناه بقولنا في صلواتنا: "أبانا الذي في السماوات"، إلا أن العطية هي من قبيل محبة الله المترفة. فنحن ندعوه أباً ليس لأننا ولدنا بالطبيعة من أبينا السماوي، بل انتقلنا من حالة العبودية إلى البنوة بنعمة الأب خلال الابن والروح القدس. لقد سمح لنا أن ننطق بهذا من قبيل محبة الله المترفة غير المنطوق بها.

بنوتنا له بالتبني

٨. لكن إن أراد أحد أن يتعلم كيف ندعو الله "أباً" فليصغ إلى موسى المعلم الممتاز، إذ يقول "أليس هذا هو أباك ومقتنيك، هو عملك وأنشأك؟!²" (تث ٣٢: ٦) وأيضاً إشعياء النبي يقول: "والآن يا رب أنت أبونا نحن الطين... وكلنا عمل يديك" (إش ٦٤: ٨). لقد أعلنت العطية البنوية في أكثر وضوح أننا ندعوه أباً ليس حسب الطبيعة، بل بعمل نعمة الله بالتبني.

العهد الجديد يعلن عن بنوتنا له بالتبني

٩. ولكي نتعلم بأكثر تدقيق من الكتاب المقدس الإلهي أنه ليس فقط يُدعى "أباً" من هو أب طبيعي بل وغيره أيضاً، اسمع ماذا يقول الرسول؟ "لأنه وإن كان لكم ربات من المرشدين في المسيح لكن ليس آباء كثيرين، لأنني ولدنكم في المسيح يسوع بالإنجيل" (١ كو ٤: ١٥). كان بولس أباً للكورنثويين، ليس لأنه ولدكم حسب الجسد، بل خلال التعليم، وولدهم مرة أخرى حسب الروح. اسمع أيضاً أيوب: "أب أنا للفقراء". لقد دعا نفسه أباً، ليس لأنه ولدكم جميعاً، بل من أجل اهتمامه بهم.

وابن الله الوحيد نفسه عندما سُمِر على الشجرة وقت الصلب، لما نظر مريم أمه حسب الجسد ويوحنا تلميذه المحبوب جداً من تلاميذه، قال له: "هوذا أمك". وقال لها: "هوذا ابنك" (يو ١٩: ٢٦، ٢٧)، معلماً إياها أن تصب حبها الأبوي "الأموي"³ فيه، شارحاً بطريقة غير مباشرة ما قيل في لوقا: "وكان أباه وأمه يتعجبان منه"⁴

¹ مت ١٠: ٢٩. استعاض القديس كيرلس وكذلك العلامة أوريجينوس والبابا أثناسيوس كلمة أبي عوض "أبيكم".

² الكلمة اليونانية تستخدم عن الحب الذي للأب أو الأب تجاه الابن، أو العكس حب الابن لوالديه. ولكن يظهر هنا أنه يستخدمها بمعنى الحب الوالدي تجاه الابن.

³ لو ٢: ٣٣ "وكان يوسف وأمه يتعجبان مما قيل فيه".

هذه الكلمات التي يتصيدا الهراطقة قائلين أنه وُلد من رجل وامرأة.

فكما دعيت مريم أمًا ليوحنا من أجل حبها الأموي وليس لأنها أنجبته، هكذا دُعي يوسف أبًا للمسيح من أجل عنايته بتربيته، وليس لأنه أنجبه. إذ يقول الإنجيل: "لم يعرفها حتى ولدت ابنها البكر" (مت ١: ٢٥).

أبوة بالطبيعة وأبوة بالتبني

١٠. وهكذا يمكنني أن أذكركم بأمور كثيرة الآن بطرق مغايرة، لكن على أي الأحوال أقدم لكم شهادة أخرى حتى تتأكدوا أن الله يدعى "أبًا للبشر" في معنى غير مناسب (أي ليس بالطبيعة). هكذا خوطب الله في إشعياء: "فإنك أنت أبونا، وإن لم يعرفنا إبراهيم" و"سارة لم تتمخض بنا" (إش ٦٣: ٦).
وإن كان المرتل يقول "ليضطربوا من هيئته، أب لليتامى (للذين بلا أب) قاضي الأرامل" (مز ٦٨: ٥ LXX)، أليس من الواضح للجميع أنه يدعو الله أبًا للذين فقدوا آباءهم متأخرًا، ليس لأنه ولداهم، بل من أجل اهتمامه بهم وحمايته لهم؟!

ولكن بينما نحن ندعو الله أبًا للبشر في معنى غير مناسب، فهو أب المسيح وحده بالطبيعة لا بالتبني. فبالنسبة للبشر هو أب في زمان، أما بالنسبة للمسيح أب قبل كل زمان، إذ يقول: "والآن مجدني أنت أيها الآب عند ذاتك، بالمجد الذي كان لي عندك قبل كون العالم" (يو ١٧: ٥).

الابن يرى الآب في كماله

١١. إذن نحن نؤمن بإله واحد، الآب غير المفحوص، غير المنظوق به، الذي "لم يره أحد من الناس" (١ تي ٦: ١٦)، بل "الابن الوحيد هو خبر" (يو ١: ٢٨)، لأن "الذي من الله يرى الآب" (يو ٦: ٤٦)، هذا الذي ترى الملائكة وجهه على الدوام في السماوات (مت ١٨: ١٠) حسب درجة كل منهم. أما استتارة وجه الآب (في كماله) فتبقى في نقاوتها للابن مع الروح القدس.

لنطلب أبانا السماوي

١٢. إذ أبلغ هذه النقطة في حديثي، متذكرًا العبارات التي سبق لي الإشارة إليها حالاً، والتي فيها خوطب الله كأب للبشر اندهش للغاية أمام جمود البشر. إن الله بحنوه المتزلف غير المنظوق به تلتطف، فدُعي "أب للبشر" مع أنه في السماء وهم على الأرض. هو خالق سرمدي وهم خُلقوا في زمان، هو الممسك بالأرض في قبضة يده، وهم في الأرض كالعشب والجنبد^١. ومع هذا فإن الإنسان يبحث عن أبيه السماوي، قائلاً: للعود "أنت أبي وللحجر أنت ولدنتي" (إر ٢: ٢٧). لهذا السبب أظن أن النبي يخاطب البشرية قائلاً: "انسي شعبك وبيت أبيك" (مز ٤٥: ١٠) أي انسي من اخترتيه أبًا لك، الذي تطلبه نفسك لأجل هلاكك.

الأشرار يطلبون أبوة إبليس

١٣. لا يقف الأمر عند العود والحجارة بل اختار الإنسان حتى الشيطان مهلك النفوس ليكون أبًا له. لهذا انتهر الرب قائلاً: "أنتم تعملون أعمال أبيكم" (يو ٨: ٤١، ٤٤) أي الشيطان، أب البشر بالخداع لا بالطبيعة.

فكما صار بولس بتعليمه الصالح أبًا للكورنثيين (١ كو ٤: ١٥)، هكذا دُعي الشيطان أبًا للذين وافقوه بإرادتهم الحرة.

^١ إش ٤٠: ١٢، ٢٢ الجنبد نوع من الجراد.

إننا لا نقبل الشرح الخاطئ للعبارة: "أولاد الله ظاهرون، وأولاد إبليس" (١ يو ٣: ١٠)، قائلين أنه بالطبيعة يخلص البعض وبالطبيعة يهلك آخرون. إنما نحن ندخل في بنوة مقدسة كهذه ليس عن إلزام بل باختيار، كما لم يكن يهوذا الخائن ملزمًا أن يكون ابنًا للشيطان والهلاك، وإلا ما كان يمكنه أن يُخرج الشياطين باسم المسيح، لأن الشيطان لا يخرج شيطانًا" (مر ٣: ٢٣).

ومن جانب آخر ما كان لبولس أن يتحول من الاضطهاد ليكون مبشرًا. لكن التبني في قوتنا "أي بإرادتنا"، إذ يقول يوحنا إن كثيرين "قبلوه فأعطاهم سلطانًا أن يصيروا أولاد الله، أي المؤمنين باسمه" (يو ١: ١٢)، أي لم يكونوا قبل الإيمان أولاد الله، إنما باختيارهم بالإيمان تأهلوا لذلك.

ننسلك كما يليق بالبنوة

١٤. إذ نعرف هذا، فليكن حديثنا روحياً حتى نحسب مستحقين لبنوتنا لله، إذ كثيرون "ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله" (رو ٨: ١٤). إننا لا ننتفع شيئاً من دعوتنا مسيحيين دون أن تكون لنا أعمال لائقة. إنه يقال "لو كنتم أولاد إبراهيم لكنتم تعملون أعمال إبراهيم"، "وإن كنتم تدعون أباً الذي يحكم بغير محابة حسب عمل كل واحد، فسيروا زمان غربتكم بخوف"، "لا تحبوا العالم ولا الأشياء التي في العالم. إن أحب أحد العالم فليست فيه محبة الآب" (يو ٨: ٣٩؛ ١ بط ١: ١٧؛ ١ يو ٢: ١٥).

إذن ليتنا أيها الأبناء الأحباء نمجد أبانا السماوي بأعمالنا الصالحة. "لكي يروا أعمالنا الحسنة ويمجدوا أبانا الذي في السماوات"، "ملقين كل همنا على أبينا، لأنه يعلم ما نحتاج إليه" (مت ٥: ١٦؛ ١ بط ٥: ٧؛ مت ٨: ٦).

بنوتنا لله لا تنفي بنوتنا لوالدينا

١٥. لكن ليتنا ونحن نمجد أبانا السماوي، نمجد أيضاً "آباء أجسادنا" (عب ١٢: ٩). وقد أشار الرب بنفسه بوضوح إلى هذا الأمر في الناموس والأنبياء قائلًا: "أكرم أباك وأمك لكي يكون لك الخير، وتطول أيام حياتك على الأرض" (راجع تث ٥: ١٦). ليلاحظ الحاضرون هذه الوصية باهتمام... "أيها الأولاد أطيعوا والديكم في كل شيء لأن هذا مرضي في الرب" (كو ٣: ٢٠).

فلم يقل الرب: "من أحب أباً أو أمًّا فلا يستحقني" لكي بجهلك تخطيء معانداً ما كُتب بحق، بل أضاف: "أكثر مني" (راجع مت ١٠: ٣٧). فمتى كان آباؤنا الأرضيون مضادين في الفكر لأبينا السماوي عندئذ نلتزم بالطاعة للمسيح.

أما إن وضعنا عائقاً لصنع البرّ بجحودنا، ناسين بركاتهم علينا، مستهينين بهم، عندئذ تجد الوصية التالية مكاناً: "من يلعن أباً أو أمًّا موتاً يموت" (راجع خر ٢١: ١٧؛ لا ٢٠: ٩؛ مت ١٥: ٤).

إكرام الوالدين

١٦. فضيلة المسيحيين الأولى هي إكرام الوالدين ومكافأتهم عن متاعب من أنجبوهم، مقدمين لهم كل راحة قدر ما يستطيعون... فيستريحون بالراحة التي نقدمها لهم، وعندئذ يثبتون لنا البركات التي نالها يعقوب بمكر عوض أخيه، ويتقبل أبونا السماوي هدفاً الصالح، ويحكم علينا باستحقاق أن "يضيء الأبرار كالشمس في ملكوت أبيهم" (مت ١٣: ٤٣)، الذي له المجد مع الابن الوحيد مخلصنا يسوع المسيح ومع الروح القدس المحيي الآن والي الأبد والي أبد الأبد. آمين.

المقال الثامن

القدير

"الله العظيم القوي، رب المشورة العظيمة، القدير في أعماله، الله العظيم، الرب القدير ذو اسم عظيم" (إر ١٩ : ١٨-١٩ LXX)

مقدمة

١. بإيماننا بالله الواحد نهدم كل اعتقاد شرير في آلهة كثيرة، مستخدمين ذلك كدرعٍ ضد اليونانيين وكل قوة الهرطقة المقاومين.

وإذ نضيف "تؤمن بإله واحد الله الآب" نناقض أهل الختان الذين ينكرون ابن الله الوحيد، إذ كما تحدثنا بالأمس أن بقولنا "الآب" نوضح ضمنا الحقائق الخاصة برينا يسوع المسيح قبل أن نشرحها، إذ هو أب لابن، حتى حيث ندرك وجود الله ندرك ضمنا "الابن".

ونضيف إلى ذلك أنه "قدير (ضابط الكل)" مؤكدين هذا بسبب اليونانيين واليهود^١ معًا وكل الهرطقة.

قدرته وسلطانه على السماء والأرض

٢. فمن جهة اليونانيين يقول البعض إن الله نفس (Soul) العالم^٢. وآخرون قالوا إن سلطانه يسود السماء وحدها دون الأرض. ويشترك البعض معهم في خطأهم مسيئين استخدام العبارة القائلة "حقك إلى السحاب"^٣، فتجاسروا بتحديد عناية الله بالسحب والسموات، عازلين الله عن شؤون الأرض، ناسين المزمور القائل: "إن صعدت إلى السموات، فأنت هناك، وإن نزلت إلى الجحيم، فأنت هناك" (مز ١٣٩ : ٨). فإن كان ليس شيء أعلى من السموات والجحيم أدنى من الأرض، فإن من يدير أمور الجحيم السفلي يهتم بالأرض أيضًا.

قدرته وسلطانه على النفس والجسد

٣. سبق أن قلت أن الهرطقة لا يعرفون إلهًا واحدًا قديرًا، فإنه يُحسب قدير إن كان يدبر كل الأمور وله سلطان على كل شيء. أما القائلون بوجود إله هو رب النفس وآخر رب الجسد، فإنهم يجعلون منهما إلهين غير كاملين، يحتاج كل منهما للآخر.

كيف يكون قديرًا من كان له سلطان على النفس دون الجسد، أو الجسد دون النفس؟! لكن الرب يدحض هؤلاء بقوله: "بل خافوا بالأحرى من الذي يقدر أن يهلك النفس والجسد كليهما في جهنم" (مت ١٠ : ٢٨). فلو لم يكن لأبي ربنا يسوع المسيح سلطان عليهم أما كان يخضعهما للعقاب؟! إذ كيف يأخذ الجسد الذي تحت سلطان آخر ويلقيه في جهنم "إن لم يربط القوى أولاً وحينئذ ينهب بيته؟!" (مت ١٢ : ٢٩)

^١ كثيرًا ما أنكر اليهود قدرة الله خلال انحرافهم في الإيمان وعبادتهم للأوثان. هذا ونسب الفريسيون أعمال الخطاة إلى الحظ والقدر، وينكر الـ Basmen theans العناية الإلهية قائلين إن العالم قد وجد خلال حركة تلقائية ذاتية (قوانين الرسل ٦ : ٦).

^٢ ذكر شيشرون أن فيثاغورس قال بأن الله هو نفس العالم الذي يخترق كل الطبيعة. Cicero, De Natura Deorum. كما قيل إن هذا الفكر نادى به الرواقيون والأفلاطونيون وصار تعليمًا عامًا.

^٣ مز ٣٦ : ٥. "أمانتك إلى الغمام" يبدو أن القديس كيرلس استعار هذه العبارة عن القديس إكليمنضس السكندري الذي قال إن البعض فهم من هذا المزمور بأن العناية الإلهية تنزل من القمر كقول أرسطو ٩ : ١٤ Stromata.

بين قدرة الله وطول أناته

٤. تعرفنا الأسفار المقدسة وتعاليم الحق بإله واحد وحده، مدبر كل الأمور بقدرة، يتحمل كثيرًا بإرادته. إنه صاحب سلطان على الوثنيين وبطول أناته يحتملهم. له سلطان على الهراطقة الذين لا يقيمونه عليهم إلهًا، وبطول أناته يحتملهم. له سلطان على الشياطين وبطول أناته يحتملهم، ليس لأنه محتاج إلى سلطان كمن هو ضعيف... لقد سمح للشياطين أن تعيش لغرضين:

١. لكي تخزي نفسها بنفسها بالأكثر في حربها.

٢. لكي يتكلل البشر بالنصرة.

يا لعناية الله الحكيمة! التي تستخدم نية الشرير كأساس لخلاص المؤمنين! فكما استخدم نية إخوة يوسف التي لا تحمل أخوة كأساس لتدبيره، وإذ سمح لهم ببيع أخيه بدافع الكراهية، وجعلها فرصة ليقيمه ملكًا، الأمر الذي يريده الله. هكذا سمح الشيطان أن يصارع لكي يتكل المنتصرون. وإذ تتحقق النصره يخزي هو بالأكثر إذ هزمه الضعفاء، ويكرم البشر بالأكثر بالنصرة على من كان يومًا ما رئيس ملائكة.

لا يفلت شيء من سلطان الله

٥. إذن لا شيء يفلت من سلطان الله، إذ يقول الكتاب: "لأن الكل عبيدك" (مز ١١٩: ٩١). الكل سواء كخدم الله، لكن من هذه الأشياء كلها فقط واحد وحده هو ابنه الوحيد، وواحد هو روحه القدوس، كلاهما مستثنيان. أما الباقي فجميعهم يخدمون الله بالابن الوحيد في الروح القدس. إذن الله يحكم الكل، وبطول أناته يحتمل حتى المجرمين واللصوص والزناة، محددًا وقتًا معينًا لمجازاة كل أحد، لكن إن أصر من يحذرهم على عدم التوبة من القلب ينالون دينونة عظيمة.

الغنى والذهب لله القدير

٦. الغنى والذهب والفضة لا تخص الشيطان كما يظن البعض^١، بل "كل غنى العالم هو للمؤمن، وأما الكافر فليس له فلس" (أم ١٧: ٦ LXX). ليس أحد كافر مثل الشيطان، ويقول الله بوضوح: "لي الذهب ولي الفضة لمن أعطيها؟!" (راجع حجي ٢: ٨)

فإذ تستخدم هذه الأمور حسنًا لا تخطيء عندما تمتلكها، لكنك إذ تسيء استخدام ما هو صالح فلنك لا تلم تدبيرك في جسارة تلقي باللوم على الخالق^٢. إذن يمكن للإنسان أن يتبرر بواسطة المال، إذ يسمع القول: "كنت جوعانًا، فأطعمتوني" (مت ٢٥: ٣٥، ٣٦)، وهذا يتحقق بالمال. وأيضًا قوله: "كنت عريانًا فكسوتوني" يتحقق أيضًا بالمال.

أتريد أن تتعلم أن المال يمكن أن يكون بابًا للدخول في ملكوت السماوات؟!

إنه يقول "بع أملاكك وأعط الفقراء فيكون لك كنز في السماء" (مت ١٩: ٢١).

الغنى ليس خاصًا بالشيطان

٧. لقد ذكرت هذه الملاحظات بسبب الهراطقة الذين يحسبون الممتلكات والمال وأجساد البشر ملعونة. فإنني لا أريدك عبدًا للمال، ولا تنتظر إلى ما وهبك الله لاستخدامه كعدو لك. ليس لك أن تقول عن الغنى إنه

^١ نادى بهذا أتباع ماني (راجع الأب ارشلاوس ٤٢ Disputatio، وأبيفانيوس عن الهراطقة ٦٦: ٨١).

^٢ راجع أغسطينوس: عظات علي فصول المنتخبة من العهد الجديد.

خاص بالشيطان، لأنه وإن قال لك: "أعطيك هذه جميعها، لأنه قد دفع إلي" (مت ٤ : ٩، لو ٤ : ٨) فلتحتقر كلامه إذ لسنا محتاجين لتصديق الكذاب. فإنه وإن التزم أن ينطق بالصدق إنما لحضور الله، إذ لم يقل: "أعطيك هذه جميعها"، بكونها ملك له، بل "قد دفع إلي" أي ليس له سلطان عليها، بل يعترف أنه عهد إليه بها، وصار واهباً لها إلى زمانٍ، وفي نفس الوقت يتساءل المفسرون ما إذا كان قوله باطلاً أم صادقاً؟!

تجديف الهرطقة

٨. إذن الله واحد، الآب القدير، الذي تجاسر الهرطقة بالتجديف عليه. نعم تجاسروا بالتجديف على رب الصباؤوت^١، الجالس على الشاروبيم (مز ٨٠ : ١).
تجاسروا أن يجذفوا على أدوناي^٢.
تجاسروا بالتجديف على من أعلن عنه الأنبياء أنه الله القدير. أما أنتم فاعبدوا الله الواحد القدير، أبا ربنا يسوع المسيح.
اهربوا من خطأ الإيمان بآلهة كثيرة.
اهربوا من كل هرطقة، وقلوا مع أيوب: "اطلب من الرب القدير، الفاعل عظام لا تُفحص، وعجائب لا تُعد" (راجع أي ٥ : ٨، ٩) ... الذي له المجد إلى أبد الأبد. آمين.

^١ أي الجنود.

^٢ أي "الرب" وهم اسم قديم يحمل العظمة والجلال، ويخص الله وحده.

خالق السماء والأرض

ما يُرى وما لا يُرى

"من هو هذا الذي يخفي مشورة عني، ويحفظ كلمات في قلبه،
ويظن أنه يخيفها عني؟" (أي ٣٨: ٢-٣ LXX).

لا يراني أحد ويعيش!

١. يستحيل علينا أن نتطلع إلى الله بأعين بشرية، لأن غير الجسدي لا يقع تحت الأعين الجسدية. وقد شهد الابن الوحيد - ابن الله نفسه - قائلاً: "الله لم يره أحد في أي زمان" (يو ١: ١٨). فإن فهم أحد مما ورد في حزقيال (حز ١: ٢٨) إنه رأى الله، فإنه ماذا يقول الكتاب المقدس؟ إنه رأى "شبه مجد الله"، وليس الرب ذاته كما هو في حقيقته، بل شبه مجده. وبمجرد رؤيته شبه مجد الله، وليس المجد ذاته، سقط على الأرض مرتعداً. فإن كانت رؤية شبه المجد تملأ الأنبياء رعدة، فبالأكيد إن حاول أحد رؤية الله ذاته يموت، وذلك كالقول: "الإنسان لا يرى وجهي ويعيش" (خر ٣٣: ٢٠).

من أجل هذا فإن الله بחנו رحمته بسط السماوات أمام لاهوته لكيلا نموت. لست أقول هذا من عندي بل هو قول النبي: "لأنك تشق السماوات وتنزل من حضرتك، تنزل الجبال (وتذوب) (إش ٦٤: ١). لماذا تتعجب من سقوط دانيال عند رؤيته شبه المجد، إن كان دانيال عند رؤيته جبرائيل - الذي هو ليس إلا مجرد خادم الله - ارتعب للحال وسقط على وجهه ولم يجسر النبي أن يجيبه بالرغم من أن الملاك نفسه، جاء على شبه ابن بشر؟! (راجع دا ١٠: ٩، ١٦، ١٨) إن كان ظهور جبرائيل أروع الأنبياء، فهل يرى الإنسان الله كما هو ولا يموت؟!

نراه خلال أعماله

٢. يستحيل على الأعين البشرية أن ترى الطبيعة الإلهية، إنما تدرك قوتها بعض الإدراك خلال أعماله الإلهية. يقول سليمان: "بعظم جمال المبروءات يبصر ناظرها على طريق المقايسة"^١. لم يقل إن الخالق يُرى خلال خليقته، بل أوضح أن ذلك يكون "تسيياً". فإن الله أعظم مما يدركه أي إنسان خلال معانيته عظمة الخليفة. وإذا يرتفع قلبه أكثر بمعانيته أكثر (لعظمة الخليفة) ينال إدراكاً أعظم نحو الله.

إن كنا لا نفهم عرشه، فكيف ندرك طبيعته؟

٣. أتريد أن تتعلم استحالة فهم طبيعة الله؟ يقول الثلاثة فتية في أتون النار بتسبيحه مقدمين المجد لله: "مبارك أنت يا من ترى الأعماق وتجلس على الشاروبيم" (تسبحة الثلاثة فتية ٣٢). أخبرني ما هي طبيعة الشاروبيم وبعد ذلك تطلع إلى الجالس عليه؟ قدم حزقيال وصفاً لهم قدر ما يستطيع قائلاً إن لكل واحد منهم أربعة أوجه: فشبه وجوها وجه إنسان، ووجه أسد، ووجه ثور، ووجه نسر، ولكل

^١ حك ١٣: ٥. يقول الأب ثاوفيلس الأنطاكي ٦ & ١٠: ١ Autolycus "حقاً لا يمكن أن يُرى الله بأعين بشرية، بل تنتظر وتدرك عنايته وأعماله... غير المدرك لا تنتظره أعين الجسد".

واحد منها ستة أجنحة^١، لهم أعين من كل جانب، وتحت كل واحد فواحد عجلة ذات أربعة جوانب. وبالرغم مما أوضحه لنا النبي، إلا أننا عند قراءته لا نستطيع أن نفهم. فإن كنا نعجز عن فهم العرش الموصوف، فكيف نفهم الجالس عليه غير المنظور ولا منطوق به؟! إذن يستحيل علينا أن نتحرى عن طبيعة الله، إنما في مقدورنا أن نقدم تسابيح لمجده من أجل أعماله المنظورة.

خالق السماء والأرض

٤. نقول في قانون إيماننا "(نؤمن) بإله واحد. الآب القدير، خالق السماء والأرض، ما يُرى وما لا يُرى"، متذكّرين أن أبا ربنا يسوع المسيح هو نفسه خالق السماء والأرض. وبهذا نُحفظ من أخطاء الهرطقة الأشرار الذين يتجاسرون فيقولون شرًا على خالق هذا العالم كلي الحكمة، إذ لهم عيون جسدية، أما عيون قلوبهم فأظلمت.

حكمة الله خالق الجلد

٥. لأنه أي خطأ يجدونه في خليفة الله المتسعة؟! هؤلاء الذين كان يليق بهم أن يتأملوا اتساع السماوات مندهشين... ويتعبدوا لخالق السماء كقبة، وموجد مادة السماء (السحب) من الماء، إذ "قال الله ليكن جلد في وسط المياه" (تك ١: ٦).
تكلم مرة فتحقق قوله وبقي دون أن يسقط^٢...

جمال الخليفة يتحدث عن الله

٦. ولكن ماذا؟ أما ندهش معجبين من بنيان الشمس؟ فإنها تبدو للنظر جسمًا صغيرًا لكنها تحمل قوة جبارة. تشرق من المشارق، وترسل أشعتها حتى المغارب. وكما وصف المرتل شروقها عند الفجر قائلاً: "مثل العريس الخارج من خدره" (مز ١٩: ٥).

لقد رسم لنا بهاءها وخفة حرارتها عند بداية شروقها للبشر حتى إذا ما جاء وقت الظهيرة غالبًا ما نهرب من التطلع إليها. فشروقها متعة للجميع، إنها شبيهة بالعريس!

تأمل أيضًا تدابيرها (بل بالأحرى تدابير الله موجد عملها)، كيف تظهر في الصيف مرتفعة حيث يطول فيه النهار، فتعطي للبشر فرصة للعمل، وفي الشتاء يزداد البرد ويطول الليل لأجل راحة البشر... كما تساهم في أثمار منتجات الأرض!

تأمل كيف تتوالى الأيام، وتتوافق مع بعضها البعض، في نظامٍ لائقٍ. في الصيف يطول النهار وفي الشتاء يقصر، وأما في الربيع والخريف فيتساوى كل منهما مع الآخر.

وهكذا يحمل الليل نظامًا مشابهاً، إذ يقول المرتل: "يوم إلى يوم بيدي قولاً، وليل إلى ليل يُظهر علمًا" (مز ١٩: ٢).

يا للهرطقة الصم، إذ تصرخ هذه جميعها مدوية بصوتٍ عالٍ خلال نظامها المبدع، قائلة: "ليس إله آخر سوى الخالق، موجد هذه النظم ومدبر نظام المسكونة!"

^١ ذكر حزقيال (١: ٦-١١) أن عدد الأجنحة للمخلوقات الأربعة الحية أربعة، كما جاء في النسخة العبرية (١٠: ٢١). أما السبعينية فقالت ٨ أجنحة. ويبدو أن القديس كيرلس خلط ما هو جاء في حزقيال مع ما جاء في إشعياء ٦: ٢ أن الساروفيم لكل منهم ٦ أجنحة.

^٢ تأمل القديس في الشمس والقمر والنجوم قدر ما كانت توحى إليه علوم الفلك في أيامه.

موجد النور والظلمة

٧. لا تسمح لأحد أن يقول إن خالق النور غير خالق الظلمة، بل تذكر ما جاء في إشعياء! أنا الله "مصور النور وخالق الظلمة" (إش ٤٥: ٧).

لماذا تتكدر من هذا يا إنسان؟ لماذا تستاء من الفرصة المعطاة لك للراحة؟! هل الخادم يسمح له سيده بالراحة لو لم تحتج الظلمة عليه بضرورة الراحة؟! فبعد إرهاق النهار ننتعش ليلاً، فنقوم في الصباح، وقد تجددت قوانا بعد أثقال أتعاب النهار وذلك بفضل راحة الليل.

أي شيء أنفع للإنسان من الليل لبلوغ الحكمة؟! ففيه غالباً ما نتأمل أعمال الله، وفيه نقرأ الأقوال الإلهية ونفهمها، وفيه نضبط أذهاننا بالأكثر لنترنم بالأبصلمودية *Psalmody* والصلاة! أما يحدث هذا بالليل؟! متى نتذكر خطايانا؟ أما يكون ذلك في الليل غالباً؟! إذن ليتنا لا نقبل فكراً شريراً ينادي بأن إلهاً آخر هو صانع الظلمة، إذ نحن ندرك بخبرتنا أنها صالحة ونافعة^١.

مدبر الكون!

٨. كان يليق بهم بالأحرى أن يندهشوا متعجبين لا من نظام الشمس والقمر فحسب بل ونظم النجوم الدقيق وظهور كل كوكب في حينه. ومن ظهورها يعرف الصيف والشتاء، وبعضها يعلن وقت الغرس وغيرها تعلن عن بداية الإبحار^٢.

فالإنسان وهو جالس في سفينته يبحر بين أمواج بلا حدود، موجهاً سفينته بتطلعه إلى النجوم. وكما يقول الكتاب المقدس عن هذه الأمور "وتكون لآيات وأوقات... وسنين" (تك ١: ١٤)، وليس لأجل التنجيم والخزعات...

تأمل كيف وهبنا بنعمته أن يزداد نور النهار تدريجياً، فلا نرى (الشمس) مشرقة دفعة واحدة، بل تبدأ بنور بسيط حتى تقدر العين أن تتطلع إليه إلى أن تبلغ الشعاع القوي. تأمل كيف تسعف أشعة القمر ظلام الليل؟!

المهتم بالمياه والأمطار!

٩. "من هو أب للمطر؟! ومن ولد مآجل الطل؟!" (أي ٣٨: ٢٨)
من اكتنز الهواء في السحب، وربطها ليحمل مياه الأمطار، فتأتي ذهبية اللون (أي ٣٧: ٢٢) من الجنوب، بنظام واحد تارة، وفي شكل دوائر متعددة وأشكال متباينة تارة أخرى؟! من يحصي الغيوم بالحكمة (أي ٣٨: ٣٧)، إذ قيل في أيوب: "يعرف انفصال السحاب؟!" (أي ٣٧: ١٦ LXX)

من هو "المخرج الريح من خزائنه" (مز ١٣٥: ٧)، وكما قلنا قبل: "من ولد قطرات الندى ومن بطن من خرج الثلج؟!" (راجع مز ١٣٥: ٧؛ أي ٣٨: ٢٨) فإن مادتها ماء، وقوتها كالحجر! في وقت ما يصير الماء

^١ أفاض القديس يوحنا الذهبي الفم في الحديث عن فائدة الليل للإنسان والحيوان في مقاله "عناية الله".

^٢ في المرجع السابق تحدث القديس يوحنا الذهبي الفم عن استخدام حركات النجوم في معرفة اتجاه الرياح وسرعتها وتوقيت الميعاد المناسب للإبحار، كما تستخدم في معرفة اتجاه السفينة وهو في وسط البحر.

تَلَجًا كالصوف (راجع مز ١٤٧: ١٦)، وأخرى يذريه صقيعًا كالرماد، وثالثة يصير مادة حجرية. إنه يحكم الماء كما يريد. طبيعة الماء واحدة لكن عمله متعدد في القوة، فيعمل في الكرمة خمراً يفرح قلب الإنسان، وفي الزيتون زيتاً يلمع وجهه، وفي الخبز يسند قلب الإنسان (مز ١٠٤: ١٥)، ويوجد في كل أنواع الفاكهة التي خلقها الله^١.

ما أعجب أعمالك يا رب!

١٠. ما هي فاعلية هذه العجائب؟! هل تجدف على الله أم تتعبد له؟ هذا وإنني لم أتكلم شيئاً عن أعمال حكمته المنظورة. تأمل معي في الربيع وفي الزهور المختلفة، تجد لكل واحدة طابعها الخاص، فمن وردة قرمزية اللون، وزنبقة ناصعة البياض، وكلتاها وُجدتا من أرض واحدة، وارتوتا من مياه واحدة؟! ومن الذي خلقهما هكذا؟!!

تأمل معي في عنايته الدقيقة، ففي الشجرة ذاتها تجد ما هو للمأوى، وأجزاء منها عبارة عن ثمار متنوعة، والخالق واحد. وعلى نفس الكرمة نجد منها ما هو للحرق، وما هو للنمو (البراعم)، وما هو أوراق وما هو حلق^٢ وعناقيد.

تعجب أيضاً من كثرة العقد التي تتخلل قسبة الغاب لأنها من صنع الخالق! من أرض واحدة تخرج الزحافات والوحوش المفترسة والقطيع، وعليها تثبت الأشجار، وتوجد الأطعمة والذهب والفضة والنحاس والحديد والحجر!

طبيعة المياه واحدة فيها يسبح سمك، وبها ترتوي الطيور، الأولى تسبح فيها، والثانية تهيم في الجو.

تأمل عظمة البحر!

١١. في هذا البحر العظيم المتسع تعيش كائنات بلا عدد (مز ١٠٤: ٢٥)، من يقدر أن يصف روعة الأسماك التي تعيش فيه؟! من يقدر أن يتصور عظمة الحيتان وطبيعة الحيوانات البرمائية: كيف تعيش تارة على أرض صماء وأخرى وسط المياه؟!!

من يستطيع أن يخبر عن أعماق البحار وسعتها وقوة أمواجها الهائلة؟! ومع هذا فهي تقف عند حدود مرسومة لها، إذ قيل: "إلى هنا تأتي ولا تتعدى، وهنا تتخم كبرياء لجبك" (أي ٣٨: ١١) فيظهر البحر الطاعة بوضوح، إذ يجرى ليقف عند حدود الشاطئ في خط واضح صنعته الأمواج، معلناً لناظره أنه لا يتعدى الحدود المرسومة له.

تأمل جمال الطيور!

١٢. من يقدر أن يميز طبيعة طيور السماء؟! كيف يتمتع بعضها بأصوات ملحنة، وآخر مزرقش بكل الألوان في أجنحتها، والبعض يهيم في الهواء كأنه بلا حراك مثل النسر. فإنه بأمر إلهي "ينشر العقاب (أو الصقر hawk) جناحيه نحو الجنوب" (أي ٣٩: ٢٦).

من يقدر أن يرى الارتفاع الشامخ للصقر؟!... فكيف تريد أن تفهم خالق الكل؟!!

تأمل عجائب الحيوانات!

١٣. مَنْ من البشر يعرف حتى أسماء كل الحيوانات المفترسة؟! أو من يقدر أن يميز فسيولوجية كل منها بتدقيق؟! فإن كنت لا تعرف عن الوحوش المفترسة مجرد أسمائها فكيف تفهم خالقها؟!!

^١ راجع مقال ١٦: ١٢، والقديس الذهبي الفم ١٢: ٢. Statues

^٢ الخالق أو المحلاق هو جزء لولبي رفيع من النبتة المعترشة، يساعدها على التعلق بسنادها.

لقد أصدر الله أمرًا واحدًا قائلاً: لنُخرج الأرض ووحشًا وبهائم وزحافات كأجناسها (راجع تك ١ : ٢٤). من أرضٍ واحدةٍ، وبأمرٍ واحدٍ خرجت طبائع متنوعة: الحمل الوديع والأسد الكاسر، ولكل منها غرائز متنوعة... تحمل صورًا لشخصيات متنوعة من البشر. فالثعلب يعلن لنا عن الخداع في الإنسان، والحية خيانة الأصدقاء، والحصان في صهيله جموح شهوات الشبان (إر ٥ : ٨)، والنملة النشيطة توقف الكسلان والخامل. فإن قضى الإنسان حياته في كسلٍ تعلمه الحيوانات غير العاقلة، إذ يويخه الكتاب المقدس قائلاً: "اذهب إلى النملة أيها الإنسان، وكن أحكم منها" (أم ٦ : ٧ LXX). فإذ تتأملها وهي تخزن طعامها في الوقت المناسب تمثل بها لتخزن نفسك ثمار أعمال صالحة للعالم الآتي.

أيضًا "اذهب إلى النحلة وتعلم منها مقدار نشاطها" (أم ٨ : ٨ LXX). تأمل كيف تنتقل بين كل أنواع الزهور المختلفة لتجمع لك عسلها. هكذا لتنتقل أنت بين الأسفار المقدسة، وتتمسك بخلاص نفسك، وإذ تشبع منها تقول: "وجدت كلامك حلواً في حلقي، أحلى من العسل والشهد في فمي" (مز ١١٩ : ١٠٣).

تمجيد الخالق مانح الخليقة فاعليتها

١٤. ألا يليق بنا بالأحرى أن نمجد الخالق؟! لأنه إن كنت لا تعرف طبائع كل الأشياء فهل خلقت بلا نفع؟! أما تعرف فعالية كل الأعشاب؟! أما تعلم الفوائد التي تستفيدها من كل حيوان؟! إنه حتى الأفاعي السامة نأخذ منها ترياقها لحفظ البشر.

لكنك تقول "الحية مرعبة"، خف الرب فلا تؤذيك!

"العقرب يلدغ"، خف الرب وهو لا يلدغك!

"الأسد مفترس"، خف الرب، فيرقد بجوارك كما حدث مع دانيال!

عجيبة حقًا هي الحيوانات: فالبعض عنيف في لدغاته كالعقرب، والبعض قوته في أسنانه، والآخر يحارب بمخالبه بينما تكون قوة الأفاعي في تفرسها. من هذه الأعمال كلها افهم قوة الأفاعي.

تأمل داخلك

١٥. ربما لا تعرف هذه الأمور، وإذ ليس لك شيء مشترك مع الخليقة الخارجية. ادخل إلى ذاتك، ومن خلال طبيعتك تأمل خالقها.

أي خطأ تجد في تكوين جسدك؟! كن سيدًا لنفسك فلا تخرج شرًا من أعضائك!

آدم في البداية كان في الفردوس بلا ملابس، فليس بسبب أعضائه طُرد، لأنها ليست هي سبب الخطية، بل من يستخدمها استخدامًا خاطئًا.

الصانع حكيم، من الذي أعد الرحم ليحمل الجنين؟!

من يهب الحياة الأشياء التي بلا حياة في داخلك؟!

من الذي ربطنا بعضلات وعظام، وكسانا بجلد ولحم (راجع أي ١٠ : ١١)، وما أن يولد الطفل حتى

يفيض اللبن من الثديين؟!

كيف ينمو الطفل ليكون صبيًا فشابًا فرجلًا، ويبقى هكذا حتى يعبر إلى الشيخوخة، دون أن يلاحظ أحد

هذا التحول الدقيق من يومٍ إلى يومٍ؟!

أيضًا بالنسبة للطعام، كيف يتحول جزء منه إلى دم، وآخر يخرج كإفرازات، وآخر يتحول إلى لحم؟!

من يعطي القلب نبضاته غير المنقطعة؟!

من يحرس ليونة العينين بسور الجفنين؟!
فإن تكوين العينين معقد وعجيب، بصعوبة تقدم مجلدات الأطباء شرحاً له.
من يوزع النفس خلال الجسد كله؟!
ها أنت ترى الصانع، تأمل الخالق الحكيم!

ما أعظم أعمالك يا رب!

١٦. وإن كنت قد عالجت هذه النقاط في مقالي هذا، إلّا إنني تركت وراءها الكثير. نعم تركت عشرات الألوف من الأشياء الأخرى، خاصة ما هو غير محسوس ولا منظور.
لتدحض المجدفين على الخالق الحكيم الصالح، ولتدرك مما تسمعه وما تقراه وما تكتشفه أن "من عظمة الخليفة وجمالها يُعرف صناعتها إدراكاً نسبياً" (راجع حك ١٣ : ٥).
وإذ نحني رُكبتنا بوقار صالح أمام صانع العوالم، أقصد عالم الحس والفكر، ما يُرى وما لا يُرى، فإنك تمجد الله بلسان مقدس، يلهج بالمعروف، وشفقتان لا تسكتان، وقلب لا يمل، قائلاً: "ما أعظم أعمالك يا رب. كلها بحكمة صَنَعْتَ" (مز ١٠٤ : ٢٤)، يليق بك الإكرام والمجد والجلال من الآن خلال كل الدهور. آمين.

نؤمن برب واحد

يسوع المسيح

"لأنه وإن وجد ما يسمى آلهة، سواء كان في السماء أو على الأرض. لكن لنا إله واحد الآب الذي منه جميع الأشياء، ونحن له، ورب واحد يسوع المسيح. الذي به جميع الأشياء ونحن به" (١ كو ٨ : ٥-٦).

مقدمة

١. من يتعلم أن يؤمن "بإله واحد، الله الآب القدير"، يلتزم بالإيمان بابنه الوحيد لأن كل من ينكر الابن ليس له الآب أيضًا (١ يو ٢ : ٢٣). يقول يسوع: "أنا هو الباب"، "ليس أحد يأتي إلى الآب إلا بي" (يو ١٤ : ٦؛ ١٠ : ٩)، "لا أحد يعرف الآب إلا الابن، ومن أراد الابن أن يعلن له" (مت ١١ : ٢٧)، فإن أنكرت من يعلن لك تبقى في جهل.

لقد جاءت العبارة التالية في الإنجيل: "الذي لا يؤمن بالابن لن يرى حياة، بل يمكث عليه غضب الله" (يو ٣ : ٣٦). فالآب يغضب عندما يُستهان بالابن الوحيد. فإن الملك يحزن لمجرد إهانة أحد جنوده. أما إن احتقر أحد ابنه الوحيد، فمن يقدر أن يطفئ غضب الأب من أجل ابنه الوحيد؟!

الآب يوصينا بالابن

٢. فإن رغب أحد في إظهار ورع لله فليعبد الابن، عندئذ يتقبل الله خدمته. لقد نادى الآب بصوت عالٍ قائلاً: "هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت" (مت ٣ : ١٧). لقد سرّ الآب به، فإن لم تكن أنت موضع سروره في الابن لا تكون لك حياة. لا يخدعك اليهود بقولهم في مكر "يوجد إله واحد وحده" لكن لتعرف أن الله واحد، ولتعلم أن ابن الله وحيد. لا أقول هذا مني بل هو قول المرثل في شخص الابن: "الرب قال لي: أنت ابني" (مز ٢ : ٧).

إذن لا تبال بما يقوله اليهود بل اهتم بقول الأنبياء.

هل تتعجب من ازدرائهم بكلمات الأنبياء، هؤلاء الذين رجموا الأنبياء وقتلوه!

رب واحد، يسوع المسيح

٣. آمن برب واحد، يسوع المسيح ابن الله الوحيد إذ نقول: "نؤمن برب واحد يسوع المسيح". بنوته فريدة لهذا نقول عنه: "واحد" حتى لا نفكر في آخر غيره. ندعوه "واحدًا" حتى لا تسقط في الضلال المنتشر بطلب أسماء كثيرة بسبب أعماله تجاه الأبناء الكثيرين (البشر). إنه يُدعى "الباب" (يو ١ : ٧، ٩). لا تأخذ المعنى الحرفي للكلمة كمادة خشبية، بل المعنى الروحي. إنه "باب حي" يميز الداخلين فيه.

يُدعى "الطريق" (يو ١٤ : ٦) لا أن يُداس بالأقدام، بل يقودنا للآب السماوي.

يُدعى "الحمل" (يو ١ : ٢٩؛ إش ٥٣ : ٧، ٨؛ أع ٨ : ٣٢) لا كغير عاقلٍ، بل لأن بدمه الثمين يظهر العالم من خطاياه، ويقف صامتًا أمام جازيه.

هذا الحمل دُعي مرة بـ "الراعي" إذ يقول: "أنا هو الراعي الصالح" (لو ١٠: ١١). هو حمل من جهة ناسوته، وراعٍ بالحب المترفق الذي للاهوته. هل تريد أن تعرف حملان عاقلة؟ اسمع المخلص يقول للرسول: "ها أنا أرسلكم كحملان بين ذئاب" (مت ١٠: ١٠، ١٦).

إنه يُدعى "أسدًا" (تك ٤٩: ٩؛ رؤ ٥: ٥)، ليس مفترسًا للبشر، بل كرامة شخصه الملكية وثباته وقوته. لقد دعي أسدًا، لأنه يقف قبالة الأسد المقاوم الذي يزأر ملتسمًا أن يفترس من يخدمهم (١ بط ٥: ٨). لأن المخلص في مجيئه لم يغير وداعة طبيعته، بل بكونه "الأسد الخارج من سبط يهوذا" (مز ١١٨: ٢٢) يخلص المؤمنين ويطأ على المقاوم.

يُدعى "حجرًا"، ليس بلا حياة، مقطوع بيد بشرية، بل "حجر الزاوية الرئيسي" (إش ٢٨: ١٦)، من يؤمن به لن يخزي.

تبع أسماء المسيح

٤. يُدعى "المسيح"، ليس ممسوحًا بيد بشرية، بل سرمديًا، ممسوح من الآب لكهنوته العلوي من أجل البشر.

دُعي "ميثًا"، لا كمن هو بين الأموات الذين في الجحيم جميعهم، بل وحده الحر بين الأموات (مز ٨٨: ٢٥).

يُدعى "ابن الإنسان"، ليس لأنه من أصل أرضي مثلنا جميعًا، إنما لأنه آت على السحاب ليدين الأحياء والأموات (يو ٥: ٢٧).

يدعى "ربًا" ليس عن عدم لياقة مثل أولئك الذين يدعوهم البشر هكذا، إنما هو رب من أجل طبيعته الإلهية السرمدية.

يدعى "يسوع" باسم لائق، إذ دُعي هكذا من أجل العلاج (الخلاص) الثمين الذي يقدمه.

إنه يدعى "ابنًا"، ليس لأنه نال البنوة بالتبني، بل هو مولود طبيعيًا.

كثيرة هي ألقاب مخلصنا، لكن لا تظن بسبب كثرة أسمائه أنه يوجد أبناء كثيرون، كما ظن بعض الهرطقة الذين قالوا أن يسوع غير المسيح، وآخر هو "الباب"^١ وهكذا. فإن قانون الإيمان يؤكد أنه هو "يسوع المسيح". فالألقاب كثيرة لكن موضوعها شخص واحد.

المسيح رب حقيقي

٥. يظهر المسيح لكل واحد حسب احتياجه^٢. فالمحتاجون إلى البهجة يتقدم إليهم ككرمة، والمحتاجون إلى الوجود في حضرة الآب يأتهم كباب، والمحتاجون إلى من يقدم صلواتهم يجدونه الشفيع فيهم الكاهن العلي، وللخطاة هو الحمل (المذبح) لأجل تقديسهم.

إنه كل شيء لكل واحد (١ كو ٩: ٢٢) دون أن تتغير طبيعته بل يبقى كما هو. هو باقٍ، وعمل بنوته لن يتغير، لكنه يكيف نفسه حسب ضعفنا، بكونه طبيبًا ممتازًا أو معلمًا مملوء حنواً.

^١ أشار القديس إيريناؤس (٣: ١٦: ٨) أن أتباع كيرنثوس وأبيون وفالنتينوس يفصلون بين المسيح ويسوع.

^٢ قال البابا أنطاسيوس الرسولي في رسالته ١٠ "إذ هو غني له جوانب متعددة، فيقدم نفسه لكل إنسان حسب طاقة نفسه". راجع أيضًا أقوال الذهبي الفم "الكنيسة تحبك": مقالاته عن اتروبياس طبعة ٦٩.

إنه الرب نفسه، لم يقبل الربوبية عن تقدم^١، إنما عمل بنوته طبيعي. لم يُدعَ ربًا بغير لياقة مثلنا^٢، بل بالحقيقة هو هكذا... فنحن نُدعى أرباب على أناس مثلنا، لهم ذات الحقوق وفيهم نفس العواطف. وأحيانًا ندعى أربابًا على شيوخ، إذ كثيرًا ما يحكم سيد شاب على خدم مسنين. أما ربوبية يسوع المسيح فهي ليست هكذا بل هو خالق فرب^٣، خلق كل الأشياء بإرادة الآب...
الابن في العهد القديم (سفر التكوين)

٦. المسيح الرب هو ذاك الذي وُلد في مدينة داود (لو ٢: ١١). أتريد أن تعرف أن المسيح هو رب مع الآب قبل تجسده حتى تتقبل العبارة ليس فقط بالإيمان وإنما ببرهان من العهد القديم؟
 عد إلى أول سفر "التكوين" يقول الله "نعمل الإنسان" لا على صورتي بل "على صورتنا" (تك ١: ٢٦). وبعد خلق آدم يقول الكتاب المقدس، "فخلق الله الإنسان على صورته. على صورة الله خلقه" (تك ١: ٢٧). فإنه لم يقصر شرف اللاهوت على الآب وحده بل شمل الابن أيضًا، مظهرًا أن الإنسان ليس من عمل الله (الآب) وحده بل أيضًا هو عمل ربنا يسوع المسيح الذي هو الله نفسه.
 هذا الرب الذي يعمل مع الآب، عمل معه في حالة سدوم أيضًا إذ يقول الكتاب المقدس "قامطر الرب على سدوم وعمورة كبريتًا ونارًا من عند الرب من السماء" (تك ١٩: ٢٤).
 هذا الرب هو الذي رآه موسى قدر ما يستطيع أن يرى. لأن الرب محب البشر ينزل إلينا حسب ضعفاتنا.

الابن في العهد القديم (سفر الخروج)

٧. علاوة على هذا، فلكي نتأكد أنه هو بنفسه الذي رآه موسى، اسمع شهادة بولس القائل: "لأنهم كانوا يشربون من صخرة روحية تابعتهم، والصخرة كانت المسيح" (١ كو ١٠: ٤). وأيضًا قال: "بالإيمان موسى ترك مصر"، وبعد ذلك بقليل يقول: "حاسبًا عار المسيح غنى أعظم من خزائن مصر".^٤ موسى هذا قال له: "أرني ذاتك". إنك ترى أن الأنبياء أيضًا في ذلك الإيمان رأوا المسيح بمعنى أن كلاً منهم رآه قدر ما يحتمل (خلال الأنبياء).
 "أرني ذاتك لكي أعرفك بفهم" (خر ٣٣: ١٣). لكن الله قال: "الإنسان لا يرى وجهي ويعيش" (خر ٣٣: ٢٠). لهذا السبب إذن، إذ لا يستطيع أحد أن يرى وجه لاهوته ويعيش.

^١ يقول البابا أثناسيوس الرسولي (ضد الأريوسيين ١: ٣٧، ٣٨) إن الأريوسيين يدعون أن المسيح تقبل كرامة اللاهوت كابن لله ورب من أجل طاعته لله بكونه إنسانًا، وليس بكونه ابن الله... وقد اعتمدوا في ذلك على العبارات التالية: "لذلك رفعه الله أيضًا" أف ٢: ٩.

"أحببت البر، وأبغضت الظلم، لذلك مسحك الله إلهك بزيت البهجة أفضل من رفائك" مز ٤٥: ٧.
 وقد أجاب البابا في فصل ٤٠ قائلًا: "إنه لم يرفعه في مقامه من حالة أدنى، بل بكونه الله، أخذ شكل العبد وهو في هذا وضع نفسه ولم يتقدم. فأين هنا المكافأة عن فضيلة قدمها أو أي تقدم أو ترقى إذ اتضع؟!"

وقد نادى تلاميذ بولس السمسطائي قائلين إن المسيح لم يكن أصلًا ربًا، بل بعد التجسد، وتقدم وصار الله بعدما كان مجرد إنسانًا.
^٢ الكلمة اليونانية تعني "ثانويًا" أو "مجازيًا".

^٣ سقط العلامة أوريجينوس في كتابة (De Brincipiis ١: ٢: ١٠ & ٢: ١: ٤) في هذا الخطأ، وهو أن العالم يلزم أن يكون أزليًا وإلا ما دعي الله بـ "كلي القدرة Omnipotent"، إذ هو منذ الأزل معتنى بخليقته. وقد تصدى له الآباء ورد عليه الأب ميثوديوس.
 ويرى البعض أن القديس كيرلس هنا يميز بين الله كرب وكقدير، وأنه خلق فدعي ربًا لعنايته بخليقته.

^٤ عب ١١: ٢٦، تشير مصر في العهد القديم إلى كثرة الخيرات، وبالتالي إلى محبة العالم.

أخذ الرب وجه الطبيعة البشرية حتى نراه ونعيش. لكن حتى عندما أراد أن يظهر بأن هذه عظمة قليلة، فإن التلاميذ إذ رأوا وجهه يضيء كالشمس (مت ٢: ١٧) سقطوا مرتعبين. فإن كانت هيئته الجسدية (الناسوتية) تضيء، ليس في كمال قوته بل حسب طاقة التلاميذ، ومع ذلك ارتعبوا غير محتملين هذا، فكيف يقدر أحد أن يحملق في جلال لاهوته؟!

يقول الرب: إنه لأمر عظيم الذي تطلبه يا موسى، وأنا أحقق لك رغبتك التي لا تُشبع. ما أفعل لك هذا الأمر، ولكن قدر احتمالك. "إني أضعك في ثُقرة من الصخرة (تك ٣٣: ٢٢)، فإذا أنت صغير أن أحملك في موضع صغير".

الابن في العهد القديم (تبع سفر الخروج)

٨. ...عندئذ قال الرب لموسى: "حتى أجتاز بك بمجدي، وأنادي اسم الرب قدامك". وإذا هو الرب، أي رب هو ينادي؟ أنظر، فإنه يتحدث بطريقة خفية عن التعليم بالآب والابن. مرة أخرى انظر ما جاء بعد ذلك كلمة فكلمة "قنزل الرب في السحاب فوقف عنده هناك، ونادى باسم الرب. فاجتاز الرب قدامه ونادى الرب إله رحيم ورؤوف بطيء الغضب وكثير الإحسان والوفاء. حافظ الإحسان إلى ألوف. غافر الإثم والمعصية والخطية" (تك ٣٤: ٥-٧). وبعد ذلك "فأسرع موسى وخرّ إلى الأرض وسجد" أمام الرب الذي نادى الآب، وقال "ليسر الرب (السيد) في وسطنا"^٢.

الابن في العهد القديم (سفر المزمير)

٩. هذا برهان أول، تقبل برهانًا آخر واضحًا. "قال الرب لربي أجلس عن يميني" (مز ١١٠: ١). قال الرب هذا للرب، لا لعبد، بل لرب الكل، ابنه الذي أخضع كل شيء له. "ولكن حينما يقول إن كل شيء قد أخضع، فواضح أنه غير الذي أخضع له الكل". وماذا يلي هذا؟ "كي يكون الله الكل في الكل". الابن الوحيد هو رب الكل، لكن ابن الآب المطيع لم ينل لاهوته (كأمر جديد)، بل هو ابن بالطبيعة حسب إرادة الآب. فليس الابن ناله، ولا الآب حسده لكي يغتصبه. فالابن يقول: "كل شيء قد دُفع إليّ من أبي" (مت ١١: ٢٧؛ لو ١٠: ٢٢). "دفع إليّ" ليس كما لو كان ليست لي من قبل. وأنا احفظه حسناً ولا أسلبه من الذي أعطاه لي.

الابن في العهد الجديد

١٠. ابن الله هو الرب: إنه الرب الذي وُلد في بيت لحم اليهودية، كقول الملاك للرعاة: "ها أنا أبشركم بفرح عظيم، إنه ولد لكم اليوم في مدينة داود المسيح الرب" (لو ٢: ١٠، ١١). وفي موضع آخر يقول عنه الرسول: "الكلمة التي أرسلها إلى بني إسرائيل يبشر بالسلام ببسوع المسيح، هذا هو رب الكل" (أع ١٠: ٣٦). ولكن عندما يقول "الكل" هل تُستثنى ربوبيته على أحد، لأنه سواء ملائكة أو رؤساء ملائكة أو رؤساء أو سلاطين أو أي مخلوق آخر دعاه الرسول، يخضع الكل لربوبية الابن...

مقارنة بين يسوع وكل من هارون ويشوع

١١. يحمل يسوع المسيح اسمين: يسوع لأنه يخلص، والمسيح لأنه كاهن.

^١ ترجمة النص: "أحنى موسى رأسه وسجد".

^٢ المتحدث هنا موسى، وليس الرب.

إذ عرف موسى النبي المُلهَم هذا، دعى اللقبين على شخصين ساميين اختارهما من جميع الشعب، فدعا الذي يخلفه في الحكم *Auses* "يسوع (بن نون)"، ودعا أخاه "مسيحًا". وخلال هذين الرجلين المزيكين تمامًا يقدم لنا في وقت واحد الكهنوت العلوي والمملكة، كرمز للواحد يسوع المسيح الآتي.

فالمسيح هو كاهن مثل هارون، إذ "لم يمجّد نفسه ليصير رئيس كهنة، بل الذي قال له أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق" (عب ٥: ٥-٦).

وكان يشوع بن نون رمزًا له في أمور كثيرة لأنه عندما بدأ يحكم على الشعب بدأ من الأردن (يش ٣: ١)، وبدأ المسيح أيضًا الكرازة بالإنجيل بعد العماد.

ويشوع بن نون **عين اثني عشر** ليقسموا الميراث (يش ١٤: ١)، وأرسل المسيح اثني عشر رسولاً كرسلاً للحق في كل العالم.

أنقذ يشوع الرمز راحاب الزانية عندما آمنت، ويسوع الحقيقي قال: "إن العشارين والزواني يسبقونكم إلى ملكوت الله" (مت ٢١: ٣١).

في أيام الرمز **بمجرد التصويت بالبوق تهدمت حصون أريحا**، لأن المسيح قال: "لا يُترك حجر على حجرٍ إلا وينقض" (مت ٢٤: ٢) سقط الهيكل اليهودي أماناً، والسبب في ذلك هو عصيانهم.

إشعيا يدعو يسوع مخلصًا

١٢. يوجد رب واحد يسوع المسيح، اسم عجيب، سبق أن أخبر به الأنبياء بطريقة خفية. إذ يقول إشعيا النبي: "يأتي المخلص، ومعه مكافأته" (إش ٦٢: ١١).

كلمة "يسوع" في العبرية معناها "مخلص". فإن العطية النبوية، إذ سبق فرأت روح القتل عند اليهود وأنهم ضد الرب، حجب اسمه عنهم، لئلا إذا عرفوه من قبل يتدبرون ضده فورًا. لكنه دُعي صراحة "يسوع"، ليس فقط من الناس بل ومن الملاك الذي لم يأت من ذاته، بل بسلطان الله. قال ليوسف: "لا تخف أن تأخذ مريم امرأتك، لأن الذي حُبِلَ به فيها هو من الروح القدس، فستلد ابنًا، وتدعو اسمه يسوع" (مت ١: ٢٠). وفي الحال ذكر سبب اسمه قائلاً: "لأنه يخلص شعبه من خطاياهم"...

اليونانيون يدعون يسوع طبيبًا

١٣. "يسوع" في العبرية معناها "مخلص"، أما في اليونانية فتعني "الشافى"، إذ هو طبيب الأنفس والأجساد. هو شافي الأرواح، فتح عيني المولود أعمى، وقاد الأذهان إلى النور. يشفي العرج المنظورين، ويقود الخطاة في طريق التوبة. يقول للمفلوج: "لا تخطئ"، وأيضًا: "احمل سريرك وامش" (يو ٥: ١٤، ٨)، لأن الجسد كان مفلوجًا بسبب خطية النفس. شفى النفس أولاً حتى يمتد بالشفاء إلى الجسد. لذلك إن كان أحدكم متألمًا في نفسه من خطايا، فإنك تجده طبيبًا لك. وإن كان أحدكم قليل الإيمان، فليقل له: "أعن عدم إيماني" (مر ٩: ٢٤).

وإن أصابت أحدكم آلام جسدية، فلا يكن غير مؤمن، بل يقترب، فإن يسوع يعالج مثل هذه الأمراض، وليعلم أن يسوع هو المسيح.

اليهود يرفضون المسيح

١٤. يقبله اليهود على أنه يسوع. لكنهم يرفضون كونه المسيح. لهذا يقول الرسول: "من هو الكذاب إلا الذي ينكر أن يسوع هو المسيح" (١ يو ٢: ٢٢).

لكن المسيح هو كاهن عليّ، "له كهنوت لا يزول" (عب ٧: ٢٤). لم يبدأ كهنوته في زمان، إذ ليس له سلف في كهنوته العلوي، وذلك كما سمعت في يوم الرب عندما ناقشنا عبارة "على رتبة ملكي صادق" في المجمع^١.

لم يتسلم كهنوته عن سلف بشري، ولا مُسح بزيت أعدّه إنسان، بل هو ممسوح من الآب قبل كل الدهور.

هكذا هو يعلو على غيره، فقد صار كاهناً بقسم (عب ٧: ٢١)، أما هم فيغير قسم... إن هدف الآب المجرد كان كافياً ليكون مؤكداً، لكن استخدم وسيلة مضاعفة للتأكيد، إذ تبع الهدف قسم أيضاً، "حتى بأمرين عديمي التغير لا يمكن أن الله يكذب فيهما تكون تعزية قوية" (عب ٦: ١٨) في إيماننا الذي هو أن يسوع المسيح ابن الله.

رفض اليهود له

١٥. عندما جاء المسيح رفضه اليهود، بينما اعترفت به الشياطين.
داود جده لم يجهله عندما قال: "رتبت سراجاً لمسيحي" (مز ١٣٢: ٧)، هذا السراج الذي فسرهُ البعض أنه بهاء النبوة (٢ بط ١: ١٩)، وفسره البعض أنه الجسد الذي أخذه من العذراء...
لم يجهل النبي أمر المسيح إذ قال: "وأعلن بين البشر بمسيحه *His Anointed*" (عا ٤: ١٣ LXX).
موسى أيضاً عرفه، وإشعيا، وإرميا. لم يجهله أحد من الأنبياء، بل حتى الشياطين عرفته إذ انتهرها...
رئيس الكهنة لم يعرفه، والشياطين اعترفت به.
رئيس الكهنة لم يعرفه، والسامرية أعلنت عنه قائلة: "انظروا إنساناً قال لي كل ما فعلت، أُلعل هذا هو المسيح؟!" (يو ٤: ٢٩)

اسم جديد يبارك الأرض

١٦. هذا هو يسوع المسيح الذي جاء "رئيس كهنة للخيرات العتيدة" (عب ٩: ١١)، الذي من أجل غنى لاهوته وهبنا نحن جميعاً لقبه الخاص به. فالملوك بين البشر لهم طابعهم الملكي الذي لا يشاركهم فيه أحد غيرهم، أما يسوع المسيح فكابن الله أعطانا كرامة أن ندعى "مسيحيين".
قد يقول قائل إن اسم مسيحيين هو اسم جديد لم يستخدم من قبل والعبارات ذات الطابع الجديد غالباً ما تدعى كعلامة على أن الإنسان غريب.
لقد سبق أن أشار النبي إلى هذا من قبل، إذ قال: "ويسمى عبده اسماً آخر (جديداً) يبارك في كل الأرض" (إش ٦٥: ١٥-١٦ LXX).

لنسأل اليهود: هل أنتم عبيد الرب أم لا؟ أين اسمكم الجديد.
لقد دُعيتُم يهوداً وإسرائيليين في أيام موسى وبقية الأنبياء، وأيضاً بعد الرجوع من سبي بابل إلى يومنا هذا، فأين هو اسمكم الجديد؟ أما نحن فقد صرنا عبيد الرب، ونحمل اسماً جديداً حقاً يبارك الأرض...

بولس مضطهد الكنيسة يشهد لها

١٧. لكن هل تريد أن تعرف أن الرسل عرفوا اسم "المسيح" وبشروا به أو بالأحرى كان المسيح فيهم؟

^١ دعا المسيحيون الأولون اجتماعاتهم Synaxis لتمييزها عن اجتماعات اليهود المسماة Syngoge وهي مشتقة منها. والأولى تستخدم بالأكثَر على وجه الخصوص في تقديس سرّ الشكر.

يقول بولس: "أم تطلبون برهان المسيح المتكلم في" (٢ كو ١٣: ٣). ويعلن بولس عن المسيح قائلاً: "فإننا لسنا نكرز بأنفسنا، بل بالمسيح يسوع رباً، ولكن بأنفسنا عبيداً" (٢ كو ٤: ٥)...

من هو هذا المتكلم؟ إنه المضطهد السابق! يا للقدرة العجيبة! المضطهد السابق يكرز بالمسيح! لكن لماذا؟ هل كان مرتشياً؟ لا بل لم يكن من يستخدم هذه الوسيلة للإغراء هل رآه وهو على الأرض...؟ لقد ذهب ليضطهد وبعد ثلاثة أيام صار مبشراً في دمشق، بأية قوة؟ الآخرون يأتون بأصدقائهم كشهود، أما أنا فأقدم لكم عدواً سابقاً كشاهد.

إن شهادة بطرس ويوحنا بالرغم من قوتها لكن قد تجد باباً للشك، لأنه صديقه، أما ذاك الذي كان قبلاً عدواً، فيقبل بعد ذلك أن يموت من أجله، من يقدر أن يشك في الحق بعد ذلك؟!

المضطهد يكتب أربع عشرة رسالة

١٨. في هذه النقطة امتلئ دهشة من تدبير الروح القدس الحكيم، كيف قلل عدد رسائل الباقيين، بينما أعطى لبولس المضطهد السابق الامتياز ليكتب أربع عشرة رسالة... لنكون نحن جميعاً هكذا مؤمنين، إذ الجميع اندهشوا منه قائلين: أليس هذا هو المضطهد السابق؟! (راجع أع ٩: ٢١) ألم يأتِ إلى هنا لكي يقودنا مقيدين إلى أورشليم؟!

يقول بولس: لا تتدهشوا، فإنني اعلم أنه صعب عليّ أن أرفس مناخس. إنني أعلم إنني لست أهلاً أن أدعى رسولاً لأنني اضطهد كنيسة الله (١ كو ١٥: ٩)، لكنني فعلت هذا في جهلٍ (١ تي ١: ١٣). إذ ظننت أن التبشير بالمسيح يحطم الشريعة، وأعرف أنه جاء ليكمل الناموس لا لينقضه (مت ٥: ١٧)، لكن "تفاضلت نعمة ربنا جداً في" (١ تي ١: ١٤).

الكل يشهد للمسيح

١٩. كثيرون يا أحبائي كانوا شهوداً حقيقيين للمسيح.
الآب حمل شهادة من السماء لابنه.
والروح القدس شهد بنزوله في هيئة جسمانية على شكل حمامة.
ورئيس الملائكة جبرائيل شهد، جالباً بشائر صالحة للعدراء.
والعدراء والدة الإله (ثيوتوكوس) تحمل شهادة.
وموضع المزود المقدس يحمل شهادة.
مصر تشهد له، حيث استقبلت الرب وهو بعد صغير في الجسد.
سمعان حمل شهادة له إذ حمله على ذراعيه، وقال: "الآن يا سيدي تطلق عبدك بسلام حسب قولك، لأن عيني قد أبصرتا خلاصك الذي أعدته قدام وجه كل الشعب" (لو ٢: ٢٩-٣٠).
حنة النبية، الأرملة الورعة للغاية في حياة طاهرة شهدت له.
يوحنا المعمدان حمل شهادة، العظيم في الأنبياء وقائد العهد الجديد، الذي بطريقةٍ ما وحد بين العهدين في نفسه.

الأردن شاهد له بين الأنهار، وبحيرة طبرية بين البحار.
العمي والعرج شهدوا له، والأموات الذين قاموا، والشياطين التي قالت: "ما لنا ولك يا يسوع، نحن نعرفك، أنت قدوس الله" (مز ١: ٢٤).
الرياح شهدت له بصمتها كأمره، والخمس خبزات تزايدت لتشبع خمسة آلاف...

خشبۃ الصليب المقدسة تحمل شهادة، هذا الذي يُرى بيننا إلى اليوم. ويمتلئ هذا الموضع وافدون من كل بقاع العالم ليأخذ الكل بإيمان نصيبًا منه^١...

^١ ذكر شجرة التين وبستان جثمانى وجبل الزيتون وتحول الأمم وعمل المعجزات إلى يومنا هذا كشهادة للمسيح يسوع ربنا.

المقال الحادي عشر

ابن الله الوحيد

المولود من الآب قبل كل الدهور، به كان كل شيء

"الله بعدما كلم الآباء بالأنبياء قديماً في أزمنة متنوعة وطرق مختلفة، كلمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه" (عب ١ : ١-٢).

يسوع هو المسيح الوحيد

١. قدّمنا لكم بالأمس، مظهرين لكم بما فيه الكفاية، قدر استطاعتنا، أن رجاءنا هو في يسوع المسيح. لكن يليق بنا ألاّ نؤمن به ولا نقبله كواحدٍ من مسحاء كثيرين يدعون هكذا بلا لياقة. فإن هؤلاء المسحاء رمزيون، أما هو فالمسيح الحقيقي، لم يرتفع إلى الكهنوت عن تقدم^١ بين صفوف البشر، بل له شرف الكهنوت من الآب. من أجل هذا فإن قانون الإيمان يرشدنا مقدماً حتى لا نظنه واحداً من المسحاء العاديين، فيضيف الاعتراف بهذا الإيمان أننا نؤمن برب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد.

الابن الوحيد الجنس

٢. وأيضاً عندما تسمع "ابن" لا تحسبه أنه مُتنبى، بل ابناً بالطبيعة، الابن الوحيد، ليس له أخ. من أجل هذا دعي "الوحيد الجنس"، إذ ليس له أخ من جهة شرف اللاهوت ونسبته للآب^٢. ونحن لا ندعوه "ابن الله" من عندياتنا، بل الآب دعي المسيح (دون غيره) ابنه وما يدعوه الآباء لأبنائهم هو اسم حق.

الابن المتأنس

٣. ربنا يسوع صار إنساناً، لكن كثيرين لم يعرفوه. وإذا رغب في تعليم من لم يكونوا قد عرفوه دعا تلاميذه وسألهم: "من يقول الناس إنني أنا ابن الإنسان؟! (مت ١٣ : ٦) لم يسأل حباً في المجد الباطل، إنما بقصد إظهار الحق لهم، لئلا بامعان النظر في الله وابن الله يظنون بخفة أنه مجرد إنسان عادي. وعندما أجابوه أن البعض قالوا بأنه إيليا وآخرون إرميا، أجابهم أنهم معذرون في إجابتهم من أجل عدم معرفتهم، أما أنتم - يا رسلي - يا من باسمي تطهرون البرص وتخرجون الشياطين وتقيمون الموتى، فيلزمكم ألاّ تجهلوا (اسمي) الذي خلّاه تفعلون هذه العجائب. وعندما صمت الكل (إذ كان الأمر أعظم من أن يتعلمه إنسان) أجاب بطرس الرسول^٣... دون أن يرشده كشف بارع ولا فكرٍ بشري، إنما أضاء الآب ذهنه، فقال: "أنت هو المسيح"، بل وأيضاً قال: "ابن الله الحي" وقد تبع هذا تطويب من أجل حديثه كختم على أن ما قاله هو إعلان من الآب. إذ قال المخلص: "طوباك يا سمعان بن يونا، فإن لحماً ودماً لم يُعلن لك، بل أبي الذي في السماوات" (مت ١٦ : ١٧). لذلك فمن يعرف ربنا يسوع المسيح أنه ابن الله يشترك في هذا التطويب، أما من ينكر ابن الله فهو فقير وبائس!

نور سرمدى من نور سرمدى

^١ راجع مقال ١٠ : ٥ "الهامش"... أن المسيح لم ينل كرامة كمكافأة لجهادٍ أو تقدّمٍ لم يكن له من قبل.

^٢ يقول القديس أثناسيوس (ضد الأريوسيين ٣ : ١٩) [إنه الله الحقيقي والحياة الأبدية، وقد صرنا أبناء بالتبني والنعمة].

^٣ تضيف النسخ الكاثوليكية: "رئيس الرسل".

٤. مرة أخرى أقول عند سماعك عن الابن لا تفهم هذا في معنى غير لائق بل هو ابن بالحق. أنه ابن بالطبيعة بلا بداية، لم يأت من حالة العبودية إلى التبنّي، أي انتقل إلى حالة أعظم، بل هو ابن أبدي مولود بنسب لا يفحص ولا يدرك.

وبنفس الطريقة عند سماعك "البكر" لا تفكر في هذا الأمر بمستوى بشري، لأن البكر في البشر له إخوة آخرون.

لقد قيل "إسرائيل ابني البكر" (خر ٤: ٢٢) لكن إسرائيل كان مثل رؤبين الذي صعد إلى مخدع أبيه "أي كان خائناً"، فقد طرد إسرائيل ابن الآب خارج الكرم (وصلبوه). قيل عن آخرين: "أنتم أبناء الرب إلهكم" (تث ١٤: ١). وقيل في موضع آخر "أنتم آلهة، وكلكم بني العلي تُدعون" (مز ٧٢: ٦). هؤلاء عندما يقول لهم الله هكذا إنما يتقبلون بنوة لم تكن لهم من قبل. أما هو فلم يولد ليصير على حال لم يكن عليه من قبل، بل هو مولود من البدء ابن الآب. هو فوق كل بداية وكل العصور، ابن الآب مشابهاً^١ للآب الذي ولده في كل شيء، أبدي من أب أبدي، حياة من حياة، نور من نور، حق من حق، حكمة من الحكيم، ملك من ملك، الله من الله، قوة من قوة.

تقبل البنوة حسب الجسد "داود"

٥. فإن سمعت الإنجيل يقول: "كتاب ميلاد يسوع المسيح بن داود بن إبراهيم" (مت ١: ١) حسب الجسد. فهو ابن داود "في ملء الأزمنة" (عب ٩: ٢٦)، ولكنه ابن الله قبل الدهور بلا بداية. قد تقبل البنوة "داود" إذ لم تكن له، أما البنوة للآب فهي له سرمدياً.

إن له أبين، داود حسب الجسد، والآخر أي الله أباه في اللاهوت.

بكونه ابن داود يخضع للزمن وللتدبير والتنازل النسبي، لكن من جهة اللاهوت فلا يخضع لا لزمان ولا لمكان. "جيله من يعلنه؟ الله روح" (راجع إش ٥٣: ٨؛ يو ٤: ٢٤). فذاك الذي هو روح قد وُلد روحياً بكونه غير جسدي بنسب غير مدرك ولا مفحوص. الابن نفسه يقول للآب: "قال الرب لي: أنت ابني، وأنا اليوم ولدتك" (مز ٢: ٧) هذا "اليوم" ليس زمنياً بل سرمدياً. اليوم هنا غير زمني، بل قبل كل الدهور. "من الرحم قبل كوكب الصبح ولدتك"^٢.

آمن بيسوع المسيح

٦. إذن آمن بيسوع المسيح، ابن الله الحي، الابن الوحيد. حسب الإنجيل القائل: "لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد، لكي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية" (يو ٣: ١٦؛ يو ٣: ١٨؛ ٥: ٢٤؛ يو ٣: ٣٦؛ يو ١٤: ١؛ لو ٤: ٣٤). وأيضاً: "الذي يؤمن به لا يُدان، إذ يعبر من الموت إلى الحياة". وأمّا الذي لا يؤمن به فلن يرى الحياة بل يمكث عليه غضب الله". ويشهد يوحنا عنه قائلاً: "ورأينا مجده مثل مجد ابن وحيد للآب. مملوء نعمة وحفا". إذ ترتعب منه الشياطين وتقول "ما لنا ولك يا يسوع. أنت ابن الله الحي".

ابن الله بالطبيعة وليس بالتبنّي

٧. إذن هو ابن الله بالطبيعة وليس بالتبنّي، مولود من الآب، وكل من يحب الوالد يحب المولود منه"

^١ يرفض البابا أثناسيوس كلمة "مشابهاً" بل كما سبق رأينا أن إيماننا الأرثوذكسي يستخدم لفظاً دقيقاً وهو "واحد مع الآب" أو مسوي للآب في ذات الجوهر".

^٢ مز ١١: ٣ "من رحم الفجر لك كل حدثك".

(١ يو ٥: ١)، ومن يحتقر المولود يسيء إلى الوالد. عندما تسمع عن الله "الوالد" (يو ٤: ٢٤) لا تفكر في أمور جسدية، ليس في توالد فاسد حتى لا تسقط في خطأ الكفر.

"الله روح"، نسبة روحي، لأن الأجساد تلد أجسادًا، وولادة الأجساد تحتاج إلى زمان، أما ولادة الابن من الآب فلم يدخل فيها زمن.

في حالتنا نحن ما يولد، إنما يولد غير كامل، أما ولادة الابن من الآب فهي ولادة كاملة، لأن ما هو الآن كان منذ البدء، إذ هو مولود بلا بداية.

نحن مولودون هكذا لنعبر من جهل الطفولية إلى التعقل. مولدك يا إنسان غير كامل ونموك يزداد. لكن لا تفكر هكذا في حالة الابن، ولا تنسب الضعف إلى الوالد، لأنه إن كان الذي ولد غير كامل ويحتاج كماله إلى زمان، فإنك بهذا تنسب ضعفًا إلى الوالد...

ولادة غير بشرية

٨. لهذا لا تفكر في هذه الولادة على أنها بشرية، ولا كما ولد إبراهيم إسحق، لأنه في ميلاد إسحق لم يلد إبراهيم حسب إرادته، بل ولد ما قد منحه له غيره. أما الله، فإن ما ولده الآب لم يكن عن جهل ولا احتاج إلى وسيط^١. لأن القول بأنه كان يجهل ما كان يفعله هو كفر. والقول بأنه أصبح أبًا خلال أزمنة، هو أيضًا كفر. لأن الله لم يكن قط بدون الابن، وقد أصبح أبًا مع الزمن. إنما كان له الابن أزليًا، ولده ليس كما يلد البشر بشرًا، بل كما هو وحده يعرف، ولده قبل كل الدهر، إلها حقًا.

البنوة بالتلمذة

٩. فالآب، إذ هو الله ذاته ولد الابن شبهه^٢، الله ذاته، إذ لم يلد كما يلد المعلمون تلاميذ، ولا كما يقول بولس للبعض: "لأنني أنا ولدتكم في المسيح يسوع بالإنجيل" (١ كو ٤: ١٥). إذ لا يكون في هذه الحالة ابنًا بالطبيعة بل بالتلمذة. أما في الحالة السابقة فهو أب بالطبيعة لابن حقيقي.

إنه ليس مثلكم أنتم الذين تستثيرون، فتصيرون أبناء الله... إذ أنتم أبناء بالتبني، كما هو مكتوب: "وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطانًا أن يصيروا أولاد الله، أي المؤمنون باسمه، الذين ولدوا ليس من دم ولا من مشيئة جسد، ولا من مشيئة رجل، بل من الله" (يو ١: ١٢، ١٣).

حقًا إننا نولد من الماء والروح، لكن المسيح لم يُولد من الآب هكذا. إذ في وقت عماد خاطبه قائلاً: "هذا هو ابني" (مت ٣: ١٧). لم يقل "صار ابني"، بل "هذا هو ابني"، معلنًا أنه "ابن" حتى قبل العماد.

١٠. المسيح كلمة الله

ولد من الآب "الابن" ليس كما بين البشر يلد الذهن كلمة. لأن الذهن موجود فينا جوهريًا، أما الكلمة فتنتشر في الهواء عندما ننطق بها وتنتهي^٣. لكننا نعلم أن المسيح لم يولد كمثال كلمة منطوق بها، بل هو كلمة جوهريّة حية، لا تُنطق بشفتين، ولا تنتشر فتبدد، بل هو مولود من الآب أبديةً، لا يُوصف في الجوهر. إذ "في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله" (يو ١: ١).

إنه جالس عن يمين الله،

^١ في تكملة هذا البند استعنت بالتعريب الذي قام به الأب جورج نصور، في سلسلة النصوص الليتورجية.

^٢ سبق الحديث عن "شبهه" أنه تعبير غير دقيق، رفضه البابا أثناسيوس إنما الأصح "واحد معه في ذبب الجوهر".

^٣ البابا أثناسيوس De Sententia Dionysst [الذهن يخلق الكلمة بكونه يعلن فيها. والكلمة تظهر الذهن، إذ تأخذ أصلها منه].

الكلمة فاهم إرادة الآب،

خالد،

كل الأشياء كائنة بأمره.

الكلمة الذي نزل وصعد، أما الكلمة التي ننطق نحن بها فإنها تنزل ولا تصعد.

"الكلمة" ينطق قائلاً: "أنا أتكلم بما رأيته عند أبي" (يو ٨ : ٣٨).

الكلمة له سلطان، يملك على كل شيء، إذ أعطى الآب كل شيء لابن (مت ١١ : ٢٧؛ يو ٥ : ٢٢).

من يقدر أن يعرف كيفية الولادة الأزلية؟

١١. الآب الذي ولد ليس بطريقة يُمكن لإنسان أن يفهمها، بل يقدر وحده أن يفهمها. فإننا نعرف ألا نخبر عن الطريقة التي ولده بها، بل نصر أنها ليست بهذه الكيفية وليس فقط نحن نجهل مولد الابن من الآب، بل نجهل حتى كل طبيعة مخلوقة.

"أو كلم الأرض فتعلمك" (أي ١٢ : ٨). وبالرغم من أنك تسأل كل الأشياء التي على الأرض، فإنها تعجز عن أن تخبرك. لأن الأرض لا تقدر أن تخبر عن جوهر الذي شكّلها كخزاف صنعها. وليس فقط الأرض بل الشمس أيضاً... والسماء أيضاً لا تعلن ذلك... ولا سماء السماوات...

إذن هل تتحط يا إنسان، إن كنت تجهل ما لا تعرفه حتى السماوات؟! لا. ليس فقط السماوات تجهل طبيعة هذه الولادة بل وكل الطبائع الملائكية. فلو صعد أحد إلى السماء الأولى، وأدرك الرتب الملائكية، وسألهم: "كيف ولد الآب الابن؟" ربما يجيبونه؟ "إن هناك من هم أعظم منا وأسمى، اسألهم". أذهب إلى السماء الثانية والثالثة. ابلغ إن أمكنك إلى العروش والسلطين والرئاسات والقوات، فإنه حتى أن وصل أحد إليهم - وهذا مستحيل - فإنهم يمتنعون عن الإجابة لعدم معرفتهم.

جسارة الذين يحاولون أن يفحصوا الخالق ذاته

١٢. فمن جهتي أنا دائماً أعجب على جرأة المتجاسرين الذين بوقارهم المتخيل يسقطون في الكفر. فإذا لا يعرفون شيئاً عن العروش والسلطين والقوات وأعمال المسيح، يحاولون أن يفحصوا الخالق ذاته! أخبرني أولاً أيها الإنسان الجسور: ما هو الاختلاف بين العروش والسلطين وبعد ذلك افحص ما يخص المسيح!

اخبرني: ما هي الرئاسات وما هي القوات وما هي الفضيلة^١ Virtue، وما هو الملاك، وعندئذ ابحث في خالقهم الذي "به كان كل شيء" (يو ١ : ٣)...

من يعرف "أعماق الله" (١ كو ٢ : ١٠، ١١)، إلاّ الروح القدس الذي تكلم به الكتاب المقدس؟ بل حتى الروح القدس لم يتحدث في الأسفار المقدسة بخصوص ميلاد الابن من الآب، فلماذا تشغل نفسك بالأمور التي لم يكتبها الروح القدس في الكتاب المقدس؟!

هناك أمور كثيرة وردت في الكتب الإلهية، منها ما لا نفهم كنهه، فلماذا نشغل أنفسنا بما لم يُكتب؟! إنه يكفي أن نعرف أن الله ولد الابن الواحد الوحيد.

لا تخجل من الاعتراف بجهلك

^١ الفضيلة Virtue كطغمة سمائية ذكرها القديس كيرلس أكثر من مرة.

١٣. لا تخجل من الاعتراف بجهلك مادمت تشترك في هذا مع الملائكة. الوالد وحده هو الذي يعرف المولود، والمولود يعرف الوالد. ويشهد الكتاب المقدس أن المولود هو الله. "لأنه كما أن الآب له حياة في ذاته، كذلك أعطى الابن أيضاً أن تكون له حياة في ذاته" و"لكي يكرم الجميع الابن كما يكرمون الآب" و"كما أن الآب يُقيم (من يشاء) كذلك الابن أيضاً يحيي من يشاء" (يو ٥: ٢٦، ٢٣، ٢١). فالذي وَلَدَ لم يحدث له نقصان، ولا ينقص المولود شيئاً^١...

ميلاد أزلي

١٤. إذن نحن نؤمن بآب الله الوحيد المولود من الآب الله ذاته. نقول إن الله الحقيقي لا يلد إلهًا باطلاً، ولا هو تَمَعَن في الأمر وبعد ذلك ولد، بل ولد أزلياً بأكثر سرعة عن ولادة كلماتنا وأفكارنا. إذ نحن نتكلم في زمان، ونخضع للزمان، لكن بخصوص القوة الإلهية، فالميلاد يتم خارج الزمن^٢. وكما قلنا مراراً أن الابن لم يأت من عدم إلى التبني الإلهي. ولكن كما أن الآب أزلي، فقد وُلِدَ الابن منه منذ الأزل، بطريقة لا توصف...

نبوات عن التجسد

١٥. أتريد أن تعرف أن المولود من الآب وقد صار إنساناً هو الله؟ اسمع النبي يقول: "هذا هو إلهنا ولا يعتبر جداءه آخر. هو وجد طريق التأديب (المعرفة) بكماله، وجعله ليعقوب عبده... وبعد ذلك تراءى على الأرض، وتردد بين البشر" (با ٣: ٣٦-٣٨). أما ترى هنا أن الله صار إنساناً بعد أن قدم الشريعة بواسطة موسى؟

اسمع أيضاً شهادة أخرى عن لاهوت المسيح، إذ قرأ الآن حالاً "كرسيك يا الله إلى دهر الدهور" (عب ١: ٨). ولئلا بسبب حضوره هنا بالجسد قد يُظن أنه ارتقى إلى اللاهوت، يوضح الكتاب المقدس بجلاء "مسحك الله إلهك بزيت الابتهاج أكثر من شركائك" (عب ١: ٩). أما ترى المسيح أنه الله ممسوحاً بواسطة الله الآب؟!

شهادة إشعياء عن لاهوت المسيح

١٦. أتريد شهادة ثالثة عن لاهوت المسيح؟! اسمع إشعياء يقول: "تعب مصر وتجارة كوش (إثيوبيا)" وبعد ذلك "إليك يتضرعون قائلين: فيك وحدك الله وليس آخر سواك. أنت هو الله ولم نعرف...المخلص" (إش ٤٥: ١٤، ١٥). إنك ترى أن الابن هو الله، فيه الله الآب، إذ يقول نفس العبارة التي وردت في الإنجيل "إني في الآب والآب فيّ" (يو ١٤: ١١). إنه لم يقل: "أنا هو الآب"، بل "الآب فيّ وأنا في الآب". أيضاً لم يقل: "الآب وأنا هما أنا"، بل "أنا والآب واحد"، حتى لا نفصل بينهما دون أن نضع خلطاً في ابن الآب.

إنهما واحد من جهة شرف وحدة اللاهوت، إذ ولد الله الله. هما واحد في ملكوتهما لأن الآب لا يملك على هؤلاء، والابن على أولئك، متكبراً على أبيه كما فعل أبشالوم، إنما ملكوت الآب هو ملكوت الابن.

إنهما واحد، إذ لا يوجد بينهما اختلاف ولا انقسام، بل ما يريده الآب يريده الابن.

إنهما واحد، لأن أعمال الخلقة التي للمسيح ليست غير ما للآب، إنما خالق كل الأشياء هو واحد، خلقها الآب خلال الابن. وكما يقول المرتل: "هو قال فكانوا. هو أمر فخلقوا" (مز ٣٣: ٩، ٥: ١٤٨).

تمايز بين الآب والابن لا انفصال

^١ إذ كرر الكثير من العبارات في بقية المقال لأنه يحدث موعظين، أثرت حذف بعض العبارات.

^٢ في تكملة هذا البند استعنت بالتعريب الذي قام به الأب جورج نصور، في سلسلة النصوص الليتورجية.

١٧. الابن هو الله بعينه *Very God*، له الآب فيه، دون أن يصير هو الآب، لأن الآب لم يتجسد بل الابن...
...

الآب لم يتألم من أجلنا بل أرسل من يتألم...
فليس بقصد تكريم الابن ندعوه "الآب"، ولا لتكريم الآب نتصور الابن أحد خلّاقه. إنما هو آب واحد نعبده خلال ابن واحد دون أن نفصل العبادة بينهما.
ليعلن عن الابن الواحد، جالسًا عن يمين الآب قبل كل الدهور في العرش ليس عن تقدم ناله في زمان بعد الآلام بل منذ الأزل.

لا تفصلهما، ولا تصنع تشويشًا

١٨. "الذي رأي فقد رأى الآب" (يو ١٤ : ٩). لأنه في كل شيء الابن شبيه (واحد مع) من ولده. مولود حياة من حياة، نور من نور، قوة من قوة، إله من إله، وسمات اللاهوت غير متغيرة في الابن. من يتأهل للتطلع إلى ربوبية الابن ينعم بربوبية الآب.
هذا الكلام ليس من عندي، بل هي كلمات الابن الوحيد القائل: "أنا معكم زمانًا هذه مدته ولم تعرفني يا فيلبس؟ الذي رأي فقد رأى الآب".
وباختصار لا تفصلهما، ولا تصنع تشويشًا.

لا تقل قط إن الابن غريب عن الآب، ولا تقبل القائلين أن الآب في وقت ما هو الآب وفي وقت آخر هو الابن. فإن هذه العبارة غريبة وجاحدة وليست من تعاليم الكنيسة. لكن الآب بولادته الابن بقي الآب ولم يتغير، ولد الحكمة ولم يفقد الحكمة. ولد القوة دون أن يصير ضعيفًا. ولد الله ولم يخسر ربوبيته. لم يفقد شيئًا بالنقص أو التغير، ولا المولود ناقص في شيء. كامل هو الوالد، وكامل هو المولود. الله هو الوالد، الله هو المولود، الله من الله، ولكنه يُدعى الآب إلهه دون أن يخجل من القول: "اصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم" (يو ١٧ : ٢٠).

تفسير: "أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم"

١٩. ولكن لئلا يُظن أنه من جانب ما هو أب للابن وللخليفة معًا صنع المسيح تمييزًا كما يلي: إنه لم يقل: "اصعد إلى أبينا"، لئلا تصير الخليفة شريكة للابن الوحيد (على مستواه الطبيعي)، بل قال: "أبي وأبيكم" أي هو أبي بالطبيعة وأبوكم بالتبني.
مرة أخرى يقول: "إلهي وإلهكم"، فمن ناحية هو إلهه بكونه ابنه الوحيد الحقيقي^١، وبطريقة أخرى هو إلههم بكونهم عمل يديه...

أمن أن الله له ابن، لكن ليس في تطفل (لإدراك هذا)، إذ بالبحث لا تبلغ شيئًا. لا تنتفخ لئلا تسقط. "لا تبحث عما يتجاوز قدرتك لكن ما أمرك الله به" (ابن سيراخ ٣ : ٢١)...

مخارجه منذ القديم منذ أيام الأزل

٢٠. يكفيك من أجل الصلاح أن تعرف، كما قلنا، إن الله له ابن واحد وحيد مولود طبيعيًا. الذي لم يبدأ وجوده عندما وُلد في بيت لحم، بل قبل كل الدهور. اسمع النبي ميخا يقول: "أما أنت يا بيت لحم أفراته،

^١ ربما يقصد القديس أنه كابن... إله من إله يرى في الآب أنه "الله"، فيدعوه إلهه ليس بمعنى أنه يتعبد له، إذ ليس هو مخلوقًا... إنما تحمل الأبوة السامية جدًا الإلهية.

وأنت صغيرة أن تكوني بين ألوف يهوذا، فمنك يخرج لي الذي يكون متسلطاً على إسرائيل، ومخارجه منذ القديم منذ أيام الأزل" (مي ٥: ٢).

إذن لا تفكر في ذلك الذي هو خارج الآن من بيت لحم (ولا تحسبه حديثاً)، بل اعبد، إذ هو مولود من الآب أزلياً.

لا تسمح لأحد أن يقول إن للابن بداية في زمان...

أتريد أن تعرف أن ربنا يسوع المسيح هو ملك أزلي؟ اسمعه يقول: "أبوكم إبراهيم تهلل بأن يرى يومي، فرأى وتهلل" (يو ٨: ٥٦). وعندما استصعب اليهود قبول هذا، قال لهم إن هذا ليس بصعب، فإنه "قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن" (يو ٨: ٥٨).

مرة أخرى يقول: "والآن مجدني أنت أيها الآب عند ذاتك بالمجد الذي كان لي عندك قبل كون العالم" (يو ١٧: ٥). قال بوضوح: "بالمجد الذي كان لي عندك قبل كون العالم". وأيضاً عندما قال "لأنك أحببتني قبل إنشاء العالم" (يو ١٧: ٢٤)، معلناً أن مجده أزلي.

خالق الكل

٢١. إذن نحن نؤمن بربنا يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من أبيه الله عينه قبل كل الدهور، الذي به كان كل شيء لأن "فيه خلق الكل... سواء كان عروشاً أم سيادات أم رياسات أم سلاطين" (كو ١: ١٦). ولم تقلت خليفة ما من سلطانه.

لتصمت كل هرطقة بخصوص الخالق

٢٢. لتصمت كل هرطقة تتادى بآلهة مختلفة وصانعين للعالم. لتصمت كل لسان يجذف على المسيح ابن الله. لتصمت القائلون إن الشمس هي المسيح، وإنه شمس الخالق^١...
لتصمت القائلون إن العالم هو من عمل الملائكة لكي يلبسوا كرامة الابن الوحيد، إذ كل شيء، ما يرى وما لا يرى سواء كان عروشاً أو رياسات أو أي شيء هكذا يدعى إنما كان بالمسيح^٢...

عمل الآب والابن في الخلق

٢٣. لكن دعنا نسترجع اعترافنا بقانون الإيمان لننهي مقالنا.
المسيح صنع كل الأشياء... لا بمعنى أن الآب تنقصه قوة لخلق أعماله إنما لأنه أراد أن يحكم الابن على أعماله، فأعطاه الله رسم الأمور المخلوقة، إذ يقول الابن مكرماً أبيه: "لا يقدر الابن أن يعمل شيئاً إلا ما ينظر الآب يعمل. لأنه مهما عمل ذاك فهذا يعملُه الابن كذلك" (يو ٥: ١٩). وأيضاً: "أبي يعمل حتى الآن وأنا أعمل" (يو ٥: ١٧). فلا يوجد تعارض في العمل إذ يقول الرب في الأناجيل: "كل ما هو لي فهو لك. وما هو لك فهو لي" (يو ١٧: ١٠).

هذا نعلمه بالتأكيد من العهدين القديم والجديد، لأن الذي قال: "تعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا" (تك ١: ٢٦) بالتأكيد تكلم مع أقنوم معه.

وأوضح من هذا كلمات المرتل: "هو قال فكانت، وهو أمر فخلقت" (مز ١٤٨: ٥). فكما لو أن الآب أمر وتكلم والابن صنع كل شيء كأمر الآب...

^١ يقول أتباع ماني أن الأنوار هي آلهة، وأن الشمس التي ستظلم هي السيد المسيح...

^٢ بقية البند ٢١، والبند ٢٢ تكرر أثرت حذفهما.

يسوع المسيح خالق الكل بأمر الآب

٢٤. إذن المسيح هو ابن الله الوحيد. خالق العالم لأنه "كان في العالم، والعالم به كون" و"إلى خاصته جاء" كما علمنا الإنجيل (يو ١ : ١٠، ١١). لقد خلق المسيح كأمر الآب ليس فقط الأشياء التي تُرى بل وما لا يُرى، إذ يقول الرسول: "فإن فيه خلق الكل ما في السماوات وما على الأرض ما يُرى وما لا يرى سواء كان عروشاً أم سيادات أم رياسات أم سلاطين. الكل به وله قد خلق. الذي هو قبل كل شيء، وفيه يقوم الكل" (كو ١ : ١٦، ١٧).

حتى إن تحدثت عن العوالم، فإن يسوع المسيح أيضاً هو خالقها بأمر الآب، إذ "كلمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه الذي جعله وارثاً لكي شيء، الذي به أيضاً عمل العالمين" (عب ١ : ٢)، هذا الذي له المجد والإكرام والقدرة الآن وإلى أبد الأبد آمين.

المقال الثاني عشر^١

تجسد وتأنس

"ثم عاد الرب فكلّم آحاز قائلاً: "اطلب لنفسك آية... ها العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل" (إش ٧: ١٠-١٤).

إن قلنا إنه لم يأخذ الطبيعة البشرية يصير الخلاص غريباً عنا

١. بشفاٍ مملوءة طهراً، وبفكرٍ عفيفٍ ننشد تسبيحنا للإله ابن البتول. لنستحق أن ننال الشركة في جسد الحمل الروحي: لنشترك في الرأس مع القدمين^٢، مدركين أن الرأس هو لاهوت المسيح والقدمان تعنيان ناسوته. لنصغ أيها المستمعون إلى الأنجيل المقدسة، إلى يوحنا اللاهوتي، إذ يقول: "في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله" (يو ١: ١)، ويكمل قائلاً: "والكلمة صار جسداً". لأنه ليس حسناً أن نتعبد لإنسان عادي، ولا أن نقول إن المسيح إله فقط ناكرين ناسوته. لأنه إن كان المسيح هو الله فهذا حق، لكن إن قلنا إنه لم يأخذ الطبيعة البشرية يصير الخلاص غريباً عنا.

إذن لنتعبد له بكونه إله مؤمنين بتأنسه، لأنه لا نفع من القول عنه إنه إنسان وليس الله، أو أي خلاص لنا إن رفضنا الاعتراف ببشريته مع ألوهيته. لنعترف بحضوره إذ هو ملك وطبيب. لأن يسوع الملك، إذ صار طبيباً، انزّر بكتان ناسوتنا، وشفى من كان مريضاً. المعلم الكامل للرضع، صار رضيعاً بينهم (رو ٢: ٢٠)، لكي يعطى حكمة للجهلاء. خبز السماء نزل إلى الأرض لكي يُطعم الجياع!

احتقر اليهود المسيح الحقيقي

٢. لكن أولاد اليهود الذين لم يبالوا بالذي جاء، متطلعين إليه كبشر، احتقروا المسيح الحقيقي وانتظروا المخادع فخدعوا أنفسهم. يقول المخلص الحقيقي: "أنا أتيت باسم أبي ولستم تقبلونني. إن أتى آخر باسم نفسه تقبلونه" (يو ٥: ٤٣). حسناً! لنسأل اليهود: هل كان النبي إشعياء الذي قال إن عمانوئيل يولد من عذراء صادق أم كاذب؟ فإن وسموه بالكذب فلا تعجب، لأنهم قد اعتادوا لا أن يزيفوا الأقوال فحسب، بل ويرجموا الأنبياء. أما إن قالوا إنه صادق، فأشر إلى عمانوئيل وقل: هل الذي يأتي وتقبلونه يكون مولوداً من عذراء أم لا؟! فإن قلتم إنه لا يولد من عذراء تتهمون النبي بالكذب، وأما إن كنتم تتوقعون فيه هذا، فلماذا رفضتم من جاء فعلاً؟!

مغالطات الهرطقة

٣. ليضل اليهود إذ هم أرادوا هذا، ولتتمجد الكنيسة. فقد قبلنا الرب الكلمة الذي صار إنساناً حقيقياً، وهو لم يأت عن مشيئة رجل وامرأة كما يدعى الهرطقة، بل من العذراء والروح القدس. ويقول الإنجيل إنه "صار جسداً" حقيقياً وليس خيلاً. أما عن كونه إنساناً حقيقياً من عذراء ففي الوقت المناسب أقدم الأدلة في هذا المقال إذ أخطاء الهرطقة متعددة. فالبعض يدعي أنه لم يولد من عذراء قط.

^١ ترجمة الأخ فارس.

^٢ خر ١٢: ٩ "رأسه مع أكارعه".

والبعض يدعي أنه وُلد ليس من عذراء بل من امرأة تقطن مع زوج.
وآخرون ادعوا أن المسيح ليس إلهًا متأنسًا، بل إنسان متألّه، فيقولون إنه ليس "الكلمة الأزلي" قد صار
جسدًا بل إنسان تقدم فنال إكليلاً.

لنتذكر ما قيل بالأمس عن ربوبيته

٤. آمن أنه ابن الله الوحيد، هو هو بنفسه الذي عاد فولد من العذراء. صدق يوحنا الإنجيلي القائل:
"والكلمة صار جسدًا وحلّ بيننا". ذلك لأن الكلمة أبدى، مولود من الآب قبل كل الدهور، وقد أخذ حديثًا جسدًا
من أجلنا.

كثيرون يعترضون متشككين، قائلين: ما هو السبب العظيم الذي يدعو أن يصير الله إنسانًا! وأن تكون
الطبيعة الإلهية علاقات مع البشرية! هل يمكن لعذراء أن تحبل بدون رجل!
ولما كانت الاعتراضات كثيرة، والمعركة متعددة الجوانب، لهذا فإنني أجيب على كل سؤال بنعمة
المسيح وصلوات الحاضرين.

لماذا تجسد المسيح؟

٥. دعنا أولاً نبحث عن سبب مجيء المسيح. لا تبال ببراهين من عندي كي لا تضل الطريق، بل إن لم
تقبل شهادة الأنبياء فلا تصدقي. ما لم تتعلم من الكتاب المقدس بخصوص البتول وعن مكان الميلاد وزمانه
وطريقته، فلا تقبل شهادة إنسان (يو ٥: ٣٤). لأن تعليم إنسان قد يؤدي إلى الشك، لكن كيف يشك أحد في نبوات
أعلنت منذ حوالي ألف سنة ونيف؟!

إن أردت أن تعرف عن سبب مجيء المسيح ارجع إلى أول أسفار الكتاب المقدس.
في ستة أيام صنع الله العالم. بيد أن العالم كان من أجل الإنسان، الشمس تشرق بضياءها لكي تنير له،
وكل الخليقة وُجدت من أجل خدمتنا. العشب والشجر لكي نستمتع به. كل أعمال الخليقة صالحة، لكن لم يُخلق
على صورة الله سوى الإنسان وحده.

الشمس وُجدت بمجرد أمر، أما الإنسان فإنه عمل يديّ الله، إذ قال "لنعمل الإنسان على صورتنا
ومثالنا". إن كانت قطعة خشب منحوتة على صورة ملك تتال شرقًا، فكم بالحري صورة الله العاقلة؟!
لكن إذ وُضع هذا المخلوق العظيم في الفردوس سرعان ما طرده حسد إبليس.
ابتهج العدو بسقوطه، فهل يُترك العدو مستمرًا في بهجته؟! هذا العدو الذي لم يجسر أن يتكلم مع
الرجل بقوته فاستضعف حواء التي كانت لا تزال عذراء، إذ عرف آدم حواء امرأته بعد الطرد من الفردوس.

فساد اليهود وشرهم

٦. جاء قايين وهابيل في الجيل الثاني للبشرية، وكان قايين القاتل الأول. وبعد ذلك غمرت آثام البشر
الأرض. فنزلت نار من السماء على شعب سدوم بسبب تعدياتهم.

وبعد زمن اختار الله شعب إسرائيل، لكن إسرائيل حاد عن الطريق، وصار الشعب المختار جريحًا. إذ
بينما كان موسى يقف أمام الله على الجبل إذا بالشعب يعبد ثورًا عوض الرب. وفي أثناء حياة موسى مستلم
الشرعية القائل "لا تزن"، تجاسر الإنسان ودخل أماكن الخلاعة مرتكبًا الإثم.

وبعد موسى جاء الأنبياء لشفاء إسرائيل، وإذ بهم يولولون ويندبون عدم قدرتهم على التغلب على
الأمراض حتى قال فيهم أحدهم "ويل لي... لأنه قد باد التقى من الأرض وليس مستقيم بين الناس" (مي ٧: ٢).

وأيضًا "الكل قد زاعوا وفسدوا ليس من يعمل صلاحًا ليس ولا واحد" (مز ١٤ : ٣؛ رو ٣ : ١٢). وأيضًا "لعن وسرقة وفسق وقتل غمر الأرض" (هو ٤ : ٢) ... "كانوا يقدسون أولادهم وبناتهم قرايين للشياطين فاستخدموا السحر والجان" (٢ أي ٣١ : ٦). وأيضًا "يتمددون على ثياب مرهونة بجانب كل مذبح، ويشربون خمر المغرمين في بيت إلههم".^١

انحطاط البشرية

٧. ما أعمق جرح الطبيعة البشرية "من القدم إلى الرأس. ليس فيه صحة، ليس من يقدر أن يستخدم دهنا أو زيتًا أو عصائب" (راجع إش ١ : ٦). لذلك ولول الأنبياء قائلين: "هل من صهيون خلاص إسرائيل؟!"^٢ ... إسرائيل؟!"^٢ ... كما يتضرع أحد الأنبياء فيقول: "يا رب طأطئ سماواتك وانزل" (مز ١٤٤ : ٥). إن جروح الطبيعة البشرية لا تلتئم. "نقضوا مذابحك، وقتلوا أنبياءك" (١ مل ١٩ : ١٠)، وصرنا عاجزين عن إصلاح الشر، محتاجين إليك لتصلحه.

رفض اليهود المسيح

٨. سمع الرب صلوات الأنبياء واهتم الآب ألا يهلك جنسنا، فأرسل ابنه من السماء كشافٍ. يقول أحد الأنبياء: "يأتي بغنة السيد الذي تطلبونه" (مل ٣ : ١) إلى أين؟ "إلى هيكله!" يقول نبي آخر عند سماعه هذا: "على جبلٍ عالٍ اصعدي يا مبشرة صهيون ... قولي لمدن يهوذا". ماذا أقول؟ "هوذا إلهك. هوذا السيد الرب بقوة يأتي" (إش ٤٠ : ٩، ١٠). والرب نفسه يقول: "هأنذا آتي وأسكن في وسطكم" (زك ٢ : ١٠). لكن الإسرائيليين رفضوا الخلاص، لهذا "جئت لأجمع كل الأمم والألسنة" (إش ٦٦ : ١٨). إذ "جاء إلى خاصته، وخاصته لم تقبله" (يو ١ : ٢). إنك تجيء، فماذا تهب الأمم؟ "جئت لأجمع كل الأمم والألسنة وأجعل فيهم آية" (إش ٦٦ : ١٩). لأنه متى علقت على الصليب أعطي جميع جنودي ختمًا على جباههم. يقول نبي آخر "طأطأ السماوات ونزل، (ضباب) تحت رجليه" (مز ١٨ : ٩)، لأن نزوله من السماء لم يكن معروفًا من البشر.

سليمان يتنبأ عن مجيئه

٩. إذ يسمع سليمان أباه داود ينطق بهذه الأمور، ويبنّي بيتًا عجيبًا، في دهشة يتساءل: هل يسكن الله حقًا على الأرض مع الإنسان؟! (١ مل ٨ : ٢٧) بلى، يجيب داود متنبأ في المزمور المنسوب لسليمان "ينزل مثل المطر على الجزة" (مز ٧١ : ٥). "مثل المطر" لطبيعته السمائية، و"على الجزة" لناسوته. ولأن المطر ينزل على الجراز بغير ضوضاء. لهذا فإن المجوس وهم لا يدركون سرّ الميلاد يتساءلون: أين هو المولود ملك اليهود؟ وإذا سمع هيرودس ذلك اضطرب، وأراد أن يعرف من هو هذا المولود فسأل: أين يولد المسيح؟!

^١ عا ٢ : ٨ النص الوارد في كيرلس: They fastened their garments with cords and made hangings attached to the altar.

^٢ مز ١٤ : ٧ هنا السؤال يحمل فساد الشعب اليهودي فيسأل النبي طالبًا خلاصًا.

شهادة الأنبياء

١٠. لكن من هذا الذي ينزل؟ "إنه يدوم مع الشمس، وقبل القمر بأجيال الأجيال" (مز ٧١: ٤). ويقول نبي آخر: "ابتهجي جدًا يا ابنة صهيون. اهتفي يا بنت أورشليم. هوذا ملكك يأتي إليك عادل ومعه الخلاص" (زك ٩: ٩).

ما أكثر الملوك، فعن من تتكلم أيها النبي؟ لتعطينا علامة ينفرد بها عن باقي الملوك. إن قلت إنه مكسو بالأرجوان لا يكون فريدًا، وإن قلت إنه محاط بحاملي السلاح، أو يجلس على مركبة ذهبية، فإن هذا يتميز به باقي الملوك. إذا قلنا علامة ينفرد بها ذلك الملك الآتي، الذي تخبرنا عنه؟ يجيب النبي "هوذا ملكك يأتي إليك، عادل ومعه الخلاص وديع وراكب على جحش ابن أتان" وليس على مركبة. إنه يسوع الوحيد بين الملوك، يجلس على أتان بغير سرج، ويدخل أورشليم بحفاوة كملك. وعندما يأتي هذا الملك ماذا يفعل؟ "وأنت أيضًا فأني بدم عهدك قد أطلقت أسراك من الجيب الذي ليس له ماء" (زك ٩: ١١).

أورشليم عاصمة مملكته

١١. لكن ربما حدث هذا مصادفة أن الملك ركب أتانًا؟ اعطنا علامة أخرى. أين يحل هذا الملك! ولتكن هذه العلامة داخل المدينة ذاتها، ولتكن العلامة معلومة لدينا، ولتكن واضحة أمام عيوننا حتى نتعرف عليها؟ يجيب النبي: "وقفت قدماه في ذلك اليوم على جبل الزيتون الذي قدام أورشليم من الشرق" (زك ١٤: ٤). هل يصعب على أي إنسان في داخل المدينة أن يتطلع إلى الموضع؟!

يفتح عيون العميان

١٢. لدينا علامتان ونريد أن نعرف علامة تالفة. أخبرنا ماذا يفعل الرب عند مجيئه؟ يقول نبي آخر "هوذا إلهنا يأتي ويخلصنا حينئذ تفتح عيون العمي، وتسمع آذان الصم، حينئذ يقفز الأعرج كالإيل، ويترنم لسان الأخرس" (إش ٣٥: ٤-٦).

لنأخذ شهادة أخرى. إنك تقول أيها النبي أنه سيأتي ويعمل ما لم يعمله آخر، وماذا أيضًا! "الرب يدخل في المحاكمة مع شيوخ شعبه ورؤسائهم" (إش ٣: ١٤). يا لها من علامة جديرة بالأهمية. فإن السيد حاكمه خدامه الشيوخ وخضع لهم!

لماذا لم ينصت اليهود الأشرار لأنبيائهم؟

١٣. هذه الأمور قرأها اليهود ولكنهم لم يعوها، إذ سدوا آذان قلوبهم كي لا تسمع. أما نحن فلنؤمن ببسوع المسيح أنه جاء في الجسد وتأنس، لأننا لا نقدر أن نقبله بغير ذلك فإن لم يكن في استطاعتنا أن نتطلع إليه كما هو، ولا نتمتع به، صار واحدًا منا حتى نتمتع به. لأنه إن كنا لا نستطيع أن نمنع النظر تمامًا في الشمس المخلوقة في اليوم الرابع فكيف نستطيع إمعان النظر في الله خالقها؟!

لقد نزل الرب في لهيب نار على جبل سيناء، فلم يستطع الشعب أن يتحملوا ذلك، وطلبوا من موسى: تكلم أنت معنا ونحن نسمع، "ولا تجعل الله يكلما لنا لئلا نموت" (خر ٢٠: ١٩). "لأنه من هو من البشر الذي سمع صوت الله الحي يتكلم من وسط النار مثلنا وعاش" (تث ٥: ٦). فإن كان سماع صوت الله يُميت أفلا تدفع رؤية الله إلى الموت؟! وأي عجب، فإن موسى نفسه يقول: "أنا مرتعد ومرتعب" (عب ١٢: ٢١).

دانيال لم يحتمل رؤية ملاك

١٤. ماذا تريد إذن! الذي جاء إلى خلاصنا يصير خادم هلاك، لأن الناس لا يحتملونه! أو يحد نعمته لقياسنا! دانيال لم يحتمل رؤية ملاك، فهل تقدر أنت أن تحتمل رؤية رب الملائكة؟ عندما ظهر جبرائيل سقط دانيال.

في أية طبيعة أو مظهر ظهر؟ لقد كان على شكل نور (دا ٥: ٦). لكن ليس كالشمس. عيناه مثل مصباح نور، لكنهما ليسا كشعلة لهيب. صوته كصوت جمهور، لكن ليس كصوت اثني عشر ربة من الملائكة، ومع ذلك سقط النبي فجاءه الملاك قائلاً: "لا تخف يا دانيال، قم وتشجع فقد سمعت كلماتك". قال دانيال: "قد وقفت مرتعداً"، بل حتى هذه الكلمات لم ينطق بها إلى أن لمست يد تشبه اليد البشرية، ولما تحول ذلك الذي ظهر له إلى صورة إنسان عندئذ تكلم دانيال. ماذا قال؟ يا سيدي، بالرؤيا "انقلبت عليّ أوجاعي لم تثبت فيّ قوة، ولم تبق فيّ نسمة" (دا ١٠: ١٦، ١٧).

إن كان مجرد ظهور ملاك للنبي لم يبق فيه صورة ولا قوة، فهل ظهور الله بنفسه سيبقي له نسمة؟! يقول الكتاب المقدس: "فعد ولمسني كمنظر إنسان" وإلى أن لمسني الملاك لم تلازم الشجاعة دانيال قط. هكذا رأى الرب أنه لكي يمكن للإنسان أن يسمع له يتعين له أن يكون في طلعة الإنسان وملاحمه، لذلك أخذ المخلص الطبيعة البشرية بانفعالاتها حتى يمكن أن يرشد بأكثر سهولة.

خَلَّصَنَا الرَّبُّ بِنَفْسِ الْأَسْلِحَةِ الَّتِي أَرَادَ إِبْلِيسُ أَنْ يَهْزِمَنَا بِهَا

١٥. لتتعلم أيضًا عله أخرى. جاء المسيح ليعتمد ويقس العمداد. جاء لكي يصنع عجائب ويسير على مياه البحر. فإن كان قبل ظهوره في الجسد "البحر رآه فهرب... الأردن رجع إلى الخلف" (مز ١١٤: ٣)، أخذ المخلص جسداً لكي يقدر البحر علي رؤياه ويستقبله الأردن بلا خوف. هذا سبب لمجيئه، هناك سبب آخر: وهو أنه خلال حواء العذراء سار الموت وخلال العذراء تصير الحياة. وكما أغوت الحيّة القديمة العذراء الأولى، جعل جبرائيل البشارة الطيبة للثانية.

هجرت البشرية الرب وتخلت عنه وسجدت لصور بشرية منحوتة، عبدت صورة الإنسان باطلاً على أنه الله، فصار الله إنساناً حقيقياً حتى ينزع الزيف بعيداً.

استخدام إبليس الجسد كسلاح ضدنا، وقد عرف بولس ذلك فقال: "أرى ناموساً آخر في أعضائي يحارب ناموس ذهني ويسبيني..." (رو ٧: ٢٣)، وبنفس الأسلحة التي أراد إبليس أن يهزمنا بها خلَّصنا الرب. أخذ الرب شبهنا حتى يخلص البشر. أخذ مالنا حتى يهبنا نعمة أعظم نتقننا، فتصير البشرية الآتمة مشاركة "فحيث كثرت الخطية ازدادت النعمة جداً" (رو ٥: ٢٠). لاق بالرب أن يتألم لأجلنا، لكن لو عرفه إبليس لما تجاسر أن يقترب إليه. "لأنهم لو عرفوا لما صلبوا رب المجد" (١ كو ٢: ٨). لذلك صار جسده طُعماً للموت، وإذ صار موضع أمل للوحش أن يقبض على المخلص، قبض المخلص عليه. لأنه "يُبْلَغُ الموت إلى الأبد، ويمسح السيد الرب الدموع عن كل الوجوه" (إش ٢٥: ٨).

هل تأنس الله بلا سبب؟

١٦. هل معتقداتنا مجرد عبارات منمقة وادعاءات بشرية؟ أليس الكتاب المقدس ونبوءات الأنبياء هي خلاصنا؟ لهذا اطلب إليك أن تحفظ هذه الوديعة بغير عيب ولا يثنيك أحد عنها. آمن أن الله صار إنساناً.

إن كان من السهل إمكانية أن يصير الله إنساناً، إلا أن اليهود لا يزالون غير مؤمنين. لهذا نسوق لهم هذا القول: أي غرابة في القول إن الرب تأنس وأنتم تقولون أن إبراهيم استقبل الرب كضيف؟ (تك ١٠: ١) أي غرابة فيما نقول إن كنتم تقولون إن يعقوب صار مع الرب وجهاً لوجه (تك ٣٢: ٣٠)... الرب الذي أكل مع إبراهيم

أكل معنا...

متى يأتي هذا النبي المنتظر؟

١٧.... يقول موسى النبي "نبيًا مثلي سيقيم لكم الرب إلهكم من إخوتكم له تسمعون" (تث ١٨: ١٥؛ أع ٧: ٣٧). لنترك الآن كلمة "مثلي" إلى حين لبحثها في موضعها. ولكن متى يأتي هذا النبي المنتظر؟ انظر ما كتبه وبحث بتدقيق نبوة يعقوب الموجهة إلى يهوذا: "إياك يحمذك إخوتك". ثم يقول: "لا يزول قضيب من يهوذا ومشترع من بين رجليه حتى يأتي شيلون، وله يكون خضوع (ويكون منتظرًا من الشعوب)" (تك ٤٩: ٨، ١٠)، لا من اليهود. بهذا أعطى علامة لمجيء المسيح هو انقطاع الحكم من اليهود. فلو لم يكونوا تحت حكم الرومان لما كان المسيح قد جاء بعد. لو كان لليهود ملك من يهوذا من نسل داود لما جاء المسيح بعد...

إنه المنتظر من جميع الشعوب. وما هي علامته؟ "رابطًا بالكرمة جحشه" (تك ٤٩: ١١). لاحظ الجحش الذي يعلنه زكريا بصراحة.

تحديد الزمان بالسنوات

١٨. إذن نبحث بأكثر تدقيق عن شهادة خاصة بزمان مجيئه، إذ يصعب إقناع الشخص ما لم يقدم له حساب دقيق للزمان بالسنوات. فما هو وقت وحال زمان مجيئه؟ إنه في زمان انحلال ملوك يهوذا وسقوطهم، حيث بلغ هيرودس الأجنبي الملك. لهذا قال الملك الذي خاطب دانيال... "فاعلم وافهم أنه من خروج الأمر لتجديد أورشليم وبناءها إلى المسيح الرئيس سبعة أسابيع واثنان وستون أسبوعًا" (دا ٩: ٢٥). والتسعة والستون أسبوعًا يحملون ٤٨٣ سنة (٧×٦٩). فكأنه يقول أنه بعد بناء أورشليم بـ ٤٨٣ سنة حيث يسقط الحكام، ويأتي عوضًا عنهم ملك من جنس آخر من زمان يولد المسيح.

وقد بني داريوس المادى *Mede* (دا ٥: ٣١) المدينة في السنة السادسة من حكمه، والسنة الأولى من الأولمبي (*Olympiad*) الـ ٦٦ طبقًا للإغريق. والأولمبي هي كلمة إغريقية معناها احتفالات للألعاب، تقام كل ٤ سنوات، وذلك بسبب اليوم الذي فيه تؤدي دورة الشمس إلى ٣ ساعات إضافية... أما هيرودس فهو الملك الذي تولى الحكم في الأولمبي الـ ١٨٦ في السنة الرابعة منه. فمن الأولمبي الـ ٦٦ إلى الأولمبي ١٨٦ يكون هنا ١٢٠ أولمبي أي ٤٨٠ سنة، وبإضافة ٣ سنوات ربما الفترة ما بين السنة الأولى والرابعة للأولمبي يكون عدد السنوات ٤٨٣. وبهذا يكون لديك شهادة طبقًا لقول الكتاب المقدس "إنه من خروج الأمر..."

مكان ميلاده

٢٠. لنصغ الآن إلى مكان الموعد، إذ يقول ميخا: "وأما أنت يا بيت لحم أفراثة وأنت صغيرة وأن تكوني بين ألوف يهوذا..." (مى ٥: ٢). وإذ أنت ساكن في أورشليم تعرف ما جاء في المزمور ١٣١: "هوذا قد سمعنا به في أفراثة ووجدناه في موضع الغابة"، إذ من سنين قليلة كانت المنطقة مشجرة (غابة).

ولادته من عذراء

٢١. لنسأل أكثر من هذا: ممن يأتي؟ وبأية كيفية؟ يخبرنا إشعياء النبي بهذا "ها العذراء تحبل وتلد ابنًا ويدعون اسمه عمانوئيل" (إش ٧: ١٤). وهنا يتعرّث اليهود الذين هم منذ القدم يقاومون الحق فإنهم يقولون إنه لم يكتب "عذراء" بل "فتاة". لنتمشى مع اليهود فإننا نصل إلى الحق. لنسألهم: إن أكرهت فتاة فصرخت طالبة النجدة، هل يكون ذلك قبل الاعتداء أم بعده؟

فإنه يقول الكتاب المقدس في موضع آخر "الفتاة المخطوبة صرخت فلم يكن من يخلصها" (تث ٢٢: ٢٧). أم يتكلم هنا عن عذراء؟! ولكن ما يجب أن تعرفه بوضوح أن العذراء تدعى في الكتاب المقدس فتاة، إذ يتحدث عن ابنيشج الشونمية "كانت الفتاة جميلة جداً" من أجل هذا اختيرت وقد صارت موضع إعجاب داود.

بخصوص النبوة عن ولادته من عذراء

٢٢. لكن اليهود يقولون إن هذا قيل لأحاز مشيراً إلى حزقيا. حسنا لنقرأ الكتاب المقدس، ماذا يقول؟ "اطلب من الرب إلهك آية في العمق وفي العلو" (راجع إش ٧: ١١). والآية بكل تأكيد يجب أن تكون عجيبة مثل خروج المياه من الصخرة أو انشقاق البحر أو رجوع الشمس إلى الوراء، وما أشبه ذلك، لكن ما أشير إليه بأكثر وضوح لدحض اليهود أن إشعياء هذا كان في أيام آحاز. وآحاز ملك فقط ١٦ سنة. فإن كان النبي يتنبأ خلال هذه المدة فإن دعوى اليهود تبطل أنه يقصد الملك الذي جاء بعده حزقيا بن آحاز، إذ كان عمرة ٢٥ عاماً يوم تولية الحكم. فإذا كانت النبوة خلال ١٦ عاماً فإنه من المفروض أن يكون حزقيا قد ولد بالغاً من العمر تسعة سنوات (على الأقل) قبل النبوة. فما الحاجة إلى النبوة عن شخص ولد فعلاً حتى قبل أن يملك أباه آحاز، فإن النبي لم يقل "حبلت" بل "ها العذراء تحبل" متحدثاً عن أمور ستحدث.

عائلة هذه العذراء

٢٣. عرفنا أن الرب يولد من عذراء، بقي لنا أن نعرف عائلة هذه العذراء. "أقسم الرب لداود بالحق ولن يندم، من ثمرة بطنك أجعل على كرسيك". وأيضاً "وأجعل إلى الأبد نسله وكرسيه مثل أيام السماوات". وأيضاً "حلفت بقدسي إني لا أكذب لداود. فله إلى الدهر يكون وكرسيه كالشمس والقمر أمامي" (مز ١٣٢: ١١؛ مز ٨٩: ٢٩؛ مز ٨٩: ٣٥).

ها أنت ترى الحديث عن المسيح لا سليمان، لأن عرش سليمان لا يبقى كالشمس. أما إن أنكر أحد قائلاً: إن المسيح لم يجلس على كرسي داود المادي، فإننا نقدم له هذا القول "على كرسي موسى جلس الكتبة والفريسيون" (مت ٢٣: ٢)، فهم لم يجلسوا على كرسي خشبي، بل صارت لهم سلطة التعليم، هكذا لا تنتظر إلى كرسي داود أنه كرسي خشبي، بل الملك نفسه.

أيضاً خذوا الأطفال كشهود، إذ يصرخون: "أوصنا يا ابن داود. مبارك (الآتي) ملك إسرائيل" (مت ٢١: ٩؛ يو ١٢: ١٣). كذلك الأعميان قالوا: "ارحمنا يا ابن داود" (مت ٢٠: ٣٠). وقد شهد جبرائيل لمريم بصراحة قائلاً: "يعطيه كرسي داود أبيه" (لو ١: ٣٢). وأيضاً يقول بولس: "اذكر يسوع المسيح المقام من الأموات من نسل داود بحسب إنجيلي" (٢ تي ٢: ٨). وفي بداية الرسالة إلى أهل روميه يقول: "الذي صار من نسل داود من جهة الجسد" (رو ١: ٣). اقبل المولود ابن داود آمن بالنبوة القائلة: "ويكون في ذلك اليوم أن أصل يسى داود القائم يحكم الشعوب وفيه تثق الشعوب" (راجع إش ١١: ١٠؛ رو ١٥: ١٢).

العذراء من نسل داود

٢٤. لكن بضرب اليهود كثيراً بسبب هذه الأمور. لقد سبق إشعياء فعرفها، قائلاً: "لأنه يكون مأكلًا للنار، لأنه يولد لنا (وليس لهم) ولد ونعطى ابناً" (إش ٩: ٥)، لاحظ أنه أولاً ابن الله ثم يعطى لنا. بعد هذا بقليل يقول "سلامه بلا حدود". مملكة الرومان محدودة، أما مملكة المسيح ابن الله فبلا حدود. دولة فارس ومادي لها حدود، أما ابن الله فمملكته بلا حدود.

ثم يكمل قائلاً: إنه علي كرسي داود يجلس، وعلى مملكته يديرها. لذلك فإن العذراء هي من نسل داود.

يتجسد في أحشاء عروس الطهارة

٢٥. يليق بكلي الطهارة ومعلمها أن يتجسد في أحشاء عروس الطهارة. إن كان كاهن المسيح في الخدمة يمتنع عن المضجع، فكيف يولد المسيح من امرأة ورجل؟! إنه يقول بنفسه في المزمور "أخرجتني من الرحم" (مز ٢٢: ١)، مظهرًا أنه مولود بغير زرع رجل، إنما يحمل الجسد عن عذراء، الأمر الذي يختلف عن المولودين من زرع بشري.

أخذ مكوّن الأجساد جسّدًا

٢٦. إذ أخذ الرب جسّدًا لم يخجل منه إذ هو مكوّن الأجساد. لكن من الذي أخبرنا بهذا؟ يقول الرب لإرميا: "قبلما صورتك في البطن عرفتك. وقبلما خرجت من الرحم قدستك" (إر ١: ٥). فإن كان لم يخجل من خلقه جسد الإنسان، أفيخجل من الجسد الذي أخفي فيه لاهوته. الذي يخلق الأطفال في الأحشاء كما كتب أيوب: "ألم تصبني كاللبن وخثرتني كالجبين، كسوتني جلدًا ولحمًا فنسجتني بعظام وعصب؟!" (أي ١٠: ١٠)، (١١) ليس شيء نجسًا في هيكل الإنسان بل هو يفسده بالزنى والدعارة.

الذي خلق آدم خلق حواء أيضًا، فإن يد الله هي التي خلقت الرجل والمرأة. ليس عضو من الأعضاء التي خلقها منذ البدء نجسًا.

ليصمت جميع الهراطقة الذين يهينون أجسادهم ويغتابون صناعاتها. لنذكر قول بولس "أم لستم تعلمون أن جسديكم هو هيكل للروح القدس الذي فيكم؟!" (١ كو ٦: ١٩)

أيضًا سبق النبي فتكلم عن شخص يسوع فقال: "جسدي مأخوذ منهم" (راجع هو ٩: ١٢ LXX). كتب في موضع آخر: "ذلك يسلمهم إلى حين تكون ولدت والدة" (مى ٥: ٣).

وما هي العلامة؟ إنه يخبرنا بعد ذلك فيقول: "تلد ثم ترجع بقية إخوته". وماذا عن العروس القديسة العذراء؟ "أخطبك لنفسك بالأمانة فتعرفين الرب" (هو ٢: ٢٠). لذلك عندما تكلمت اليسانبات مع مريم قالت لها "طوبى للتي آمنت أن يتم ما قيل لها من قبل الرب" (لو ١: ٤٥).

الرد على الوثنيين

٢٧. لكن كلاً من اليهود واليونانيين يزعموننا قائلين: إنه من المستحيل أن يولد المسيح من عذراء. أما بالنسبة لليونانيين، فإننا نحرس ألسنتهم من أساطيرهم. يا من تقولون إن الحجارة صارت بشرًا، كيف تستبعدون إمكانية ولادة المسيح من العذراء.

يا من تعتقدون أن فتاة ولدت من عظام كيف لا تقدرون أن تصدقوا أن المسيح يولد من أحشاء عذراء. يا من تعتقدون باطلاً أن ديونيسيوس ولد من فخذ زيوس كيف تستبعدون الحق. إنني أعلم أن ما انطق به الآن هي أمور يستخف بها الحاضرون، لكنني أذكرها لكي توبخوا اليونانيين في حينه، تجيبونهم من أساطيرهم.

الرد على اليهود

٢٨. أما أهل الختان فإننا نواجههم بهذا السؤال: أيهما أصعب، أن تلد عاقر وفي سن الشيخوخة أم أن تحبل صبية عذراء؟!

سارة كانت عاقراً وانقطعت عن أن يكون لها كعادة النساء، لكن على خلاف الطبيعة ولدت طفلاً. فإن ولدت عاقر طفلاً، فليس غريباً أن تحبل عذراء. فإما أن تقبل الاثنين أو ترفضهما. لأن الله ذاته الذي جعل

العاقِر تلد هو الذي جعل العذراء تحبل.

لا تقدر إن تقول إن الله قادر في الحالة الأولى وغير قادر في الحالة الثانية.

أيضاً كيف يمكن لذراع إنسان أن تتحول في ساعة معينة إلى صورة أخرى ثم تشفى مرة ثانية؟! كيف يمكن أن تصير يد موسى بيضاء كالثلج ثم تعود لطبيعتها مرة أخرى؟! إنك تقول إنها إرادة الله صنعت هذا. فهل في هذه الحالة إرادة الله قادرة، وفي الحالة الأخرى إرادة الله بلا قوة؟! خاصة وأنه في حالة موسى كانت الآية للمصريين وحدهم، أما في حالة العذراء فهي للعالم كله.

أيهما أصعب أيها اليهود، أن تلد عذراء، أم أن تصير العصا الجماد مخلوقاً حياً؟! إنكم تقولون إن عصا موسى صارت حية، وقد هرب منها ليس خوفاً، لكن لأنها صارت حية. العصا أخرجت عيون وأسنان كالحية، فهل إرادة الله تُخرج من العصا عيين، ولا يمكن أن يولد طفل من عذراء؟!

إنني لم أقل شيئاً عن عصا هارون التي أثمرت في ليلة، الأمر الذي ما كان يمكن أن يتم مع الشجر إلاّ خلال سنين. من لا يعرف أن الغصن متى فقد حياته لا يعود يفرخ حتى وإن زرع في مجاري الأنهار؟! لكن الله الذي لا يعتمد على طبيعة الأشجار بل هو خالق هذه الطبيعة جعل العصا الجافة التي بلا أوراق أو ثمار أن تزهر وتثمر. فإن كان الرب من أجل رئيس الكهنة أعطى ثمرًا بطريقة معجزية، أفلا يقدر من أجل رئيس الكهنة الأعظم أن يجعل العذراء تلد ابناً؟!

من الذي ولد حواء؟

٢٩. هذه أدلة قوية، لكن اليهود يرفضونها ولا يريدون الخضوع للشهادات الخاصة بالعصا ما لم يروا

ميلاديات عجيبة وفريدة.

أسألكم: من الذي ولد حواء؟ أي أم ولدت من هي بلا أم؟ الكتاب المقدس يقول إنها وُلدت من جنب آدم. فهل ولدت حواء بدون أم من جنب وكثير أن يُولد طفل بلا أب من أحشاء عذراء؟ لهذا كان على جنس المرأة دين إزاء الرجل... لذا دفعت مريم هذا الدين، وردت هذا الجميل عندما حبلت ليس برجل بل وحدها حين حبلت بالروح القدس بطريقة سرية بقوة الله^١.

الميلاد العذري والخلق

٣٠. لننظر عظمة هذا: إنه لأمر عجيب أن تولد الأجسام من أجسام أخرى. وإن كان هذا الأمر عجيباً لكنه ممكن، لكن العجب كل العجب أن يتحول التراب إلى إنسان له عيون وعظام وهيكل ورئتان يتنفس ويتحرك ويتكلم ويملك. أيها الأغبياء كيف خُلق آدم؟ ألم يأخذ الله حفنة من التراب؟!... العجب كل العجب أن تتشأ الأنسجة والعيون الرائعة من طين لا شكل له، وأن تنتج العظام الصلبة والرئات الرقيقة، ومختلف الأعضاء الأخرى من التراب ذاته...

أيها اليهود الأغبياء، من أين أتى آدم؟ أليس الله الذي أخذ من تراب الأرض ورسم هذا الشكل العجيب؟ (تك ٢: ٧)، إن كان الطين تحوّل إلى عين، ألا تستطيع العذراء أن تلد ابناً؟...

بمجرد الوعد صار يعقوب يطلق على راحيل "زوجته"

٣١. أخيراً دعنا نرد على القائلين إنه ولد من رجل وامرأة، من يوسف ومريم قائلين إنه ذكر في الكتاب

^١ بند ٣٠ اختصر. كما حذف البندان ٣٣، ٣٤.

المقدس "يوسف أخذ امرأته" (مت ١ : ٢٤).

لنرى ماذا قال يعقوب قبل أن يستلم راحيل "أعطني زوجتي" (تك ٢٩ : ٢١). لأنه حتى قبل الارتباط، لكن بمجرد الوعد صار يعقوب يطلق عليها "زوجته".

كذلك مريم إذ كانت مخطوبة دُعيت زوجة يوسف.

لاحظ قول الكتاب المقدس: "في الشهر السادس أرسل جبرائيل الملاك إلى عذراء مخطوبة لرجل اسمه يوسف" (لو ١ : ٢٦). كما يقول صعد يوسف من الجليل ليكتتب مع مريم امرأته المخطوبة وهي حبلى" (لو ٢ : ٥٤)، إذ حتى وهي حبلى بولد دُعيت زوجته "المخطوبة". وكما يقول بولس الرسل: "أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة" (غل ٤ : ٤)، فقط وليس من رجل وامرأة.

العذراء نفسها سبقت أن تعجبت

٣٢. لا تعجب أيها الحبيب، فالعذراء سبق أن تعجبت قائلة لجبرائيل: "لست أعرف رجلاً". فقال لها الملاك: "الروح القدس يحل عليك، وقوة العلي تظللك، ولهذا فالمولود منك يُدعى ابن الله" (لو ١ : ٣٤، ٣٥). لقد كانت ولادة طاهرة وبلا دنس، لأنه حيث يحل الروح القدس يزول كل دنس. ولادة ابن الله الوحيد بالجسد من عذراء ولادة بلا دنس.

إن اعترض الهراطقة على هذه الحقيقة فيسلومهم الروح القدس، وتغضب عليهم قوة العلي، ويثور عليهم جبرائيل في يوم الدين. وسيفحمهم مكان المزود الذي تقبل الرب، وسيشهد ضدهم الرعاة الذين بشروا بالفرح العظيم، وأيضاً جيش الملائكة الذين سبّحوا الله، قائلين: "المجد لله في الأعالي، وعلى الأرض السلام، وبالناس المسرة" (لو ٢ : ٢٤).

سيشهد عليهم الهيكل الذي حُمِل إليه في اليوم الأربعين، وزوجا اليمام اللذان قُربا مكانه، وسمعان الذي حمّله على ذراعيه، وحنة النبية التي حضرت تلك الساعة.

شهادة الأطهار والبتولين عنه

٣٣. إذن، ليشهد الله، ويشهد الروح القدس، وسيقول المسيح: "الآن تطلبون أن تقتلوني، وأنا إنسانٌ قد كَلَّمكم بالحق" (يو ٨ : ٤٠).

إذن، ليصمت الهراطقة الذين يعارضون في طبيعته البشرية، لأنهم يناقضون القائل: "جسْوني وأنظروا، فإن الروح ليس له لحم وعظام كما ترون لي" (لو ٢٤ : ٣٩). فليُسجد للرب المولود من العذراء، ولتعترف العذاري بإكليل جماعتهن، ولتعترف طغمة المتوحدين بمجد العفة، فإننا لم نُحرم من كرامة العفة.

لقد مكث المخلص تسعة أشهر في أحشاء العذراء؛ وأصبح الرب رجلاً في الثالثة والثلاثين من عمره، بحيث إنه إذا كانت العذراء تفتخر بحملها إياه تسعة شهور، فإننا قد حظينا به لسنوات كثيرة.

دعوة إلى الحياة البتولية^١

٣٤. لنسرع جميعاً بنعمة الله إلى سباق الطهارة، شباباً وعذارى، شيوخاً وأطفالاً (مز ١٤٨ : ١٢). لنسبح اسم المسيح بعيدين عن الشراهة، ولا ننكر مجد العفة. إنها إكليل ملائكي، وفضيلة تسمو بالإنسان. لنوقر أجسامنا التي يلزم أن تضىء كالشمس (مت ١٣ : ٣). ولا ندنس هذا الجسم العظيم من أجل لذة

^١ في ترجمة هذا البند استعنت بالتعريب الذي قام به الأب جورج نصور، في سلسلة النصوص الليتورجية.

طفيفة؛ فالخطية زائلة تدوم لساعة. أما العار فجسيم يدوم إلى الأبد. الذين يمارسون العفة هم ملائكة سالكون على الأرض. وللعذاري نصيب مع مريم العذراء. لنبتعد عن كل تبرُّج، وكل نظرة شريرة، وكل حديث باطل، وكل زينة وعطر مثير للأهواء. ليقصر عطرنّا على راحة صلاتنا الذكية، وممارسة أعمال الخير، وتقديس الأجسام. حتى يتسنى للرب المولود من العذراء أن يقول عنا نحن الذين نمارس العفة، من رجالٍ ونساءٍ؛ "إني سأسكن فيهم، وأسير بينهم، وأكون لهم إلهًا، وهم يكونون لي شعبًا" (٢ كو ٦ : ١٦). له المجد إلى الأبد، آمين.

المقال الثالث عشر

صلب ودفن

"من صدق خبرنا؟ ولمن أُستعلن ذراع الرب؟... كشاة تساق إلى الذبح" (إش ١٣ : ١-٧).

الصلب أعظم أعجوبة

١. كل عمل قام به المسيح، إنما يمجّد الكنيسة الجامعة. ولكن أعظم كل الأمجاد للكنيسة هو الصليب. وإذا عرف بولس ذلك قال: "وأما من جهتي فحاشا لي أن أفتخر إلاّ بصلب ربنا يسوع المسيح" (غل ٦ : ١٤).

عجيب أن يرى المولود الأعمى من بطن أمه النور في سلوام، لكن هذا العمى كيف يُقارن بعمى العالم كله؟!

انه أمر عظيم وخارق للطبيعة أن يقوم لعازر من الموت في اليوم الرابع، لكن النعمة شملته وحده، فكيف يُقارن بالذين ماتوا بخطاياهم في العالم كله؟!

أي معجزة هذه أن يُطعم خمسة آلاف بخمس خبزات، ولكن ماذا يكون هذا بالنسبة للذين يتضورون جوعاً في المسكونة كلها؟!

حقاً إنها لمعجزة أن تحلّ المربوطة بالشيطان ١٨ عاماً من قيودها هذه، لكن ماذا يكون هذا بالنسبة لنا نحن جميعاً الذين نقيّدنا برباطات آثامنا؟!

لكن مجد الصليب قادر أن يبعث النور في هؤلاء العميان في جهلهم، ويحلّ عنهم وثاقات الإثم، ويفتدي العالم البشرية أجمع؟!

يا لعظمة إمكانية المصلوب!

٢. لا تعجب من أن العالم كله أُنقذ، لأن الذي مات من أجله لم يكن مجرد إنسان بل ابن الله الوحيد! فإذا جلب عصيان آدم الموت على العالم، لكن كما أنه "بخطية الواحد قد ملك الموت بالواحد. فبالأولى كثيرون الذين ينالون فيض النعمة وعطية البرّ سيملكون في الحياة بالواحد" (رو ٥ : ١٧).

وإذا كان بسبب شجرة طعام قد طُردوا من الفردوس، أفلا يدخل المؤمنون الآن بأكثر سهولة إلى الفردوس بشجرة يسوع.

إن كان الإنسان الأول المخلوق من الطين جلب الموت العام، أفلا يستطيع الذي صنعه من التراب أن يعيده إلى الحياة الأبدية، هذا الذي هو بنفسه "الحياة"؟!

وإذا كان فينحاس عندما زادت غيرته ذبح فاعل الشر فرد سخط الرب، فهل يسوع الذي لم يذبح غيره بل بذل نفسه فدية (١ تي ٢ : ٦) لا يرد السخط الذي كان من جهة الجنس البشري؟!

لا تخجل من الصليب

٣. لا تخجل من صليب مخلصنا، بل بالأحرى افتخر به. لأن كلمة الصليب عند اليهود عثرة، وعند الأمم جهالة، أما بالنسبة لنا فخلاص" (١ كو ١ : ٢، ٣). إنه "عند الهالكين جهالة، وأما عندنا نحن المخلصين فهو قوة الله" (١ كو ١ : ١٨، ٢٣). لأنه كما سبق أن قلت أنه لم يكن ذاك الذي مات عنا إنساناً مجرداً، بل هو

ابن الله، الله المتأنس.

بالأحرى إن كان الحمل في أيام موسى جعل المهلك يعبر بعيداً، أفلا ينزع عنا خطايانا ذاك الذي هو حمل الله الذي يرفع خطايا العالم؟! (يو ١ : ٢٩)

دم الخراف غير الناطقة وهب خلاصنا، أليس بالأحرى دم ابن الله الوحيد يخلص؟! من ينكر قوة المصلوب، فليسأل الشياطين! من لا يؤمن بالكلام، فليؤمن بما يرى. فكثيرون صُلبوا في العالم، لكن الشياطين لم تفزع من واحدٍ منهم، لكنها متى رأت مجرد علامة صليب المسيح الذي صُلب عنا يُصعقون. لأن هؤلاء الرجال صُلبوا بسبب آثامهم، أما المسيح فصُلب بسبب آثام الآخرين... "لأنه لم يعمل ظلمًا، ولم يكن في فمه غش" (إش ٥٣ : ٩ ؛ ١ بط ٢ : ٢٢). لم ينطق بهذه العبارة وحده، وإلا لشككنا في أنه منحاز لمعلمه. ولكن إشعياء قالها أيضًا، ذاك الذي لم يكن حاضرًا معه بالجسد، لكنه تنبأ بالروح عن مجيئه بالجسد.

ما بالنا نستشهد بالنبي وحده هنا؟ فما هو بيلاطس نفسه الذي حكم عليه يقول: "لا أجد في هذا الإنسان علة" (لو ٢٣ : ١٤). ولما أسلمه غسل يديه قائلًا: "أنا بريء من دم هذا البار". توجد شهادة أخرى عن يسوع البار الذي بلا خطية، هي شهادة اللص أول الداخلين الفردوس، إذ بكّت زميله منتهرًا إياه قائلًا: "أما نحن فبعدل لأننا ننال استحقاق ما فعلنا، وأما هذا فلم يفعل شيئًا ليس في محله" (لو ٢٣ : ٤١)، لأن كلينا تحت قضائه.

آلامه وصلبه حقيقة وليس خيالاً

٤. بالحقيقة تألم يسوع من أجل البشر، لأن الصليب لم يكن وهمًا، وإلا صار فداؤنا وهمًا أيضًا. لم يكن موته مجرد خيال، وإلا كان خلاصنا واهن أيضًا. فلو كان موته مجرد مظهر لكان على حق أولئك الذين قالوا "لقد تذكرنا أن ذلك المضل قال وهو حيّ إني بعد ثلاثة أيام أقوم" (مت ٢٧ : ٦٣). كانت آلامه حقيقة. لأنه بالحقيقة صُلب، ونحن لا ننكر هذا. لقد صُلب ونحن نذكره بل نفتخر به. فإنني إن أنكرته ها هي الجلجثة التي احتشدنا بالقرب منها تبتكتني. خشبة الصليب التي ورّعت قطعًا مختلفة على العالم كله تُقحمني.

إنني اعترف بالصليب إذ أعرف القيامة. لأنه لو كان بعد الصليب بقى كما هو ربما لم أكن أعترف به. بل لكنت أنكره وأحاول إخفاء الصليب وإخفاء سيدي. لكن إذ تبعت القيامة الصليب، فإنني لا أخجل من إعلانه.

لم يصلب بسبب خطية!

٥. إذ كان قد صُلب بالجسد كالآخرين، لكنه لم يكن مثلهم في الخطية. إنه لم يصلب بسبب الطمع، إذ كان معلمًا للافتقار. لم يحكم عليه بسبب شهوة، بل بنفسه قال في وضوح: "وأما أنا فأقول لكم إن كل من نظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها في قلبه" (مت ٥ : ٢٨).

ولا حُكم عليه لغضب أو هياج سريع، إذ هو مدير الخد الآخر لمن يلطمه، ولا لكسر الشريعة إذ هو منفذها. ولا لسبب نبي، إذ هو نفسه موضوع نبوة الأنبياء. ولا لغشه أحد في أجرته، إذ خدم مجانًا دون مكافأة. ولا لخطية ارتكبها بكلام أو عمل أو فعل، إذ "لم يفعل خطية، ولا وجد في فمه مكر، الذي إذ سُتِم لم يشتم عوضًا. وإذ تألم لم يكن يهدد" (١ بط ٢ : ٢٢-٢٣). الذي تألم بإرادته وليس رغماً عنه. نعم فإنه إلى الآن متى قال له أحد "حاشاك يا رب"، يجيبه "اذهب عني يا شيطان" (مت ١٦ : ٢٢-٢٣).

تألم بإرادته

٦. أتريد أن تقتنع أنه تألم بإرادته؟ آخرون لا يعلمون ماذا يحدث لهم لذلك ماتوا بغير إرادتهم، أما هو فسبق وقال: "ابن الإنسان يسلم ليُصلب" (مت ٢٦: ٢).

ألا تعرف لماذا "صديق الإنسان" هذا لم يمنع الموت؟ لكي لا يهلك العالم كله في خطاياهم. "ها نحن صاعدون إلى أورشليم، وابن الإنسان يُسلم ويصلبوه" وأيضًا: "تقدم صاعدًا إلى أورشليم" (مت ٢٠: ١٨، لو ١٩: ٢٨).

أتريد حقًا أن تعرف أن الصليب مجد يسوع؟ استمع إلى كلماته لا إلى كلماتي، فإذا كان يهوذا خائن رب البيت على وشك القيام بالخيانة، وقد جلس على مائدته، وشرب كأس نعمته، عوض الخلاص تقدم ليسفك الدم البريء. "رجل سلامتي الذي وثقت به، أكل خبزي رفع عليّ عقبه" (مز ٤١: ٩). لم تكن يده بعد قد تركت عطية نعمته حتى أسرع ليسلمه إلى الموت، حبًا بثمن الخيانة. وبخه، وإذا سمع: "أنت قلت" (مت ٢٦: ٥) خرج ليسلمه. عندئذ قال يسوع: "قد أتت الساعة ليتمجد ابن الإنسان" (يو ١٢: ٢٣).

لترى يا عزيزي، كيف عرف أن الصليب هو المجد اللائق به.

إن كان إشعياء لم يخجل من نشره إلى أجزاء، أفيخجل المسيح لموته عن العالم؟! "الآن يتمجد ابن الإنسان" (يو ١٣: ٣)، لا لأنه لم يكن ممجدًا من قبل، بل كان ممجدًا بالمجد الذي له من قبل كون العالم (يو ١٧: ٥). كان ممجدًا على الدوام، إذ هو الله، والآن يتمجد حاملًا صبره.

إنه لم يسلم حياته رغماً عنه، ولا قبل الموت قسراً، بل بموافقته. اسمع ماذا يقول؟ "لي سلطان أن أضعها، ولي سلطان أن أخذها أيضاً" (يو ١٠: ١٨). إنني أسلمها لأعدائي باختياري، وإلا ما كان يتم ذلك.

لقد جاء بغرضٍ وضعه هو بنفسه أن يتألم، مسروراً بعمله النبيل، مبتسماً بتاجه، معتزلاً بخلاص البشرية، دون خجلٍ من الصليب، إذ هو لخلاص هذا العالم. لم يكن إنساناً عادياً بل الله المتأنس...

اعتراض اليهود

٧. لكن اليهود يعترضون على ذلك وهم على استعداد دائماً أن يغالطوا ويرتدوا عن الإيمان. لهذا السبب يقول النبي إلى يومنا هذا "من صدق خبرنا؟" (إش ٥٣: ١) آمن الفارسيون، والعبرانيون لم يؤمنوا. "الذين لم يُخبروا به سيبصرون والذين لم يسمعوا سيفهمون" (رو ١٥: ٢١، إش ٥: ١). الذين كانوا يدرسون هذه الأمور كأنهم لم يدرسوها. إنهم يتكلمون ضدنا قائلين: "أيتألم الرب؟ ماذا؟ هل ليد الإنسان سلطان على جبروته؟" اقرأ المراثي التي فيها يرثيك النبي... إذ رأى خرابك. لقد نظر سقوطك، فانتحب أورشليم على ما كانت عليه، وليس على ما هي عليه الآن، إذ صلبت المسيح أما الآن فتتعبد للرب.

إنه يقول في رثائها "مسيح الرب أخذ في حفرهم".^١ هل هذه وجهة نظري أنا؟ إذ يشهد النبي بالقبض على الرب يسوع. ثم ماذا يتلو ذلك؟ قل لنا أيها النبي: "الذي قلنا عنه في ظله إننا نعيش بين الأمم"، وهو يعني أن عطية الحياة لم تعد تقطن في إسرائيل بل بين الأمم.

شهادات عن آلامه

٨. لكننا إذ نجد منهم مقاومة شديدة، لذلك فإنني بصلواتكم أقدم بنعمة الله قليلاً من الشهادات عن آلامه. فإن الأمور التي تتعلق بالمسيح قد سبق أن كُتبت، ولم يترك منها دون شاهد، إنما أعلن على فم الأنبياء.

^١ مرا ٤: ٢٠. "The breath of our countenance Christ the lord was taken in our corruptions."

وكتبت هذه الأمور بصراحة لا على لوح حجر بل بالروح القدس. لذلك عندما تسمع الإنجيل يتحدث عن يهوذا، أما يليق أن تطلب شهادة عن ذلك؟ لقد سمعت أنه طعن بالحرية في جنبه، أما يلزم أن تعرف عما إذا كان قد كتب عنه هذا؟ سمعت أنه بيع بثلاثين من الفضة، ألا تريد أن تعلم أي نبي نطق بهذا؟! سمعت أنه أعطى خلًا للشرب... وأن جسده ألقى في صخرة وأقيم عليها حجر... وأنه صلب بين لصوص أما تريد أن ترى هذا مكتوبًا؟! إنك سمعت أنه دُفن أتريد أن تعرف كل ظروف الدفن كيف سجلت بدقة؟!

لقد سمعت عنه أنه قام أيضًا أتريد أن تعرف إن كنا نسخر بك في هذا التعليم؟! لأن "كلامي وكرازتي لم يكونا بكلام الحكمة الإنسانية" (١ كو ٢: ٤). فنحن لا ننشئ كلامًا سوفسطائيًا بل "تكرز بالمسيح مصلوبًا" (١ كو ١: ٢٣) الذي سبق فتكلم الأنبياء عنه...

التنبؤ بخصوص خيانة يهوذا

٩. لنطلب الشهادات الخاصة بآلام المسيح... لقد تقبلت مني الشهادات الخاصة بمجيئه ويسيره على البحر، إذ كتب "في البحر طريقك" (مز ٧٧: ١٩). لنبدأ الآن بالألم. كان يهوذا خائنًا ووقف ضد المسيح. فمع أنه كان يحدثه بكلمات السلام كان يدبر حريًا. لهذا يقول المرثل: "أحبائي وأصحابي يقفون تجاه ضربتي" (مز ٣٨: ١١). وأيضًا: "ألين من الزيت كلماته، وهي سيوف مسلولة" (مز ٥٥: ٢١). قال: "السلام يا سيدي" (مت ٢٦: ٤٩) وهو يخون سيده إلى الموت. إذ لم يرتدع من تحذير سيده القائل "يهوذا، أبقلة تسلّم ابن الإنسان؟!" (لو ٢٢: ٤٨)

إن ما قاله الرب له هو تأويل اسم "يهوذا" الذي يعني "اعتراف". لقد تأمرت وقبضت الثمن اعترف بسرعة.

"يا إله تسبيحي لا تسكت. لأنه قد انفتح عليّ فم شرير، وفم الغش. تكلموا معي بلسان كذب. بكلام بُغض أحاطوا بي، وقاتلوني بلا سبب" (مز ١٠٩: ١-٣). كان بعض رؤساء الكهنة حاضرين، وقد تم القبض عليه عند أبواب المدينة، وبهذا تحقق قول المزمور "يعودون عند المساء، يهرون مثل الكلاب ويدورون في المدينة" (مز ٥٩: ٦).

ثمن الخيانة وحقل الفخاري

١٠. لتسمع أيضًا بخصوص الثلاثين من الفضة. "فقلت لهم أن حسُن في أعينكم فأعطوني أجرتي وإلا فامتنعوا" (زك ١١: ١٢). انظر كيف تنبأ الكتاب المقدس عن هذه الأمور، فقال: "فوزنوا أجرتي ثلاثين من الفضة". يا لدقة النبوة! يا لحكمة الروح القدس العظيمة الذي لا يخطئ! لأنه لم يقل عشرة أو عشرين ولكنه حدد بالضبط ثلاثين.

اخبرنا أيضًا ماذا يتم بهذا الثمن أيها النبي؟ هل يحتفظ بها من استلمها؟ أم يردها؟... يقول "فأخذت الثلاثين من الفضة، وألقيتها إلى الفخاري في بيت الرب" (زك ١١: ١٣). قارن قول الإنجيل بهذه النبوة! لما رأى يهوذا الذي أسلمه أنه قد دين ندم... فطرح الفضة في الهيكل وانصرف^١...

١٢. محاكمة الرب

فيدوا يسوع وأحضروه إلى دار رئيس الكهنة، أتريد أن تعرف كيف سبق أن كتب هذا أيضًا؟ يقول

^١ مت ٢٧: ٥٠٣ البند ١١ يتحدث في نفس الأمر.

إشعيا "ويل لنفوسهم لأنهم يصنعون لنفسهم شرًا قائلين: لنقيد البار لأنه مغلق لنا" (راجع إش ٣: ٩-١٠) نعم ويل لنفوسهم. لتري كيف هذا فإن إشعيا نُشر إلى أجزاء، وبعد ذلك شُفي الشعب. إرميا طُرح في جب من طين، لكن جرح اليهود شفي، إذ أن آثامهم كانت قليلة لأنها موجهة ضد إنسان. لكن عندما أخطأ اليهود إلى الله المتأنس "ويل لنفوسهم... لنقيد البار!"

ألم يكن قادرًا على إطلاق سراح نفسه؟! قد يقول قائل: الذي حل لعازر من رباطات الموت في رابع يوم، وأطلق سراح بولس من قيود السجن الحديدية، أما كان قادرًا على إطلاق سراح نفسه؟ لقد وقفت الملائكة مستعدة تقول "لنقطع قيودهم" (مز ٢: ٣)، لكنهم أحجموا لأن سيدهم شاء أن يقبل هذا. اقتتيد إلى المحكمة أمام الشيوخ. وهذه شهادة عن ذلك "الرب يدخل في المحاكمة مع شيوخ شعبه ورؤسائهم" (إش ٣: ١٤).

المحاكمة

١٣. لكن إذ سأله رئيس الكهنة وسمع الحق أظهر خسة. فضربه موظفوه (عبد رئيس الكهنة)... وأتى آخرون وبصقوا على وجهه هذا الذي ببصاقه شفي المولود أعمى. "أَلرب تكافئون بهذا يا شعبًا غيبًا وغير حكيم؟" (تث ٣٢: ٦) لهذا يتعجب النبي جدًا فيقول: "من صدق خبرنا؟! (إش ٥٠: ٦)، لأن الذي لا يُنطق به، ابن الله، ذراع الرب (١ تس ٥٣: ١) يحتمل هذا! أمّا الذين يؤمنون، فإنهم يخلصون، إذ سبق فكتب الروح القدس في شخص المسيح قائلاً: "بذلت ظهري للسياط، وخديّ للناقيين، وجهي لم أستر عن العار والبصق" (إش ٥٣: ١)... كأن يسوع يقول: بالرغم من أنني أعرف مقدمًا أنهم يلطمونني لكنني لم أدر عنهم خدي. لأنه كيف أخاف من الموت أنا الذي أعلم تلاميذي ألا يخافوا من الموت من أجل الحق؟! فلو أحببت حياتي كيف أعلم بما لا أمارسه؟! لهذا وهو الله أحب أن يحتمل من الأيدي البشرية حتى لا نخجل نحن إذا تألمنا من أجله مثل هذه الآلام من البشر...

في محاكمته صالح المتخاصمين

١٤. وإذ ربط (يسوع)، أرسل من قيافا إلى بيلاطس. هل كتب هذا أيضًا؟ نعم "إذ قيد أقتيد كهديّة إلى الملك باريم Jarim" (هو ١٠: ٦). لكن قد يعترض سامع حاذق فيقول: لم يكن بيلاطس ملكًا، (لكن نترك هذا الاعتراض إلى حين) فإنه كيف أقتيد كهديّة لملك؟ يقول الإنجيل "فلما سمع بيلاطس ذُكر الجليل سأل: هل الرجل جليلي؟... أرسله إلى هيرودس (لو ٢٣: ٦) "لأن هيرودس كان ملكًا، وكان في أورشليم في ذلك الوقت. لاحظ دقة النبي: لأنه يقول أرسل كهديّة. لقد صار بيلاطس وهيرودس صديقين مع بعضهما البعض في ذلك اليوم، لأنهما كانا من قبل في عداوة بينهما" (لو ٢٣: ١٢). نعم الذي صار صلحًا بين السامائيين والأرضيين صالح أيضًا المتخاصمين ضده، إذ كان الرب نفسه بينهما هذا "الذي يصالح قلوب رؤساء شعب الأرض" (راجع أي ٢: ٢٤). لاحظ دقة الأنبياء وصدق شهادتهم.

على من تغفرون الفم؟

١٥. تطلع باهتمام إلى الرب وهو يحاكم، فقد سمح لنفسه أن يقوده الجنود. بيلاطس جلس في الحكم؛ والذي يجلس عن يمين الآب يقف ليُحاكم! الشعب الذي حرره من أرض مصر... يصرخ: "خذه أصلبه" (يو ١٩: ١٥). لماذا أيها اليهود؟ هل لأنه شفى عميانكم؟ أم لأنه جعل العرج منكم يمشون؟ ووهب البركات للآخرين؟! يدهش

النبي فيقول: "على من تغفرون الفم وتدلعون اللسان؟" (إش ٥٧: ٤) ويقول الرب نفسه في الأنبياء: "صار لي ميراثي كأسد في الوعر. نطق عليّ بصوته. من أجل ذلك أبغضته" (إر ١٢: ٨). لم أرفضهم لكنهم رفضوني، لهذا أقول: "قد تركت بيتي" (إر ١٢: ٧).

صمته في المحاكمة

١٦. في أثناء محاكمته أعلن سلامه إلى حد قال فيه بيلاطس: "أما تسمع كم يشهدون عليك؟" (مت ٢٧: ١٣).

يقول المزمع: "وأكون مثل إنسان لا يسمع وليس في فمه حجة" (مز ١٠٩: ٢٥).
وأيضاً "كأصم لا يسمع وكأبكم لا يفتح فاه" (مز ٣٨: ١٣)...

سخرية الجنود به

١٧. لكن الجنود الذين تجمهروا حوله كانوا يسخرون به. صار أضحوكة لهم. "ينظرون إليّ، وينغضون رؤوسهم" (مز ٣٨: ١٤). كانت تظهر ملوكيته حتى في سخريتهم له حيث كانوا يركعون قدامه.
وقبل الصلب ألبسه الجنود ثوباً من الأرجوان ووضعوا على رأسه إكليلاً. لماذا ألبسوه تاجاً ولو أنه من الشوك؟ لأن كل ملك يظهر ملكه بواسطة جنوده. فيسوع كملك تُوجّ رمزياً خلال الجنود. لهذا يقول الكتاب في نشيد الأناشيد: "أخرج يا بنات أورشليم، وأنظرن الملك سليمان بالتاج الذي توجه به أمه" (نش ٣: ١١). وقد كان التاج سرّاً إذ هو غفران الخطايا ومزيل اللعنة.

بالشوك أزال اللعنة

١٨. تلقى آدم هذا الحكم: "ملعونة الأرض بسببك. شوكاً وحسكاً تنبت لك" (تك ٣: ١٧، ١٨). لهذا السبب كان يليق ببسوس أن يقبل الشوك حتى يزيل هذا الحكم. ولهذا السبب دفن يسوع في الأرض حتى تقبل الأرض التي لعنت البركة عوض اللعنة.
في زمن الخطية ارتدى (آدم وحواء) أوراق التين، لهذا جعل يسوع شجرة التين آخر علاماته (قبل الصلب). فقبل آلامه لعن شجرة التين، ليس كل شجر التين، بل شجرة واحدة لكي تكون رمزاً. قال: "لا يأكل أحد منك ثمر بعد" (مر ١١: ١٤). وإذ كانا قبلاً قد سُترا بأوراق الشجرة، جاء يسوع في وقت لا تعطى فيه شجرة التين ثمرًا. من لا يعرف أن شجر التين لا يحمل ثمرًا في فصل الشتاء؟! هل كان يسوع جاهلاً بهذا الأمر الذي يعرفه الجميع؟! لا، لكن مع معرفته بذلك جاء كمن يبحث عن ثمر لهذه الشجرة، ليس جهلاً، طائفاً أنه يجد فيها ثمرًا، بل لكي يظهر اللعنة الظاهرية التي تلحق بالأوراق...

بين الفردوس والبستان

١٩. مادما قد لمسنا موضوعات تتعلق بالفردوس، فإنني أعجب من حقيقة المقارنات... في الفردوس كان السقوط، وفي البستان كان خلاصنا. من الشجرة جاء اثمنا، وإلى مجيء الشجرة انتهت آثامنا. في المساء إذ كان الرب يتمشى في الجنة اختبأ (آدم وحواء) (تك ٣: ٨)، وفي المساء قبل يسوع اللص في الفردوس...

الحياة النحاسية كرمز للصليب

٢٠. هذا هو الرمز الأصلي، الحياة التي رفعها موسى على صليب، لكي يشفي كل من لدغته حية، فبالنظر إلى الحياة النحاسية يُشفى بالإيمان (عد ٢١: ٩؛ يو ٣: ١٤).

فهل الحية النحاسية تشفى بصلبها، وابن الله المتجسد المصلوب لا يُخلص؟! على أي الأحوال كانت الحياة تأتي من وسائل خشبية، ففي زمان نوح كانت الحياة تُحفظ خلال فلك خشبي. وفي أيام موسى كان عبور البحر بواسطة عصا موسى الخشبية التي ضرب بها البحر. هل لعصا موسى قوة وصليب المخلص بلا قوة؟! بالخشب في أيام موسى صار الماء حلواً، أما مع يسوع فقد تدفقت على خشبة الصليب المياه "من جنبه".

الماء والدم

٢١. الماء والدم هما بداية الرموز عند موسى، وهما آخر علامة تركها يسوع. فأولاً حوّل موسى النهر إلى دم، وآخر ما قدمه المسيح ماءً ودمًا من جنبه. وكأنهما يشيران إلى اثنين من المتحدثين: الذي حاكم (الرب) والذين صرخوا ضده، إذ هما رمزًا للمؤمنين وغير المؤمنين، **بيلاطس غسل يديه بالماء قائلاً: "إني بريء"، والشعب صرخ "دمه علينا" (مت ٢٧: ٢٤، ٢٥)**. لهذا تدفق الاثنان من جنبه. ويمكننا أن نفهم هذا الأمر بصورة أخرى: الدم لليهود والماء للمسيحيين. لأن على هؤلاء الذين هم يُدانون من الدم (الذي سفكوه)، أما لك يا من تؤمن حديثاً فتتال الخلاص بالماء. لم يحدث شيء بغير معنى، وقد أورد آباؤنا سبباً آخرًا لذلك. قالوا إنه حسب الإنجيل تتم نعمة المعمودية بطريقتين: أحدهما بالماء للاستنارة، والثانية للشهداء القديسين في الاضطهاد خلال سفك دمائهم. لهذا خرج من جنب المخلص دم وماء، حتى يؤكد نعمة الاعتراف بالمسيح، إما بالعماد أو الاستشهاد في أيام الاضطهاد. يوجد معنى آخر وهو أن المرأة التي خرجت من جنب الرجل جلبت الخطية، لذلك طعن المسيح في جنبه من أجل المرأة حتى يغفر الإثم، مانحًا الغفران للرجل والمرأة على السواء.

صلبه على الجلجثة

٢٢. من يبحث يجد أسبابًا أخرى كثيرة لكنني أظن أن ما قلته فيه الكفاية من أجل ضيق الوقت، حتى لا يقلق السامعون. وإن كان لا يتعبنا قط الاستماع بخصوص تنويع الرب ونحن على هذه الجلجثة المقدسة للغاية. فإن غيرنا يسمعون فقط، أما نحن فنرى ونلمس. لا يقلق أحد. احمل سلاحك^١ ضد الأعداء بالصليب ذاته. احمل الإيمان بالصليب كنصرة على المقاومين. فعندما تذهب لمجادلة غير المؤمنين بخصوص صليب المسيح، ارم ببيدك علامة صليب المسيح فيصمتون. لا تخجل من الاعتراف بالصليب. فالملائكة تمجده، إذ تقول: "نحن نعلم من تطلبان: يسوع المصلوب!" (مت ٢٨: ٥) لماذا لم تقل أيها الملاك: "نحن نعلم من تطلبان: سيدنا!" لكن في شجاعة قلت: "نحن نعلم... يسوع المصلوب"، لأن الصليب تاج لا عار!

لا تهرب من الصليب وقت الضيق!

٢٣. لا تعرض عنه وقت الاضطهاد. لا تفرح بالصليب وقت السلم فقط، بل تمسك بذات الإيمان وقت الاضطهاد أيضًا.

^١ السلاح هنا الصليب ذاته التي يقاومه اليهود.

لا تكن صديقاً ليسوع وقت السلم، وعدوه وقت الحروب. إنك تتقبل منه غفران خطاياك وغنى مواهب الملك الروحية، فإذا جاء وقت الحرب حارب^١ بنبل من أجل ملكك.

يسوع الذي بلا خطية صُلب من أجلك، ألا تصلب من أجله؟!

ليس لك فضل في هذا، فقد سبق هو وابتدأ، إنما أنت ترد له الجميل، ترد له الدين الذي عليك، لأنه صلب من أجلك على الجلجثة.

"الجلجثة" تترجم "موضع الجمجمة". إذ هكذا دُعيت بروح نبوية، لأن المسيح هو الرأس الحقيقي قد احتمل الصليب هناك. وكما يقول الرسول: "الذي هو صورة الله غير المنظور" (كو ١ : ١٥ ، ١٨). وبعد ذلك بقليل يقول: "وهو رأس جسد الكنيسة". وأيضاً "رأس كل رجل هو المسيح" (١ كو ١١ : ٣). وأيضاً "الذي هو فوق كل رئاسة وسلطان" (كو ٢ : ١٠).

تألمت الرأس في "موضع الجمجمة". يا للظهور النبوي العجيب!

كأن هذا المكان يذكر كقائل: لا تظن أن الذي صُلب هنا مجرد إنسان، لكنه رأس كل رئاسة، رأسه الآب؛ لأن رأس الإنسان المسيح، ورأس المسيح الله (١ كو ١١ : ٣).

الظلمة في الظهيرة

٢٤. إذن صلب المسيح من أجلك، إذ حُكم في ليلة باردة، لهذا أُوقدت النيران (يو ١٨ : ١٨) صُلب في الساعة الثالثة "ومن الساعة السادسة كان ظلام حتى التاسعة" (مت ٢٧ : ٤٥). ومن الساعة التاسعة كان نور مرة أخرى.

هل سبق أن كتبت هذه الأمور؟ تعال نسأل النبي زكريا إذ يقول "ويكون في ذلك اليوم أنه لا يكون نور... وأنه معروف للرب" (زك ١ : ٦ ، ٧).

ماذا؟ ألا يعرف الرب بقية الأيام أيضاً؟ نعم لكن الأيام كثيرة، لكن هذا يوم صبر الرب الذي صنعه... إنه "لا نهار ولا ليل" (زك ١٤ : ٦ ، ٧).

أي ظلام يقصده النبي؟ إنه ذلك اليوم الذي "لا نهار ولا ليل"، فماذا نسميه إذن؟ يفسر لنا الإنجيل هذا حيث يروى لنا هذا الأمر. إنه لم يكن نهاراً، لأن الشمس لم تشرق فيه من بدايته إلى وقت الغروب، بل انكسفت من السادسة حتى التاسعة، كان هناك عارض في منتصف النهار. لكن الرب دعا الظلام ليلاً (تك ١ : ٥)، لهذا لم يكن نهاراً ولا ليلاً. لأنه لم يكن كله نور حتى يُحسب نهاراً، ولا كله ظلاماً فيحسب ليلاً. لأنه بعد الساعة التاسعة ظهرت الشمس مرة أخرى. وهذا أيضاً ما سجله النبي لأنه بعدما قال "لا نهار ولا ليل" أضاف "بل يحدث أنه في وقت المساء يكون نور" ها أنت ترى دقة النبوة. إنك ترى حقيقة الأمور التي كتبت مقدماً.

أغيب الشمس في الظهر

٢٥. هل تسأل عن الساعة التي أظلمت فيها الشمس بالضبط؟ هل كان في الساعة الخامسة أم الثامنة

أم العاشرة؟

قل أيها النبي لليهود غير الراغبين في الاستماع عن موعد غروب الشمس تماماً!

يجيب عاموس قائلًا: "ويكون في ذلك اليوم، يقول السيد الرب، إني أغيب الشمس في الظهر (إذ كانت

الظلمة في السادسة) وأقتم الأرض في يوم نور" (عا ٨ : ٩).

^١ أي الحرب الروحية: احتمال الصليب والضيق والآم بشكر.

أي فصل أو موسم وأي يوم أيها النبي؟ يقول "وأحوّل أعيادكم نوْحًا"، وقد تحقق ذلك في أيام الفطير وفي عيد الفصح. إنه يقول بعد ذلك: "وأجعلها كمناحة الوحيد، وآخرها يوم مرّ". وفعلاً تحقق هذا حين بكت نساء أورشليم، وكان ذلك في أيام الفطير وفي عيد الفصح، واختبأ التلاميذ أنفسهم وكانوا في مرّ. يا لها من نبوة عجيبة!

اقتسام ثيابه

٢٦. قد يقول آخر: أعطني علامة أخرى تحققت بدقة. يسوع صلب، ولم يكن له سوى لباس واحد. الثوب اقتسمه العسكر فيما بينهم إلى أربعة أجزاء، أما اللباس فلم يُقسم إذ كان يفقد نفعه لو اقتسم، فطرحوا قرعة عليّة كقطعة واحدة... يقول المزمور: "اقتسموا ثيابي وعلى لباسي ألقوا قرعة" (مز ٢٢: ١٨؛ يو ١٩: ٢٣).

ألبسوه ثوباً أرجوانياً

٢٧. في محاكمته أمام بيلاطس كان يرتدي ثوباً أحمر، إذ ألبسوه ثوباً من الأرجوان. هل كُتب هذا أيضاً؟ يقول إشعياء: "من ذا الآتي من أدم بثياب حمر من بصره؟" (أي من هو هذا الذي يلبس ثوباً أرجوانياً في عارٍ، لأن بصره *Bosor* في العبرية تحمل هذا المعنى) "ما بال لباسك حمر، وثيابك كدائس المعصرة؟!" (إش ٦٣: ٢-١) لكنه يجيب قائلاً: "بسطت يدي طول النهار إلى شعب متمرّد سائر في طريق غير صالح" (إش ٦٥: ٢).

فاعل الخلاص في وسط الأرض

٢٨. لقد بسط يديه على الصليب حتى يعانق العالم أجمع، إذ الجلجثة هي مركز العالم. هذا ليس من عندي بل يقول النبي: "فاعل الخلاص في وسط الأرض" (مز ٧٤: ١٢). بسط يديه البشريتين هذا الذي بيديه الروحيتين أوجد السماء. وسُمرت بالمسامير، حاملاً آثام البشر، حتى إذ سمر في خشبة مات، فيموت الإثم لنقوم في برّ. "لأنه بإنسانٍ واحدٍ دخل الموت، وهكذا بإنسان واحد تكون الحياة" (رو ٥: ١٢، ١٧)، بإنسان واحد - المخلص - مات بإرادته. لعلك تذكر ما قاله: "لي سلطان أن أضع نفسي ولي سلطان أن آخذها" (يو ١٠: ١٨).

أنا عطشان

٢٩. بالرغم من احتمال كل هذه الآلام إذ جاء لخلاص الجميع إلّا أن الشعب (اليهودي) جازاه مجازاة شريرة. قال يسوع "أنا عطشان". هذا الذي أخرج لهم الماء من الصخرة الصماء، يطلب ثمر كرمته التي زرعها، فماذا فعلت كرمته؟ هذه الكرمة التي بحسب الطبيعة هي من الآباء القديسين، لكنها بحسب قلبها مثل سدوم. "لأن جفنة سدوم جفنتهم، ومن كروم عمورة" (تث ٣٢: ٣٢). قدمت هذه الكرمة لسيدها إسفنجة مغموساً خل فوق قصبه. "ويجعلون في طعامي علقماً، وفي عطشي يسقونني خلاً" (مز ٦٩: ٢١).

ها أنت ترى وضوح النبوة وصفاها! لكن أي نوع من العلقم وضعوا في فمه؟ "أعطوه خمراً ممزوجاً بمرّ" هذا المر طعمه كالعلقم شديد المرارة.

أبهذا تجازي الرب أيتها الكرمة؟! أهذه تقدمتك له؟! بالحقيقة قال إشعياء في القديم مولولاً عليك: "كان لحبيبي كرم على أكمة خصبة. فنقبه ونقّى حجارته وغرسه كرم سورق... فانتظر أن يصنع عنباً (إذ عطش طالباً عنباً) فصنع شوْكاً" (راجع إش ٥: ٢-١).

هل رأيت الإكليل التي تزينت به؟! لكن ماذا أفعل؟ "سأوصي السحب أن لا تمطر عليه مطراً" (راجع إش ٥٠: ٦). لأن السحب هي الأنبياء الذين نُزعوا من بينهم وصاروا للكنيسة...

صلبه بين لصين

٣٠. وفيما يتعلق باللصين اللذين صُلِّبا مع يسوع، فقد كُتِبَ عنهما: "أحصي مع أئمه" (إش ٢٣: ١٢). كلاهما كانا أئيمين، لكن أحدهما لم يظل هكذا، فواحد منهما بقي أئيمًا إلى النهاية رافضًا الخلاص. فبالرغم من أن يديه موتقتان فقد أطلق لسانه بالتجديف. فكانا يسبه مع اليهود الذين كانوا يعبرون ويهزون رؤوسهم ساخرين بالمصلوب، محققين المكتوب: "ينظرون إليّ، وينغضون رؤوسهم" (مز ١٠٩: ٢٥).
انتهره الثاني مؤنبًا إياه. وبهذا ختم حياته الأئيمة وبدأ حياة الإصلاح.

كانت نفسه أول من اشتركت في الخلاص، إذ بعدما وبخ رفيقه التفت إلى يسوع وقال "اذكرني يا رب" لأكون معك. لا تبال يا رب بعيني فهم هذا الإنسان إذ هي عمياء، لكن اذكرني. لست أقول اذكر أعمالي، لأنني من جهتها أنا خائف. لكن كما أن لكل إنسان مشاعر تجاه رفيق سفره، هكذا مسافر معك نحو الموت، اذكرني يا رفيق سفري. إنني لا أقول اذكرني الآن، بل "إذا جئت في ملكوتك".

أية قوة قادتك إلى النور أيها اللص؟

٣١. من علمك أن تمجد رفيقك المصلوب معك؟ النور الأبدي الذي يضيء لمن هم في الظلمة!
سمع اللص هذه الكلمات: "تهلل". ليست أعمالك حسنة، لكن هنا يوجد ملك يوزع هبات. سؤالك جاء في وقته. النعمة معك تلحقك سريعًا جدًا. "الحق أقول لك: اليوم تكون معي في الفردوس". "لأنك اليوم سمعت صوتي، ولم تقس قلبك" (مز ٩٥: ٧-٨). فبسرعة أنا حكمت على آدم، وبسرعة عفوت عنك. فاليوم يكون خلاصك. آدم بالشجرة سقط، وأنت بالشجرة دخلت الفردوس. لا تخف من الحية، فإنها لن تطردك إذ سقطت من السماء (لو ١٠: ٨).

إنني لم أقل لك اليوم ترحل، بل قلت "اليوم تكون معي". تشجع فلن تُطرد خارجًا.

لا تخف من السيف المسلول لحراسة الجنة (تك ٣: ٢٤).

يا لقدرة عطيتك غير الموصوفة يا رب! إبراهيم المؤمن لم يدخل بعد واللص دخل!

موسى والأنبياء لم يدخلوا بعد واللص كاسر الناموس دخل!

بولس أيضًا يتعجب من جهتك، فيقول: "حيث كثرت الخطية ازدادت النعمة جدًا" (رو ٥: ٢٠).

الذين احتملوا حر النهار لم يدخلوا، وصاحب الساعة الحادية عشر دخل! لا يتذمر أحدكم على رب البيت الصالح، فإنه يقول: "يا صاحب ما ظلمتك، أو ما يحل لي أن أفعل ما أريد بمالي؟!" (مت ٢٠: ١٢) كان للّص إرادة لعمل البرّ، لكن الموت منعه، فلا أنتظر منه عملاً (إذ مات) إنما أقبل أيضًا إيمانه.

إنني جئت كراعٍ بين السوسن (نش ٦: ٣). جئت لأطعمهم في الحقائق. لقد وجدت الخروف الضال (لو ١٥: ٥، ٦). وأنا أضعه على منكبي، لأنه يؤمن. لهذا قيل: "ضللت كمثل شاة ضالة. أطلب عبدك لأنني لم أنس وصاياك" (مز ١١٩: ١٧٦). نعم "اذكرني يا رب إذا جئت في ملكوتك" (لو ٢٣: ٤٢).

الدخول إلى الأقداس بدم يسوع

٣٢. في هذا الفردوس غنيت لعروسي في نشيد الأناشيد: "قد دخلت جنتي يا أختي العروس" (إش ٥: ٥).

(١)، (فقد كان مكان الصلب بستانًا) (يو ١٩: ٤١).

ماذا أخذت من هناك؟ "قطفت مري مع طيبي"، إذ شرب المر مع الخل، ويعد ذلك قال: "قد أكمل". لأن السرّ تم، والمكتوب تحقق، والآثام عُفرت. لأن المسيح وهو قد جاء رئيس كهنة للخيرات العتيدة. فبالمسكن

الأعظم والأكمل غير المصنوع بيد. أي الذي ليس من هذه الخليقة، وليس بدم تايوس وعجول، ولكن بدم نفسه دخل مرة واحدة إلى الأقداس، فوجد فداءً أبدياً: لأنه إن كان بدم ثيران وتايوس ورماد عجلة مرشوش على المنجسين يقصد إلى طهارة الجسد، فكيف بالأحرى يكون دم المسيح؟! (عب ٩: ١١-١٤)

وأيضاً فإن لنا أيها الإخوة "ثقة في الدخول إلى الأقداس بدم يسوع، طريقاً كرسه لنا حديثاً حياً بالحجاب أي جسده" (عب ١٠: ١٩، ٢٠). ولأن جسده - هذا الحجاب - غير ممجد، لذلك شق حجاب الهيكل كما هو مكتوب: "وإذا حجاب الهيكل قد انشق إلى اثنين من فوق إلى أسفل" (مت ٢٧: ٥١)، ولم يترك فيه شيء. لأن يسوع قال: "هوذا يترك بيتكم خراباً" (مت ٢٣: ٣٨). لقد خرب البيت كله!

عاملاً الصلح بدم صليبيه

٣٣. احتمل المخلص هذا كله، "عاملاً الصلح بدم صليبيه بواسطته سواء كان ما على الأرض أم في السماوات" (كو ١: ٢٠). لأننا كنا أعداء الله خلال الخطية وحكم الله على الخاطئ هو الموت. لهذا كان لابد من تحقيق أحد أمرين: إما أن الله في عدله يبيد كل البشرية، أو في محبته المترفقة يزيل الحكم!

أنظر حكمة الله، فقد حفظ الحكم، وفي نفس الوقت حقق محبته! لقد حمل المسيح آثامنا في جسده على الخشبة لكي "تموت عن الخطايا فنحيا للبر" (١ بط ٢: ٢٤). إنه لم يكن بالهين ذاك الذي مات عنا، فليس هو مجرد حمل حرفي ولا إنسان عادي، بل أعظم من ملاك، أنه الإله المتأنس، لم تكن خطايا البشر أعظم من بر الذي مات بسببها.

لم تكن هذه الآثام كثيرة بالنسبة لبر من بإرادته وضع نفسه وإرادته أخذها. لقد صرخ إلى الأب: "في يدك استودع روحي"، استودعها لكي أخذها مرة أخرى. وإذ قال هذا أسلم الروح، لكن ليس لزمانٍ طويلٍ، إذ سرعان ما قام من الأموات.

الظروف التي صاحبت الصلب

٣٤. لقد أظلمت الشمس (لو ٢٣: ٤٥) من أجل "شمس البر" (مل ٤: ٢٢). والصخور تشقق من أجل الصخرة الروحية (١ كو ١٠: ٤). القبور تفتحت والموتى قاموا بسبب هذا الذي هو "حر بين الأموات" (مز ٨٨: ٥). إذ حرر أسراه من الحفرة التي بلا ماء (زك ٩: ١١).

تشجع ولا تخجل من الصليب، بل بشجاعة قل: "أحزاننا حملها وأوجاعنا تحمّلها وبخبره شفيانا" (إش ٥٣: ٤، ٥). لا نكون جاحدي المعروف، إذ هو "ضرب، من أجل ذنب شعبي، وجعل مع الأشرار قبره، ومع غنى عند موته" (إش ٥٣: ٨، ٩). لهذا يقول بولس بوضوح "المسيح مات لأجل خطايانا حسب الكتب، وأنه دفن وقام في اليوم الثالث حسب الكتب" (١ كو ١٥: ٣، ٤).

دفن المسيح

٣٥. لنبحث حتى نعرف بتدقيق أين دفن؟ وهل صُنعت مقبرته بأيادٍ؟ وهل هي مقامه فوق الأرض مثل مقابر الملوك أم منحوتة بحجارة؟ وماذا وضع عليها؟

أخبرونا بالحقيقة أيها الأنبياء فيما يتعلق بمقبرته! أين وضع؟ وأين نبحت عنه؟ إنهم يقولون "انظروا إلى الصخر الذي منه قطعتم" (إش ٥١: ١). وفي الأناجيل قيل: "ووضعوه في قبره الجديد الذي كان قد نحته في الصخر" (مت ٢٧: ٦٠)...

أيضاً يقول النبي "قرضوا في الجب حياتي" (راجع مرا ٣: ٥٣؛ إر ٣٧: ١٦). وألقوا عليّ حجارة. أنا

حجر الزاوية المختار الكريم (١ بط ٢: ٦-١٠) أوضع في حجر إلى حين. أنا هو حجر العثرة لليهود وحجر خلاص للمؤمنين. لقد زُرعت أنا شجرة الحياة (تك ٢: ٩، ٣: ٢٢) في الأرض، حتى تتمتع الأرض التي لُعنَت بالبركة، وينطلق أمواتها.

رشم علامة الصليب

٣٦. إذن ليتنا لا نخجل بالاعتراف بالمصلوب.

لنرسم علامة الصليب ختمنا بشجاعة، بأصابعنا على جباهنا وعلى كل شيء: على الخبز الذي نأكله وعلى الكأس التي نشربها، في دخولنا وفي خروجنا، قبل النوم وعندما نركض وعندما نستيقظ، في الطريق وحيثما حللنا.

عظيم هو هذا الفعل. هو مجاناً من أجل الفقراء، يتم بغير عناء من أجل المرضى. إنه علامة المؤمنين، ورعب الشياطين، إذ غلبهم ظافراً بهم جهازاً (كو ٢: ١٥). لأنهم إذ يرون الصليب يتذكرون المصلوب، فيرتعون من ذاك الذي كسر رؤوس التنانين (مز ٧٤: ١٣).

لا تحقر الختم من أجل مجانية العطية، بل بالأحرى كرموا صاحب الفضل^١...

إن قال أحد أما الصليب فاعرض عنه. اترك القائلين إن المسيح صلب خيلاً فقط. لأنه لو كان الأمر هكذا، لكان الخلاص الذي هو من الصليب أيضاً خيلاً. لو كان الصلب خيلاً، لكانت القيامة هكذا، وإن كان المسيح لم يبق فنحن بعد تحت خطايانا (١ كو ١٥: ٧).

إن كان الصليب خيلاً، يكون الصعود خيلاً... فهل مجيئه الثاني أيضاً خيالٌ وبهذا يصير كل شيء غير قائم؟! غير قائم؟!

٣٨. إذن خذ الصليب كأساس متين يُبنى عليه كل بقية بنود الإيمان.

لا تتكر المصلوب، لأنك إن أنكرته فإن أموراً كثيرة توبخك^٢...

عمل الصليب

٤٠. لديك الإثنا عشر رسولاً شهود للصليب، وكل الأرض وعالم البشر الذين يؤمنون بالمصلوب عليه. ليقنعك وجودك نفسه هنا الآن بقوة الصليب. لأنه من الذي قادك إلى هذا الاجتماع؟ أي جنود؟ أية سلاسل ألزمتك؟ أي حكم من أحكام القضاء قادتك إلى هنا؟ إنه بالحري شعار حضرة الخلاص، أي صليب يسوع، الذي جمعكم كلكم هنا. هو الذي قهر الفرس ولجّم السكّثيين، ووهب المصريين معرفة الله عوض القطط والكلاب، وأضاليلهم العديدة. إنه إلى اليوم يشفي الأمراض، ويطرده الشياطين ويفسد مفعول السموم والسحر.

رأية الصليب

٤١. ستظهر (هذه العلامة) في السماء مع يسوع (مت ٢٤: ٣٠)، لأن الرأية تسير دائماً قدام الملك. فيندم اليهود ويحزنون عندما ينظرون إلى الذي طعنوه (يو ١٩: ٣٧؛ زك ١٢: ١٠؛ رؤ ١: ٧)... سيندمون وينوحون ولكن لا مجال للتوبة، أما نحن فسنتمجد ونفتخر بالصليب ونسجد للرب الذي جاء وصلب لأجلنا،

^١ تحدث عن الرد على اليهود من الأنبياء واليونانيين من كتاباتهم.

^٢ ذكر أحداث الصلب كلها من خيانة يهوذا... كشاهد على حقيقة الصلب. في البند ٣٩ ذكر النجوم وكسوف الشمس والمر والقصبية والإسفنج والمر والجنود والنسوة والحربة وحجاب الهيكل المنشق والتلاميذ... كل هذه تشهد ضد منكري حقيقة صلب المسيح...

ونسجد أيضًا لله أبوه الذي أرسله مع الروح القدس، الذي له المجد إلى أبد الأبد. آمين.

وقام من الأموات

في اليوم الثالث وصعد إلى السماوات وجلس عن يمين الآب

"وأعرفكم أيها الاخوة بالإنجيل الذي بشرتكم به... وأنه قام في اليوم الثالث حسب الكتب" (١كو ١٥ : ١-٤)

ليمتلئ فمنا فرحاً وتهليلاً به

١. افرحوا يا اورشليم. اصنعوا عيداً عظيماً يا جميع محبي يسوع لأنه قام.

افرحوا يا من نُحتم من قبل، حين رأيتم جسارة اليهود وشرهم، لأنه قد قام ذاك الذي حنقوا عليه. وإذ كان المقال عن الصليب محزنًا، فليفرح السامعون بأخبار القيامة المبهجة. ليتحول الحزن إلى فرح، والنوح إلى سرور، وليمتلئ فمنا فرحاً وتهليلاً به، إذ قال بعد قيامته "افرحوا"^٢.

وإذ أعلم حزن أصدقاء المسيح في هذه الأيام الماضية، إذ توقف مقالنا (السابق) عند صلبه ودفنه دون أن نذكر أخبار القيامة السارة، لهذا تعلقت أذهانكم لكي تسمعو ما تشناقون إليه. الآن قد قام الميت الذي كان "حرًا بين الأموات" وهو مخلص الأموات. ذاك الذي أهين محتملاً بصبر إكليل الشوك. لقد قام مُتَوَجِّهاً بإكليل النصر على الموت.

شهادة الكتاب المقدس عن قيامته

٢. وكما تحدثنا قبلاً عن الشهادات الخاصة بصليبه، فلنتحقق الآن من الأدلة الخاصة بقيامته، مادام الرسول سبق فأكد: "أنه دفن وأنه قام في اليوم الثالث حسب الكتب" (١ كو ١٥ : ٤). فإذ يرجعنا الرسول إلى شهادات الكتب، جيد لنا أن نعرف كل شيء يخص رجاء خلاصنا، وأن نتعلم أولاً ما تخبرنا عنه الأسفار المقدسة بخصوص قيامته، إن كانت في الصيف أو الخريف أو بعد الشتاء، وفي أي موضع قام المخلص، وما أعلنه الأنبياء العجيبون بخصوص اسم مكان قيامته، وعن فرحة النسوة اللواتي بحثن عنه ولم يجدنه، وحين وجدنه تهللن، حتى إذ ما قرأنا البشائر لا نأخذ هذه القصص على أنها تلفيقات أو مجرد حكايات.

بخصوص دفن المخلص

٣. فبخصوص دفن المخلص، سمعتم في المقال السابق بوضوح ما قاله إشعياء "دفنه في سلام"^٣. إذ في دفنه صنع سلاماً بين السمايين والأرضيين، مقدماً الخطاة في حضرة الله، و"من وجه الشر يُضم الصديق" (إش ٥٧ : ١)...

جاءت أيضاً نبوة يعقوب في الكتاب المقدس تقول "جثا وريض كأسد وكلبوة، من ينهضه؟!" (تك ٤٩ : ٩) وجاء أيضاً في سفر العدد نفس القول: "جثم كأسد وريض كلبوة من يقيمه؟!" (عد ٢٤ : ٩) وأيضاً المزمور الذي تسمعون كثيراً يقول: "والى تراب الموت تضعني" (مز ٢٢ : ١٥). وقد درسنا هذا الموضوع بالأكثر حين

^١ المقالات ١٤، ١٥، ١٦ ترجمة الدكتور شوكت شفيق.

^٢ مت ٢٨ : ٩ "سلام لكم" التحية المعتادة باليونانية "Xaipete" أي افرحوا.

^٣ إش ٥٧ : ٤. الترجمة البيروتية "يدخل السلام".

اقتبسنا القول "انظروا إلى الصخر الذي منه قُطعتُم" (إش ٥١ : ١).
أما الآن فلنحمل في طريقنا البراهين الخاصة بالقيامة.

البراهين الخاصة بالقيامة

٤. أولاً يقول المزمور الحادي عشر: "من أجل شقاء المساكين وتنهّد البائسين الآن أقوم يقول الرب" (مز ١٢ : ٥). لكن هذه العبارة لا زال يشك البعض في تفسيرها إذ غالباً ما يقوم الرب أيضاً في الغضب لينتقم من أعدائه^١.

تعالوا إذن إلى المزمور الخامس عشر الذي يقول: "احفظني يا الله، لأني عليك توكلت" (مز ١٥). وبعد هذا يقول "لا أجمع مجامعهم من الدماء، ولا أذكر أسماءهم بشفتي" إذ رفضوني طالبين قيصر ملكاً لهم". وأيضاً ما جاء بعد ذلك: "تقدمت فرأيت الرب أمامي في كل حين، لأنه عن يميني كي لا أترزع"، وما جاء: "وأيضاً إلى الليل أدبتني كليتي". عندئذ يتكلم بوضوح جداً "لأنك لا تترك نفسي في الجحيم، ولا تدع قدوسك يرى فساداً". إنه لم يقل "لا تدع قدوسك يرى موتاً"، وإلا ما كان قد مات، لكنه يقول: "فساداً" أي لا يرى فساداً ولا يبقى في الموت. ثم يكمل "قد عرفتني سُبُل الحياة" ... تأملوا أنه يكرز بوضوح عن الحياة بعد الموت!

تعالوا معي أيضاً إلى المزمور التاسع والعشرين: "أعظمك يا رب، لأنك احتضنتني ولم تشمت بي أعدائي" (مز ٢٩). ما الذي حدث هل أنفقت من أعداء أم نجوت مما كنت تضرب به؟ لقد أعلن بوضوح: "يا رب أصعدت من الجحيم نفسي". (في المزمور السابق) ينطق متنبأ: "لا تترك نفسي في الجحيم"، أما هنا فيتحدث عما يتم كأنه قد حدث فعلاً "أصعدت... خلصتني من الهابطين في الجب". متى حدث هذا؟ "في العشاء يحل البكاء، وبالغداة السرور"، لأنه في المساء حزن التلاميذ، وفي الصباح فرحوا بالقيامة.

أتريد أيضاً أن تعرف المكان؟

٥. يعود فيقول في نشيد الأناشيد "نزلت إلى جنة الجوز" (نش ٦ : ١١)، إذ صُلب السيد في البستان (يو ١٩ : ٤١). فإنه وإن كان الموضع الآن مزيناً بالهبات الملكية، لكنه كان قبلاً بستاناً، ولا تزال العلامات والآثار قائمة.

إنه "جنة مغلقة، وينبوع مختوم" (نش ٤ : ١٢). هؤلاء الذين قالوا: "تذكرنا أن ذلك المضل قال وهو حيّ إني بعد ثلاثة أيام أقوم، فمر أن يُضبط القبر" وعلى هذا "مضوا وضبطوا القبر بالحراس وختموا الحجر" (مت ٢٧ : ٦٣، ٦٥). ويخبر واحد عن هذا بدقة قائلاً: "وفي النهاية تدبهم"^٢. من هو هذا الينبوع المختوم الذي يعني "ينبوع الماء الحي"^٣؟! إنه المخلص نفسه الذي قيل عنه: "لأن ينبوع الحياة عندك" (مز ٣٦ : ٩).

شهادة صفنيا عن القيامة

٦. ولكن ماذا يقول صفنيا في شخص المسيح للتلاميذ؟ "تهيأوا، استيقظوا عند الفجر. كل بقاياهم محطمة"^٣. إنه لم يبقَ لليهود عنقود واحد ولا تُرك لهم بقايا للخلاص، إذ قُطعت كرماتهم. انظر كيف يقول للتلاميذ "تهيأوا، استيقظوا عند الفجر"، في الفجر انتظروا القيامة.

^١ مز ٧ : ٦ "قم يا رب بغضبك".

^٢ أي ١٨ : ٧ الترجمة السبعينية أما البيروتية فهي "وكل لحظة تمتحنه" وقد ترجمت الترجمة السبعينية كلمة "Wink" أنها "في النهاية" وليس "لحظة".

^٣ صف ٣ : ٧ الترجمة السبعينية "بكروا وفسدوا جميع أعمالهم".

يقول أيضًا في نفس السفر: "لذلك فانتظروني يقول الرب إلى يوم أقوم في الشهادة"^١. ها أنت ترى أن النبي سبق فرأى مكان القيامة أيضًا، فدعا "الشهادة". لأن ما السبب في أن مكان الجلثة والقيامة لم يدع كنيسة كباقي الكنائس بل بـ "الشهادة" إلا لأن النبي قال: "إلى يوم أقوم في الشهادة؟!"^٢

صفنيا يقدم علامة عن القيامة

٧. من هو هذا إذن؟ وما هي علامة الذي يقوم؟
يقول النبي بوضوح فيما بعد: "لأنني حينئذ أقدم للشعوب لغة"^٣. إذ بعد القيامة أرسل الروح القدس، وأعطيت موهبة الألسن "ليعبده بكتف (نبر) واحد". لذلك تنبأ النبي نفسه قائلاً: "ليعبده بكتف واحد، ومن عبر أنهار كوش يقدمون تقدمتي" (صف ٣: ١٠).
إنكم تعلمون ما جاء في سفر الأعمال حينما جاء الخصي الحبشي عبر أنهار أثيوبيا "كوش".
فإذ تُخبركم الكتب عن وقت قيامته وطبيعة مكانها والعلامة التي تتبعها فليتنقوا إيمانكم في القيامة، ولا يزحزحكم أحد عن الاعتراف بأن "المسيح قام من بين الأموات".

صرت حرًا بين الأموات

٨. خذوا لكم شهادة أخرى، المزمور السابع والثمانين^٤، حيث يتكلم المسيح في الأنبياء (هذا الذي بعدما تكلم هكذا حلّ بيننا)، "يا رب إلهي بالنهار والليل صرخت أمامك". ثم أكمل بعد قليل: "صرت مثل إنسان ليس له معين، صرت حرًا بين الأموات".
لم يقل "صرت إنسانًا ليس له معين"، بل قال: "صرت مثل إنسانٍ ليس له معين". لأنه بالحق لم يُصلب عن ضعف بل صلب بإرادته، وما كان موته عن ضعف لا إرادي.
"حسبت مثل الهابطين في الجب". وما هي العلامة؟ "أبعدت عني معارفي". ثم يتحدث بعد قليل قائلاً: "صرخت إليك يا رب. بالغداة أقف أمامك". انظروا كيف يتحدث بدقة عن الوقت وعن الآلام القاسية وعن القيامة!

تحديد مكان القيامة (كهف الصخرة)

٩. ومن أين قام المخلص؟ يقول في نشيد الأناشيد "قم يا قريبي وتعال"^٥، وبعد ذلك "في كهف الصخرة"^٦. إنه يدعو ذلك الكهف الذي كان قبلاً أمام باب قبر المخلص وقد نُحت في الصخرة نفسها، كما كانت العادة هنا قبلاً...

ولكن أين هي الصخرة التي كان فيها الكهف؟ هل هي في وسط المدينة أم ملحقة بالأسوار والحدود؟! هل هي بداخل الأسوار القديمة، أم داخل الأسوار الخارجية التي بنيت فيما بعد؟! يقول في النشيد "في كهف

^١ صف ٣: ٨ كلمة الشهادة تشبه كلمة "السلب" في العبرية.

^٢ قبل إلقاء هذه المقالات بعشرة سنوات تحدث يوسابيوس عن اكتشاف القبر المقدس (حياة قسطنطين ٣: ٢٨)، فدعا "شهادة قيامة المخلص أعلى من أي صوت آخر".

^٣ صف ٣: ٩ الترجمة السبعينية: "لأنني حينئذ أحوال الشعوب إلى شفة نقية".

^٤ الطبعة البيروتية مز ٨٨.

^٥ نش ٢: ١٠ "قومي يا حبيبتي يا جميلتي وتعال".

^٦ نش ٢: ١٤ "في محاجئ الصخر".

الصخرة قريباً من السور الخارجي"^١.

تحديد فصل السنة

١٠. في أي فصل قام المسيح؟ هل في فصل الصيف أم في فصل آخر؟! جاء في نشيد الأناشيد قبل الكلمات السابق اقتباسها "لأن الشتاء قد مضى، والمطر مرّ وزال، الزهور ظهرت في الأرض، بلغ أوان القصب" (نش ٢: ١١، ١٢). أليست الأرض ملآنة بالزهور الآن؟ أما تُحصد الكروم الآن؟ ألا ترون أن الشتاء قد مضى لأنه متى حل شهر نيسان *Xanthicus*^٢ حيث يكون الربيع. هذا هو الفصل أو الشهر الأول عند العبرانيين الذي فيه تم العبور كرمز للعبور الحقيقي...

في هذا الفصل قال الله: "نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا" (تك ١: ٢٦)، فأخذ الإنسان الصورة، وبالعصيان أفسد الشبه. وفي ذات الفصل استرد الإنسان الشبه ثانية. في نفس الموسم الذي فيه طُرد الإنسان المخلوق من الفردوس بسبب عصيانه، رجع إليه الإنسان المؤمن خلال طاعته. فخلاصنا حدث في نفس الوقت الذي فيه كان سقوطنا، إن "الزهور ظهرت وبلغ أوان القصب".

تحديد مكان القيامة (في البستان)

١١. في بستان كان دفنه، حيث زُرعت هناك كرمة، إذ قال عن نفسه: "أنا هو الكرمة" (يو ١٥: ١). لقد زُرِع في الأرض لكي يقطع اللعنة التي حَلَّت بسبب آدم، حيث سُلِّمَت الأرض للشوك والحسك. لقد طلعت الكرمة من الأرض، ليتم القول: "الحق من الأرض أشرق، والعدل من السماء اطلع" (مز ٨٤: ١٠). وماذا يقول ذاك المدفون في البستان؟ "قطفتُ مَرِّي مع طيبي" (نش ٥: ١). وأيضاً "مرّ وعود مع كل أنفُس الأطياب" (نش ٤: ١٤). وهذه هي علامات للدفن، إذ جاء في الأناجيل "أتين (النسوة) إلى القبر حاملات الحنوط الذي أعددنه" (لو ٢٤: ١). "وأحضر نيقوديموس أيضاً خليطاً من مرّ وعود" (يو ١٩: ٣٩)، ومكتوب أيضاً: "أكلت خبزي مع عسلي"^٣. إذ أكل المر قبل الصليب والعسل بعد القيامة. بعد القيامة دخل والأبواب مغلقة، وإذ لم يصدقوا أنه هو إذ ظنوا أنهم رأوا روحاً (لو ٢٤: ٣٧)، قال لهم "جسّوني وانظروا" (لو ٢٤: ٣٩). ضَعُوا إصبعكم في آثار المسامير كطلب توما "وبينما هم غير مصدقين من الفرح متعجبون، قال لهم: "أعندكم ههنا طعام؟! فناولوه جزء من سمك مشوي وشيئاً من شَهِد عسل فأخذ وأكل قدامهم" (لو ٢٤: ٤١، ٤٢).

انظروا كيف تحقق القول "أكلت خبزي مع عسلي"!

بحث مريم عن القائم من الأموات

١٢. لكن قبل أن يدخل والأبواب مغلقة، بحثت النسوة النبيلات الشجاعات عن عريس النفوس وطبيبتها. لقد أتت هؤلاء المباركات إلى القبر، وبحثن عن الذي قام ودموعهن تسيل من أعينهن مع أنه كان يجب عليهن بالأولى أن يرقصن فرحاً من أجل الذي قام. بحسب ما جاء في الإنجيل جاءت مريم تحدثه فلم تجده. لقد سمعت الملائكة أولاً وبعد ذلك رأت

^١ نش ٢: ١٤ "في محاجئ الصخر في ستر العاقل".

^٢ الشهر السادس من التقويم المكديوني ويقابل نيسان تقريباً في التقويم اليهودي.

^٣ نش ٥: ١ "أكلت شهدي مع عسلي".

المسيح... هل هذه الأمور سبق أن كُتِب عنها؟ يقول نشيد الأناشيد "على فراشي طلبت من تحبه نفسي". في أي وقت؟ "في الليل على فراشي طلبت من تحبه نفسي" (نش ٣: ١). وقد قيل: "جاءت مريم والظلام باقٍ" (يو ١٠: ١)، "في الليل على فراشي طلبت من تحبه نفسي، طلبته فما وجدته". وفي الأناجيل تقول مريم "أخذوا سيدي ولست أعلم أين وضعوه؟!" (يو ٢٠: ١٣)

وإذ كان الملائكان موجودان لمعالجة نقصها في المعرفة، قالوا لها "ماذا تطلبين الحي بين الأموات؟!" (لو ٢٤: ٥) إنه ليس فقط قام بل وأقام معه موتى (مت ٢٧: ٥٢). أما هي فلم تفهم ذلك. ويقول سفر نشيد الأناشيد في شخصها محدثة مع الملائكة: "أرأيتم من تحبه نفسي؟! فما جاوزتهم إلا قليلاً حتى وجدت من تحبه نفسي، فأمسكته ولم أرَّه" (نش ٣: ٣، ٤).

فرح النسوة بالقائم من الأموات

١٣. بعد رؤية الملائكة جاء يسوع كوعد ملاكه، وتقول الأناجيل: "إذا يسوع لاقاهما، وقال: سلام لكما، فتقدمتا وأمسكتا بقدميه" (مت ٢٨: ٩). أمسكتا به حتى يتم القول: "فأمسكته ولم أرَّه". فمع أن المرأة كانت ضعيفة حسب الجسد، لكن روحها كانت مملوءة رجولة. "مياه كثيرة لا تستطيع أن تطفئ المحبة، والسيول لا تغمرها" (نش ٨: ٧). لقد كانت تبحث عن من كان ميتاً، لكن رجاء القيامة لم ينطفئ. يقول لهن الملاك ثانية: "لا تخفن أنتن"، لكنني لا أقول للجنود "لا تخافوا" بل لَكُن لا تخفن. فهم يليق بهم أن يخافوا، فيتعلموا مختبرين شاهدين قائلين: "بالحقيقة كان هذا ابن الله" (مت ٢٧: ٥٤). أما أنتن فلا تخفن "لأن المحبة الكاملة تطرد الخوف إلى خارج" (١ يو ٤: ١٨).

"اذهبا سريعاً قولاً لتلاميذه أنه قد قام... فخرجتا... بخوف وفرح عظيم" (مت ٢٨: ٧). هل هذا أيضاً مكتوب؟ نعم فإن المزمور الثاني الذي يتكلم عن آلام المسيح يقول "اعبدوا الرب بخشية، وهللوا (افرحوا) له برعدة" (مز ٢: ٧). افرحوا للإله القائم، لكن برعدة من أجل الزلزلة والملاك الذي ظهر مضيئاً!

عرف الأنبياء ضعف إيمان رؤساء الكهنة

١٤. ومع أن رؤساء الكهنة والفريسيين ختموا القبر عن طريق بيبلاطس، لكن النسوة تطلعن إلى ذاك الذي يقوم. وقد عرف إشعياء ضعف إيمان رؤساء الكهنة وقوة إيمان النسوة، فقال: "أيتها النسوة الآتيات، انظرن هنا لأن ليس شعباً ذا فهم"^١. هوذا رؤساء الكهنة يحتاجون إلى الفهم، بينما صارت النسوة شاهداً عياناً. وعندما أتى الجنود إلى المدينة وأخبروهم بكل ما حدث، قالوا لهم: "قولوا أنتم إن تلاميذه جاءوا ليلاً وسرقوه ونحن نيام" (مت ٢٨: ١٣). هل سبق إشعياء فتنبأ عن هذا؟ إنه يقول "أخبرونا وانسبوا لنا خديعة أخرى"^٢.

الذي قام من الأموات مرتفع، لكن بالنقود خدعهم. إنما لا يقدر أن يخدعوا ملوك أيامنا هذه. لقد باع الجنود الحق بالفضة، لكن ملوكنا الصالحين بنوا كنيسة قيامة الرب ومخلصنا المقدسة مرصعة بالفضة والذهب، هذه التي نجتمع نحن فيها، وقد تزينت بكنوز الفضة والذهب والأحجار الكريمة. "وإذا سُمع ذلك عند الوالي فنحن نستعطفه" (مت ٢٨: ١٤). حقاً لقد أقنعت الجنود، لكنكم لن تقتنعوا العالم، لأنه لماذا لم يُحاكم الحراس الذين حرسوا يسوع المسيح، بينما دين حراس بطرس حين هرب من السجن؟

^١ إش ٢٧: ١١ "فتأتي النسوة وتوقدها. لأنه ليس شعباً ذا فهم".

^٢ إش ٣٠: ١٠ "كلمونا بالناعمات، انظروا مخادعات".

حراس بطرس عاقبهم هيرودس لجهلهم، إذ ليس لهم ما يدافعون به، أما حراس القبر الذين رأوا الحقيقة وأخفوها بالمال، فقد احتما برؤساء الكهنة. ومع أن قليلاً من اليهود اقتنعوا بذلك، لكن العالم كله أطاع (الحق). الذين أخفوا الحقيقة اختفوا، أما الذين قبلوها فقد ظهروا بقوة المخلص الذي قام من الأموات، بل وأقام الموتى بنفسه. هؤلاء الذين يقول على لسانهم هوشع النبي: "يُحيينا بعد يومين، في اليوم الثالث يقيمنا فنحيا أمامه" (هو ٦: ٢).

كيف ينكر اليهود العصاة قيامة مخلصنا؟!

١٥. لكن مادام اليهود العصاة لا يقتنعون بالأسفار المقدسة، بل ينسون كل المكتوب وينكرون قيامة يسوع، فجيد أن نسألهم هكذا: على أي أساس تقولون إن الإشع وإيليا أقاما موتى، بينما تتكرون قيامة مخلصنا؟! ليس لدينا شهادات حيّة من هذا الجيل لما نقول؟ حسناً وأنتم تقدمون شهادة التاريخ عن ذلك الوقت. إن كان مكتوباً عما تقولونه فإنه مكتوب أيضاً عن هذا (قيامة المخلص)، فلماذا تقبلون شهادة دون الأخرى؟ إن الذين كتبوا التاريخ هم عبرانيون، والرسل جميعهم عبرانيون، فلماذا لا تصدقونهم؟ متى كتب الإنجيل بالعبرية، وبولس المبشر كان عبرانياً، والاثني عشر جميعهم عبرانيون، والخمسة عشر أسقفاً لأورشليم الذين رسموا بالتتابع كانوا عبرانيين^١. فلماذا تقبلون ما هو لكم، وترفضون ما هو لنا الذي كتبه عبرانيون منكم؟!

القيامة ممكنة

١٦. قد يقول قائل: يستحيل أن يكون ميتاً! لقد أقام الإشع ميتاً مرتين، مرة وهو حيّ، وأخرى وهو ميت. فهل تصدق أن الإشع وهو ميت أقام الميت الذي ألقى عليه ولمسه ولا تصدق أن المسيح قام؟! لكن في تلك الحالة حين لمس الميت الإشع قام بينما بقي الإشع ميتاً... وأما هنا فقد قام الميت الذي نتحدث عنه، وأقام معه كثيرين من الموتى دون أن يلمسوه. لأنه "قام كثير من أجساد القديسين الراقدين، وخرجوا من القبر بعد قيامته، ودخلوا المدينة المقدسة (واضح أنها ذات المدينة التي نحن فيها الآن) وظهروا لكثيرين" (مت ٢٧: ٥٢، ٥٤). لقد أقام الإشع ميتاً، لكنه لم يهزم العالم. لقد أقام إيليا ميتاً، لكن الشياطين لا تخرج باسم إيليا. إننا لا نقول شراً في الأنبياء، لكننا نعظم سيدهم بالأكثر جداً، فإننا لا نكرم عجائبنا بامتهاننا عجائبهم، بل نحن نكسب ثقة أكثر بما حدث معهم.

يونان في الحوت كرمز للقيامة

١٧. لكنهم قد يقولون أيضاً: جثة ميتة في الحال يقيمها حي، لكن أرنا كيف يمكن لميت أن يقوم بعد ثلاثة أيام، بعدما يدفن يقوم بعد ثلاثة أيام؟ إن كنا نطلب شهادة من الكتاب لإثبات هذه الحقيقة، فقد سبق الرب يسوع المسيح نفسه فأمدنا بها في الأناجيل قائلًا: "لأنه كما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال، هكذا يكون ابن الإنسان في قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال" (مت ١٢: ٤٠). وإذا فحص قصة يونان نجد شبهاً عظيماً. فقد أرسل يسوع ليكرز بالتوبة، وهكذا كان يونان. لكن الواحد هرب غير عالم بما آت عليه، والآخر

^١ هذه العبارة ربما أخذها عن يوسابيوس (التاريخ الكنسي ٤: ٥) أو "السجلات المكتوبة" حيث تعلم أنه إلى حصار اليهود الذي تم في حكم أدريان كان هناك ١٥ أسقفًا بالتتابع من أصل عبراني.

بإرادته جاء ليعطي توبة للخلاص.

يونان كان نائمًا في السفينة، غارقًا في النوم وسط البحر العاصف، بينما نام يسوع أيضًا، وبدأ البحر - بعنانيته وتدبيره - يرتفع ليعلن قدرة ذلك النائم.

قيل للواحد: "ما لك نائمًا؟! قم اصرخ إلى إلهك عسى أن يفكر الإله فينا فلا نهلك!" (يونان ١: ٦) أما الثاني فقالوا له: "يا رب نجنا" (مت ٨: ٢٥، ٢٩).

هناك يقول "اصرخ لإلهك" وهنا يقولون: "نجنا أنت".

الواحد يقول: "خذوني واطرحوني في البحر فيسكن البحر عنكم" (يونان ١: ١٢)، أما الآخر فبنفسه "انتهر الرياح والبحر فصار هدوء عظيم" (مت ٨: ٢٥، ٢٦).

ألقي الواحد إلى بطن الحوت، والآخر بإرادته نزل هناك حيث يوجد وحش الموت غير المنظور، نزل بإرادته لكي يطرد الموت خارجًا عن أولئك الذين ابتلعهم، كما هو مكتوب: "من قوة القبر أفيدهم، من يد الملاك أخلصهم".^١

بقاء يونان حيًا في بطن الحوت والقيامة

١٨. في هذه النقطة من مقالنا، دعونا نتأمل أيهما أصعب أن يقوم إنسان من الأرض بعد ثلاثة أيام من دفنه، أم ينجو من الهلاك من دخل في بطن الحوت في الهياج العظيم الذي لهذا المخلوق الحي، لأنه من لا يعرف أن هياج أحشاء عظيمة كهذه كفيلة بتحطيم العظام التي تُبتلع؟!... لكن يجيب اليهود قائلين إن قوة الله نزلت مع يونان حين ألقى في الجحيم. فهل يعطي الله حياة لعبده بمساندته بقوته، ولا يعطيها لنفسه أيضًا؟!...

إنني أرى أن كليهما جديران بالتصديق، أنا أصدق أن يونان قد حُفظ لأن "عند الله كل شيء مستطاع" (مت ١٩: ٢٦). أو من كذلك أن المسيح قام من الأموات، إذ لنا شهادات كثيرة من الكتب الإلهية، ومن القوة العملية في اليوم الذي قام فيه ذلك الذي نزل إلى الجحيم وصعد بصحبته كثيرون، إذ نزل إلى الموت وخلاله "قام كثير من أجساد القديسين الراقدين".

المسيح ينزل الجحيم

١٩. لقد صُدم الموت برعدة، إذ رأى زائرًا جديدًا ينزل الجحيم دون أن يرتبط بسلاسله. ما لكم يا حراس الجحيم ارتعبتُم عند رؤيته؟! ما هو هذا الخوف غير المعتاد الذي تملككم؟! الموت هرب وبهروبه انكشف جبنة. لقد جرى إليه الأنبياء القديسون وموسى مستلم الشريعة، وإبراهيم، وإسحق، ويعقوب، وأيضًا داود وصموئيل وإشعيا ويوحنا المعمدان الذي شهد له حين سُئل: أنت هو الآتي أم ننتظر آخر؟ لقد أفتدى كل الصالحين الذين ابتلعهم الموت. إنه يليق بالملك أن يخلص مرسله النبلاء، فيقول كل منهم: أين غلبتك يا موت؟! أين شوكتك يا قبر؟! لأن الغالب قد خلصنا.

يونان مثال السيد المسيح في الجحيم

٢٠. كان النبي يونان في هذا مثالاً لمخلصنا عندما صلى في بطن الحوت، وقال: "دعوت من ضيقي"، وأيضًا: "صرخت من جوف الجحيم" (يونان ٢: ٢). ومع أنه كان في داخل الحوت، لكنه يقول إنه في

^١ هو ١٣: ٤ "من يد الهاوية أفيدهم، من الموت أخلصهم".

الجحيم، لأنه كان مثلاً لمخلصنا الذي كان لزاماً أن ينزل إلى الجحيم.

وبعد قليل يتحدث في شخص المسيح بوضوح جداً، قائلاً: "نزلت (رأسى) إلى أسافل الجبال" (يونان ٢: ٦). لقد كان في بطن الحوت، فأى جبال تحيط بك؟ إنه يقول إنني أعلم أنني مثال لذلك الذي يُدفن في قبرٍ منحوتٍ في الصخر. ومع أنه كان في البحر يقول يونان إنه نزل إلى الأرض، إذ كان مثلاً للمسيح الذي نزل في قلب الأرض.

كما ينتبأ يونان عن أعمال اليهود الذين أقنعوا الجنود أن يكذبوا قائلين لهم: "قولوا إنهم سرقوه"، إذ يقول النبي "الذين يراعون أباطيل كاذبة يتركون رحمتهم (نعمتهم)" (يونان ٢: ٨)، لأن الذي كان رحيماً معهم جاء وصلب وقام ثانية، واهباً دمه الغالي لليهود والأمم، أما هم فقالوا: "قولوا إنهم سرقوه" مستخدمين أباطيل كاذبة. أما عن قيامته، فيقول إشعياء أيضاً: "هو الذي أقام من الأرض راعي الخراف العظيم"^١. لقد أضاف كلمة "العظيم" حتى لا يظن أنه في مستوى الرعاة الذين سبقوه.

شهود قيامة السيد المسيح

٢١. فإذا لنا النبوات، فليثبت معنا الإيمان. يسقط غير المؤمنين ماداموا يريدون هكذا، أما أنتم فلتثبتوا على صخرة الإيمان بالقيامة. لا تتركوا هرطوقي يتكلم بشرٍ عن القيامة، لأنه حتى هذا اليوم يقول المانيون إن قيامة المخلص كانت كخيالٍ وليست حقيقة، غير منتبهين إلى قول بولس: "الذي صار من نسل داود من جهة الجسد... بقيامة ربنا يسوع المسيح من الأموات" (راجع رو ١: ٣، ٤)، كذلك يقصدهم قائلاً: "لا تقل في قلبك من يصعد إلى السماء؟! أو من يهبط إلى العمق، أي ليُصعد المسيح من الأموات" (رو ١٠: ٦، ٧). وبنفس الطريقة يحذر في موضع آخر: "اذكر يسوع المسيح المُقام من الأموات" (٢ تي ٢: ٨). وأيضاً: "وإن لم يكن المسيح قد قام، فباطلة كرازتنا، وباطل أيضاً إيمانكم، ونوجد نحن أيضاً شهود زور لله، لأننا شهدنا من جهة الله أنه أقام المسيح وهو لم يقمه" (١ كو ١٥: ١٤-١٥). ويكمل بعد ذلك: "ولك الآن قد قام المسيح من الأموات، وصار باكورة الراقدين" (١ كو ١٥: ٢٠)، "وظهر لصفا ثم للاثني عشر" (١ كو ١٥: ٥)، حتى إن لم تصدقوا شهادة واحد فلکم اثنا عشر شاهداً. "وبعد ذلك ظهر ليعقوب" أخيه أسقف أورشليم الأول. فإن عرفت أن هذا الأسقف رأى المسيح يسوع حين قام فلا تشك أنت تلميذه. لكنكم تقولون إن أخاه يعقوب لم يشهد بوضوح. يقول الرسول: "وأخر الكل ظهر لي أنا" (١ كو ١٥: ٨) بولس عدوه. وأية شهادة لا تُصدق إن كان العدو يشهد بها؟! "أنا الذي كنت قبلاً مضطهداً" (١ تي ١: ١٣)، أكرز الآن بأخبار القيامة المفرحة.

شهادة الأمور المادية لقيامة المخلص

٢٢. يوجد أيضاً شهود كثيرون يشهدون بقيامة المخلص: الليل مع ضوء القمر الساطع (إذ كانت في الليلة السادسة عشرة)^٢، صخرة القبر الذي تقبله، فستقف الصخرة شاهدة ضد اليهود... الحجر الذي درج يحمل شهادة عن قيامة المخلص، وهو لا يزال إلى يومنا هذا. ملائكة الله الذين شهدوا بقيامة الابن الوحيد، بطرس ويوحنا وتوما وبقيّة الرسل، بعضهم جرى إلى القبر ورأى الأكفان التي كان ملفوفاً بها باقية كما هي بعد القيامة، وآخرون لمسوا يديه ورجليه وتحسسوا آثار المسامير. والكل تمتع بنفخة المخلص هذه، وتأهلوا أن يغفروا

^١ إش ٦٣: ١١ "أين الذي أصعدهم من البحر مع راعي غنمه؟!"

^٢ كان الصليب في ١٤ نيسان فتكون ليلة القيامة ١٦ نيسان.

الخطايا بقوة الروح القدس. النسوة أيضًا كن شاهدات، فقد أمسكن بقدميه وأحسسن بزلزلة قوية، بهاء الملاك الذي وقف بهن شاهدًا بالقيامة، الملابس الكتانية الذي كان ملفوفًا بها وقد تُركت حين قام، الحراس والنقود التي أعطيت لهم، هذا المكان الذي ترونه، وهذه الكنيسة المقدسة التي تذكرها الإمبراطور قسطنطين في محبته، فبناها وزينها كما ترون.

طابيثا تشهد لقيامة المخلص

٢٣. يوجد أيضًا دليل على قيامة يسوع هو طابيثا التي باسمه قامت من الأموات (أع ٩: ٤٠). كيف لا يُصدق أن المسيح قام من الأموات، إن كان حتى اسمه أقام الموتى؟! البحر أيضًا يشهد بقيامة المسيح كما سمعتم قبلاً، والسماك المصطاد والحجر والسماك الموضوع هناك ويطرس الذي أنكره ثلاث مرات ثم اعترف به أيضًا ثلاث مرات بعد قيامته فأوصاه أن يرعى غنمه الروحي. إلى يومنا هذا يقف جبل الزيتون أمام أعين المؤمنين جميعًا شاهدًا للذي صعد إلى السماء من هناك، من المكان الذي بدأ فيه آلامه بين الناس وانتهى بتتويجه بينهم. ها هي شهادات كثيرة: مكان القيامة ذاته، موضع الصعود نحو المشرق، الملائكة الذين شهدوا أيضًا، السحابة التي صعد عليها، الرسل الذين كانوا هناك.

صعود المخلص يشهد لقيامته

٢٤. قادنا الحديث في تعليمنا عن قانون الإيمان إلى الحديث عن الصعود. وقد دبرت نعمة الله أن نسمعوا بالأمس في يوم الرب عنه بأكثر توسع حسب ضعفنا... وما قد قيل وجه إلى الجميع، إلى المؤمنين المجتمعين جميعهم، لكنه كان بالأكثر يخصكم أنتم. والسؤال هو: هل انتبهتم إلى ما قيل؟ إذ كلمات قانون الإيمان تعلمكم "الذي قام من الأموات في اليوم الثالث، وصعد إلى السماوات وجلس عن يمين الآب". أظن أنكم تذكرون التفسير، لكنني استرجع أذهانكم إلى ما قيل. تذكروا ما قاله المزمور بوضوح: "صعد الله بهتاف" (مز ٤٧: ٥). تذكروا أيضًا ما جاء في المزمور من حديث القوات الإلهية مع بعضها البعض "ارفعوا أيها الرؤساء أبوابكم" (مز ٢٤: ٧). تذكروا أيضًا المزمور القائل: "صعد إلى العلا وسبى سبيًا" (مز ٦٨: ١٨). تذكروا النبي القائل: "الذي يبني صعوده نحو السماء..."^١. وغير ذلك من الأمور التي سبق ذكرها بسبب مغالطات اليهود.

الصعود ورموزه

٢٥. فإذا يتكلمون ضد صعود المخلص كأمر مستحيل، فليذكروا كيف حمل ملاك حبقوق من شعر رأسه^٢، فبالأحرى جدًا يستطيع إله الملائكة والأنبياء أن يصعد على سحابة من جبل الزيتون بقوته الخاصة. يمكنكم أن تتذكروا عجائب كهذه لكن لتعط المكانة الأولى لله صانع العجائب. فهؤلاء رُفِعوا أما هو فرافع كل الأشياء.

تذكروا أن أخنوخ نُقِلَ أما يسوع فصعد.

تذكروا ما قيل بالأمس عن إيليا أنه أُصعد في مركبة نارية (٢ مل ٢: ١١)، أما مركبات المسيح

^١ عا ٩: ٦ "الذي بني في السماء علالية".

^٢ جاء في حزقيال ٨: ٣ "ومد شبه يده وأخذني بناصية رأسي ورفعني روح بين الأرض والسماء فأتى بي في رؤى الله".

فربوات أُلوف (مز ٦٨ : ١٧).

إيليا أخذ ناحية شرق الأردن، أما المسيح فصعد شرق وادي قدرون.

إيليا ذهب كما إلى السماء، أما المسيح ففي السماوات.

إيليا قال أن يُعطى لتلميذه الطوباوي نصيب مضاعف من الروح القدس، أما المسيح فمنح رسله نعمة الروح القدس هكذا حتى أنهم لم يأخذوه لأنفسهم وحدهم بل وهبهم أن يمنحوا المؤمنين أن يشتركوا معهم فيه بوضوح الأيدي.

الرسل ليسوا بأقل من الأنبياء

٢٦. ولكن حينما تناضلون مع اليهود هكذا، وحينما تجاوبونهم بأمثلة متشابهة يلزمكم بالأحرى أن تُظهروا عظمة مجد المخلص، إذ هؤلاء خدام أما هو فابن الله. وهكذا يمكنكم أن تذكروا سموه بالتفكير في أن خادم المسيح قد بلغ السماء الثالثة. فإن كان إيليا قد بلغ السماء الأولى فإن بولس بلغ الثالثة، فحصل على كرامة أعظم. لا تحجلوا من رسلكم! أنهم ليسوا أقل من موسى، ولا يأتون بعد الأنبياء. إنما هم نبلاء بين نبلاء، نعم بل وأكثر نبلاءً. لأنه حقًا أخذ إيليا إلى السماء، وذهب بطرس مفاتيح ملكوت السماوات. إذ سمع هذه الكلمات "ما تحله على الأرض يكون محلولاً في السماء" (مت ١٦ : ١٩).

إيليا أخذ إلى السماء، أما بولس فإلى السماء والفردوس (٢ كو ١٢ : ٢، ٤)، (إذ يليق أن يكون لتلاميذ المسيح نعمة مضاعفة)، "وسمع كلمات لا يُنطق بها، ولا يسوغ لإنسان أن يتكلم بها". لكن بولس نزل ثانية من فوق ليس لعدم استحقاقه أن يبقى هناك، إنما لكي ما بعد أن تمتع بالأمور التي تعلو على الإنسان يعود ويكرز بالمسيح ويموت لأجله فيأخذ إكليل الشهادة...

الجلوس عن يمين الآب

٢٧. تذكروا أيضًا ما كنت أتحدث عنه كثيرًا بخصوص جلوس الابن عن يمين الآب، حيث جاء في قانون الإيمان: "وصعد إلى السماوات، وجلس عن يمين الآب".

ليتنا لا نتطفل في معرفة معنى "العرش"، لأنه غير مدرك. لكننا لا نقبل أبدًا القائلين كذبًا أن الابن بدأ يجلس عن يمين أبيه بعد صلبه وقيامته وصعوده إلى السماوات، لأن الابن لم يتمتع بالعرش بالتقدم (أي ترقى إليه)، بل هو دومًا على العرش حيث كائن. وقد عرف إشعياء النبي هذا العرش قبل مجيء المخلص في الجسد فيقول "رأيت السيد جالسًا على عرش عالٍ ومرتفع" (إش ٦ : ١). وقد قيل أن الآب لم يره أحد قط (يو ١ : ١٨)، فكان النبي رأى الابن.

يقول أيضًا المرتل: "كرسيك مثبت منذ القدم، منذ الأزل أنت" (مز ٩٣ : ٢). وإذا توجد أدلة كثيرة على هذا لكن لسبب تأخر الوقت اكتفي بما قلته.

قال الرب لربي اجلس عن يميني

٢٨. لكن الآن يجب أن أذكركم بقليل من كثير مما يُقال بخصوص جلوس الابن عن يمين الآب، فالمزمور المائة والتاسع يقول: "قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئ قدميك" (مز ١٠٩ : ١). ويؤكد المخلص هذا في الأناجيل، ذاكراً أن داود لم ينطق بهذا من نفسه بل بوحى الروح القدس قائلاً: "كيف يدعوه داود بالروح ربًا قائلاً: قال الرب لربي اجلس عن يميني؟! " (مت ٢٢ : ٤٣)، وقد استخدم بطرس والأحد عشر رسولاً هذا الدليل بنفس كلمات المزمور المائة والتاسع في سفر الأعمال في يوم البنطقسطي (حلول الروح

القدس) عندما وقف ووعظ الإسرائيليين.

شهادات أخرى خاصة بجلوس الابن عن يمين الآب

٢٩. لكن يليق بنا أن نذكركم بشهادات أخرى خاصة بجلوس الابن عن يمين الآب.
جاء في إنجيل متى: "وأيضاً أقول لكم من الآن تبصرون ابن الإنسان جالساً عن يمين القوة..." (مت ٢٦: ٦٤). وتبعاً لهذا يكتب الرسول بطرس قائلاً: "بقيامه يسوع المسيح الذي هو في يمين، الله إذ قد مضى إلى السماء" (١ بط ٣: ٢١، ٢٢).
ويكتب الرسول بولس إلى أهل رومية: "المسيح هو الذي مات، بل بالأحرى قام أيضاً، الذي هو أيضاً عن يمين الله" (رو ٨: ٣٤).
والى أهل أفسس: "حسب عمل شدة قوته الذي عمله في المسيح إذ أقامه من الأموات وأجلسه عن يمينه..." (أف ١: ١٩، ٢٠).
كما علم أهل كولوسي بهذا: "إن كنتم قد قمت مع المسيح، فاطلبوا ما فوق حيث المسيح جالس عن يمين الله" (كو ٣: ١).
وفي الرسالة إلى العبرانيين يقول: "بعدما صنع بنفسه تطهيراً لخطايانا جلس في يمين العظمة في الأعالي" (عب ١: ٣).
ثم أيضاً: "لمن من الملائكة قال قط: اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك؟!" (عب ١: ١٣)
ثم أيضاً: "أما هذا فبعدما قدم عن الخطايا ذبيحة واحدة جلس إلى الأبد عن يمين الله، منتظراً بعد ذلك حتى يوضع أعداؤه موطئاً لقدميه" (عب ١٠: ١٢).
وأيضاً "ناظرين إلى رئيس إيماننا ومكملة يسوع، الذي من أجل السرور الموضوع أمامه احتمل الصليب مستهيناً بالخزي، فجلس في يمين عرش الله" (عب ١٢: ٢).

ربنا يسوع المسيح يملك العرش عن يمين الآب قبل كل الدهور

٣٠. بالرغم من أنه توجد نصوص أخرى كثيرة بخصوص جلوس الابن الوحيد عن يمين الله، إلا أننا نكتفي بهذه الآن، مكرراً ملاحظتي أن الابن لم يحصل على كرامة هذا المكان بعد مجيئه بالجسد بل الابن الوحيد ربنا يسوع المسيح قبل كل الدهور يملك العرش عن يمين الآب على الدوام...
إذا اثبتوا غير مترعزين في رجائكم في الذي قام.
قوموا معه جميعاً من خطاياكم المميتة إلى عطيته السمائية.
احسبوا أنفسكم أهلاً للاختطاف في السحب لملاقاة الرب في الهواء" (١ تس ٤: ١٧)، في حينه، حين يأتي وقت ظهوره الثاني المجيد.

اكتبوا أسماءكم جميعاً في سفر الحياة ولا تمسحوها أيضاً (لأن أسماء الكثيرين تُمحي بسقوطهم).
ليهبكم جميعاً أن تؤمنوا بالذي قام، وتطلعوا إلى الذي صعد وسيأتي (ولكن ليس من الأرض، إذ يلزمك أن تحترسوا من الكذابين الذين سيأتون)، إنما يأتي ذاك الذي يجلس في العلا وهو معنا جميعاً، "ناظرًا ترتيبكم ومثانة إيمانكم" (كو ٢: ٥). فلا تظنوا أنه بغيا به بالجسد غائب عنا بالروح، بل هو موجود في وسطنا، يسمع ما يُقال عنه، متطلعاً إلى أفكاركم الداخلية، فاحصاً القلوب والكلى (مز ٩: ٧)، الذي هو الآن مستعد أن يحضر الآتين إلى العماد، بل ويحضركم جميعاً في الروح القدس للآب، قائلاً: "ها أنا والأولاد الذين أعطانيهم الله" (عب

٢: ١٣، إش ٨: ١٨). هذا الذي له المجد إلى الأبد. آمين.

المقال الخامس عشر

سيأتي في مجده

ليدين الأحياء والأموات، الذي ليس لملكه انقضاء

"كنت أرى أنه وضعت عروش، وجلس القديم الأيام"، ثم "كنت أرى في رؤى الليل، وإذ مع سحب السماء مثل ابن إنسان آتي" (دا ٧: ٩-١٤).

١. المجيئان

لسنا نركز بمجيء واحد للمسيح بل وبمجيء آخر فيه يكون مجد جدًا أعظم من الأول. المجيء الأول أظهر صبره، والثاني فيحضر معه إكليل مملكته الإلهية. لأن تقريبًا كل شيء في ربنا يسوع المسيح يحمل جانبين: فله نسب مزدوج، مولود من الله قبل كل الدهور، ومولود من العذراء في ملء الدهر. ونزوله مزدوج، واحد يأتي فيه مختفيًا، "مثل المطر على الجراز" (مز ٧٢: ٦)، والآخر مجيء واحد مُنتظر.

في مجيئه الأول كان ملفوفًا بقمطات في المذود، وفي ظهوره الثاني يظهر "اللابس النور كثوب" (مز ١٠٤: ٢).

في مجيئه الأول "احتمل الصليب مستهينًا بالخزي" (عب ١٢: ٢)، وفي الثاني تحوطه جيوش الملائكة مجددًا^١.

فنحن لا نستند على مجيئه الأول فحسب، وإنما ننتظر مجيئه الثاني أيضًا. وكما قلنا في مجيئه الأول: "مبارك الآتي باسم الرب" (مت ٢١: ٩؛ ٢٣: ٣٩). سنردد أيضًا هذا في مجيئه الثاني، فإذ نتقابل مع سيدنا وملائكته، نتعبد له قائلين: "مبارك الآتي باسم الرب".

سيأتي لا ليحكم عليه، بل ليدين من حاكموه. ذاك الذي صمت أثناء محاكمته يقول للأشرار الذي فعلوا معه هذه الجسارة: "هذه الأشياء صنعتكم وسكت" (مز ٥٠: ٢١). إذن، قد جاء بتدبير إلهي معلمًا الناس بالإقناع، أما هذه المرة بالضرورة يقبلونه ملكًا حتى الذين لا يريدون!

شهادة الكتاب المقدس

٢. بخصوص هذين المجيئين يقول ملاحى النبي: "ويأتي بغتة إلى هيكله السيد الذي تطلبونه"، هذا هو المجيء الأول. أما عن مجيئه الثاني، فيقول: "وملاك العهد الذي تسرون به هوذا يأتي قال (الرب القادر على كل شيء). ومن يحتمل يوم مجيئه؟! ومن يثبت عند ظهوره؟! لأنه يأتي مثل نار المحمص، ومثل أشنان القصار، وسيجلس محصًا ومنقيًا". بعد هذا يقول المخلص نفسه: "واقترب إليكم للحكم، وأكون شاهدًا سريعًا على السحرة وعلى الفاسقين وعلى الحالفين باسمي زورًا..." (مل ٣: ٥) لهذا السبب يحذرنا بولس قائلًا: "إن كان أحد يبني على هذا ذهبًا فضة حجارة كريمة خشبًا عشبًا قشًا،

^١ ربما اقتبس القديس كيرلس المقارنة بين المجيئين عن الشهيد يوستينوس (دفاعه ١: ٥٢؛ مع تريفو ١١٠). أنظر أيضًا ترتليان (ضد اليهود ١٤) وهيبوليتس (ضد المسيح ٤٤).

فعمل كل واحدٍ سيصير ظاهرًا، لأن اليوم سيبينه، لأنه بنار يُستعلن" (١ كو ٣: ١٢، ١٣).

عرف بولس المجيئين حين كتب إلى تيطس قائلاً: "ظهرت نعمة الله المخلصة لجميع الناس، معلمة إيانا أن ننكر الفجور والشهوات العالمية، ونعيش بالتعقل والبر والتقوى في العالم الحاضر منتظرين الرجاء المبارك، وظهور مجد الله العظيم ومخلصنا يسوع المسيح" (تي ٢: ١١-١٤). ها أنتم ترون كيف يتحدث عن المجيء الأول الذي من أجله يقدم تشكرات، وعن الثاني الذي نطلبه وننتظره. هكذا أعلن بولس نفس الإيمان الذي نعلنه، فنحن نؤمن بالذي صعد إلى السماوات وجلس عن يمين الآب، وأيضًا يأتي في مجده ليدين الأحياء والأموات الذي ليس لملكه انقضاء.

سماء جديدة وأرض جديدة

٣. هكذا سيأتي ربنا يسوع المسيح من السماء، وسيأتي بمجد في نهاية هذا العالم، في اليوم الأخير. لأن هذا العالم له نهاية، ويتجدد عالم جديد^١. لأنه حيث الفساد "والسرقة والفسق" (هو ٤: ٢)، وكل أنواع الشرور حلت بالأرض ولحقت الدماء بدماء، فلا يعود بعد يبقى هذا المسكن العجيب المملوء شرًا، بل يمضي هذا العالم ليظهر العالم الأفضل.

أتريد شاهدًا على هذا من الكتاب المقدس؟

اسمع إشعياء النبي يقول: "تلتف السماوات كدرج، وتسقط كل النجوم كأوراق من كرمة، وكأوراق تتساقط من شجرة تين"^٢. يقول الإنجيل أيضًا: "تظلم الشمس، والقمر لا يعطي ضوءه، وتتساقط نجوم السماء" (مت ٢٤: ٢٩).

إذا لا نحزن كأننا وحدنا نموت لأن النجوم أيضًا تزول... وسيلف الله السماوات لا لكي يفنيها، بل ليرفعها ثانية في أجمل مما هي عليه.

اسمعوا داود النبي يقول: "أنت يا الله في البدء أسست الأرض والسماوات هي عمل يديك. هي تبيد وأنت تبقى" (مز ١٠٢: ٢٥). اسمعوا بأي معنى يقول "هي تبيد"؟ إنه يكمل "كلها كثوب تذوب قديمًا، وكرداء تطويها فتتغير" (مز ١٠٢: ٢٦)، إنها كالإنسان الذي يُقال عنه إنه "يُباد". إذ مكتوب عنه: "باد الصديق وليس أحد يضع ذلك في قلبه" (إش ٦٢: ١). هذا بالرغم من انتظار القيامة. هكذا انتظر كما لو أن هناك قيامة للسماوات.

"ستظلم الشمس، والقمر يتحول إلى دم" (يوئيل ٢: ٣١). فليتعلم أولئك الذين انحرفوا إلى المانيّة ولا يجعلوا من هذه الكواكب آلهة لهم، ولا يظنوا أن هذه الشمس التي تظلم هي المسيح، إذ يقول الرب: "السماوات والأرض تزولان، ولكن كلامي لا يزول" (مت ٢٤: ٣٥)، لأن ليس للخلقة كرامة كلمات الرب!

علامات المنتهى

٤. إذن ستزول الأشياء المنظورة وتأتي الأمور المقبلة التي هي أفضل. أما عن الزمن فليس لكم أن تعرفوا الأزمنة والأوقات التي جعلها الآب في سلطانه" (أع ١: ٧). فلا تتجاسروا في إعلان زمان حدوث هذه الأمور، وفي نفس الوقت لا تخافوا وتتهاونوا، إذ قيل: "اسهروا إذا لأنكم في ساعة لا تتوقعونها يأتي ابن الإنسان"

^١ إننا ننتظر سماءً جديدة وأرضًا جديدة ليست من المادة التي نراها، لكنها تليق بالجسد الروحاني الذي نلبسه والخلود مع الله بلا شمس ولا كواكب ولا مزروعات الخ، بل حياة سماوية، مجازًا نسميها أرضًا جديدة.

^٢ إش ٣٤: ٤ "تلتف السماوات كدرج وكل جندها ينتثر كانهتار الورق من الكرمة والساقط من التين".

(راجع مت ٢٤: ٤٢، ٤٤). ولكن إن كان لزاماً أن نعرف علامات المنتهى إذ ننتظر المسيح، فلا نموت مخدوعين ونضل بواسطة ضد المسيح الكذاب، فإن التلاميذ مدفوعين بإرادة إلهية وحسب ترتيب العناية الربانية قالوا للمعلم الحقيقي: "قل لنا متى يكون هذا؟ وما هي علامة مجيئك وانقضاء الدهر؟" (مت ٢٤: ٣) إننا نتطلع إليك وأنت آتٍ ثانية، لكن "الشيطان يغيّر نفسه إلى شبه ملاك نور" فاعطنا حرصاً حتى لا نعبد آخر غيرك. فتح السيد فمه الإلهي المبارك قائلاً: "انظروا لا يضلكم أحد". وهذه العبارة تذكركم جميعاً أن تحذروا وتهتموا لما يُقال، لأنه لم يتحقق بعد بل يتنبأ عن أمور مقبلة حادثة بالتأكيد. إنه ليس لنا أن نتنبأ لأننا غير مستحقين لهذا، إنما نضع أمامكم الأمور المكتوبة، ونوضح لكم العلامات، لاحظوا أنتم ما قد تحقق منها فعلاً وما لم يتحقق بعد، وكونوا في أمان.

علامات المنتهى

٥. "انظروا لا يضلكم أحد"، فإن كثيرين سيأتون باسمي قائلين: أنا هو المسيح ويضلون كثيرون. لقد تحقق هذا جزئياً فإن "سيمون الساحر" قال هذا، كذلك *Menander*^١ وآخرون من قادة الهرطقات قالوا بهذا. وسيقوم في أيامنا وفي الأيام المقبلة أيضاً من يقول بهذا.

علامة الحروب

٦. العلامة الثانية: "تسمعون عن حروب وأخبار حروب"^٢. ألا توجد في أيامنا هذه حرب بين الفرس والرومان لأجل العراق؟ ألا تقوم أمة على أمة، ومملكة على مملكة؟! "وتكون زلازل عظيمة في أماكن ومجاعات وأوبئة". هذه الأشياء حدثت فعلاً. ثم أيضاً "وتكون مخاوف وعلامات عظيمة من السماء"^٣. إنه يقول "اسهروا إذن لأنكم لا تعلمون في أية ساعة يأتي ريكم" (مت ٢٤: ٤٢).

علامة فتور المحبة

٧. لكننا نبحث عن علاماتنا نحن الكنسيين لمجيئه، التي تتناسب مع الكنيسة. يقول المخلص "وحينئذ يعثر كثيرون ويسلمون بعضهم بعضاً ويبغضون بعضهم بعضاً" (مت ٢٤: ١٠). إن سمعتم عن أساقفة يضادون أساقفة، وإكليروس ضد إكليروس، وعلمانيين ضد علمانيين حتى الدم، فلا تضطربوا لأنه سبق أن كُتب عن هذا.

لا تلتفتوا إلى ما يحدث الآن بل تأملوا ما قد سبق أن كُتب، حينئذ حتى إن هلكت أنا نفسي الذي أعلمكم لا تهلكوا أنتم أيضاً معي. كلاً، بل قد يصير السامع أفضل من معلمه، والآخر يكون أولاً مادام السيد يقبل حتى أصحاب الساعة الحادية عشرة.

إن كان قد وجد بين الرسل خيانة، فهل تتعجبون إن وُجد بين الأساقفة كراهية؟!^٤

^١ مقال ٦: ١٤، ١٦.

^٢ ٢٤: ٦. الحرب مع سابور الثاني ملك الفرس التي اشتعلت بعد موت قسطنطين مباشرة، واستمرت طوال حكم قسطنطيوس... وقد قامت معركة ستغارا العظيمة سنة ٣٤٨م.

^٣ لو ٢١: ١١ يذكر جيروم في Chronicon حدوث زلزلة سنة ٣٤٦م على أثرها خربت Dyrrachium وروما ومدن كثيرة في إيطاليا أصابها ضرر.

^٤ عاصر القديس كيرلس الحروب التي أثارها الأريوسيون داخل الكنيسة... ومما سببوه من انقسامات ومشاحنات ومتاعب.

هذه العلامة لا تكون بين القادة، فحسب بل وبين الشعب أيضًا، إذ يقول "كثرة الإثم تبرد محبة الكثيرين" (مت ٢٤: ١٢)...

الكراسة ببشارة الملكوت في كل المسكونة

٨. لكم هذه العلامة أيضًا: "ويكرز ببشارة الملكوت هذه في كل المسكونة شهادة لجميع الأمم، ثم يأتي المنتهى" (مت ٢٤: ١٤).
وكما نرى أن العالم قد امتلأ كله تقريبًا ببشارة المسيح.

ظهور ضد المسيح

٩. ثم ماذا يحدث بعد ذلك؟ يقول: "فمتى نظرتم رجسة الخراب التي قال عنها دنيال النبي قائمة في المكان المقدس. ليفهم القارئ" (مت ٢٤: ١٥). وأيضًا "حينئذ إن قال لكم أحد هوذا المسيح هنا أو هناك، فلا تصدقوا" (مت ٢٤: ٢٣). إن كراهية الإخوة تفصح الطريق لمجيء ضد المسيح، لأن الشيطان يصنع الانقسام بين الناس حتى يقبلوا المزمع أن يأتي. لكن الله منع أي خادم من خدام المسيح أن يذهب إلى هنا أو هناك نحو العدو.

وإذ يكتب الرسول بولس في هذا الأمر يعطى علامة واضحة إذ يقول: "لأنه لا يأتي (هذا اليوم) إن لم يأت الارتداد أولاً ويُستعلن إنسان الخطية ابن الهلاك، المقاوم والمرتفع على كل ما يُدعى إلهًا أو معبودًا، حتى إنه يجلس في هيكل الله كإله، مظهرًا نفسه أنه إله. أما تذكرون أنني وأنا بعد عندكم كنت أقول لكم هذا، والآن تعلمون ما يحجز إلى النهاية حتى يُستعلن في وقته، لأن سرَّ الإثم الآن يعمل فقط إلى أن يُرفع من الوسط الذي يحجز الآن، وحينئذ سيُستعلن الأثيم الذي الرب يبيده بنفخة فمه، ويبطله بظهور مجيئه. الذي مجيئه بعمل الشيطان بكل قوة وآيات وعجائب كاذبة وبكل خديعة الإثم في الهالكين" (٢ تس ٢: ٣-١٠).

هكذا كتب بولس، وقد تم الارتداد، إذ ارتد الناس عن الإيمان المستقيم، فالبعض يتجاسر ويقول إن المسيح أوجد من العدم. من قبل كان الهراطقة ظاهرين، أما الآن فالكنيسة مملوءة هراطقة مستترين، إذ ضل الناس عن الحق، وصموا آذانهم (٢ تي ٤: ٣).

هل يوجد مقال مملوء بالمظاهر الكاذبة؟! الكل ينصت إليه بفرح!

هل توجد كلمة للإصلاح؟ الكل يتحول عنها!

تحول الغالبية عن الكلمات الصحيحة، واختاروا بالأحرى الكلمة الشريرة بدلاً من الصالحة. هذا هو الارتداد، والعدو يتطلع إليه. فقد أرسل جزئيًا رواده حتى يأتي فينقض على الفريسة. اهتم بنفسك يا إنسان، ولتكن نفسك في أمان. الكنيسة تُحملك المسؤولية أمام الله الحي، فهي تخبرك عما يخص بضد المسيح قبل أن يأتي. وإننا لا نعلم إن كان يأتي في أيامكم أو بعدكم، لكن يليق بكم إذ تعرفون هذه الأمور أن تحترسوا.

سيأتي ابن الإنسان على سحب السماء

١٠. المسيح الحقيقي، ابن الله الوحيد، لن يأتي بعد من الأرض، فإن جاء أحد صانعًا أعمالاً مزيفة في البرية لا تذهبوا وراءه. إن قيل "هوذا المسيح هنا أو هناك فلا تصدقوا". لا تعودوا تنتظروا بعد إلى أسفل إلى الأرض، لأن الرب يأتي من السماوات، ليس وحده كما حدث من قبل، لكنه يأتي محاطًا بريوات الملائكة ليس سرًا "كالمطر على الجراز" (مز ٧٢: ٦). لكن يأتي بلمعان مثل البرق، إذ قال بنفسه: "لأنه كما أن البرق يخرج

من المشارق ويظهر إلى المغرب، هكذا أيضًا يكون مجيء ابن الإنسان". وأيضًا "ييصرون ابن الإنسان آتيا على سحاب السماء بقوةٍ ومجدٍ كثيرٍ، فيرسل ملائكته بيقوتٍ عظيم الصوت" (مت ٢٤: ٣٠).

خداع الشيطان والإعداد لظهور ضد المسيح

١١. ولكن كما أنه كان يليق به أن يأخذ الناسوت وكان منتظرًا أن يولد الله من عذراء. فقد خلق الشيطان خداعًا بإيجاد روايات عن آلهة كذبة تلد وتولد من النساء، لكي بوجود الأكاذيب لا يُصدق الحق. وهكذا أيضًا إذ يأتي المسيح مرة أخرى، فإن المقاوم يستغل فرصة انتظار البسطاء، خاصة الذين من أهل الختان، فيأتي رجل ساحر متفنن في فنون السحر والعرافة مخادع بمكر، ويأخذ لنفسه سلطان إمبراطور روما، ويُنصب نفسه مسيحًا كذابًا، وتحت اسم المسيح يخدع اليهود المنتظرين مجيء المسيح، ويغوى الأمم بأضاليه السحرية.

ملك ضد المسيح ونهايته

١٢. هذا المسيح الكذاب السابق ذكره يأتي بعد انتهاء أزمنة إمبراطورية روما عندما تقترب نهاية العالم. سيقوم عشرة ملوك لروما ضد بعضهم، ربما يحكمون في مناطق مختلفة، لكنهم يقومون في زمنٍ واحدٍ، بعد هذا يأتي الحادي عشر أي ضد المسيح الذي بخداعه السحري يغتصب القوة الرومانية، ومن هؤلاء العشرة ملوك الذين كانوا يحكمون سابقًا "يذل ثلاثة ملوك" (دا ٧: ٢٤)، والسبعة يخضعهم لسلطوته. في البداية يلبس مظهر اللطف الحقيقي والتعقل والحنو، وبالعلامات الكاذبة والعجائب السحرية المخادعة يخدع اليهود، كما لو كان المسيح المنتظر، بعد هذا يظهر كل أنواع الجرائم الوحشية والشرور، فيفوق كل الأشرار والملحدين الذين سبقوه، مستخدمًا روح قتال قاسي جدًا ضد كل البشرية خاصة المسيحيين، فيكون بلا رحمة مملوء غشًا. وبعد ثلاثة سنوات وستة أشهر فقط تتحطم هذه الجرائم بالظهور المجيد لابن الله الوحيد ربنا ومخلصنا يسوع المسيح الحقيقي من السماء، حيث يسحق ضد المسيح بفمه ويلقيه في نار جهنم.

١٣. لسنا نعلم بهذا من اختراعنا، بل تُخبرنا به الأسفار المقدسة الإلهية التي في الكنيسة، خاصة ما جاء في نبوة دانيال التي قُرأت منذ قليل، كما فسرهما رئيس الملائكة جبرائيل قائلاً: "الحيوان الرابع فتكون مملكة رابعة على الأرض تفوق سائر الممالك"^١. ومعروف في تقليد مفسري الكنيسة أنها مملكة الرومان. فكما كانت المملكة الأولى التي ذاع صيتها هي مملكة الآشوريين، والثانية هي مملكة المديانيين والفرس معًا، وبعد هذا المملكة الثالثة هي المقدونيين، والرابعة هي مملكة الرومان.

ثم يستمر جبرائيل في التفسير قائلاً: "قرونه العشرة هم عشرة ملوك سيقومون ويقوم بعدهم آخر الذي يفوق الشر كل سابقه" (ليس فقط يفوق العشرة، بل كل سابقه) ويذل ثلاثة ملوك" (راجع دا ٧: ٢٤). واضح أنه من العشرة ملوك السابقين. وإذ يذل الثلاثة يصير هو الثامن "ويتكلم بكلام ضد العلي" (دا ٧: ٢٥). إنه يكون مجدًا وشريرًا، لا يأخذ المملكة عن آبائه، بل يغتصبها بالسحر.

استخدام آيات وعجائب كاذبة

١٤. من هو هذا؟ وما هو نوع عمله؟ فسر لنا يا بولس. يقول: "الذي مجيئه بعمل الشيطان، بل بقوة وآيات وعجائب كاذبة" (٢ تس ٢: ٩)، مظهرًا أن الشيطان يستخدمه كأداة عاملاً في شخصه وخلاله. فإذا يعلم

^١ دا ٧: ٢٣ "مخالفة لسائر الممالك"

أن دينونته لن تتأخر بعد كثيرًا، يصنع حربًا ليس خلال وكلائه كعادته، بل يصنعها علنًا من ذلك الحين فصاعدًا، مستخدمًا "آيات وعجائب كاذبة". لأن أب الكذب يعمل أعمال الكذب، حتى يظن الناس أنهم يرون الميت يقوم وهو لم يقم، والعرج يمشون، والعمى يبصرون مع أنهم لم يشفوا حقيقة.

يجلس في هيكل الله

١٥. يقول أيضًا "المقاوم والمرتفع على كل ما يدعى إلهًا أو معبودًا... حتى إنه يجلس في هيكل الله". أي هيكل هذا؟ إنه يقصد هيكل اليهود^١. حاشا لله أن يقصد به هيكل مما نحن فيه. لماذا نقول هذا؟ لئلا يُظن أننا نفضل أنفسنا، فإنه متى جاء لليهود على أنه المسيح راغبًا في أن يكون موضع عبادتهم، يعطي اهتمامًا عظيمًا للهيكل لكي يخدمهم تمامًا، مدعيًا أنه من نسل داود، وأنه سيبنى الهيكل الذي شيده سليمان هذا الذي متى جاء ضد المسيح لن يجد فيه حجر على حجر كما حكم بذلك مخلصنا... إنه سيأتي "آيات وعجائب كاذبة"، رافعًا نفسه على كل الأصنام، فيتظاهر أولاً بمحبة الإحسان، لكنه يعود فيظهر طبعه الذي لا يعرف الرحمة، خاصة ضد قديسي الله، إذ قيل: "وكننت أنظر وإذا هذا القرن يحارب القديسين" (دا ٧: ٢١). وفي موضع آخر قيل: "ويكون زمان ضيق لم يكن منذ كانت أمة إلى ذلك الوقت" (دا ١٢: ١). مرعب هو هذا الوحش، تتين عظيم لا يهزمه إنسان، مستعد للاقتراس. لنا أن نتكلم عن هذا الكثير مما ورد في الكتب الإلهية، لكننا نكتفي الآن بهذا حتى لا نتعدى حدود المقال.

مدة حكمه

١٦. وإذا يعلم الرب شدة الضيق الذي يبثه المقاوم ضد الأبرار قال: "حينئذ ليهرب الذين في اليهودية إلى الجبال" (مت ٢٤: ١٦). أما إذا كان أحد متأكدًا أنه قوي في مقاتلة الشيطان، فليقف وليقل: "من سيفصلنا عن محبة المسيح؟!" (رو ٨: ٣٥) ليعمل الخائفون على سلامتهم (بالهروب)، أما الذين لهم شجاعة حسنة، فليصمدوا "لأنه يكون حينئذ ضيق عظيم لم يكن مثله منذ ابتداء العالم إلى الآن ولن يكون" (مت ٢٤: ٢١). شكرًا لله الذي حد من عظمة هذه الضيقة في أيام قليلة إذ يقول: "ولكن لأجل المختارين تقصر تلك الأيام" (مت ٢٤: ٢٢). سيحكم ضد المسيح لمدة ثلاثة سنين ونصف فقط. إننا لا ننطق بهذا من كتب غير قانونية بل يقول دانيال: "ويسلمون ليده إلى زمان وزمانين ونصف زمان" (دا ٧: ٢٥). الزمان هو السنة التي يكون فيها مجيئه يتزايد، والزمانان هي سنتا الشر الباقيتان، فيكون المجموع هو ثلاث سنوات، والنصف زمان هو الستة أشهر.

إذ يقول دانيال نفس الشيء في موضع آخر: "وحلف بالحي إلى الأبد أنه إلى زمان وزمانين ونصف زمان" (دا ١٢: ٧). والبعض يرجع هذا إلى ما جاء بعد ذلك "ألف ومئتان وتسعون يومًا" (دا ١٢: ١١). لهذا فلنختف ولنهرب، لأنه ربما "لا تكملون مدن إسرائيل حتى يأتي ابن الإنسان" (مت ١٠: ٢٣).

شهداء عصر ضد المسيح

١٧. من هو الإنسان المطوب الذي يشهد للمسيح بغيرة في ذلك الوقت؟ لأنني أقول إن شهداء ذلك الوقت يفوقون كل الشهداء. لأن هؤلاء يصارعون ضد أناس فقط، أما أولئك الذي في وقت ضد المسيح فسيناضلون الشيطان في شخصه هو.

^١ لا يعني هذا أن هيكل اليهود حتمًا سيبنى، لكن المسيح الكذاب يخدمهم ويثير اليهود الأشرار لبناء الهيكل القديم ليترع فيه كإله يتعبدون له... إنما سيأتي ويكون الهيكل خرابًا كما أعلن السيد المسيح بخراجه.

الملوك المضطهدون السابقون كانوا يسلمون الشهداء للموت فقط، لكنهم لم يدعوا أنهم يقيمون الموتى، ولا صنعوا آيات كاذبة وعجائب، أما في ذلك الوقت فسيكون الإغراء الشرير بواسطة التهديد كما بالخداع "حتى يضلوا لو أمكن المختارين (جداً) أيضاً" (مت ٢٤ : ٢٤).

لا يدخل في قلب أي إنسان حيّ هذا القول: "وماذا فعل المسيح أكثر من هذا؟" لأنه بأية قوة يعمل هذا الرجل هذه الأعمال لو لم تكن هي إرادة الله لما سمح له.

يحذركم الرسول قائلاً مقدماً: "لأجل هذا سيُرسل إليهم الله عمل الضلال (أي يسمح لهم بذلك)، لكي يجدوا عذراً، ولكن "لكي يدانوا" (٢ تس ٢ : ١١، ١٢) ولماذا؟ يقول "الذين لم يصدقوا الحق"، أي المسيح الحقيقي، "بل سروا بالإثم"، أي بضد المسيح. لكن كما في أثناء الاضطهادات التي تحدث من حين إلى حين هكذا يسمح الله بهذه الأمور ليس لأنه محتاج إلى قوة لكي يحميهم، بل ليتوج أبطاله خلال الصبر، كما صنع أنبياءه ورسله الذين جاهدوا لقليل حتى النهاية فيرثون ملكوت السماوات الأبدية، وكما يقول دانيال: "وفي ذلك الوقت ينجي شعبك كل من يوجد مكتوباً في السفر (أي سفر الحياة)، وكثيرون من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون هؤلاء إلى الحياة الأبدية، وهؤلاء إلى العار للازدراء الأبدية. والفاهمون يضيئون كالجلد والذين ردوا كثيرين إلى البر كالكواكب إلى أبد الدهور" (دا ١٢ : ١-٤).

احذر ضد المسيح

١٨. حافظ على نفسك يا إنسان، فإنه يقدم لك علامات ضد المسيح. فتذكرها لا لنفسك فحسب، بل قدمها بوضوح للجميع. إن كان لك ابن حسب الجسد انذر بهذا الآن، وإن كنت قد ولدت إنساناً حسب الإيمان (الوعظ) فأجعله أن يحترس لئلا يقبل الكذاب على أنه الحقيقي، "لأن سر الإثم الآن يعمل" (٢ تس ٢ : ٧).
إنني أخشى حروب الأمم هذه. إنني أخاف الانشقاقات التي في الكنيسة. إنني أخشى كراهية الإخوة المنتشرة. لكن يكفي في هذا الموضوع أن يمنع الله حدوث هذا في أيامنا. لكن لنكن محترسين. وهكذا يكفي جداً بخصوص الحديث عن ضد المسيح.

مجيء المسيح على السحاب

١٩. لنتطلع إلى مجيء الرب من السماء على السحاب ونترقبه، ستصوت الأبواق الملائكية، حينئذ "الأموات في المسيح سيقومون أولاً" (١ تس ٤ : ١٦). وسيُختطف الأبرار الصالحون إلى السماء لينالوا جزاء أعمالهم الصالحة أفضل من الكرامة البشرية. ولقد كتب الرسول بولس: "لأن الرب نفسه بهتاف بصوت رئيس ملائكة وبوق الله ينزل من السماء والأموات في المسيح سيقومون أولاً، ثم نحن الأحياء الباقين سنخطف جميعاً معهم في السحب لملاقاة الرب في الهواء، وهكذا نكون كل حين مع الرب" (١ تس ٤ : ١٦، ١٧).

سفر الجامعة يحذرنا

٢٠. كان مجيء الرب هذا ونهاية العالم معروفين للمبشر الذي يقول: "افرح أيها الشاب في حدثتك... فأنزع الغم من قلبك، وأبعد الشر عن جسدك... اذكر خالقك... قبل أن تأتي أيام الشر... قبل أن تظلم الشمس والنور والقمر والنجوم... وتظلم النواظر من الشبابيك (مظهرًا سهولة النظر)... قبل ما ينقسم جبل الفضة (قاصداً تجمعات النجوم التي تشبه الفضة في منظرها)، أو تنسحق زهرة الذهب (هذا الحجاب يشير إلى الشمس الذهبية لأن نبات البابونج Camomèle المعروف له أوراق كثيرة مثل الأشعة تخرج منه وتحيط به) ويستيقظون على صوت العصفور، نعم وسيبنظرون بعيداً من المكان العالي وستكون مخاوف في الطريق" (راجع جا ١١ : ٩،

١٠؛ ١٢: ٤، ٥).

ماذا يريدون؟ "حينئذ يبصرون ابن الإنسان آتياً على سحاب السماء"، وتتوح قبيلة فقيلة (مت ٢٤: ٣٠؛ زك ١٢: ٢).

وماذا يحدث عند مجيء الرب؟ "ستزهر شجر اللوز، وسينمو الجندب بكثرة، وتتكاثر براعم التوت جداً" (راجع جا ١٢: ٥). وكما يقول المفسرون اللوزة المثمرة تدل على رحيل الشتاء، وستثمر أجسادنا بعد الشتاء بزهور سمائية "وسينمو الجندب بكثرة" (وهذا يعني الروح المجنح اللابس الجسد)، وتتكاثر براعم التوت جداً، (إذ يكون الأئمة الذين هم كالشوك قد اندثروا).

مجيء الرب من خلال الكتاب المقدس

٢١. ها أنت ترى كيف تتبأ جميعهم عن مجيء الرب، كيف يُعرف صوت العصفور؟ لتعرف أي صوت من الأصوات هو هذا؟ "لأن الرب نفسه بهتاف بصوت رئيس الملائكة ويوق الله سوف ينزل من السماء" (١ تس ٤: ١٦). سيعلم رئيس الملائكة قائلاً: للجميع: "قوموا للقاء العريس". مخيف هو مجيء مخلصنا، إذ يقول داود: "يأتي إلينا ولا يصمت، نار قدماه تأكل وحوله عاصف جداً" (مز ٥٠: ٣ لأساف). يأتي ابن الإنسان للآب كما يقول الكتاب الذي قُرأ "على سحب السماء" وبالقرب منه "نهر نار" (دا ٧: ١٠)، لاختبار أعمال كل أحد. فإن وجدت ذهباً تلمع، وإن كانت قشاً تحترق بالنار. وسيجلس الآب بلباس أبيض كالثلج، وشعر رأسه كالصوف النقي (دا ٧: ٩). لكن هذا الحديث بلغة بشرية. لماذا قيل هذا عنه؟ لأنه يملك على الذين لم يتنجسوا بالخطية، إذ يقول: "أجعل خطاياكم بيضاء كالثلج وكالصوف" (إش ١: ١٨) إشارة إلى الصفح عن الخطايا أو عدم السقوط في الخطية. لكن الذي يأتي على السحاب هو نفسه الذي صعد على السحاب، إذ يقول بنفسه: "وببصرون ابن الإنسان آتياً على سحاب السماء بقوة ومجدٍ عظيم" (مت ٢٤: ٣٠).

علامة الصليب في السماء

٢٢. لكن ما هي علامة مجيئه؟ لئلا تجرؤ أية قوة مقاومة على التضليل، يقول: "حينئذ تظهر علامة ابن الإنسان في السماء" (مت ٢٤: ٣٠). علامة المسيح الحقيقي هي الصليب. فيتقدم الملك علامة الصليب المضئية، معلنة بوضوح ذاك الذي صُلب. حتى إذ يرى اليهود الذين طعنوه وتآمروا عليه هذه العلامة ينوحون قبيلة فقيلة (زك ١٢: ١٢)، قائلين: هذا هو الذي ضُرب ولكم. هذا هو الذي بُصق على وجهه. هذا هو الذي قُيد بالسلاسل. هذا هو الذي صُلب ولم يُبالى به.

سيقولون: أين نهرب من وجه غضبك؟ لكن جيوش الملائكة تحضرهم، فلا يستطيعون الهروب إلى أي موضع. ستكون علامة الصليب رعباً لأعدائه وفرحاً لأصدقائه الذين آمنوا به أو كرزوا به أو تألموا من أجله. فمن هو هذا المغبوط الذي يكون صديقاً للمسيح.

ومع أن الملك عظيم وممجد جداً، ترافقه الملائكة الحراس، شريك الآب (واحد معه) في العرش، إلا أنه لن يزدري بخدامه الأخصاء. ولكي لا يختلط مختاروه مع أعدائه، "يرسل ملائكته ببوقٍ عظيم الصوت، فيجمعون مختاريه من الأربع رياح" (مت ٢٥: ٣٤).

إنه لم يزدري بلوط الذي كان وحيداً، فكيف يزدري بأبرار كثيرين؟! إنه يقول للذين يركبون معه مركبات

^١ نوع من الجراد.

السحاب وتجمعهم الملائكة: "تعالوا يا مباركي أبي!"

الديان لا يحابي الوجوه

٢٣. لكن قد يقول أحد الحاضرين: أنا إنسان مسكين، أو قد أكون في ذلك الوقت مريضاً على الفراش، أنا امرأة، وأخذت إلى الطاحونة، فهل أرفض؟! تشجع يا إنسان، فإن الديان لا يحابي الوجوه. "لا يقضي بحسب منظر الشخص، ولا حسب كلامه" (راجع إش ١١: ٣). لن يكرم المتعلمين فوق البسطاء، ولا الأغنياء أكثر من المحتاجين. إن كنتم في حقل تأخذكم الملائكة. لا تظنوا أنه يأخذ أصحاب الأراضي، ويترك الحارثين. حتى وإن كنت عبداً أو فقيراً لا تتضايق. لقد أخذ شكل العبد (في ٢: ٧)، فهل يرفض العبيد؟ حتى وإن كنت راقداً على الفراش، إذ مكتوب: "يكون اثنان على فراش واحد، فيؤخذ الواحد ويترك الآخر" (لو ١٧: ٣٤). حتى وإن كنت مظلوماً تحت إلزام، رجلاً كنت أو امرأة، مكبلاً أو جالساً بجوار طاحونة، فإن الذي بسلطانه أن يحلّ المقيد لن يتجاوزك. الذي عتق يوسف من العبودية وأخرجه من السجن إلى المملكة، يفديك من ضيقك إلى ملكوت السموات.

يليق بك أن تفرح فرحاً حسناً، وتعمل وتجاهد بغيرة، فإنك لن تفقد شيئاً من جهادك. كل صلاة هي لك. كل مزمور تتغنى به يُسجل لك. العفة من أجل الله تُحسب لك. توهب الأكاليل الأولى للبتولية والطهارة فتضيء كالملاك.

وكما سمعتم بفرح عن الأمور الصالحة، اسمعوا أيضاً بغير تبرم عن العكس. كل طمع يُسجل عليكم، كل زنى، كل قسم كاذب، كل تجديد وشعوذة وسرقة وقتل، هذه جميعها تُسجل من الآن عليكم، إن فعلتم إياها بعد العمد كما كنتم قبله، لأن الخطايا السابقة قد مُحيت.

ستُدان أمام كل البشرية

٢٤. يقول "متى جاء ابن الإنسان في مجده وجميع الملائكة القديسين معه". يا إنسان، أمام كم من الجموع تُدان. سيحضر كل أجناس البشرية. أحص عدد أفراد الأمة الرومانية، والقبائل البربرية الموجودة اليوم، والذين انتقلوا من مئات السنين الماضية من آدم إلى يومنا هذا. حقاً إنه لجمع عظيم، إلا أنهم قليلون إن قورنوا بالملائكة الذين هم أكثر بكثير، إذ هم التسعة والتسعون خروفاً والبشرية هي الخروف الواحد (لو ١٥: ٤؛ مت ١٨: ١٢)... مكتوب: "ألف ألف تخدمه، وربوات وقوف قدامه" (دا ١٧: ١٠) ليس لأنه هكذا هي عظمة العدد بل لم يستطع أن يعبر أكثر من هذا. هكذا سيكون حاضراً في يوم الدينونة الله أب الجميع، ويسوع المسيح جالساً معه، والروح القدس حالاً، وسيجمعنا كلنا بوق ملائكي لنحضر أعمالنا معنا.

أما يليق بنا الآن أن نهتم بالأمر... لا تظنه أمراً هيناً يا إنسان في العقاب أن يكون الحكم أمام جمع عظيم هكذا. أما تختار الموت دفعات كثيرة أفضل من أن تُحاكم في حضرة الأصدقاء؟!

ضمايركم تدينكم

٢٥. لنرتع يا إخوة لئلا يديننا الله الذي لا يحتاج إلى فحص ولا إلى أدلة في المحاكمة. لا تقل إنني صنعت الفسق أو أعمال السحر أو شيئاً آخر في الليل ولم يكن معي أحد. فإن ضمايركم تدينكم، وأفكاركم فيما بينها مشتكية أو محتجة في اليوم الذي فيه يدين الله سرائر الناس" (رو ٢: ١٥، ١٦).

إن منظر الديان الرهيب يدفعكم أن تتنطقوا بالحق، وإن لم تتكلموا، فإن أعمالكم نفسها تستدنبكم، إذ تقومون وأنتم لابسين أعمالكم الشريرة أو الصالحة.

وهذه يعلنها الديان نفسه، إذ المسيح هو الذي يدين. "لأن الآب لا يدين أحداً، بل قد أعطى كل الدينونة للابن" (يو ٥: ٢٢)، دون أن يتجرد الآب من سلطانه، بل يدين خلال الابن. فالابن يدين بإرادة الآب، إذ إرادة الآب والابن واحدة بذاتها ليس فيها اختلاف.

إنّ ماذا يقول الديان بخصوص أعمالك؟ "ويجتمع أمامه كل الشعوب لأنه في حضرة المسيح،" تجثو كل ركبة مما في السماء وما على الأرض وما تحت الأرض" (في ٢: ١٠). فيميز بعضهم من بعض "كما يميز الراعي الخراف من الجداء" (مت ٢٥: ٢٢). هل يقوم الراعي بالتمييز بينهما؟ هل يفحص من هو خروف ومن هو جدي من كتاب؟ أو هل يميزهم بعلامات خاصة؟

أليس الصوف يظهر الخروف بينما الجلد الخشن المشعر يظهر الجدي؟! هكذا إذا تطهرتم من خطاياكم الآن تكون أعمالكم كالصوف النقي، ويبقى ثوبكم بلا دنس، وتقولون إلى الأب: "خلعت ثوبي فكيف ألبسه؟!"^١ من منظركم تُعرفون أنكم خراف. أما إن وجدتم كعيسو لكم شعر خشن وعقل شرير، الذي خسر بكوريته بأكلة، وباع امتيازته، حينئذ تكونون من الذين عن اليسار. ليحفظ الله كل الحاضرين هنا من أن يُلقى أحدنا بعيداً عن النعمة أو يوجد بين صفوف الأشرار الذين عن اليسار بسبب شرهم.

مخيفة هي الدينونة

٢٦. بالحق مخيفة هي الدينونة ومرعبة هي تلك الأمور المعلنة! ملكوت السماوات موضوع أمامنا والنار الأبدية معدة! قد يقول قائل: كيف أهرب من النار؟ كيف أدخل ملكوت السماوات؟ يقول (الرب) "جعت فأطعمتموني". من هنا نتعلم الطريق. هنا لا توجد استعارة بل لتتيم ما قيل: "جعت فأطعمتموني، عطشت فسقيتموني، كنت غريباً فأويتموني، عرياناً فكسوتهموني، مريضاً فزرتهموني، محبوساً فأتيتم إليّ" (مت ٢٥: ٣٥). هذه الأمور إن فعلتموها تدينون معه، وإن لم تفعلوها تُدانون.

ابدأ فوراً بعملها، ولتثبت في الإيمان، لئلا تكون مثل العذارى الجاهلات اللواتي إذ أبطأن في شراء الزيت أغلق عليهن. لا تطمئن لمجرد امتلاكك المصباح، بل ليكن المصباح مشتعل، ليضيء نور أعمالكم الصالحة أمام الناس (مت ٥: ١٦). لا تجعلوا اسم المسيح يُجذف عليه بسببكم. البسوا ثوب عدم الفساد المتألق بالأعمال الصالحة.

ما يوكِّلك الله عليه تاجر فيه بريح! هل استؤمنت على ثروات؟ وزعها حسناً!

هل استؤمنت على كلمة تعليم؟ كن وكيلاً صالحاً.

هل تستطيع أن تصل إلى أرواح السامعين؟ اصنع هذا باجتهاد.

توجد أبواب كثيرة للوكالة الصالحة. ليته لا يُدان أحد منا ويطرد خارجاً حتى نستطيع أن نقابل المسيح الملك الأبدي بدالة، هذا الذي يحكم إلى الأبد، هذا الذي يدين الأحياء والأموات، إذ مات من أجل الأحياء والأموات. وكما يقول بولس: "لأنه لهذا مات المسيح وقام وعاش، لكي يسود على الأحياء والأموات" (رو ١٤: ٩).

ابغضوا الهرطقة المزدرين بالمسيح

٢٧. يلزمكم ألا تتصنوا لمن يقول إن ملكوت السماوات له نهاية. ابغضوا الهرطقة. إنه رأس جديد

^١ نش ٥: ٣ كثيراً ما يستخدم القديس كيرلس هذه العبارة في هذا المعنى... خلع ثوب الدنس، وهذه بغير ما جاءت في الكتاب المقدس كما نلاحظ ذلك بقراءة الأصحاح كله.

للتنين ظهر أخيرًا في غلاطية. لقد تجاسر واحد أن يقول إنه بعد نهاية هذا العالم لن يحكم المسيح بعد. لقد تجرأ فقال إن الكلمة الذي من الآب يرجع إلى الآب مرة أخرى ولا يكون بعد.

إنه ينطق بهذه التجاديف لهلاكه، إذ لم يسمع للرب القائل: "الابن يبقى إلى الأبد" (راجع يو ٨: ٢٥). ولا سمع لجبرائيل القائل: "وإملك على بيت يعقوب إلى الأبد، ولا يكون لملكة نهاية" (لو ١: ٣٣). تأملوا هذه العبارة، فإن هراطقة هذه الأيام يعلمون مزدريين بالمسيح، بينما رئيس الملائكة جبرائيل يعلمنا سرمدية المخلص، فمن منهما يليق بنا أن نصدق؟!!

اسمعوا شهادة دانيال في العبارة: "كنتُ أرى في رؤى الليل، وإذا مع سحب السماء مثل ابن الإنسان أتى وجاء إلى قديم الأيام... فأعطي سلطانًا ومجدًا وملكوتًا لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة، سلطانه سلطان أبدي، لن يزول، وملكوته لا ينقرض" (دا ٧: ١٣، ١٤).

تمسكوا بهذه الأمور. صدقوها واطرحوا عنكم كلمات الهراطقة، لأنكم سمعتم بأكثر وضوح عن مملكة المسيح اللانهائية.

الكتاب المقدس يعلن عن أبدية ملكوت المسيح

٢٨. هذا التعليم نجده أيضًا في تفسير "الحجر الذي قُطع من جبل بغير يدين" (دا ٢٠: ٤٥)، الذي هو "المسيح حسب الجسد" (رو ٩: ٥). "ولا تترك مملكته لشعب آخر". ويقول داود أيضًا "كرسيك يا الله إلى دهر الدهور" (مز ١٤: ٦). وفي موضع آخر يقول: "أنت يا الله في البدء أسست الأرض... هي تبديد وأنت تبقى... وأنت هو وسُنوك لن تنتهي". هذه الكلمات التي فسرهما بولس أنها عن الابن.

يملك حتى بعد أن يضع جميع الأعداء تحت قدميه

٢٩. أتريد أن تعرف كيف أسرع الذين يعلمون تعليمًا مناقضًا إلى جنون كهذا؟! إنهم يقرأون خطأ كلمة الرسول الحسنة: "لأنه يجب أن يملك حتى يضع جميع الأعداء تحت قدميه" (١ كو ١٥: ٢٥)، فيقولون إنه حين يُوضع أعداؤه تحت قدميه حينئذ يكف عن الحكم. هذا الادعاء خاطئ ومملوء حماقة، لأنه إن كان يملك قبل أن يخضع له أعداؤه فكيف بالأحرى يكون ملكًا بعدما يتسلط عليهم؟!

خضوعه بالحب للآب

٣٠. لقد تجاسروا أيضًا فقالوا إن الكتاب المقدس في قوله "ومتى أخضع له الكل فحينئذ الابن نفسه أيضًا سيخضع للذي أخضع له الكل" (١ كو ١٥: ٢٨). يقصد أن الابن ينتهي ويمتص في الآب. هل أنتم تبقون يا من أنتم خليفة المسيح، يا من أنتم أشد الناس كفرًا، بينما يفنى المسيح خالقكم وصانع كل الخليقة؟ إنه تجديد، إذ كيف تخضع له الخليقة، أبفنائها أم بقائها؟ هل تخضع له الأشياء الأخرى ببقائها وإذ يخضع هو للآب يفنى ويزول؟! إنه سيخضع له لا لكي يبتدىء يصنع إرادة الآب (إذ هو منذ الأزل يعمل الأعمال التي تسره) (يو ٨: ٢٩)، ولكنه كما كان أيضًا يطيع الآب ليس كرهًا بل طوعًا، إذ أنه ليس خادمًا يخضع بالقوة، بل ابن يطيع باختياره الحر بالحب الطبيعي!

معنى "حتى"

٣١. لنفحص ما معنى "حتى" (في العبارة السابقة). فهذه الكلمة عينها اقترب إليهم وأظهر خطأهم، إذ تجاسروا قائلين إن العبارة "حتى يضع أعداءه تحت قدميه" تُعلن أنه هو نفسه له نهاية. لنفترض أن ملكوت المسيح الأبدي له حدود وسلطانه غير المنتهى له نهاية، تعالوا إذن لنقرأ العبارات المماثلة في كتابات الرسول:

"لكن قد ملك الموت من آدم حتى موسى" (رو ٥: ١٤). هل معنى هذا أن الناس كانوا يموتون قبل ذلك، ولكن بعد موسى لم يمت أحد البتة؟! أو هل لا يكون موت بعد الناموس؟! حسنًا، هل أنت ترى أن كلمة "حتى" هنا لا تحدد الوقت...

معنى "حتى" (يتبع)

٣٢. خذ أيضًا عبارة مشابهة. "لأنه حتى اليوم ذلك البرقع نفسه عند قراءة العهد العتيق باق" (٢ كو ٢: ١٤، ١٥). فهل عبارة "حتى اليوم" تعني أنه إلى أيام بولس الرسول (فقط)؟ ألا تعني أنها إلى يومنا هذا، بل وتبقى إلى النهاية. وإذا قال بولس لأهل كورنثوس: "إذ قد وصلنا حتى إليكم أيضًا في إنجيل المسيح، راجين إذا نما إيمانكم لنبشر إلى ما وراءكم" (٢ كو ١٠: ١٤، ١٥، ١٦) فإنه من الواضح أن كلمة "حتى" لا تعني النهاية بل الاستمرار.

إذا بأي معنى تفهم العبارة "حتى يضع كل أعدائه تحت قدميه"؟ إنه كما يقول بولس في موضع آخر "عطوا أنفسكم كل يوم مادام الوقت يدعى اليوم" (عب ٢: ١٣)، فإنه يعني الاستمرار...

خاتمة

٣٣. وبالرغم من وجود شهادات كثيرة في الكتاب المقدس تعلن أن ملكوت المسيح أبدي لا نهاية له، إلا أنني اكتفى الآن بما سبق ذكره، إذ قد تأخر النهار. أما أنت أيها المستمع فأعبده هو فقط كملك لك، واهرب من أخطاء الهرطقة. وإذا سمحت لي نعمة ربنا فسأفسر لك بقية عبارات قانون الإيمان في فسحة من الوقت. ليحفظكم جميعًا إله كل العالم في أمان، متذكّرين علامات المنتهى، غير خاضعين لصد المسيح. لقد عرفتكم كل علامات المُخادع المزمع أن يأتي. لقد عرفتكم علامات المسيح الحقيقي الذي يأتي بوضوح من السماء. فاهربوا من الأول الكذاب، وانتظروا الآخر الحقيقي.

لقد تعلمتم الطريق حتى تكونوا من أصحاب اليمين في الدينونة.

احفظوا الوديعة التي للمسيح. كونوا صاحبين في الأعمال الصالحة حتى يمكنكم أن تقفوا بيقين حسن أمام الديان - وترثوا ملكوت السماوات - الذي خلاله وله المجد مع الآب والروح القدس إلى أبد الأبد. آمين.

المقال السادس عشر

الروح القدس الواحد

المعزي، الذي تحدث في الأنبياء

"وأما من جهة المواهب الروحية أيها الاخوة، فلست أريد أن تجهلوا... فأنواع مواهب موجودة ولكن الروح الواحد" (١ كو ١٢: ١، ٤).

الحديث عن الروح القدس أمر مخيف

١. بالحقيقة إننا نحتاج إلى **نعمة الروحانية** لكي نتحدث عن الروح القدس، لا لكي نفي الموضوع حقه، فإن هذا مستحيل، بل حتى إذا ما تحدثنا بكلمات الكتاب المقدس نكمل مقالنا بغير خطر. لأنه بالحقيقة أمر مخيف ما جاء في الأناجيل أن المخلص تحدث بوضوح قائلاً: "من قال كلمة على الروح القدس، فلن يُغفر له، لا في هذا العالم ولا في الآتي" (مت ١٢: ٣٢).

يسود الخوف من أن يسقط أحد تحت هذا الحكم، إن تحدث بما لا يليق بخصوص الروح عن جهل أو وقار مزعوم. إن ديان الأحياء والأموات - يسوع المسيح - قد أوضح أنه ليس عنده غفران، لذلك فمن يخطئ أي رجاء يكون له؟!

حاجتنا إلى نعمة يسوع المسيح نفسه

٢. إذن يليق بنا أن تعمل فينا نعمة يسوع المسيح نفسه حتى لا ننطق بعيب. كما يجب عليكم أن تسمعوا بتمييز، لأن التمييز لازم ليس فقط للمتكلين، بل وللسامعين أيضاً، لئلا يسمعون شيئاً ويفهمون شيئاً آخر خطأ.

إننا لا نتكلم عن الروح القدس إلا بما هو مكتوب، وأما ما هو غير مكتوب فلا ننشغل به. الروح القدس نفسه تكلم في الكتب. وقد تكلم عن نفسه قدر مسرته أو قدر استطاعتنا في الأخذ. لنتكلم بما قالته الكتب، أما ما لم نقله، فلا نجسر أن نقوله.

روح قدس واحد

٣. يوجد روح قدس واحد وحيد، المعزي. وكما يوجد الله الآب واحد وليس أب آخر، وكما يوجد ابن واحد وحيد كلمة الله الذي ليس له أخ، هكذا يوجد روح قدس واحد وليس هناك ثان مساوٍ له في الكرامة. الروح القدس قوة غاية القدرة، (أقنوم)^١ إلهي لا يُستقصى، فهو حيّ عاقل. مقدس كل ما خلقه الله خلال الابن. إنه ينير أرواح الأبرار. كان في الأنبياء وفي رسل العهد الجديد. ممقوتون هم الذين يفصلون عمل الروح القدس (في العهدين)!

إنه يوجد الله واحد، الآب رب العهد القديم والجديد، ورب واحد يسوع المسيح الذي تتبأ عنه العهد القديم، وجاء في العهد الجديد، وروح قدس واحد كرز بالمسيح خلال الأنبياء، وحينما جاء المسيح نزل وأعلنه!

^١ الترجمة الإنجليزية "كائن".

كنيسة الجلجثة أفضل للتحدث عن الروح القدس

٤. ليتة لا يفصل أحد بين العهد القديم والعهد الجديد. لا تسمحوا لأحد أن يقول أن الروح القدس في الماضي شيء، وفي الحاضر شيء آخر، لأنه بهذا يخطئ إلى الروح القدس ذاته، الذي يُكرّم مع الآب والابن، ويُذكر كأحد الثالوث القدوس عند العماد المقدس. إذ قال ابن الله الوحيد للرسول بوضوح: "اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم، وعمدوهم باسم الآب والابن، والروح القدس" (مت ٢٨: ١٩). رجاؤنا هو في الآب والابن والروح القدس. نحن لا نركز بثلاثة آلهة.

ليكم أتباع مرقيون، فإننا نركز بالروح القدس خلال ابن وحيد، نركز بالله الواحد. الإيمان غير منقسم، والعبادة غير منفصلة. نحن لا نفصل الثالوث القدوس كالبعض، ولا نعمل مثل سابيلوس تشويشًا، لكننا بحسب التقوى نعرف أبًا واحدًا أرسل ابنه ليخلصنا. نعرف ابنًا واحدًا وعد أن يرسل لنا المعزي من عند الآب. نعرف الروح القدس تكلم في الأنبياء، وحلّ على الرسل في يوم البنطقستي على شكل أسنة نار، هنا في أورشليم في كنيسة الرسل العليا، إذ لنا في كل شيء امتيازات عظيمة مختارة. هنا جاء المسيح من السماء، وهنا حلّ الروح القدس على الرسل، وبالحق كان لا تفتًا جدًا أن نعظ هنا عن المسيح والجلجثة في الجلجثة، وكان يليق أن نتحدث عن الروح القدس في الكنيسة العليا (التي حلّ فيها الروح على التلاميذ). ومع ذلك إذ يشترك الذي حلّ هناك، فيمجد ذاك الذي صلب هنا. فإننا هنا أيضًا (في كنيسة الجلجثة) نتحدث عن ذاك الذي حلّ هناك، لأن عبادتهما غير منفصلة.

البدع ضد الروح القدس

٥. نتكلم الآن عن بعض الأمور الخاصة بالروح القدس، لا لنوضح طبيعته كما هي، هذا مستحيل، وإنما نتحدث عن أخطاء البعض بخصوصه، حتى لا نسقط فيها عن جهل، ولكي نغلق طريق الخطأ، فنسير في الطريق الملوكي. فإن كررنا بعض عبارات الهرطقة بقصد الحذر، فإن أقوالهم ترتد على رؤوسهم، ولا نكون نحن الذين نتكلم أو أنتم الذين تسمعون مخطئين.

سيمون الساحر والغنوصيون

٦. لأن الهرطقة، الذين هم أنجس من كل شيء قد سنوا ألسنتهم (مز ١٤٠: ٣) ضد الروح القدس أيضًا، إذ تجاسروا ونطقوا بأشياء مملوءة نفاقًا كما كتب إيريناؤس المفسر في توصياته ضد الهرطقة. إذ تجاسر البعض فادعوا أنهم هم أنفسهم الروح القدس. من هؤلاء سيمون الساحر المذكور في سفر الأعمال، لأنه حين طرد أخذ ينادي بهذه التعاليم.

وأيضًا الغنوصيون أناس منافقون تكلموا بأشياء أخرى على الروح، وأتباع فالنتينيان الأشرار يقولون بأشياء أخرى، وأيضا ماني النجس تجرأ وقال إنه البارقليط المرسل من المسيح.

آخرون ادعوا أن الروح في الأنبياء يختلف عنه في العهد الجديد. حقًا إن خطأهم أو تجديفهم عظيم. لذلك أمقتوا هؤلاء، واهربوا من المجدين على الروح القدس، الذين ليس لهم غفران. لأنه أية صداقة تكون لكم مع من لا رجاء فيهم، يا من ستتعمدون من الروح القدس؟! إن كان من يلتصق بلصٍ ويوافقه يتعرض للعقوبة، فأى رجاء لمن يخطئ ضد الروح القدس؟!

أتباع مرقيون

٧. لتمتقوا أيضاً أتباع مرقيون الذين يفصلون بين أقوال العهد القديم والعهد الجديد، لأن مرقيون أعظم المنافقين زعم أولاً وجود ثلاثة آلهة، وإذ عرف أن في العهد الجديد شهادات الأنبياء عن المسيح ترك الشهادات المأخوذة من العهد القديم حتى ترك الملك (المسيح) بغير شهادة. امقتوا الغنوصيين السابق ذكرهم، الذين يدعون العلم وهم مملوون جهلاً، إذ تجاسروا وقالوا أشياء كهذه ضد الروح القدس لا أجسر أن أكررها.

أتباع فيريجيان مونتانيوس

٨. لتبغضوا الكاتفرجيانس^١ ورئيس عصابتهم في الشر "مونتانيوس" وابنتيه المزعومتين ماكسيমাلا وبرلسكيلا. لأن مونتانيوس هذا الذي فقد عقله كان مجنوناً بحق... إذ تجاسر وادعى أنه هو نفسه الروح القدس. ذاك الرجل البائس، المملوء من كل نجاسة ودعارة، لأنه يكفي التلميح إلى هذا من أجل النسوة الحاضرات (إذ لا يليق ذكر فضائحه أمامهن). فإذ امتلك بيبوزا Pepuza القرية الصغيرة جداً في فريجيا دعاها كذباً بـ"أورشليم"، وكان يقطع حناجر الأطفال الصغار البائسين ويقدمها كطعام دنسٍ لما يسمونه "أسرار"... ومع كل هذا تجرأ ودعا نفسه الروح القدس، هذا الذي كان مملوء نفاقاً وقسوة بلا إنسانية وهو مدان بحكم لا يُقضى.

ماني

٩. وكما سبق أن قلنا إنه قد تلاه "ماني" الكافر، هذا الذي جمع كل شرور الهرطقات. هذا الذي يمثل هوة الدمار الدنيئة، جامعاً مبادئ كل الهرطقة، وعمل وعلم بأخطاء جديدة، وقد تجاسر ودعا نفسه "المعزي" الذي وعد المسيح أن يرسله. لكن المسيح حين وعد الرسل قال لهم: "فأقيموا في مدينة أورشليم إلى أن تلبسوا قوة من الأعلى" (لو ٢٤: ٤٩). هل يتجاسر أحد فيقول إنهم لم يمتثلوا على الفور من الروح القدس؟ بل أكثر من هذا مكتوب "حينئذ وضعوا الأيدي عليهم، فقبلوا الروح القدس" (أع ٨: ١٧). ألم يكن هذا قبل مجيء "ماني"؟ نعم قبله بمئات السنين حين نزل الروح القدس في يوم البنطقستي!

سيمون الساحر

١٠. لماذا دُين سيمون الساحر؟ أليس لأنه أتى للرسل قائلاً: "أعطيني أنا أيضاً هذا السلطان حتى أي من وضعت عليه يدي يقبل الروح القدس؟!" (أع ٨: ١٩) لأنه لم يقل "أعطيني أنا أيضاً شركة الروح القدس" بل "هذا السلطان" هل يمكن بيع ما لا يمكن بيعه... لقد قدم مالا لمن ليس لهم مقتنيات، مع أنه رأى الناس يقدمون ثمن الأشياء المباعة، ويضعونها عند أرجل الرسل، إذ لم يأخذ في اعتباره أن هؤلاء الذين وطأوا تحت أقدامهم الثروة المقدمة لإعالة الفقراء ما كان محتملاً أن يعطوا قوة الروح القدس بالرشوة.

لكن ماذا قالوا لسيمون؟ "لتكن فضتك معك للهلاك، لأنك ظننت أن تقتني موهبة الله بدهاهم" (أع ٨: ٢٠)، لأنك صرت يهوذا الثاني، إذ ظننت أن تشتري نعمة الروح بالفضة. فإن كان سيمون يهلك لأنه رغب في أخذ القوة بثمان، فماذا يكون فجور ماني الذي ادعى أنه الروح القدس؟!

لنكره هؤلاء (الهرطقة) المستحقين للكراهية، ولنبتعد عن هؤلاء الذين يبتعد الرب عنهم، ولنقل نحن أيضاً بكل شجاعة إلى الله عن الهرطقة، "ألا أبغض مبغضيك يا رب وأمقت مقاوميك؟!" (مز ١٣٩: ٢١) لأنه توجد عداوة حقة، إذ مكتوب "سأضع عداوة بينك وبين نسلها" (تك ٣: ١٥)، لأن الصداقة مع الحيّة تصنع عداوة

^١ الكاتفرجيانس Cataphrygians أو Phrygians هو الاسم الذي لقب به أتباع فيريجيان مونتانيوس Phrygian Montanus.

مع الله وتوجد موتًا!

لنرجع إلى الأسفار المقدسة

١١. يكفينا هذا بخصوص الخارجين، ولنرجع إلى الأسفار المقدسة لنشرب مياهنا من أحواضنا ومن آبارنا النابعة (راجع أم ٥: ١٥). لنشرب من مياه حيّة تنبع إلى حياة أبدية (راجع يو ٤: ١٤). إذ قال المخلص "هذا عن الروح الذي كان المؤمنون به مزعمين أن يقبلوه" (يو ٧: ٣٨، ٣٩). لاحظوا ماذا قال، "الذي يؤمن بي كما قال الكتاب (مرجعًا إياكم إلى العهد القديم) تجري من بطنه أنهار ماء حي". ليست أنهارًا تلمس بالحواس، وتروي الأرض بأشواكها وأشجارها، بل أيضًا تُحضر الأرواح إلى النور. وفي موضع آخر يقول: "الماء الذي أعطيه يصير فيه ينبوع ماء ينبع إلى حياة أبدية"، نوع جديد من الماء، ماء حي، ينبع للمستحقين.

الماء كرمز للروح القدس

١٢. ولماذا دعا نعمة الروح ماءً؟ لأن كل الأشياء تقوم على المياه. فبالماء ينبت العشب وكل حي. لأن مياه الأمطار تأتي من السماء، تنزل مادة واحدة، لكنها تصير في أشكال كثيرة. عين واحدة تروي كل الفردوس، ومطر واحد ينزل على العالم كله، لكنه يصير أبيض في السوسن، وأحمر في الورود، وأرجوانيًا في الزهور... ويتعدد في أنواع مختلفة... ومع ذلك فطبيعته واحدة، غير مختلف في ذاته، إذ لا يتغير، فيسقط تارة في شكل، ومرة أخرى في مادة أخرى، إنما هو يشكل نفسه حسب تركيب الشيء الذي يستقبله، فيصبح لكل شيء حسبما يتلاءم معه. هكذا الروح القدس هو واحد، طبيعته واحدة لا تتغير لكنه يقسم لكل واحد نعمته كما يريد! وكما أن الشجرة الجافة بعدما ترتوي بالماء تصنع فروعًا، هكذا أيضًا النفس في الخطية إذ بالتوبة تتأهل للروح القدس تنبت عناقيد البر. ومع أنه واحد في طبيعته، لكن الفضائل التي تنشأ بإرادة الله في اسم المسيح عديدة، فيؤهل لسان إنسان للحكمة، ويضيء نفس آخر بالتنبؤ، ويعطي آخر سلطانًا لإخراج الشيطان، وآخر يهبه أن يفسر الأسفار المقدسة. ويقوي ضبط النفس في إنسان، ويعلم آخر طريق تقديم الصدقات، وآخر يعلمه الصوم وقمع نفسه، وآخر يعلمه احتقار الجسديات، ويهيئ آخر للاستشهاد. إنه متعدد في أناس مختلفين، أما هو فلن يتغير. وكما هو مكتوب: "ولكن لكل واحد يعطى إظهار الروح للمنفعة. فإنه لواحد يعطى بالروح كلام حكمة، ولآخر كلام علم بحسب الروح الواحد، ولآخر إيمان بالروح الواحد، ولآخر مواهب شفاء بالروح الواحد، ولآخر عمل قوات، ولآخر نبوة، ولآخر تمييز الأرواح، ولآخر أنواع أسنة، ولآخر ترجمة أسنة، ولكن هذه كلها يعملها الروح الواحد بعينه، قاسمًا لكل واحد بمفرده كما يشاء" (١ كو ١٢: ٧-١١).

كلمة "روح" في الكتاب المقدس

١٣. وإذا جاءت كلمة "روح" عامة في الكتاب المقدس تحمل معان كثيرة، فهناك خوف من أن يسقط أحد في تشويش عن جهل، غير مدرك، أي روح هو المقصود به. من أجل هذا يليق بنا الآن أن نحدد لكم كيف يوضح الكتاب المقدس "الروح القدس".

لأنه كما أن هرون يدعى مسيحًا، وهكذا داود وشاول وآخرون، ومع ذلك يوجد مسيح حقيقي واحد، هكذا كما أن اسم "الروح" يدعى به أشياء كثيرة، فبالحق يلزمنا أن نعرف أي منها يدعى على وجه التحديد "الروح القدس".

فهناك أشياء كثيرة تدعى أرواح: فالملاك يدعى روحًا، والنفس تدعى روحًا، والريح الذي يهب يدعى روحًا، والفضيلة العظيمة تدعى روحًا، والعادة النجسة تدعى روحًا، والشيطان مقاومنا يدعى روحًا. لهذا كونوا

حذرين عند سماعكم هذه الكلمات لئلا يختلط معنى في الآخر، لأن أسماءهم جميعاً مشتركة.

فبخصوص نفوسنا يقول الكتاب: "تخرج روحه فيعود إلى ترابه" (مز ١٤٦: ٤). ويقول ثانية عن نفس الروح: "وجابل روح الإنسان في داخله" (زك ١٢: ١). **وعن الملائكة** يقول في سفر المزامير: "الصانع ملائكته رباحاً وخدامه لهيب نار" (مز ١٠٤: ٤). **وعن الرياح** يقول: "وروح عاصف بها تكسر سفن ترشيش" (مز ٤٨: ٧)، وأيضاً "النار والبرد والضباب والروح العاصف" (إش ١٢: ٢). **وعن التعليم الصالح** يقول الرب نفسه: "الكلام الذي أكلكم به هو روح وحياة" (يو ٦: ٦٣) بدلاً من أن يقول "هو روحي". أما **الروح القدس** فلا ينطق به اللسان، إنما هو روح حي يهب الحكمة في الكلام متحدثاً وواعظاً بنفسه.

الروح القدس يتكلم ويقود ويرسل بسلطان

١٤. أتريد أن تعرف كيف يعظ الروح القدس ويتكلم؟ لقد نزل فيلبس بإعلان من الملاك إلى الطريق المؤدي إلى غرة حيث كان الخصي آتياً، فقال الروح لفيلبس: "تقدم ورافق المركبة" (أع ٨: ٢٩). انظروا هنا إلى الروح فإنه يكلم واحداً فيسمعه! أيضاً يقول حزقيال: "**وحل على روح الرب** وقال لي هكذا قال الرب" (حز ١١: ٥). وأيضاً "قال الروح القدس للرسول الذين في أنطاكية: "افرزوا لي برنابا وشاول للعمل الذي دعوتهما إليه" (أع ١٣: ٢). انظر كيف أنه الروح الحي يفرز ويدعو ويرسل بسلطان!

بولس أيضاً قال: "غير أن الروح القدس يشهد في كل مدينة قائلاً: إن وثقاً وشدائد تنتظرنني" (أع ٢٠: ٢٣). فإنه **مقدس الكنيسة ومعينها**، معلمها الروح القدس المعزي، الذي قال عنه المخلص: "سيعلمكم كل شيء" (ولم يقل فقط "سيعلمكم كل شيء" بل قال: "وسيزكركم بكل ما قلته لكم"، لأن تعاليم المخلص هي تعاليم الروح القدس بذاتها).

أقول إنه شهد لبولس مقدماً عما سيصيبه حتى يتقوى قلبه أكثر.

أما الآن فقد كلمتكم بهذه الأمور بسبب العبارة "الكلام الذي أكلكم به هو روح" حتى يمكنكم أن تفهموا هذا لا بكلام الشفتين، بل تفهموا التعاليم الصالحة التي لهذه العبارة.

الروح بمعنى مضاد

١٥. **ولكن الخطية أيضاً تسمى روحاً**، كما قلت، إنما بمعنى آخر مضاد. فمثلاً يُقال "روح الزنى أضلهم" (هو ٤: ١٢). كذلك اسم "روح" يطلق على الروح النجس "الشيطان" بإضافة كلمة "النجس". إذا يليق بالاسم ما يميزه ويجدد طبيعته. فحينما يتكلم الكتاب عن روح الإنسان يضيف كلمة "الإنسان" إلى "روح". وإذا قصد الرياح يقول "روح عاصف". وإذا قصد الخطية يقول "روح الزنى". وإذا قصد الشيطان يقول "الروح النجس". وبهذا تعرف الروح الذي يتكلم عنه، وحتى لا تظنوا أنه يتكلم عن الروح القدس. حاشا لأن اسم "روح مشترك" في أمور كثيرة.

على أي الأحوال كل شيء ليس له جسم يدعى على وجه العموم "روحاً". فإذا لا تحمل الشياطين ذلك الجسم تُدعى أرواحاً. لكن هناك اختلاف عظيم، لأنه حين يدخل روح نجس إنساناً (ليحفظ الله السامعين وغير الحاضرين أيضاً)، فإنه يأتي كذئب يهجم على خروف، متعطشاً إلى الدماء، ومتأهباً للإهلاك. محبته قاس للغاية، أحاسيسه عنيفة جداً، يظلم الذهن، هجومهم مملوء ظلماً، يغتصب ممتلكات الغير، ويستغل بالقوة جسم شخص آخر وإمكانياته كما لو كانت له، فيسقط القائمين (إذ هو منتسب للذين سقطوا من السماء) (لو ١٠: ١٨)، ويملاً الإنسان ظلاماً فتكون عينا الإنسان مفتوحتين ولكنه لا يرى. يدفع بهذا الإنسان إلى حافة الموت. حقاً إن الشياطين أعداء للناس إذ يستخدمونهم بحماقة بغير رحمة.

الروح القدس والروح النجس

١٦. مثل هذا ليس الروح القدس، حاشا! إذ أعماله عكس ذلك، فهو يعمل كل شيء للخير وللخلاص. مجيئه لطيف، وحمله خفيف، يضيء عند قدومه أشعة نور المعرفة. يأتي بأحشاء حب حقيقي، إذ يأتي ليخلص ويشفي ويعلم وينذر ويقوي ويحذر ويضيء العقل. يضيء أولاً العقل الذي يقبله، ثم بعد ذلك عقول الآخرين خلاله. وكما أن الرجل الذي يكون في ظلام ثم ينظر الشمس فجأة تستضيء بصيرته الجسدية ويرى بوضوح أموراً لم يكن يراها من قبل، هكذا أيضاً من يُمنح له الروح القدس تستضيء روحه ويرى أموراً فوق مرأى الإنسان، لم يكن يعرفها بجسده على الأرض، لكن تنتظر روحه إلى السماوات. يرى مثل إشعياء "السيد جالساً على كرسي عالٍ ومرتفع" (إش ٦: ١). ومثل حزقيال يرى "الذي على رأس الكاروبيم" (حز ١٠: ١)، ومثل دانيال يرى "ربوات ربوات وألوف ألوف" (دا ١٢: ١٠). والإنسان الذي هو صغير جداً يرى بداية العالم ويعرف نهاية العالم والأوقات التي بينهما، ويرى تسلسل الملوك، أمور لم يتعلمها قط، إنما المنير الحقيقي حاضر معه. يكون في داخل أسوار بيته، لكن قوة معرفته تصل إلى بعيد، فيرى ما يصنعه الآخرون.

أمثلة

١٧. لم يكن بطرس حاضراً مع حنانيا وسفيرة حين باعا ممتلكاتهما، لكنه كان حاضراً بالروح، إذ يقول: "لماذا ملأ الشيطان قلبك لتكذب على الروح القدس؟" (أع ٥: ٣) لم يكن بينهما، ولا شاهدهما، لكنه عرف ما قد حدث. "أليس وهو باقى كان يبقى لك. ولما بيع ألم يكن في سلطانك. فما بالك وضعت في قلبك هذا الأمر؟" (أع ٥: ٤) بطرس عديم العلم (أع ٤: ١٣) عرف خلال نعمة الروح القدس ما لم يعرفه حكماء اليونان. كذلك أيضاً إيليش حين شفى برص نعمان مجاناً أخذ جيحزي المكافأة، أخذ مكافأة عمل آخر. أخذ المال من نعمان، وأخفاه في الظلام، لكن الظلام غير مخفي عن القديسين (مز ١٣٩: ١٢). فلما أتى سألته إيليش، وقال له كما قال بطرس: "قولي لي أبهذا المقدار بعثما الحق!" هكذا تساءل إيليش: من أين أتيت يا جيحزي؟ لم يسأله عن جهل، لكنه في أسف يسأله: "من أين أتيت؟" (٢ مل ٥: ٢٥)، من الظلام أتيت، وإلى الظلام تذهب. لقد بعث شفاء الأبرص، يكون البرص ميراثك. كأن إيليش يقول إنني نفذت أمر القائل: "مجاناً أخذتم، مجاناً أعطوا" (مت ١٠: ٨)، لكن أنت بعثت هذه النعمة (المجانية). يقول إيليش: "ألم يذهب قلبي معك؟" (٢ مل ٥: ٢٦) لقد كنت هنا محصوراً بالجسد، لكن الروح الذي أعطاني الرب رأى الأمور البعيدة، وكشف لي بوضوح ما كان يحدث في موضع آخر.

انظروا كيف أن الروح القدس ليس فقط ينزع الجهل، بل ويهب المعرفة؟! انظروا كيف ينير أرواح الناس؟!

مثال آخر

١٨. عاش إشعياء منذ حوالي ألف عام ورأى "صهيون مثل مظلة". لقد كانت المدينة قائمة جميلة، بأماكنها العامة، متسرلة بالجلال، ومع ذلك... يتنبأ عما يحدث الآن في أيامنا هذه. لاحظوا دقة النبوة، إذ قال: "فبقيت ابنة صهيون كمظلة في كرم، كخيمة في حقل خيار"^١. وها هو الآن يمتلئ المكان بزراعة المقثاة.

^١ إش ١: ٨ "خيمة في مقثاة".

انظروا كيف يضيء الروح القدس للقديسين. فلا تضلوا إذن إلى أمورٍ أخرى بسبب اشتراك الاسم (أي "الروح")، بل تمسكوا بالمعنى الدقيق.

قوة الروح القدس في التعليم

١٩. فإذا خطر على ذهنكم وأنتم جالسون هنا فكر عن الطهارة والبتولية، فإن هذا من تعليمه. ألم يحدث أن هربت عذراء وهي على عتبة الزواج؟ ألم يحدث أن رجلاً مشهوراً في البلاط الملكي احتقر الثروة والجاه، بسبب تعليم الروح القدس؟ أما حدث أن شاباً أغلق عينه أمام الجمال وهرب من المنظر، تاركاً النجاسة (حيث عرضت عليه الخطية)؟!

قد تسألون: كيف حدث هذا؟ الروح القدس هو علم نفس الشاب.

العالم يعرض طرقاً كثيرة للطمع، والمسيحيون يرفضون حب الامتلاك. لماذا؟ بسبب تعليم الروح القدس! بالحقيقة مستحق الروح القدس الصالح كل كرامة!

بالحقيقة نحن معمدون باسم الآب والابن والروح القدس. فيصارع الإنسان وهو في الجسد شياطين قاسية جداً. والشيطان الذي لا يخضعه رجال كثيرون بعضاً من حديد يخضعه الإنسان بكلمات الصلاة بقوة الروح القدس الساكن فيه، بل يصير نفس هذا الإنسان المتكل على الروح القدس كنارٍ يحرق العدو غير المنظور. لقد أعطانا الله حليفاً وحارساً قديراً، ومعلماً عظيماً للكنيسة، وبطلاً قوياً لإعانتنا. فلا تخف إذن من الأبالسة، ولا من الشيطان، لأن الذي يحارب عنا أقوى منهم.

لنفتح له أبوابنا، إذ يبحث عن يستحقونه ويفتش عن يستطيع أن يهبهم مواهبه.

٢٠. الروح القدس المعزي

إنه يدعى المعزي، لأنه يعزينا ويشجعنا ويعين ضعفنا. "إذ لسنا نعلم ما نصلي لأجله كما ينبغي، لكن الروح نفسه يشفع فينا بأناث لا يُنطق بها" (رو ٨: ١٨)، أي يشفع أمام الله. كثيراً ما يُزدرى بالإنسان ويُهان ظملاً من أجل المسيح، ويقترب الاستشهاد منه وتحيط به الآلام من كل جانب، من نارٍ وسيفٍ ووحوشٍ مفترسة وجبٍ، ولكن الروح القدس يهمس له بلطف: "انتظر الرب" (مز ٢٧: ١٤؛ ٣٧: ٣٤). يا إنسان ما يصيبك الآن قليل، أما المكافأة فعظيمة. احتمل إلى وقتٍ قليلٍ، فتكون مع الملائكة إلى الأبد. "آلام الزمان الحاضر لا تُقاس بالمجد العتيد أن يُستعلن فينا" (رو ٨: ١٨). إنه يصوّر له ملكوت السموات، ويعطيه لمحة عن فردوس النعيم. والشهداء الذين بالضرورة نتجبه أنظارهم الجسدية تجاه القضاة، إلّا أنهم بالروح يتجهون نحو الفردوس، فيحتقرون المتاعب المنظورة.

الروح القدس يسند المتألمين

٢١. أتريد أن تتأكد أن الشهداء يحملون شهادتهم بقوة الروح القدس؟! يقول المخلص لتلاميذه: "ومتى قدموكم إلى المجالس والرؤساء والسلطين فلا تهتموا كيف أو بما تحتجون أو ما تقولون، لأن الروح القدس يعلمكم في تلك الساعة ما يجب أن تقولوه" (لو ١٢: ١١، ١٢). يستحيل أن يشهد إنسان كشهيد من أجل المسيح، إلّا إن شهد الروح القدس؛ لأنه إن كان "لا يستطيع أحد أن يقول عن المسيح رب إلّا بالروح القدس" (١ كو ١٢: ٣)، فكيف يستطيع أحد أن يبذل حياته من أجل يسوع المسيح إلّا بالروح القدس؟

يعمل في كل أحد حسب حاجته

٢٢. بالحقيقة عظيم وكلى القوة في مواهبه وعجيب هو الروح القدس!

انظروا كم عدد الجالسين هنا الآن؟! كم نفس حاضرة منا؟! إنه يعمل كما يلائم كل واحد، إذ هو حاضر في الوسط، ينظر إلى طبيعة الكل وإلى عقله وضميره وحديثه وفكره وعقيدته! بالحقيقة قد أطلت الحديث ومع ذلك فهو قليل إذ أسألكم أن تفكروا بعقلٍ مستضيء كم مسيحي يوجد في هذه الأسقفية، وكم عددهم في ولاية فلسطين كلها، ثم انتقلوا بعقولكم إلى الإمبراطورية الرومانية، وبعد هذا فكروا في كل العالم...

أسألكم أن تأخذوا في اعتباركم كل أمة، والأساقفة والكهنة والشمامسة والمتوحدين والبتوليين والعلمانيين أيضًا. انظروا إلى حارسهم العظيم، وإلى موزع المواهب عليهم. كيف يهب في كل العالم لواحد عفة، ولآخر بتولية دائمة، ولآخر عطاء، ولآخر فقر اختياري، ولآخر قوة إخراج الأرواح المقاومة؟! وكما أن النور بلمسة من إشعاعاته يهب ضياء لكل الأشياء، هكذا يضيء الروح القدس لمن لهم أعين. أما إذا لم يكن أحد قد أخذ نعمة بسبب عماه، فلا يلم الروح، بل يلوم عدم إيمانه هو.

الروح القدس المدبر الإلهي للسمايين

٢٣. لقد رأيت قدرته في كل العالم. لا تمكنوا بعد على الأرض بل اصعدوا إلى العلا. أقول اصعدوا متأملين حتى في السماء الأولى، وانظروا هناك ربوات كثيرة جدًا من ملائكة لا تُحصى. ارتفعوا بأفكاركم إلى العلو قدر ما تستطيعون وانظروا رؤساء الملائكة. انظروا الأرواح أيضًا، فكروا في الفضائل^١، تأملوا الرؤساء والقوات والعروش والسلاطين. إن المعزي هو المدبر الإلهي لهذه كلها، وهو المعلم والمقدس لها. يحتاج إليه إيليا وإليشع وإشعيا بين البشر، كما يحتاج إليه ميخائيل وجبرائيل بين الملائكة! ليس في الخليقة من يساويه في الكرامة. لأن كل الطغمت الملائكية وجنودهم مجتمعين معًا ليس لهم كرامة الروح القدس. إن قوة المعزي كلي العظمة تظللهم جميعًا. جميعهم مرسلون للخدمة، أما هو فيفحص حتى أعماق الله. إذ يقول الرسول: "لأن الروح يفحص كل شيء حتى أعماق الله، لأن من من الناس يعرف أمور الإنسان إلا روح الإنسان الذي فيه، هكذا أيضًا أمور الله لا يعرفها أحد إلا روح الله" (١ كو ٢: ١٠، ١١).

الروح القدس غير منفصل عن الآب والابن

٢٤. لقد كرز بالمسيح في الأنبياء، وهو الذي عمل في الرسل، وإلى يومنا هذا يختم الأرواح في العماد. حقًا إن الآب يعطي الابن، والابن يشترك مع الروح القدس. لأنه ليس من عندي هذا، بل يسوع نفسه يقول: "كل شيء دُفع إلي من أبي" (مت ١١: ٢٧). كما يقول عن الروح القدس: "وأما متى جاء ذاك روح الحق... ذاك يمجديني لأنه يأخذ مما لي ويخبركم" (يو ١٦: ١٣، ١٤).

الآب معطي كل نعمة خلال الابن مع الروح القدس. مواهب الآب ليست إلا مواهب الابن ومواهب الروح القدس. لأنه يوجد خلاص واحد، قوة واحدة، إيمان واحد، إله واحد والآب، ورب واحد ابنه الوحيد، وروح قدس واحد المعزي.

يكفي لنا أن نعرف هذا، وليس لكم أن تسألوا بشغفٍ عن طبيعته أو جوهره. لأنه لو كُتب عن هذا لتحدثنا عنه، أما وأنه لم يُكتب عنه، فليس لنا أن نخاطر فيه. إنه يكفي لخلاصنا أن نعرف أنه يوجد آب وابن وروح قدس.

^١ يضع القديس كيرلس "الأرواح، الفضائل" كطغمتين سمائيتين لهما هذان الاسمان.

الروح القدس في العهد القديم

٢٥. لقد نزل الروح القدس على السبعين شيخًا في أيام موسى... وأنا أقول لكم هذا لكي أثبت لكم أنه يعرف كل شيء، ويعمل ما يريد (١ كو ١٢: ١١).

لقد أختير السبعون شيخًا، "فنزل الرب في سحابة وأخذ من الروح الذي على (موسى) وجعل على السبعين رجلاً الشيوخ" (عد ١١: ٢٥)، ليس بمعنى أن الروح القدس قد انقسم إنما وزّع نعمته حسب الأوعية وسعة القابلين. لقد كان حاضراً ثمانية وستون شيخًا فتنبأوا، أما إلداد وميداد فلم يكونا حاضرين، من هنا يظهر أنه ليس موسى واهب العطية، بل الروح هو الذي عمل، إذ ألداد وميداد اللذين دُعيا مع عدم حضورهما في ذلك الوقت تنبأ أيضاً.

الروح القدس يوهب للجميع

٢٦. اندهش يشوع بن نون الذي خلف موسى، فأتى إليه وسأل "ألم تسمع أن ألداد وميداد يتنبآن؟! لقد دُعيا ولم يأتيا يا سيدي موسى اردعهما" (عد ١١: ٢٨). أجاب: لا أستطيع أن أردعهما، لأن هذه النعمة من السماء كلا! حاشا لي أن أمنعهما، بل أشكر الله على ذلك. إنني لست أظن أنك قلت هذا عن حسد. هل أنت تغار لي. لأنهما يتنبآن وأنت لا تتنبأ إلى الآن؟! انتظر الوقت المناسب. يا ليت كل شعب الرب يكونون أنبياء حين يجعل الرب روحه عليهم! (عد ١١: ٢٩)

لقد نطق بهذا متنبأ "حين يجعل الرب روحه عليهم". العبارة تقول: "إذ يجعل الرب" أي يجعله يحل على الكل... إنه سيعطى بسخاء. لقد لمح في السر إلى ما كان مزمعا أن يحدث بيننا في يوم البنطيقستي، لأن الروح القدس بنفسه حلّ بيننا.

الروح القدس يملأ أصحاب القلوب الحكيمة

٢٧. لقد حلّ أيضاً على كل الأبرار والأنبياء: أخنوخ ونوح وآخرين، إبراهيم وإسحق ويعقوب. أما بالنسبة ليوסף فحتى فرعون نفسه شعر أن "فيه روح الله" (تك ٤١: ٣٨). أما عن موسى والأعمال العجيبة التي عملت بالروح في أيامه فقد سمعتم أكثرها. هذا الروح كان لدى أيوب، هذا الذي كان أكثر الناس احتمالاً للآلام، وهكذا كل القديسين دون أن نكرر أسماءهم.

أيضاً أرسل حين كانت خيمة الاجتماع تُقام، وهو الذي ملأ أصحاب القلوب الحكيمة الذين كانوا مع بصلئيل بالحكمة (خر ٣١: ١-٦).

الروح القدس عمل في القضاة والأنبياء والملوك

٢٨. بقوة هذا الروح حكم عثنيل، كما نقرأ في سفر القضاة (قض ٣: ١٠). وبه ازداد جدعون قوة، وانتصر يفتاح (قض ٦: ٣٤، ١١: ٢٩)، وقامت دبورة المرأة بالحرب، وصنع شمشون أعمالاً تفوق قدرة البشر، حين كان يعمل بالبر، ولم يحزن الروح.

أما عن صموئيل وداود فنقرأ عنهم ما جاء في أسفار الملوك بوضوح كيف تنبأوا بالروح القدس وكانوا قادة الأنبياء. فكان صموئيل يدعى بـ "الرائي" (١ صم ٩: ٩). ويقول داود بوضوح "روح الرب تكلم بي" (٢ صم ٢٣: ٢). وفي المزامير يقول "وروحك القدوس لا تنزعه مني" (مز ٥١: ١١). وأيضاً "روحك الصالح يهديني في أرض البرّ (مستوية) (مز ١٤٣: ١٠).

وكما نقرأ في سفر أخبار الأيام الثاني أن عزيا أخذ الروح القدس في زمان الملك آسا (٢ أي ١٥: ١)،

ويحزئيل في أيام يهوذا (٢ : ٢٠ : ١٤)، وزكريا آخر الذي رجم (٢ : ٢٠ : ٢١).

ويقول عزرا "وأعطيتهم روحك الصالح لتعليمهم" (نح ٩ : ٢٠).

أما عن إيليا الذي اختطف وإليشع، فهذان الملهمان صانعي العجائب، من الواضح أنهما كانا مملوئين من الروح القدس، دون أن نقول عنهما هذا.

الأنبياء يشهدون عن عطية الروح القدس

٢٩. هكذا إذا اطلع أحد على جميع كتب الأنبياء الاثني عشر وغيرهم فسيجد شهادات كثيرة بخصوص

الروح القدس.

فيقول ميخا في شخص الله: "سأصنع قوة بواسطة روح الرب"^١.

ويوثيل يصرخ: "ويكون بعد ذلك - يقول الرب - إنني أسكب روحي على كل بشر (جسد)" (يوثيل ٢ :

٢٨)...

ويقول حجي: "لأنني معكم يقول رب الجنود"، "وروحي قائم في وسطكم" (حجي ٢ : ٤، ٥).

كذلك زكريا: "لكن اقبلوا كلامي وفرائضي التي أوصيت بها عبيدي الأنبياء بروحي" (زك ١ : ٦)، وعبارات أخرى.

الأنبياء يشهدون عن عطية الروح القدس (يتبع)

٣٠. ويقول إشعياء بصوته العظيم: "ويحل عليه روح الرب، روح الحكمة والفهم روح المشورة والقوة،

روح المعرفة والقوة (النقوى)، ويملأه روح مخافة الرب" (إش ١١ : ٢). مظهرًا أن الروح واحد غير منقسم لكن أنواعه متنوعة.

وأيضًا يقول: "يعقوب عبدي... وضعت روحي عليه" (إش ٤٤ : ١، ٤٢ : ١).

وأيضًا: "أسكب روحي على نسلك" (إش ٤٤ : ٣).

وأيضًا: "والآن السيد الرب أرسلني وروحه (أرسلني)" (إش ٤٨ : ١٦).

وأيضًا: "أما أنا فهذا عهدي معهم قال الرب، روحي الذي عليك وكلامي الذي وضعت في فمك" (إش

٤٩ : ٢١)....

وفي شكايته ضد اليهود يقول: "ولكنهم تمردوا وأحزنوا روحه القدس" (إش ٦٣ : ١٠)، "أين الذي جعل

في وسطهم روحه القدوس؟! (إش ٦٣ : ١١)

وحزقيال أيضًا: (إن كنتم لم تتعوبوا بعد من الاستماع) فإنه يقول "وحل عليّ روح الرب وقال لي قل

هكذا قال الرب" (حز ١١ : ٥). لكن يجب أن تفهم الكلمات "حل عليّ" بطريقة صالحة أي تعني "بمحبة"، فكما

وقع يعقوب على عنق يوسف حين وجده. هكذا أيضًا في الأناجيل حين رأى الآب المحب ابنه الذي عاد من

ضلاله "تحنن وركض ووقع على عنقه وقبله" (لو ١٥ : ٢٠). وجاء في حزقيال "وحملني روح وجاء بي في الرؤيا

بروح الله إلى أرض الكلدانيين إلى المسبيين" (حز ١١ : ٢٤).

وشواهد أخرى سبق لكم أن سمعتموها في الحديث عن العماد. "وأرش عليكم ماء طاهرًا..." (حز ٣٦ :

٢٥)، "وأعطيتكم قلبًا جديدًا وأجعل روحًا جديدة في داخلكم" (حز ٣٦ : ٢٦). وأيضًا "كانت على يد الرب

فأخرجني بروح الرب" (حز ٣٧ : ١).

^١ مي ٢ : ٨ "لكنني أنا ملأ قوة روح الرب".

الروح الذي يقدر كل الخليقة العاقلة

٣١. لقد اكتسب روح دانيال بالحكمة، فأصبح هذا الصغير قاضيًا للشيوخ.

لقد دبت سوسة العفيفة كزانية، ولم يكن من يدافع عنها، لأنه من يقدر أن يخلصها من الحكام (قاضي إسرائيل الشريرين)؟! لقد سبقت إلى الموت، وتكرت للجلادين، لكن المعزي معينها كان حاضرًا. الروح الذي يقدر كل الخليقة العاقلة.

يقول الروح لدانيال اقترب إلى هنا، فمع أنك صغير، لكنك تدين الشيوخ الملوئين بخطايا الشباب، لأنه مكتوب: "أشرق الله الروح القدس على فتى صغير" (سوسة ٤٥).

ومع ذلك (إذ نعبر سريعًا فنقول) أنقذت السيدة العفيفة بعبارة دانيال.

إننا نقدم هذه الشهادة إذ لا يوجد وقت للشرح.

نبوخذ نصر أيضًا عرف أن الروح القدس في دانيال، إذ يقول له: "يا بلشاصر كبير المجوس (السحرة)، من حيث إنني أعلم أن فيك روح الله القدوس" (دا ٤ : ٩). لقد نطق بالحق ولم يكذب، لأن بالحق كان معه الروح القدس، ولم يكن كبير سحرة بل لم يكن ساحرًا، بل بالروح القدس كان حكيماً، إذ فسّر له رؤيا التمثال التي لم يعرفها الذي رآها نفسه، إذ يقول له: أخبرني بالرؤيا التي لا أعرفها أنا الذي رأيتها (إذ رأيتها ولم أذكرها). إنكم ترون قوة الروح القدس، فإن الأمر الذي لم يعرفه من رآه، عرفه بالروح من لم يره، وفسره.

ختام

٣٢. بالحقيقة يسهل جدًا عليّ أن أجمع شهادات كثيرة جدًا من العهد القديم عن الروح القدس، وألقيها عليكم بتوسع أكثر، لكن لضيق الوقت، إذ هو محدد نكتفي بما أوردته من العهد القديم، وحسب مسرة الله نستمر في المقال عينه بخصوص الشهادات التي من العهد الجديد.

ليحسبكم إله السلام جميعًا مستحقين لعطاياه السماوية الروحية برينا يسوع المسيح ومحبة الروح، الذي له المجد والقوة إلى أبد الأبد. آمين.

المقال السابع عشر

(تبع) الروح القدس

"فإنه لواحد يُعطى بالروح كلام حكمة" (١ كو ١٢ : ٨).

الروح القدس في العهد الجديد

١. في المقال السابق قدمت لكم يا أحبائي المستمعين قدر ما استطعت نصيبًا قليلًا من الشهادات الخاصة بالروح القدس. وفي هذه الفرصة أوصل بمسرة الله معالجة الشهادات الباقية من العهد الجديد قدر ما أستطيع. وإذ التزمت بالحدود اللازمة لانتباهكم، قامعًا اشتياقنا في المقال السابق، فإنني الآن أيضًا ألتزم بالحديث عن نصيبٍ قليلٍ فقط مما تبقى (لأنه لا يشبع الإنسان من الحديث عن الروح القدس).
إنني أعتزف الآن كما سابقًا أيضًا بأنني أبتلع من كثرة الأمور المكتوبة. والآن أيضًا لن أستخدم حذاقة إنسانية، لأن هذا غير مفيد، إنما اعتمد على ما ورد في الأسفار المقدسة، إذ هذه أكثر الطرق أمانًا. وكما يقول المطوّب الرسول بولس: "التي نتكلم بها أيضًا، لا بأقوال تعلمها حكمة إنسانية، بل بما يعلمه الروح القدس، قارنين الروحيات بالروحيات" (١ كو ٢ : ١٣). فإننا أشبه بالمسافرين أو المبحرين، الذين لهم هدف واحد لرحلة طويلة جدًا، فمع أنهم يتعجلون مشتاقين للوصول، لكنهم بسبب الضعف البشري محتاجون إلى الاستراحة في الطريق في مدن وموانئ مختلفة.

الروح القدس هو واحد

٢. لذلك فبالرغم من أن مقالتنا عن الروح القدس منفصلة، لكن هو غير منقسم بل واحد بنفسه لا غير. فكما تكلمنا عن الآب وعلمنا مرة أنه العلة الوحيدة، ومرة أخرى أنه يدعى "الآب" أو القادر على كل شيء، ومرة أخرى أنه خالق العالم، لكن انقسام المقالات لا يصنع انقسامًا في الإيمان بموضوع تعبدنا، بل هو واحد وما زال واحدًا. كذلك عندما تعلمنا في الوعظ أن ابن الله الوحيد من جهة لاهوته، وتارة على ناسوته، مقسمين التعاليم الخاصة بمخلصنا يسوع المسيح في محاضرات كثيرة، ومع ذلك فنحن نركز بإيمان واحد غير منقسم من جهته. هكذا الآن فمع أن المقالات عن الروح القدس منفصلة لكننا نركز بإيمان واحد غير منقسم من جهته، لأنه هو الروح الواحد بعينه الذي "يقسم مواهبه لكل واحد بمفرده كما يشاء"، ويبقى هو غير منقسم. لأن "المعزي" ليس غير الروح القدس بل هو واحد بنفسه مدعو بأسماء متعددة، الذي يعيش ويبقى ويتكلم ويعمل، وأيضًا هو مقدّس كل الطبائع العاقلة التي خلقها الله خلال المسيح، أي الملائكة والناس.

نؤمن بالروح القدس الواحد

٣. ولكن لئلا يظن أحد عن جهل أن هذه الأسماء العديدة للروح القدس تعني أرواحًا عديدة وليس روحًا واحدًا بذاته، الكائن وحده، لذلك فإن الكنيسة الجامعة بصّرتكم من قبل وسلمت إليكم في قانون الإيمان أنه "نؤمن بالروح القدس الواحد المعزي، الناطق في الأنبياء"، حتى يمكنكم أن تعرفوا أنه مع كثرة أسمائه لكنه الروح القدس الواحد وحده، وسنعيد على مسامعكم بعض هذه الأسماء العديدة.

أسماء الروح القدس

٤. إنه يدعى "الروح" حسبما قرأ عليكم حالاً من الكتاب المقدس: "لأنه لواحد يُعطى بالروح كلام حكمة" (١ كو ١٢ : ٢٨). ويدعى "روح الحق" كقول المخلص: "وأما متى جاء ذاك روح الحق" (يو ١٦ : ١٣). ويدعى

أيضًا "المعزي" كقوله: "لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزي" (يو ١٦: ٧). أما كونه واحدًا لا غير بالرغم من دعوته بألقاب كثيرة فهذا يظهر من الآتي:

إن الروح القدس والمعزي هما واحد كما تعلن العبارة: "وأما المعزي الروح القدس" (يو ١٤: ٢٦). وأن المعزي هو نفسه روح الحق كما يظهر من القول: "فيعطيكم معزيًا آخر ليمكث معكم إلى الأبد، روح الحق" (يو ١٤: ٢٦، ٢٧) ... إنه يُدعى روح الله كما كُتب: "ورأيت روح الله نازلًا" (يو ١: ٣٢). وأيضًا: "لأن كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله" (رو ٨: ١٤). أيضًا يُدعى روح الآب كما يقول المخلص: "لستم أنتم المتكلمين، بل روح أبيكم الذي يتكلم فيكم" (مت ١٠: ٢٠). وأيضًا يقول بولس: "بسبب هذا أحنى ركبتي للآب... لكي يعطيكم أن تتأيدوا بالقوة بروحه" (أف ٣: ١٤-١٦). يدعى أيضًا روح الرب كقول بطرس: "ما بالكما انتفتما على تجربة روح الرب؟! (أع ٥: ٩) يُدعى روح الله والمسيح كما يكتب بولس: "وأما أنتم فليستما في الجسد بل في الروح، إن كان روح الله ساكنًا فيكم. ولكن إن كان أحد ليس له روح المسيح، فذلك ليس له" (رو ٨: ٩). يُدعى روح ابن الله كما هو مكتوب "بما أنكم أبناء أرسل الله روح ابنه" (غل ٤: ٦). يُدعى أيضًا روح المسيح كما هو مكتوب: "أي وقت أو ما الوقت الذي كان يدل عليه روح المسيح فيهم" (١ بط ١: ١١). وأيضًا: "بطلبتكم وموازرة روح يسوع المسيح" (في ١: ١٩).

ألقاب أخرى للروح القدس

٥. إنك تجد ألقابًا أخرى كثيرة للروح القدس بجانب هذه. فهو يُدعى "روح القداسة" كما هو مكتوب: "حسب روح القداسة" (رو ١: ٤). ويُدعى "روح التبني" كما يقول بولس: "إذ لم تأخذوا روح العبودية أيضًا للخوف، بل أخذتم روح التبني الذي به نصرخ أيها الآب أبا" (رو ٨: ١٥). ويُدعى "روح الموعد" كما يقول بولس: "الذي فيه أيضًا إذ آمنتم ختمتم بروح الموعد القدوس" (أف ١: ١٣). ويُدعى "روح الإعلان" كما هو مكتوب: "كي يعطيكم روح الحكمة والإعلان في معرفته" (أف ١: ١٧). ويُدعى "روح النعمة" كما يقول أيضًا: "ازدري بروح النعمة" (عب ١٠: ٢٩).

لقد دُعيَ بألقاب كثيرة على هذا النمط. وقد سمعت في المقال السابق أنه يُدعى في المزامير بـ "الروح الصالح"^١، وفي مرة أخرى "روح الرئاسة" (مز ١١٠: ١٢ LXX). وفي إشعياء "روح الحكمة والفهم، روح المشورة والقوة، روح المعرفة ومخافة الرب" (إش ١١: ٢). من خلال عبارات الكتاب المقدس السابق ورودها أو التي نقتبسها الآن يظهر أنه وإن كانت ألقاب الروح القدس متنوعة لكنه واحد، حيّ كائن ودائمًا حال مع الآب والابن...

إنني أطلب إليكم أن تتذكروا ما أخبرتكم به أخيرًا، وأن تعرفوا بوضوح أنه ليس هناك روح في الشريعة والأنبياء وآخر غيره في الأناجيل والرسل، بل هو روح واحد بعينه هو الروح القدس الذي في العهد القديم والجديد ينطق بالأسفار الإلهية^٢.

الروح القدس وتجسد الكلمة

٦. إنه الروح القدس الذي حلَّ على العذراء القديسة مريم، لأنه حيث أن من حُبَل به هو المسيح الابن الوحيد، لذلك فإن قوة العليّ تظللها، والروح القدس يحل عليها (لو ١: ٣٥) ويقدها، حتى تقدر أن تحمل ذاك

^١ مقال ١٦: ٢٨؛ مز ١٤٣: ١٠.

^٢ مقال ٤: ١٦؛ ١٦: ٤.

الذي به كان كل شيء (يو ١ : ٣).

إنني لست محتاجًا إلى كلمات كثيرة لأعلمك أن الميلاد كان بغير دنس أو فساد، إذ قد سبق أن تعلمت هذا. إنه جبرائيل الذي قال لها: "أنا (مجرد) رسول لما يحدث، لكن ليس لي نصيب في العمل. فمع كوني رئيس ملائكة لكنني أعرف مكاني، ومع إنني بفرح أعطيك السلام قوة العلي تظلللك، لذلك المولود منك القدوس يُدعى ابن الله" (لو ١ : ٣٥).

الروح القدس يعمل في أليصابات

٧. عمل الروح القدس في أليصابات، فإنه لا يعرف فقط العذارى بل والمتزوجات إذ يجعل زواجهن شرعيًا. "وامتلأت أليصابات من الروح القدس" (لو ١ : ٤٣) وتنبأت، فقالت الأم النبيلة عن ربها: "فمن أين لي أن تأتي أم ربي إلي؟" (لو ١ : ٤٣)، إذ حسبت أليصابات نفسها مطوبة. وإذ امتلأ زكريا والد يوحنا من الروح القدس تنبأ (لو ١ : ٦٧) محدثًا عن أمورٍ صالحةٍ يفعلها الابن الوحيد، وأن يكون يوحنا سابقًا نذيرًا له (لو ١ : ٧٦) خلال العماد.

بالروح القدس أيضًا أعلن لسمعان البار أن لا يرى الموت قبل أن يعاين الرب المسيح (لو ٢ : ٢٦-٣٥)، وحمله على ذراعيه وشهد له بوضوح في الهيكل.

الروح القدس في يوحنا المعمدان

٨. وأيضًا يوحنا المعمدان امتلأ من الروح القدس وهو في أحشاء أمه^١، لكي يتقدس، فيعمد الرب، لا أن يهب الروح، بل لكي يركز بالبيشارة المفرحة التي للرب واهب الروح القدس. إذ يقول: "أنا عمدتكم بالماء للتوبة. وأما الذي يأتي بعدي فهو يعمدكم بالروح القدس ونار" (مت ٣ : ١١). لماذا يعمد بالنار؟ لأن الروح القدس كان في السنة نارية، هذا الذي قال عنه الرب بفرح: "جئت لألقي نازًا على الأرض، فماذا أريد لو اضطرمت؟! (لو ١٢ : ٤٩)

الروح القدس وعماد الرب

٩. نزل الروح القدس هذا عندما تعمد الرب حتى لا تختفي كرامة الذي يعتمد، وكما قال يوحنا: "الذي أرسلني لأعمد بالماء، ذاك قال لي الذي تري الروح نازلًا ومستقرًا عليه فهذا هو الذي يعمد بالروح القدس" (يو ١ : ٣٣).

لكن انظروا ماذا يقول الإنجيل؟ "السموات انفتحت". انفتحت من أجل كرامة الذي نزل. إذ يقول: "السموات قد انفتحت له، فرأى روح الله نازلًا مثل حمامة وآتيًا (مضيئًا) عليه" (مت ٣ : ١٦) ... إنه كان لائقًا - كما فسر الرب - أن يكون أول ثمار وبكور الروح القدس من جهة الوعد بالعماد أن يتحقق أولاً في شخص المخلص واهب النعمة ذاتها.

وربما نزل على شكل حمامة - كما يقول البعض - لكي يعلن أنه على مثل الحمامة من جهة أنها نقية وبريئة وطاهرة، كما أنها تعين صغرها الذين تلههم... كذلك تحمل بطريقة رمزية ما سبق أن أخبرت به، وهو أن المسيح يُظهر في منظر عينيه، إذ تصرخ (النفس) في نشيد الأناشيد بخصوص العريس قائلة: "عيناه كالحمائم على مجاري المياه" (نش ٥ : ١٢).

^١ مقال ٣ : ٦.

حمامة نوح رمز لهذه الحمامة

١٠. هذه الحمامة كانت لها حمامة نوح رمزًا من جانب معين. لأنه كما في عهده جاء الخلاص وبداية عهد جديد بواسطة الخشب والماء، وعادت إليه الحمامة بغصن الزيتون، هكذا يقولون إن الروح القدس نزل على نوح الحقيقي واهب الميلاد الجديد الذي يجمع بين جدران الأمم وحدة واحدة، إذ كانت أنواع الحيوانات المختلفة التي كانت بالفلك رمزًا. هذا الذي بمجيئه صارت الذئاب الروحية ترعى مع الحملان، وفي كنيسة الثور والأسد والذئب يقتادون في مرعى واحد كما نرى في أيامنا هذه، حيث اقتاد رجال الكنيسة حكام العالم وعلموهم. لذلك، كما يفسر البعض جاءت الحمامة الروحية في وقت عماده لكي يظهر أنه هو الذي يخلص المؤمنين بواسطة خشبة الصليب في الماء، واهبًا خلاصًا خلال موته.

حديث المسيح عن الروح القدس

١١. هذه الأمور قد نعود فنوضحها فيما بعد، لكنه يلزمنا الآن أن نستمع إلى كلمات المخلص نفسه بخصوص الروح القدس. إنه يقول: "إن كان أحد لا يُولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله" (يو ٣: ٥). هذه النعمة هي من الآب، كما يظهر من قوله: "فكم بالأحرى الآب الذي من السماء يعطي الروح القدس للذين يسألونه؟!" (لو ١١: ١٣)

يلزمنا أن نعبد الله في الروح، إذ يقول: "لكن تأتي الساعة وهي الآن حين الساجدون (الحقيقيون) يسجدون للآب بالروح والحق. لأن الآب طالب مثل هؤلاء الساجدين له. الله روح، والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغي أن يسجدوا" (يو ٤: ٢٣-٢٤). وأيضًا: "إن كنت أنا بروح الله أخرج الشياطين" (مت ١٢: ٢٨). وبعد ذلك يقول للحال: "لذلك أقول لكم كل خطية وتجديف يُغفر للناس. وأما التجديف على الروح فلن يُغفر للناس. ومن قال كلمة على ابن الإنسان يُغفر له، وأما من قال على الروح القدس فلن يغفر له لا في هذا العالم ولا في الآتي" (مت ١٢: ٣١، ٣٢). وأيضًا يقول: "وأنا أطلب من الآب فسيعطيك معزيًا آخر يمكث معكم إلى الأبد. روح الحق الذي لا يستطيع العالم أن يقبله، لأنه لا يراه ولا يعرفه. وأما أنتم فتعرفونه، لأنه ماكن معكم ويكون فيكم" (يو ١٤: ١٦). ويقول: "بهذا كلمتكم وأنا عندكم، وأما المعزي الروح القدس الذي سيرسله الآب باسمي فهو يعلمكم كل شيء ويذكركم بكل ما قلته لكم" (يو ١٤: ٢٥). ويقول: "ومتى جاء المعزي الذي سأرسله أنا إليكم من الآب روح الحق الذي من عند الآب ينبثق، فهو يشهد لي" (يو ١٥: ٢٦).

ويقول المخلص أيضًا: "لأنه إن لم انطلق لا يأتيكم المعزي" (يو ١٦: ٧) ... ومتى جاء ذاك يبيكن العالم على خطية وعلى بر وعلى دينونة" (يو ١٦: ٨). وبعد ذلك يقول: "إن لي أمورًا كثيرة لأقول لكم ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن. وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق، لأنه لا يتكلم من نفسه، بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمر آتية، ذاك يجندني لأنه يأخذ مما لي ويخبركم. كل ما للآب فهو لي. لهذا قلت يأخذ مما لي ويخبركم" (يو ١٦: ١٢-١٥).

الآب واهب الروح

١٢. منح الرب تلاميذه شركة الروح إذ مكتوب: "ولما قال هذا نفخ وقال لهم: اقبلوا الروح القدس، من غفرت خطاياهم تغفر له. ومن أمسكت خطاياهم أمسكت" (يو ٢٠: ١٣).

هذه هي المرة الثانية التي فيها نفخ على الإنسان... ليتم الكتاب: "وصعد نافخًا في وجهك، ومخلصًا إياك من الحزن" (نا ٢: ١ LXX). لكن متى صعد؟ إنه صعد من الجحيم كما يروى لنا الإنجيل، أنه بعد قيامته

نفخ فيهم، و بالرغم من أنه وهب لهم في ذلك الوقت نعمته، لكنه يهب بسخاء بأكثر غزارة (فيما بعد)، إذ قال لهم: أنا مستعد أن أعطيها لكم من الآن، لكن الإناء لا يقدر أن يمسك بها. لكن بعد حين تتقبلون نعمة عظيمة هكذا، حيث يمكنكم أن تحتملوها. انظروا إلى قدام قليلاً. "أقيموا في مدينة أورشليم إلى أن تلبسوا قوة من الأعالي" (لو ٢٤: ٣٩).

الآن اقبلوها جزئياً (ليس لأنها تُجزأ، لكن بسبب ضعفكم) بعد ذلك تلبسونها في كمالها. لأن من يقبل شيئاً، غالباً ما يملك العطية جزئياً، أما من يلبس فيلتحف بثوبه تماماً. إنه يقول: لا تخافوا أسلحة إبليس وسهامه، فإنكم تحملون قوة الروح القدس. لكن تذكر ما قد قيل أخيراً إن الروح القدس لا ينقسم، لكن النعمة التي تُعطى بواسطته (تكون جزئية قدر احتمالنا).

حلول الروح القدس في يوم البنطقستي

١٣. لذلك صعد يسوع إلى السماوات وتم الوعد، إذ قال لهم: "وأنا أطلب من الآب فيعطيك معزياً آخر" (يو ١٤: ١٦). لهذا كانوا جالسين متطلعين إلى مجيء الروح القدس، وإذ حل يوم البنطقستي أيضاً في مدينة أورشليم هذه... نزل الروح القدس من السماء، الذي هو حارس الكنيسة ومقدسها، ومدبر الأرواح، ضابط العواصف الثائرة، الذي يرد الضالين إلى الحق ويحكم المقاتلين ويكمل المنتصرين.

عمل الروح القدس الناري في النفس

١٤. نزل لكي يُلبس الرسل بالقوة ويعمدهم، إذ يقول: "ستعتمدون بالروح القدس ليس بعد هذه الأيام بقليل" (أع ١: ٥). هذه النعمة لم تكن جزئية، بل هي قوته في كمالها، لأنه كما أن الذي يغطس في المياه ويعتمد تغمره المياه من كل جانب، هكذا هم اعتمدوا بالروح القدس بالكمال... ولماذا تتعجب؟! خذ مثلاً واقعياً وإن كان فقيراً وعماء، لكنه نافع للبسطاء. إن كانت النار تعبر خلال قطعة حديد، فتجعلها كلها ناراً، هكذا من كان بارداً صار محترقاً، ومن كان أسود صار لامعاً، فإن كانت النار التي هي جسم هكذا تخترق الحديد وتعمل فيه بغير عائق وهو جسم أيضاً، فلماذا تتعجب من الروح القدس أن يخترق أعماق النفس الداخلية؟!

حلول الروح القدس كما من هبوب ريح عاصفة

١٥. ولئلا يجهل الناس عظمة العطية القديرة النازلة عليهم، لذلك كان الصوت مثل أبواق سمائية، إذ "صار بغتة من السماء كما من هبوب ريح عاصفة" (أع ٢: ٢)، مشيراً إلى حلول ذاك الذي يهب قوة للبشر ليتمتعوا بملكوت الله بقوة، فترى أعينهم الألسنة النارية، وتسمع آذانهم الصوت. "وملأ كل البيت حيث كانوا جالسين"، إذ صار البيت إناءً للماء الروحي وجلس التلاميذ فيه، امتلأ البيت كله. وبهذا اعتمدوا تماماً حسب الوعد ولبست النفس والجسد ثوب الخلاص الإلهي.

"وظهرت لهم السنة منقسمة كأنها من نار، واستقرت على كل واحد منهم. وامتأل الجميع من الروح القدس". لقد اشتروا في النار، لا للاحتراق بل النار المخلصة، النار التي تحرق أشواك الخطية بل تهب بهاء للنفس. هذه حل عليكم الآن وتنزع خطاياكم وتحرقها كالشوك، فتضيء نفوسكم الثمينة، وتتألون نعمة... لقد استقرت على الرسل مثل السنة نارية حتى تتوجهم بتيجان روحية جديدة على رؤوسهم. في القديم كان هناك سيف ناري على أبواب الفردوس، والآن لسان ناري جالب الخلاص يرد العطية.

يتكلمون بالسنة الأمم الحقيقية

١٦. "وابتدأوا يتكلمون بالسنة أخرى كما أعطاهم الروح أن ينطقوا" (أع ٢: ٤). بطرس الجليلي أو أندراوس تكلم بالفارسية أو المديانية. يوحنا وبقيّة الرسل تكلموا بكل السنة هؤلاء الأمميّين الأصل. لأنّه ليس فقط في أيامنا نحن بدأت هذه الجماعات الغريبة أن تجتمع، بل منذ ذلك الحين كانوا يجتمعون هنا من كل الكون. أي معلم يمكن أن يكون هكذا عظيماً حتى يعلم البشر جميعاً في وقت واحد أمراً قد لم يكونوا قد تعلموها؟! يحتاج الإنسان إلى سنوات كثيرة ليتعلم أصول النحو وفنون اللغة حتى يتحدث اليونانية وحدها حسناً، لكنهم تعلموا جميعاً اللغات الحسنة. قد ينجح الخطيب في التحدث حسناً، لكن رجل النحو أحياناً لا يقدر أن يتحدث حسناً، وصاحب النحو الماهر قد يتحدث أحياناً لكنه يجهل مواضيع الفلسفة. أما الروح القدس فعلمهم عدة لغات في وقت واحد لم يعرفوها قط طيلة حياتهم. إنها حكمة واسعة. إنها قوة إلهية! يا للتناقض بين جهلهم الشديد في الماضي وما حدث لهم فجأة، إذ مارسوا هذه اللغات بصورة كاملة ومتنوعة لم يعتادوا عليها.

وسيلة السقوط صارت وسيلة الشفاء

١٧. إن جماهير المستمعين قد ارتبكت. وهذه هي المرة الثانية للارتباك. الأول حدث كأمر شرير في بابل، إذ كان ارتباك اللغة بقصد الانقسام بسبب أفكارهم المعادية لله، أما هنا فقد انصلحت الأذهان واتحدت بقصد صالح. وسيلة السقوط صارت وسيلة الشفاء! لماذا تتعجبون قائلين "كيف نسمعهم يتكلمون بالسنة؟" (أع ٢: ٨) لا تتعجب إن كنت جاهلاً ذلك، فإنه حتى نيقوديموس كان جاهلاً عن مجيء الروح، وقد قيل له: "الريح تهب حيث تشاء وتسمع صوتها، لكنك لا تعلم من أين تأتي ولا إلى أين تذهب" (يو ٣: ٨). فإنك وإن سمعت صوته لا تعرف من أين يأتي، فكيف نوضحه هو نفسه في جوهره؟!

خمر جديدة هي نعمة العهد الجديد!

١٨. لكن آخرين سخروا قائلين "إنهم سكارى" (أع ٢: ١٣). في استهزائهم تكلموا بالحق، لأنهم في الحقيقة كانت الخمر جديدة هي نعمة العهد الجديد. هذا الخمر الجديد هو من الكرم الروحية... كانت قبلاً تحمل هذا الثمر في الأنبياء، والآن قد أنبتت برعماً في العهد الجديد. فإنه حتى في الأمور الحسية نجد الكرم تبقى كما هي، لكنها تحمل ثماراً جديدة في مواسمها، هكذا الروح هو بنفسه يستمر كما عمل في الأنبياء والآن يعمل أفعالاً جديدة وعجيبة. فبالرغم من أن نعمته قد تقدمت للآباء أيضاً، لكن هنا تأتي بغزارة، لأنه كان للناس فقط (نصيب) شركة من الروح القدس، أما الآن فاعتمدوا فيه تماماً.

إنهم سكارى، لكن ليس كما تظنون

١٩. لكن بطرس الذي له الروح القدس عرف ما قد ناله فيقول (موبخاً): يا رجال إسرائيل أنتم الذين يشركم يوثيل لكنكم لا تعرفون الأمور المكتوبة "لأن هؤلاء ليسوا سكارى كما أنتم تظنون" (أع ٢: ١٥). إنهم سكارى، لكن ليس كما تظنون، بل حسبما هو مكتوب: "يسكرون بدسم بيتك، ويشربون بملذاتك" (مز ٣٦: ٨). إنهم سكارى بمسكر سام مميت للخطية وواهب حياة للقلب. مسكر مضاد للسُّكر الخاص بالجسد. لأن هذا الأخير يسبب نسيان حتى بالنسبة لما كان الإنسان يعرفه، أما هذا فيمنح معرفة حتى لما لم يكن يعرفه الإنسان.

إنهم سكارى لأنهم شربوا خمر الكرمة الروحية القائلة: "أنا الكرمة وأنتم الأغصان" (يو ١٥: ٥). لكن إن كنتم لا تقتنعون، افهموا ما أخبركم به من ذات الوقت الذي نحن فيه، إنها الساعة الثالثة من النهار (أع ٢: ٢٥، ١٥).

فكما يروي لنا مرقس قد صُلب في الساعة الثالثة، والآن الساعة الثالثة يرسل لنا فيها نعمته. لأن نعمته ليست شيئاً بخلاف نعمة الروح. إنما ذاك الذي صُلب وقتئذ هو أيضاً يهب الموعد... وإن أردتم شهادة بذلك أصغوا إلى ما قيل بيوثيل النبي: "يقول الله ويكون في الأيام الأخيرة إني أسكب من روحي" (أع ٢: ١٨)، (كلمة "أسكب" تحمل غنى العطية، إذ لا يُعطي الله روحه بمقياس...) "أسكب من روحي على كل بشر، فينتبأ بنوكم وبناتكم"، وبعد ذلك يقول: "وعلى عبيدي أيضاً وإمائي أسكب من روحي في تلك الأيام، فينتبأون" (أع ٢: ١٩). لا يبالي الروح القدس بالأشخاص إذ لا يطلب كرامات بل تقوى الروح. لا ينتفخ الأغنياء ولا ينخذل الفقراء، بل ليستعد كل واحد لتقبل النعمة السماوية.

الروح القدس في العهد الجديد

٢٠. لقد تكلمنا اليوم كثيراً، ولعلكم قد قلقتم من الاستماع، لكن بقي أن أقول شيئاً. حقاً أن التعليم بخصوص الروح القدس يحتاج إلى مقال ثالث، بل إلى مقالات أخرى، لكن يليق بنا أن يكون لنا معرفة بكل النقط.

وإذ اقترب عيد الفصح المقدس لهذا نطيل مقالنا اليوم، وإن كان لا يكفي المجال لسرد كل شهادات العهد الجديد كما ينبغي... إنما نجمع القليل منها كما تجمع زهور قليلة من مروج واسعة على سبيل المماثلة.

الروح القدس يعمل في جميع الرسل معاً

٢١. لأنه في قوة الروح القدس بإرادة الآب والابن وقف بطرس مع الإحد عشر ورفعوا أصواتهم... وأسروا في الشبكة الروحية لكلماته حوالي ٣٠٠٠ نسمة.

عظيمة هكذا هذه النعمة التي كانت تعمل في جميع الرسل معاً، حتى أنه من اليهود صالبي المسيح، آمن هذا العدد العظيم، واعتمدوا باسم المسيح "وكانوا يواظبون على تعليم الرسل والصلوات" (أع ٢: ٤٢). وأيضاً بنفس القوة التي للروح القدس "صعد بطرس ويوحنا معاً إلى الهيكل في ساعة الصلاة التاسعة" (أع ٣: ١)، وباسم يسوع المسيح شفيا الرجل الذي عند باب الجميل الأخرج من بطن أمه منذ أربعين عاماً، فتحقق ما قيل: "حينئذ يقفز الأعرج كالأيل" (إش ٣٥: ٦).

وهكذا إذ أسرا في شبكة تعليمهما الروحية خمسة آلاف مؤمناً في وقت واحد، وفقاً ضد رئيس الكهنة وقادة الشعب الضالين ليس بحكمتهم الخاصة إذ "أنهما عديما العلم وعاميان" (أع ٤: ١٣)، بل بقدرة الروح القدس القدير، إذ مكتوب حينئذ امتلأ بطرس من الروح القدس (أع ٤: ٨).

هكذا أيضاً عظيمة هي نعمة الروح القدس التي عملت بواسطة الإثنى عشر رسولاً في الذين آمنوا حتى أنهم كانوا "بقلب واحد ونفس واحدة" (أع ٤: ٣٢)، وكان كل ما لهم مشتركاً، وأصحاب المقتنيات يبيعونها ويقدمون أثمانها، ولم يكن أحد محتاجاً إلى شيء، بينما حاول حنانيا وسفيرا أن يكذبا على الروح فسقطا تحت العقاب المناسب لهما.

عجائب بقوة الروح القدس

٢٢. "وجرت على أيدي الرسل آيات وعجائب كثيرة في الشعب" (أع ٥: ١٢). هكذا عظيمة هي

النعمة الروحية التي ظلت الرسل، حتى وهم ودعاء كانوا مُرعبين. "وأما الآخرون فلم يكن أحد منهم يجسر أن يلتصق بهم، لكن كان الشعب يعظمهم. وكان مؤمنون ينضمون للرب، جماهير من رجال ونساء" (أع ٥: ١٣-١٤). وامتأ الطريق بالمرضى على أسرّتهم وفراشهم، "حتى إذا جاء بطرس يخيم ولو ظلّه على أحد منهم، واجتمع جمهور المدن المحيطة إلى أورشليم"، هذه المدينة المقدسة، "حاملين مرضى ومعذبيين من أرواح نجسة وكانوا يبرأون جميعهم" (أع ٥: ٥١، ١٦) بقوة الروح القدس.

الروح القدس يعضد الرسل أمام الحكام

٢٣. وأيضًا سجن الاثنا عشر رسولاً بأمر رئيس الكهنة بسبب التبشير بالمسيح، وبأعجوبة خلصوا منه في الليل بواسطة ملاك، فاستدعوا من الهيكل في المجمع للحكم. وفي خوف انتهروهم بسبب حديثهم عن المسيح، فأجابوا أن الله يعطيهم روحه لطاعته. وعندما جلدوهم ذهبوا فرحين، ولم يكفوا عن التعليم والتبشير ببسوسع أنه المسيح (أع ٥: ١٢).

الروح القدس يعمل في الشمامسة

٢٤. ولم تكن نعمة الروح القدس عاملة في الاثني عشر رسولاً فحسب، بل وفي بكر أبناء الكنيسة... أقصد السبعة شمامسة الذين أختيروا. وكما هو مكتوب أنهم كانوا "مملوءين من الروح القدس وحكمة" (أع ٦: ٣). هؤلاء الذين كان منهم استفانوس الذي بحق دُعي هكذا، أول الشهداء، إنسان "كان مملوءًا إيمانًا وقوة (من الروح القدس)، كان يصنع عجائب وآيات عظيمة في الشعب" (أع ٦: ٨)، ويفحم المجادلين له. إنهم "لم يقدرُوا أن يقاوموا الحكمة والروح الذي كان يتكلم به" (أع ٦: ١٠). وعندما اتهموه بمكر، وأتوا به إلى المجمع كان متلألًا بضياء ملائكي، ورأوا وجهه كأنه وجه ملاك... وإذ بحكمته دافع مفتحًا اليهود الذين هم "قساة القلب وغير المختونين بالقلوب والآذان، دائمًا يقاومون الروح القدس" (أع ٧: ٥١). "نظر السماوات مفتوحة وابن الإنسان قائمًا عن يمين الله" (أع ٧: ٥٦). لقد رآه لا بقوته الذاتية، بل كما يقول الكتاب المقدس: "وهو ممتلئ من الروح القدس فرأى مجد الله ويسوع قائمًا عن يمين الله" (أع ٧: ٥٥).

الروح القدس يعمل في فيلبس

٢٥. في قوة الروح القدس أيضًا فيلبس في وقت ما في اسم المسيح كان يُخرج الأرواح النجسة، التي كانت تخرج صارخة بصوت عظيم، وشفى المفلوجين والعرج وآمن جمع كثير بالمسيح (راجع أع ٨)... ثم إن ملاك الرب دعا فيلبس في الطريق من أجل الإثيوبي الخصي التقى جدًا، إذ سمع بوضوح الروح يقول له "تقدم ورافق هذه المركبة" (أع ٨: ٢٩). لقد علّم الخصي، وعمّده، فذهب إلى إثيوبيا كرسول المسيح، كما هو مكتوب: "إثيوبيا تبسط يدها" (مز ٦٨: ٣١). واختطف الملاك فيلبس فصار يبشر بالإنجيل في المدن بالتتابع.

الروح القدس يعمل في بولس

٢٦. أيضًا بهذا الروح القدس امتأ بولس بعدما دعاه ربنا يسوع المسيح. وها هو حنانيا البار يشهد لما نقول، إذ في دمشق قال له: "قد أرسلني الرب يسوع الذي ظهر لك في الطريق الذي جئت فيه لكي تبصر وتمتلي من الروح القدس" (أع ٩: ١٧). وللوقت تحوّل عمى بولس إلى حدة نظر بعمل الروح القدير، إذ نال نعمة ختمه في نفسه، جعلته إناءً مختارًا لحمل اسم الرب... فارتد المضطهد السابق إلى سفيرٍ وخادمٍ صالح، "حتى أنه من أورشليم وما حولها إلى الليريكون قد أكمل التبشير بالإنجيل" (راجع رو ١٥: ١٩). وعلم في روما الإمبريالية،

وحمل غيره تبشيره إلى أسبانيا محتملاً معارك (روحية) بلا حصر وصانعاً آيات وعجائب...

الروح القدس يعمل في بطرس

٢٧. بنفس قوة الروح أيضاً بطرس شفى إينياس المفلوج باسم المسيح في لدة التي هي الآن ذيوسبليس *Diospolis*. وفي يافا أقام طابيثا من الموت. وهو على السطح رأى السماء مفتوحة، وبواسطة الإناء النازل عليه مثل ملاءة مملوءة من حيوانات من كل شكل ونوع، تعلم بوضوح ألا يدعو أحداً نجساً أو دنساً، حتى وإن كان يونانياً (أع ١٠: ١١-١٦ أُممياً أو وثنياً). وعندما أُرسِل إلى كرنيليوس سمع بوضوح الروح القدس نفسه يقول: "هوذا (ثلاثة) رجال يطلبونك، قم وأنزل وأذهب معهم، غير مرتابٍ في شيء، لأنني أنا قد أرسلتهم" (أع ١٠: ١٩، ٢٠).

ولكن يظهر بوضوح أن الذين من الأمم يؤمنون أيضاً، وتعاد لهم شركة نعمة الروح القدس، لذلك عندما ذهب بطرس إلى قيصرية وكان يعلم بالأمور المختصة بالمسيح يقول الكتاب عن كرنيليوس والذين معه: "فبينما بطرس يتكلم بهذه الأمور حلَّ الروح القدس على جميع الذين كانوا يسمعون الكلمة. فاندھش المؤمنون الذين من أهل الختان، كل من جاء مع بطرس، بأن موهبة الروح القدس قد انسكبت على الأمم أيضاً" (أع ١٠: ٤٤، ٤٥).

الروح القدس وهب المؤمنين اسم "مسيحيين"

٢٨. وفي أنطاكية أيضاً، المدينة المشهورة جداً في سوريا، عندما كان التبشير منتشراً، أُرسِل برنابا إلى هناك ليساعد في العمل إذ "كان رجالاً صالحاً وممتهلاً من الروح القدس والإيمان" (أع ١١: ٢٤)، وإذ كان محصول المؤمنين بالمسيح كبيراً أحضروا بولس من طرطوس إلى أنطاكية ليعينه في جهاده. وإذ تعلم جمع غفير بواسطتهما إذ اجتمعا في الكنيسة "ودعي التلاميذ مسيحيين في أنطاكية أولاً" (أع ١١: ٢٦). يبدو لي أن الروح القدس إذ وهب المؤمنين الاسم الجديد... وإذ سكب الله روحه بغزارة في أنطاكية نجد هناك أنبياء ومعلمين من بينهم "واحد منهم اسمه أغابوس" (أع ١١: ٢٨).

"وبينما هم يخدمون الرب ويصومون قال الروح القدس افرزوا لي برنابا وشاول للعمل الذي دعوتهما إليه" (أع ١٣: ٢)، وبعدما وضعوا الأيدي عليهما أرسلا بواسطة الروح القدس.

من الواضح إذن الروح الذي يتكلم ويرسل هو روح حي، كائن عامل كما قلنا.

أقام الروح القدس عهداً جديداً في الكنيسة

٢٩. هذا الروح القدس في وحدة مع الآب والابن أقام عهداً جديداً في الكنيسة الجامعة، محرراً إيانا من أثقال الناموس... اقصد ما هو دنس وما هو ليس دنساً، واللحوم والسبوت والشهور الجديدة، والختان والنضحات والذبائح (الدموية). الأمور التي تُعطي إلى زمان، وهي ظل للأمور العتيدة (عب ١٠: ١)، لكن متى جاء الحق نُزعت هذه بحق.

لأنه عندما أُرسل بولس وبرنابا بسبب السؤال الذي ثار في أنطاكية بواسطة القائلين بضرورة اختتانهم وحفظ عوائد موسى، فإن الرسل الذين كانوا هنا في أورشليم حرّروا كل العالم من كل الملاحظات الرمزية والناموسية بأمر كتابي، لكنهم لم ينسبوا الحق إلى أنفسهم في أمرٍ عظيم كهذا، بل أرسلوا أمراً مكتوباً، جاء فيه "لأنه قد رأى الروح القدس ونحن أن لا نضع عليكم ثقلاً أكثر غير هذه الأشياء الواجبة، أن تمتنعوا عما ذبح للأصنام، وعن الدم والمخنوق والزنا" (أع ١٥: ٢٨-٢٩)، مظهرين بوضوح بما كتبه أنه بالرغم من أن الكتابة

كانت بأيدي الرسل البشريين، لكن القانون صادر من الروح القدس، هذا الذي أخذ به بولس وبرنابا ثبته في العالم كله.

الروح القدس يقود بولس

٣٠. والآن إذ بلغت هذا الحد في مقالي أطلب من محبتكم الاهتمام، أو بالأحرى أطلب من الروح الساكن في بولس بسبب عجزه عن سرد كل شيء على مسامعكم بسبب ضعفه أو قلق المستمعين. لأنه بأية عبارات لا ثقة أتحدث عن الأعمال العجيبة التي حدثت بواسطة الروح القدس في اسم المسيح؟ هذه الأعمال التي تمت في قبرص... وسيليكية وفريجية وغلاطية وميسيا ومكدونية؟! أو ما حدث في فيلبلي... وتسالونيكى، أو الخطاب الذي ألقى في أريوباغوس وسط الأثينيين، أو التعاليم التي سردت في كورنثوس وفي كل آسيا؟!...

عظيمة هي النعمة الروحية التي كانت عليهم (أهل أفسس) حتى أن الأمراض كانت تُشفى والأرواح الشريرة تخرج، ليس فقط بلمسة، بل بأخذ العصائب والمناديل التي على جسده (أع ١٩: ١٢). وأخيرًا أولئك الذين مارسوا فنون السحر، إذ أحضروا كتبهم وأحرقوها أمام كل الناس (أع ١٩: ١٩).

الروح القدس يقود بولس (يتبع)

٣١. إنني أعبر على الأعمال التي حدثت في ترواس لأفتيخوس الذي غلبه النوم فسقط من الدور الثالث، وحُمِل ميتًا، فأعاده إلى الحياة (أع ٢٠: ٩-١٢).

إنني أعبر أيضًا على النبوات التي أعلنها لقسوس أفسس الذين دعاهم إليه في ميليتس، محدثًا إيَّاهم بصراحة قائلاً: "غير أن الروح القدس يشهد في كل مدينة قائلاً: (أع ٢٠: ٢٣)... فبقوله "كل مدينة" يعلن بولس الرسول أن العجائب التي تمت على يديه^١ في كل مدينة هي من عمل قوة الروح القدس بإرادة الله في اسم المسيح الذي يتكلم فيه.

بقوة هذا الروح القدس كان الرسول نفسه يسرع إلى هذه المدينة المقدسة أورشليم. وبالرغم من أن أغابوس أنبأ له بالروح بما سيحل به، لكنه في ثقة تكلم مع الشعب، معلمًا بالأمور المختصة بالمسيح.

وعندما أحضر إلى قيصرية ووجد بين محاكمات، تارة أمام فيلكس، وأخرى أمام فيستوس الوالي والملك أغريباس، تلقى بولس الرسول من الروح القدس قوة عظيمة، وهكذا غلب في حكمة، حتى أن أغريباس نفسه ملك اليهود قال: "غالبًا ما تقنعني أن أصير مسيحيًا"^٢.

وفي جزيرة مالطة وهبه الروح القدس ألا يصيبه ضرر عندما لدغته أفعى، مقدمًا شفاءات للمرضى.

هذا الروح القدس قاد المضطهد القديم كرسول للمسيح حتى إلى روما الإمبريالية، وهناك أقنع يهودًا كثيرين ليؤمنوا بالمسيح، وكان يحاججهم قائلاً بوضوح: "حسنًا كَلِّم الروح القدس آبائنا بإشعياء النبي (عنكم) قائلاً... (أع ٢٨: ٢٥)"

بولس يشهد لعمل الروح القدس

٣٢. أما كون بولس مملوء من الروح القدس هو وكل رفقاءه الرسل والذين آمنوا بالآب والابن والروح القدس فاسمع منه بنفسه، إذ يكتب بوضوح في رسائله قائلاً: "وكلامي وكرازتي لم يكونا بكلام الحكمة الإنسانية المقنع بل ببرهان الروح والقوة" (١ كو ٢: ٤). وأيضًا: "الذي ختمنا أيضًا وأعطي عربون (غيره) الروح" (٢ كو

^١ كان الحديث عن الآلام والأتعاب التي يلاقيها الرسول في كل مدينة.

^٢ أع ٢٦: ٢٨ "بقليل تقنعني أن أكون مسيحيًا".

١: ٢٢). وأيضًا "الذي أقام المسيح من الأموات سيحيي أجسادكم المائتة أيضًا بروحه الساكن فيكم" (رو ٨: ١١). ويكتب إلى تيموثاوس قائلاً: "احفظ الوديعة الصالحة بالروح القدس المعطى لنا".^١

الروح القدس ينبيء للرسول

٣٣. أما عن كون الروح القدس قائماً وحيًا ويتكلم وينبيء، فهذا سبق أن تحدثت عنه قبلاً. يكتب بولس إلى تيموثاوس بوضوح: "ولكن الروح يقول صريحاً إن في الأزمنة الأخيرة يرتد قوم عن الإيمان. الارتداد الذي نراه ليس في الأيام السابقة، بل وفي أيامنا نحن إذ كثيرة ومتنوعة هي أخطاء الهرطقة. مرة أخرى يقول بولس "الذي في أجيال أخر لم يُعرف به بنو البشر، كما قد أعلن الآن لرسله القديسين وأنبياؤه في الروح" (أف ٣: ٥).

وأيضًا: "لذلك كما يقول الروح" (عب ٣: ٧).

وأيضًا: "ويشهد لنا الروح القدس أيضًا" (عب ١٠: ١٥).

وأيضًا: "وخذوا خوذة الخلاص وسيف الروح الذي كلمة الله" (أف ٦: ١٧).

وأيضًا: "لا تسكروا بالخمير الذي فيه الخلاعة بل املئوا بالروح مكلمين بعضكم بعضًا بمزامير وتسابيح وأغاني روحية" (أف ٥: ١٨، ١٩).

وأيضًا: "نعمة الرب يسوع ومحبة الله وشركة الروح القدس مع جميعكم" (٢ كو ١٣: ١٤).

أقنوم الروح القدس

٣٤. بكل هذه البراهين التي قدمتها وأكثر منها يُمكن أن نفهم أقنومية الروح القدس وتقديسه وقوته العاملة. لأن الوقت لا يسعني في مقالتي لو رغبت في اقتباس ما تبقى من العبارات الخاصة بالروح القدس في الأربع عشرة رسالة التي لبولس حيث يعلم فيها بكل كمال ووقار... وإنني استمد الغفران من قوة الروح القدس نفسه لما حدثناه بسبب قلة الأيام. أما أنتم أيها السامعون، فيليق بكم أن تهتموا بأكثر كمال أن تعرفوا ما تبقى خلال القراءات المختلفة في الكتاب المقدس، إذ تجتهدون لفهم هذه الأمور.

من خلال المقالات الحالية أو السابق عرضها عليكم يمكننا أن نتمسك بأكثر ثبات بالإيمان أننا "نؤمن بالله الواحد، الأب القدير، وربنا يسوع المسيح ابنه الوحيد، والروح القدس المعزي".

وبالرغم من أن الكلمة نفسها واللقب "روح" تنطبق على (الثالوث) عامة في الكتاب المقدس، إذ قيل عن الآب: "الله روح" (يو ٤: ٢٤)، كما جاء في إنجيل يوحنا وقيل عن الابن: "روح أمام وجهنا المسيح الرب" كقول إرميا النبي (راجع مرا ٤: ٢٠). وعن الروح القدس قيل: "المعزي الروح القدس" (يو ١٤: ٢٥)...

اقبلوا الروح القدس بغير رياء!

٣٥. أحرصوا لئلا تكونوا مثل سيمون فتأتوا إلى مدبري العماد في رياء فلا تكون قلوبكم طالبة الحق. عملنا نحن أن نمنع هذا، وعملكم أنتم أن تحفظوا نفوسكم. إن كنتم ثابتين في الإيمان، فمباركون أنتم. وإن كنتم ساقطين في عدم الإيمان فاطرحوا عنكم كفركم واقبلوا إيماناً كاملاً. ففي فصل العماد، عندما تأتوا في حضرة الأساقفة أو الكهنة أو الشمامسة... اقتربوا إلى خادم العماد، ولا تفكروا في الوجه المنظور، بل تذكروا الروح القدس هذا الذي نتكلم عنه الآن. لأنه حال، ليختم نفوسكم. إنه

^١ ٢ تي ١: ٤ "الروح القدس الساكن فينا".

سيهبكم ذلك الختم الذي ترتعب منه الأرواح الشريرة، ختمًا سماويًا مقدسًا كما هو مكتوب: "الذي فيه أيضًا أنتم إذ آمنتم، خُتمتم بروح الموعد القدوس" (أف ١: ١٣).

يا لخطورة من يتقدم للعماد في خداع!

٣٦. لكنه هو يمتحن النفس. إنه لا يلقي لآلئه قدام الخنزير. فإن جنئت برياءٍ فإنه حتى وإن عمدك الناس لا يعمدك الروح القدس. وإن تركّيت بإيمان، فإن الناس يخدمون (السرّ) فيما هو منظور والروح القدس يهب ما هو غير منظور.

إنك تأتي إلى تجربة عظيمة، إلى ضيقة شديدة، فإنه في ساعة واحدة تُطرد وتكون كارتك مرعبة. أما إن كنت مستحقًا للنعمة، فتستتير نفسك وتتقبل قوة لم تكن لك من قبل، تتقبل أسلحة مرعبة ضد الأرواح الشريرة. فإن لم تلق عنك أسلحتك محتفظًا بالختم على نفسك لا يقدر أي روح شرير أن يقترب إليك بل يهرب، لأن بروح الله تخرج الأرواح الشريرة.

لا تحزن روح الله القدوس

٣٧. إن كنت تؤمن، فإنه ليس فقط تنال غفران الخطايا بل وتصنع أمورًا فوق الطاقة الإنسانية. ربما تتأهل لنعمة النبوة أيضًا. إنك تتقبل نعمة حسب قياس طاقتك لا حسب كلماتي. لأنني ربما أتكلم عن أمورٍ قليلةٍ وأنت تُوهب أمورًا أعظم، لأن للإيمان عمل عظيم للغاية. في كل حياتك يسكن معك حارسك المعزي يعتني بك كجندي لك في خروجك ودخولك وضد أعدائك (الروحيين).

إنه يهبك عطايا النعمة من كل نوع إن كنت لا تحزنه بالخطية، إذ مكتوب "لا تحزنوا روح الله القدوس الذي به خُتمتم ليوم الفداء" (أف ٤: ٣). ماذا إذن ألا تحتفظ أيها الحبيب بالنعمة؟ تهيا لتقبلها، ومتى تقبلتها لا تطردها عنك.

ختام

٣٨. ليت إله الكل ذاته الذي تكلم بالروح القدس خلال الأنبياء، والذي أُرسِل على رسله في يوم البنطقسستي في هذا المكان، هو نفسه يرسله عليكم في هذا الوقت، وبواسطته يحفظنا نحن أيضًا لكي نتمتع ببركاته نحن جميعًا، حتى نرد إليه ثمار الروح القدس "محبة، فرح، سلام، طول أناة، لطف، صلاح، إيمان، وداعة، تعفف" (غل ٥: ٢٢، ٢٣)، في المسيح يسوع ربنا الذي له وبه ومع الروح القدس المجد للأب الآن والى الأبد وإلى الأبد. آمين.

المقال الثامن عشر^١

كنيسة واحدة مقدسة جامعة رسولية

"كانت على يد الرب فأخرجني بروح الرب وأنزلني في وسط البقعة
وهي ملأنة عظاماً" (حزقيال ٣٧).

الرجاء في القيامة أصل كل عمل صالح

١. رجاء القيامة أصل كل عمل صالح، فانتظار المكافأة يقوي النفس للأعمال الصالحة. فكل عاملٍ مستعد أن يتحمل الآلام إذا رأى أن مكافأته قريبة. لكن إن أجهد الناس أنفسهم للأشياء، تخور قلوبهم كأجسادهم أيضاً. فالجندي الذي ينتظر غنيمة مستعد للحرب، لكن لا يقدم أحد نفسه للموت من أجل ملكٍ لا يبالي بالذين يخدمونه، ولا يمنح كدهم أية كرامة.

هكذا كل نفس تؤمن بالقيامة تحرص بطبيعة الحال على نفسها. لكن في عدم إيمانها بالقيامة تترك نفسها للدمار. فمن يؤمن أن جسده سيبقى ليقوم ثانية يكون حريصاً على ثوبه، لا يدنس بالزنا، لكن من لا يؤمن بذلك يسلم نفسه للزنا، ويسيء استعمال جسده، كأنه لا يخصه. فالإيمان بقيامة الأموات وصية عظيمة والتعليم بـ"الكنيسة المقدسة الجامعة" تعليم عظيم وضروري، ولو ناقضه كثيرون. فهو مع ذلك بالتأكيد أمر حق! يعارضه اليونانيون، ولا يؤمن به السامريون، ويقاومه الهراطقة، فالنفاق بينهم مختلف، لكن الحق واحد!

مجادلات الهراطقة

٢. يجادل اليونانيون والسامريون قائلين: الميت سقط، وتحول إلى ديدان، والديدان ماتت أيضاً، هكذا يصيب الجسد التلف والهلاك، فكيف يقوم ثانية؟!

السفينة الغارقة يلتهم السمك من في داخلها ويبيدهم، والسمك أيضاً يُباد! من يقاتلون الحيوانات المتوحشة تُسحق عظامهم ذاتها، ويستهلكها الأسود والذئبة! النسور والغربان تتغذى بجثث الأموات الذين لم يدفنوا، ثم يطيرون مشتبين، فمن أين إذن يُجمع الجسم ثانية؟ الدجاج الذي التهمه، بعض منها في الهند والبعض في بلاد فارس والبعض الآخر في جاسان! أيضاً أناس آخرون تلتهمهم النيران ورمادهم ينثره المطر والرياح، فمن أين إذن يُجمع الإنسان؟

العالم كله في يده

٣. أيها الرجال المساكين والضعفاء، تتراءى لكم الهند بعيدة عن أرض جاسان، لكن الله الذي يمسك العالم كله في قبضة يده، كل الأشياء قريبة لديه. لا تُعزي إذن الضعف إلى الله بسبب ضعفك أنت، لكن الأفضل أن تتكل على قوته. أليست الشمس وهي عمل صغير من أعمال الله بومضة صغيرة من شعاعها تعطي الدفء للعالم كله؟! أليس الجو الذي عمله الله يكتنف كل شيء في العالم؟ فهل الله خالق الاثنين "الشمس والجو" بعيد عن الاثنين؟

تصور خليطاً من بذور النباتات المختلفة في قبضة يدك، فهل يصعب عليك وأنت إنسان أن تعزل هذه البذور التي في يدك عن بعضها البعض وتجمعها حسب أنواعها؟ أفأنت تقدر على عزل الأشياء التي في يدك،

^١ ترجمة السيدة يان جرجس فيلوثاؤس.

ولا يقدر الله على عزل الأشياء التي تحتويها يده؟ ويرجعها إلى وضعها الأصلي؟ لتقدّر ما أقول، وإن كان إنكارها كفرة!

الله عادل

٤. أرجوك أيضاً أن تصغي إلى "مبدأ العدل" وترجع إلى نفسك. تصور أن لك خدماً كثيرين بعضهم طيب والآخر شرير. إنك تكرم الطيب، وتضرب الرديء، وإن كنت قاضياً فإنك تكافئ البار بمدحه وتعاقب المخطئ. إذن... فهل توجد فيك العدالة أيها الإنسان الفاني، والله ملك الكل الذي لا يتغير، أليس عنده عدالة لمجازيه؟ لا! فإنكارها كفر!

فكر فيما أقول. إن قتلة كثيرين ماتوا في أسرهم غير معاقبين، أين إذن عدل الله؟ فإن لم تكن هناك عدالة ومجازاة بعد هذه الدنيا فأنت تتهم الله بالإثم!

لا تستغرب لتأخير العدالة، فإنه لا يكافأ مصارع أو يُهان حتى تنتهي المباراة، ولا يُكلل قائد المباراة الرجال أثناء كفاحهم، بل ينتظر حتى تنتهي كل المباراة، فيوزع عليهم الجوائز أو أكاليل الزهور. هكذا الله أيضاً: مادام النزاع باقياً في هذا العالم يسعف العادلين ولو جزئياً، لكن بعدئذ يرجع لهم مكافأتهم كاملة.

لماذا يُعاقب منتهكي المقابر؟!

٥. لكن إن كان بحسب تفكيرك لا توجد قيامة للأموات، فلماذا يُحاكم لصوص المقابر؟ لأنه إذا كان الجسم يهلك ولا تكون قيامة. تأمل فيها، فلماذا يُعاقب منتهكو المقابر؟ فأنت ترى ولو أنكرت بشفتيك أنه فيك غريزة بأنه لا غنى عن القيامة!

البذور لا تعيش إن لم تمت!

٦. هل تزهر الشجرة بعد قطعها؟ وهل يزهر الإنسان بعد قطعه أيضاً؟ وهل سيبقى القمح في جرن الدّراس بعد بذارة وحصده؟ (دون أن تُعاد زراعته). هل سيبقى الإنسان بعد حصده من هذا العالم للدّراس؟ هل ترجع أعضاء الكرمة الصغيرة بعد قطعها وشتلها في الحياة، وتعطي ثماراً؟ وهل الإنسان الذي لأجله تعيش كل هذه (مرة أخرى) يقع في الأرض ولا يقوم ثانية؟ أيهما أصعب، صبّ تمثال لم يوجد من قبل، أم إعادة صوغ الذي سقط بنفس شكله؟ إذن هل الله الذي خلقنا من العدم غير قادر أن يقيم هؤلاء الذين عاشوا وسقطوا؟ لكنك وأنت يوناني لا تصدق الأشياء التي كُتبت عن القيامة. إذن تأمل من الطبيعة ذاتها في هذه الأمور وافهمها مما تراه اليوم. فمثلاً يُبذر القمح أو أي نوع آخر من البذور، وإذا تسقط البذرة تموت وتتغفن وحينئذ لا تكون صالحة للأكل، لكن ما تعفّن يطلع في اخضرار، ولو كان صغيراً عند نبتته لكنه يخرج أكثر جمالاً. لكن القمح وجد من أجلنا، لأن القمح وجميع الحبوب لم تُخلق لنفسها بل لفائدتنا. إذن هل تدب الحياة في الأشياء التي عملت من أجلنا عند موتها ونحن الذين صُنعت من أجلنا لا نقوم ثانية بعد موتنا؟!

أمثلة من عالم النبات وعالم الحيوان

٧. في فصل شتاء كما ترى، تقف الأشجار كأنها مائتة. أين أوراق شجرة التين؟ أين عناقيد الكرمة؟ هذه تموت في الشتاء، لكنها تخضر في الربيع! وعندما يأتي إليها الألوان يرجع إليها دبيب الحياة كأنه من حالة موت.

فإذ يعلم الله عدم إيمانك يصنع قيامة سنة وراء أخرى في هذه الأشياء المنظورة، فإذا تلاحظ الأشياء غير الحية ولا العاقلة تؤمن بما يختص بالخلقة الحية العاقلة... أنواع أخرى من الفيران الحية النومة. بعد بقائها بدون حركة أثناء الشتاء ترجع في الصيف... هل الذي يهب المخلوقات الدنيئة غير العاقلة حياة خارقة للطبيعة، أما يقدر أن يمنحنا إياها ذاك الذي صنعها لأجلنا؟!

القيامة والعنقاء^١ عند اليونانيين!

٨. لكن اليونانيين يطلبون قيامة أموات ظاهرة - ويقولون حتى لو قامت هذه المخلوقات فهي لم تتحلل تمامًا - ويطلبون رؤية أي مخلوق يقوم ثانية بعد إضمحلال كامل. لقد علم الله جحود الناس، فهيأ لهذا الغرض طائرًا يدعى العنقاء، وهذا الطائر كما يكتب إكليمنضس وكما يروي كثيرون غيره... أنه يصل إلى أرض المصريين في دورة كل خمسمائة سنة، ممثلًا القيامة لا في الأماكن المهجورة لئلا يبقى حدوث السر غير معروف، لكن خلاقًا لذلك يظهر في مدينة شهيرة حتى يلمس الناس ما هو غير مُصدق. فإنه يعمل لنفسه كفأ من اللبان والمرّ والتوابل الأخرى، ويدخل في هذه بعد نهاية عمره ويموت تمامًا ويضمحل. ثم من لحم الطائر الفاسد تولد دودة، وبعد أن تكبر هذه الدودة تتحول إلى طائر. لا تُكذّب هذا، لأنك ترى ميلاد النحل أيضًا على هذا الأسلوب يتولد من الديدان ومن البيضات التي هي عبارة عن سائل. أرايت الأجنحة والعظام وقوة نشأة الطيور. بعد ذلك تطير العنقاء المذكورة محلقة عاليًا في الهواء بعد أن تكون قد أصبحت طائرًا كبيرًا كامل النمو كالعنقاء السابقة.

إذن أتعطى قيامة من الموت لهذا المخلوق غير العاقل الذي لا يعرف صانعه، ونحن الذين نمجد الله ونحفظ وصاياه لا توهب لنا قيامة؟

لننظر إلى خلقتنا ذاتها

٩. حيث أن العنقاء بعيدة وغير حقيقية، ويُكذب الناس قيامتنا، فإنني أقدم لك دليلًا على القيامة مما تراه كل يوم. منذ مائة سنة (كلنا نحن المتكلمون والسامعون) أين كنا؟! ألا نعلم أساس مادة أجسادنا؟ ألا نعرف كيف وُلدنا من عناصر ضعيفة لا شكل لها، وبسيطة، وكيف كَوّن الإنسان الحي من شيء ضعيف وبسيط؟! وكيف أن هذا العنصر الضعيف وقد صنع جسدًا تغيّر إلى ذي بأس قوي، وعيون لامعة وأذان سامعة، وأنف حساس، ولسان متكلم، وقلب نابض، وأيادٍ عاملة، وأقدام سريعة، وأعضاء من كل نوع؟!!

كيف أن هذا العنصر الذي كان ضعيفًا في وقت ما يصير صانع سفن، وبناء، ومهندسًا معماريًا، وصاحب حرف وفنون مختلفة، وجنديًا، وحاكمًا، وشارع قوانين، وملكًا؟! ألا يقدر الله إذن - الذي صنعنا من مواد ناقصة - أن يقيمنا بعد أن سقطنا في الإضمحلال؟! فالذي يشكل الجسد من شيء حقير ألا يقدر أن يقيم الجسم الساقط أيضًا ثانية؟! والذي يُشكل ما لا يشكل ألا يقيم الكائن الذي سقط؟!...

^١ العنقاء طائر خيالي يؤمن به اليونانيون وبعض الوثنيين. ولقد كان الآباء الأولون يستخدمون مع الوثنيين بعض الأفكار اليونانية لأجل إقناعهم بسهولة الحقائق المسيحية، ليس بمعنى أننا نقبل هذه الأفكار، وإنما لمناسبتها لأفكار الموعوظين الآتين من الوثنية.

الرد على السامريين^١

١١. لننتقل إلى السامريين الذين قبلوا الشريعة فقط ولا يميزون الأنبياء. فالفصل الذي قرئ من حزقيال يبدو لهم بلا قوة، لأنهم كما قلت لا يعترفون بالأنبياء. كيف إذن نقنع السامريين أيضًا؟ لنذهب إلى كلمات الشريعة! يقول الله لموسى: "أنا إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب"، فهو إذن إله من لا وجود لهم. ومتى يقول ملك: أنا ملك جنود غير موجودين؟! أو من يتظاهر بثروة لا يملكها؟! لذلك إبراهيم وإسحق ويعقوب لابد أنهم عائشون حتى أن الله يكون إله من لهم وجود. لأنه لم يقل: "كنت إلههم" بل "أنا إلههم". إنه توجد دينونة، ويظهر ذلك إبراهيم في قوله للرب: "أديان الأرض كلها لا يصنع عدلاً؟" (تك ١٨:

(٢٥)

أمثلة من أسفار الناموس

١٢. لكن يعترض السامريون على هذا أيضًا ويقولون إن نفوس إبراهيم وإسحق ويعقوب مُمكن بقاؤها لكن أجسادهم لا يمكن قيامتها ثانية. فهل كان ممكنًا أن تتحول عصا موسى النقي إلى حية، وغير ممكن أن تحيا أجساد الأتقياء وتقوم ثانية؟ وهل عمل هذا خلًا للطبيعة، وهل لا يعودون هم ثانية بحسب الطبيعة؟! كذلك عصا هرون ولو أنها قُطفت، لكنها ازدهرت بدون رائحة الماء (أي ١٤: ٩). ولو أنها تحت سقف أزهرت أزهارًا كما لو كانت في الحقول، ولو أنها وضعت في مواضع جافة وحملت في ليلة الزهور وأثمر النبات الذي يُسقى سنينًا عديدة، فهل قامت عصا هرون من الموت، وهرون نفسه لا يقوم؟! هل يعمل الله معجزات في الخشب ليضمن له الكهنوت، ولا يتعطف بقيامة هرون نفسه؟

تحوّلت امرأة إلى ملح على خلاف الطبيعة، وتحول جسدها إلى ملح، أفلا يرجع اللحم إلى لحم؟! هل تحولت امرأة لوط إلى عمود ملح وامرأة إبراهيم ألا تقوم ثانية؟! بأية قوة تغيرت يد موسى النبي التي في ساعة صارت كالثلج وعادت ثانية بأمر الله؟! فهل كان أمره يحمل قوة والآن بلا قوة؟!

الخلق أم القيامة

١٣. أيها السامريون المجاهدون، في البدء خرج الإنسان إلى الوجود. ارجعوا إلى أول سفر في الكتاب المقدس الذي تسلمتموه. "وخلق الله الإنسان من تراب الأرض". هل يتحول إلى تراب ولا يرجع إلى لحم ثانية؟! يلزمك أن تسأل أيضًا: متى وُجدت السماء والأرض والبحر والشمس والقمر والنجوم؟ وكيف صُنعت الخليقة التي تطير وتسبح في الماء؟! وكيف خرج من التراب كل ما هو حي؟! هل خرجت من العدم إلى الوجود ونحن البشر الذين على صورة الله ومثاله لا نقوم؟! حقًا هذا الحديث مملوء كفرًا ويدين عديمي الإيمان.

لقد صاحب إبراهيم الرب كديان الأرض كلها بينما متعلمو الشريعة لا يصدقون! إن الإنسان وُجد من التراب، والقارئون لا يصدقون!

لا يقوم الأشرار في يوم الدين

١٤. هذه الأسئلة موجهة إليهم، أما كلمات الأنبياء فهي لنا نحن المؤمنون. لكن مادام البعض الذين

^١ لا يقبل السامريون من الكتاب المقدس إلا الأسفار الخمسة لموسى. وتمتزج عبادتهم بالعبادة الوثنية.

يعلمون بالأنبياء ولا يؤمنون بما هو مكتوب ويجادلون ضدنا، مسيئين فهم ما كُتب بحق: "لذلك لا يقوم الأشرار في الدين" (مز ١: ٥).

حسنًا يليق بنا أن نقابلهم بطريقة سطحية بقدر الإمكان، لأنه إذ قيل إن "الأشرار لا يقومون في يوم الدين". فهذا يظهر أنهم سيقومون في يوم الدين، لأن الله لا يحتاج إلى إمعان نظر طويل إليهم، بل بعد قيام الأشرار في الحال يذهبون إلى عقابهم.

إذا قيل "ليس الأموات يسبحونك يا رب" (مز ١١٥: ١٧). فهذا يُظهر أن هذه الحياة فقط هي الوقت المعين للندم والمغفرة. "والذي يهبط إلى الهاوية ولا يصعد" (أي ٧: ٩). الذين يُسرون بهذه الحياة هم الذين سُسبحون الله. أما الذين ماتوا في الخطايا فلا يبقى لهم وقت أن يسبحوا بعد الموت كالمتمتعين بالبركات. إنما ينوحون على أنفسهم، لأن التسبيح لمن يشكر، والنحيب لمن هو تحت العقاب. لذلك يقوم الاتقياء بالتسبيح، أما الذين ماتوا في الخطايا، فليس لهم وقت للاعتراف (الحمد) بعد ذلك.

أيوب والأنبياء يشهدون للقيامة

١٥. وبخصوص العبارة: "هكذا الذي ينزل إلى الجحيم ولا يصعد". لاحظ ما جاء بعد ذلك. "لا يرجع بعد إلى بيته" (أي ٧: ١٠). ولما كان العالم كله سينتهي، وكل بيت سيخرب، كيف يرجع ثانية إلى بيته عندما تكون أرضًا جديدة مغايرة؟

لكن كان يجب أن يسمعو أيوب يقول: "لأن للشجرة رجاء، إن قطعت تُخلف أيضًا ولا تعدم خراعيها - ولو قدم في الأرض أصلها ومات في التراب جذعها، فمن رائحة الماء تفرخ، وتنبت فروعًا كالغرس - أما الرجل فيموت ويبلى، الإنسان يسلم الروح فأين هو؟" (أي ١٤: ٧-١٠ LXX). إنه يتكلم بعتاب ولوم! يقول: إذا كانت الشجرة تقع ثم تحيا ثانية، ألا يحيا الإنسان مرة ثانية الذي من أجله وُجد الشجر كله؟ ولكي لا تتصور أنه أقحم الكلمات، اقرأ ما يتبع ذلك. يقول: "إن مات رجل فيحيا" (أي ١٤: ١٤)، وحالاً يضيف: "سأنتظر إلى أن أقوم". وفي موضع آخر: "بعد أن يفنى جلدي هذا وبدون جسدي أرى الله" (أي ١٩: ٢٦).

وفي إشعياء: "تحيا أمواتك، تقوم الجثث" (إش ٢٦: ١٩). وفي حزقيال: "ها أنذا افتح قبورك، وأصعدكم من قبورك" (حز ٣٧: ١٢). وفي دانيال: "وكثيرون من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون، هؤلاء إلى الحياة الأبدية وهؤلاء إلى العار والازدراء الأبدي" (دا ١٢: ٢).

أمثلة عملية على قيامة الأموات في العهد

١٦. أناجيل كثيرة تشهد بقيامة الأموات، إذ توجد شهادات كثيرة في هذا الأمر. لكن الآن لمجرد التذكر نقدم تنويهاً عابراً عن قيامة لعازر في اليوم الرابع، ونلمح فقط لضيق الوقت عن قيامة ابن الأرملة. ولكي أذكركم فقط، دعوني أذكر ابنة رئيس المجمع، وتشقق الصخور وقيام كثير من أجساد القديسين الذين رقدوا (مت ٢٧: ٥٢) فقد "فُتحت قبورهم".

لكن بالأحرى كونوا ذاكرين "أن المسيح قام من الأموات" (١ كو ١٥: ٢٠). أتكلم عن إيليا وعن ابن الأرملة الذي أقامه، وعن إليشع الذي أقام ميتاً مرتين: مرة في حياته وأخرى بعد موته.

لأنه في حياته أتم القيامة بنفسه *his soul* (٢ مل ٤: ٣٤). لكن لكي نُكرم ليس فقط نفوس الاتقياء،

بل ولكي يُصدق أنه في أجساد الأتقياء تكمن قوة، فالجثة التي أقيت في قبر إليشع عندما لمست جسد النبي قامت (٢ مل ١٣: ٢١). فصنع جسد النبي الميت فعل النفس. الذي مات ودُفن أعاد الحياة للميت، ولو أن الذي أعطى حياة استمر وسط الأموات. لماذا؟ لئلا إن قام إليشع مرة أخرى فالعمل يُعزى لـ "نفسه" فقط، وإنما ليظهر أنه حتى في غياب "النفس" تسكن فضيلة في أجساد القديسين بسبب النفس التقية التي سكنت به عدة سنين واستعملتها لخدمتها.

فلا تدعونا نكذب بجهل كأن هذه الأشياء لم تحدث. لأنه إن كانت المناديل والعصائب التي من الخارج تلمس أجساد المرضى فيشفون، فما بالك بجسد النبي نفسه يقيم الموتى؟

شهادة الكتاب المقدس عن القيامة

١٧. يمكننا أن نقول الكثير عن هذه الأمثال، موضحين الظروف الفائقة للطبيعة لكل حادثة، لكن لما كنتم مُتعبين من صوم (الاستعداد) المفروض، وبالسهر، فنعتبر ما قيل عنهم كافيًا. هذه الكلمات بُذرت بضعف حتى أنكم كأرض جيدة قبلت البذور. فيمكن تقديم البذور وإكثارها، ولكن اذكروا أن التلاميذ أيضًا أقاموا موتى. فبطرس أقام طابيثا في يافا، وبولس أقام أفتيخس في ترواس (أع ٢٠: ٩)، وهكذا فعل كل التلاميذ الآخرين، ولو أن المعجزات التي صنعها كل واحدٍ لم تكتب جميعها. بعد ذلك تذكروا كل الأقوال في رسالة معلمنا بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس التي كتبها ضدهم، فقال: "كيف يقام الأموات؟ وبأي جسم يأتون؟" (١ كو ١٥: ٣٥) "لأنه إذا كان الموتى لا يقومون، فالمسيح إذن لم يقم" (١ كو ١٥: ١٦)، وكيف أن الذين لم يؤمنوا دعاهم أغبياء، تذكروا كل تعليمه هناك، وما يتعلق بقيامة الأموات، وكيف كتب إلى أهل تسالونيكي (١ تس ١٦: ٤-١٣). "ثم لا أريد أن تجهلوا أيها الإخوة من جهة الراقدين لكي لا تحزنوا كالباقين الذين لا رجاء لهم"، لكن الأهم هو من جهة "الراقدين في المسيح سيقومون أولاً".

سمات الجسد المُقام

١٨. لقد دَوّن هذا خصيصًا، كيف يقول بولس بصراحة: "لأن هذا الفاسد لابد أن يلبس عدم فساد، وهذا المائت يلبس عدم موت" (١ كو ١٥: ٥٣). إذن هذا الجسد سيقوم ويلبس عدم الفساد وبشكلٍ جديد. وكما يمتزج الحديد بالنار ويصبح نازًا، أو الأفضل كما يعرف الرب الذي يقيمنا: هذا الجسد سيقوم، لكنه لن يمكث كما هو الآن.

إنه جسم أبدي. لا يحتاج تغذية لحياته كما هو عليه الآن، ولا إلى درجات لصعوده، لأنه سيكون روحياً. إنه لأمر عجيب لسنا جديرين بالكلام عنه، إذ قيل في إنجيل القديس متى البشير: "حينئذ يضيء الأبرار كالشمس في ملكوت أبيهم" (مت ١٣: ٤٣). "وكالقمر، وكضياء الجلد" (دا ١٢: ٣). فإله العالم بعدم إيمان الناس، أعطى الديدان الصغيرة أن تُخرج من جسمها أشعة من نور حتى أنه مما نرى نصدق ما نتوقعه. لأن الله الذي يعطي الجزء قادر أن يعطي الكل أيضًا. والذي جعل الدودة متألفة بالنور، يجعل بالأحرى الإنسان النقي يضيء.

يشترك الجسد في العمل كما في المكافأة

١٩. سنقوم إذ ذاك كلنا بأجسادنا الأبدية، لكن ليس الكل بأجسادٍ متشابهة، فالإنسان النقي يأخذ جسدًا سماويًا، حتى يتأهل للتحدث مع الملائكة، وأمّا الشرير فيأخذ جسدًا أبدياً مناسباً يتحمل عقوبة الذنوب، فيحترق

إلى الأبد في النار ولا يبيد.

بحق يسمح الله بهذا النصيب للطرفين، لأننا لا نعمل شيئاً بدون الجسد. فنحن نجذف بالفم، وبالفم نصلي. بالجسد نرتكب الزنى، وبه نحفظ العفة. باليد نسرق وباليد نمسح صدقات، وهكذا. الجسد الذي كان خادماً لنا في كل شيء سيشتركنا في المستقبل ثمار الماضي.

لنعتن بأجسادنا إذ هو يخصنا

٢٠. لذلك أيها الإخوة لنعتن بأجسادنا، فلا نسيء استعمالها كأنها ليست لنا. فلا نقول كالهراطقة إن هذا الثوب من الجسد لا يخصنا. لكن لنعتني به إذ هو يخصنا. يجب أن نقدم حساباً لله عن كل الأشياء التي يصنعها الجسد. لا تقل لا يراني أحد. لا تفكر أنه يوجد شاهد على الفعل، وغالباً لا يكون هناك شاهد بشري، لكن الله الذي خلقنا شاهد لا يخطئ "والشاهد في السماء أمين" (مز ٨٩: ٣٧)، يراقب ما نعمله. دنس الخطية يبقى في الجسد، وآثار جروحه تبقى في الكل، ولا تُزال إلا من الذين قبلوا حميم العماد. الجروح السابقة للنفس والجسد يشفيها الله بالعماد. لنحترس لأنفسنا من الخطايا المستقبلية حتى نحفظ الجسد طاهراً. فليس من أجل الزنى والانهماك في الشهوات الجنسية الأخرى لوقتٍ قصيرٍ نضيع خلاص السماوات، لكن نُهب ميراث ملكوت الله الأبدي، الذي نطلب من الله أن يحسبكم جميعاً مستحقين إياه بنعمته.

حفظ قانون الإيمان

٢١. وهكذا توجد براهين كثيرة على قيامة الأموات. والآن دعوني أتلو عليكم قانون الإيمان، وأنتم تتطوقونه بكل اجتهاد بينما أتكلم...

كنيسة جامعة

٢٢. قانون الإيمان الذي نردده يقول: "وبمعمودية واحدة للتوبة لمغفرة الخطايا، وبكنيسة واحدة مقدسة جامعة. وبقِيامة الأموات وحياة الدهر الآتي".

تكلّمت عن العماد والتوبة في المقالات السابقة وفي المقالة الحاضرة تحدثت عن قيامة الجسد، والآن أكمل ما قد تبقى "وبكنيسة واحدة مقدسة جامعة" سنتكلم عنها باختصار، ولو أنه يمكن أن يقال أشياء كثيرة عنها.

جامعة

٢٣. لأنها تمتد في كل العالم... من أقاصي الأرض إلى أقاصيها، ولأنها تعلم تعليمًا شاملاً كاملاً فتقدم كل التعاليم التي يجب أن يعرفها الإنسان بخصوص الأمور المنظورة وغير المنظورة، السماوية والأرضية. ويخضع لها كل جنس الرعاية والرعية، المتعلمون وغير المتعلمين، ولأنها عموماً تعالج وتشفى كل أنواع الخطايا التي أرتكبت بالروح أو الجسد، وتملك فيها كل ما يُسمى تكوين للفضيلة والأعمال والأقوال، وكل نوع من المواهب الروحية.

إكليسيّا أو جماعة

٢٤. بحق دعيت "إكليسيّا" لأنها تدعو كل الناس، وتجمعهم مع بعضهم البعض. كقول الرب في لاويين: "واجمع كل الجماعة إلى باب خيمة الاجتماع" (لا ٨: ٣). وليكن معلوماً أن كلمة "اجمع" استعملت لأول مرة في الكتاب المقدس هنا في الوقت الذي وُضع هارون في رئاسة الكهنة، وفي سفر التثنية أيضاً قال الرب لموسى: "اجمع لي الشعب، فأسمعهم كلامي لكي يتعلموا أن يخافوني" (تث ٤: ١٠).

ويُذكر اسم الكنيسة عندما يتكلم عن لوحَي الشريعة، وعليهما كتبت كل الكلمات التي تكلم بها الرب على الجبل. كأنه يقول بأكثر صراحة: "في اليوم الذي دُعيت فيه من الله واجتمعتم". يقول المرتل داود: "أحمدك في الجماعة الكثيرة. في شعب عظيم أسبحك" (مز ٣٥: ١٨).

رفض اليهود ونشأة الكنيسة

٢٥. ومن القديم يرسم صاحب المزامير: "في الجماعات باركوا الله الرب" (مز ٦٨: ٢٦). لكن بعد أن أُستبعد اليهود من نعمته (بسبب المؤامرات التي فعلوها ضد المسيح) بنى المخلص من الأمم كنيسة ثانية مقدسة، كنيسة نحن المسيحيين، إذ قال لبطرس: "على هذه الصخرة ابني كنيستي، وأبواب الجحيم لم تقوى عليها" (مت ١٦: ١٨).

وتنبأ داود عن الاثنين، فقال في صراحة عن الأولى: "أبغضت جماعة الأئمة" (مز ٢٦: ٥). وأمّا عن الثانية التي بُنيت فيقول "يا رب أحببت محل مسكنك" (مز ٢٦: ٨) وبعدها رأساً يقول: "في الجماعات أبارك الرب" (مز ٢٦: ١٢).

ولما كانت الكنائس في اليهودية قد نُذبت، زادت كنائس المسيح في العالم كله. وعنها يُقال في سفر ملاخي: "ليست لي مسرة بكم، قال رب الجنود، لأنه من مشارق الشمس إلى مغاربها اسمي عظيم بين الأمم" (مل ١: ١٠، ١١). بخصوص هذه الكنيسة المقدسة يكتب بولس لتيموثاوس في رسالته الأولى "فكيف يجب أن تتصرف في بيت الله الذي هو كنيسة الله الحي، عمود الحق وقاعدته" (١ تي ٣: ١٥).

تجنب اجتماعات الهرطقة

٢٦. ولما كانت الكلمة "إكليسيا" أي الكنيسة قد استعملت بمعانٍ مختلفة (كما كتبت عن الحشد في مسرح الأفسسيين) "ولما قال هذا صرف الجمع" (١ تي ٣: ١٥)، ولئلا يقول أحد بالحق إن هناك كنيسة أشرار، أعني اجتماع الهرطقة المانيين وأتباع مرقيون وغيرهم. لهذا السبب أسلم لك في أمان القول "بكنيسة واحدة مقدسة جامعة" حتى تتجنب اجتماعاتهم التعسة، وتستمر على الدوام مع الكنيسة المقدسة الجامعة التي وُلدت فيها. وإن حللت في مدن لا تسأل ببساطة أين "بيت الرب" (لأن طوائف الملحدين يحاولون أيضاً أن يُسمّوا أوكارهم ببيوت الرب)، ولا تسأل فقط "أين الكنيسة"، بل "أين الكنيسة الجامعة". لأن هذا هو الاسم الخاص لهذه الكنيسة المقدسة أمناً جميعاً. عروس السيد المسيح ابن الله الوحيد. لأنه مكتوب: "وكما أحبّ المسيح الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها" (أف ٥: ٢٥). وهي صورة ونسخة من أورشليم السمائية التي هي "أمناً جميعاً، وهي حرة" (غل ٤: ٢٦). التي كانت من قبل عاقراً وأصبح لها أولاد كثيرون الآن.

غنى الكنيسة الجامعة

٢٧. لما طُرِدَت الكنيسة الأولى (اليهودية)، ففي الثانية أقام الله بنفسه الكنيسة الجامعة ما قاله بولس "أولاً: رسلاً، ثانياً: أنبياء، ثالثاً: معلمين ثم قوات، وبعد ذلك مواهب شفاء. أعواناً، تدابير، وأنواع ألْسنة" (١ كو ١٢: ٢٨). وفيها كل أنواع الفضائل، أعني الحكمة والفهم، والاعتدال والعدل والرحمة والمحبة المترفقة، والصبر الذي لا يُقهر في الاضطهادات. إنها "بسلاح البرّ لليمين واليسار، بمجدٍ وهوانٍ" (٢ كو ٨: ٦-٧).

في الأيام السالفة وسط الاضطهادات والمحن تَوَجَّ الشهداء القديسون بأكاليل الصبر المزهرة المختلفة. والآن في وقت السلام بنعمة الله قبلت كجسدها الجدير بها من الملوك والذين هم في منصب (١ تي ٢: ٢)، ومن كل نوع وقراية من الناس. وبينما انتهى سلطان ملوك الأمم في الكنيسة المقدسة الجامعة وحدها، تمتد قوتها

(الروحية) بلا حدود في كل العالم، لأن الله - كما هو مكتوب - جعلها ملجأً سلام.
إن أردت أن أتكلّم عن كل الأشياء المتعلقة بها احتاج لساعاتٍ طويلة.

الحياة الأبدية

٢٨. في هذه الكنيسة المقدسة الجامعة نتقبل التعليم ونسلك بتقوى لننال ملكوت السماوات ونرث الحياة الأبدية، لذلك أيضاً نحتمل كل الأتعاب، حتى نكون شركاء مع الرب. لأن قصدنا ليس بالأمر التافه، إنما نسعى للحياة الأبدية. ففي قانون الإيمان بعد الحديث عن قيامة الأموات (التي تحدثنا عنها) تعلمنا أن نؤمن أيضاً بالحياة الأبدية التي نجاهد لها كمسيحيين.

مصدر الحياة الأبدية

٢٩. الآب هو الحياة الحقيقية، الذي يغدق عطاياه السماوية على الكل كأنها من ينبوعٍ خلال الابن في الروح القدس. وفي محبته للبشر وعدنا ببركات الحياة الأبدية بدون فشل من جانبنا. يجب ألاّ نجد هذه الإمكانية، لكن لنا عين ترى، ليس ضعفنا، بل قوته "لأن كل شيء مستطاع عند الله". ولما كان هذا ممكناً، ويجب أن ننظر إلى الحياة الأبدية كما يوضح دانيال ذلك: "الذي ردوا كثيرين إلى البرّ كالكواكب إلى أبد الدهور" (دا ١٢: ٣). ويقول بولس: "وهكذا نكون كل حين مع الرب" (١ تس ٤: ١٧)، لأن وجودنا دائماً مع الرب هو الحياة الأبدية. لكن الأكثر صراحة قول المخلص: "فيمضي هؤلاء إلى عذابٍ أبديّ، والأبرار إلى حياة أبدية" (مت ٢٥: ٤٦).

كيف نربح الحياة الأبدية؟

٣٠. كثيرة هي البراهين التي تخص الحياة الأبدية. عندما نرغب في أن نربح الحياة الأبدية، يوحى لنا الإنجيل المقدس بطرق ربحها. ولكي لا يطول حديثنا نبسط أمامكم شهادات قليلة، ونترك الباقي لبحث المجتهدين. فبعض النصوص تصرح مرة أنها بالإيمان، إذ مكتوب: "الذي يؤمن بالابن له حياة أبدية" (يو ٣: ٣٦). ويقول أيضاً: "الحق أقول لكم أن من يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني فله حياة أبدية" (يو ٥: ٢٤). مرة أخرى نقول بشارة الإنجيل: "والحاصد يأخذ أجرة، ويجمع ثمراً للحياة الأبدية" (لو ٤: ٣٦)، مرة أخرى بالاستشهاد والاعتراف باسم المسيح "من يكره نفسه في هذا العالم يحفظها لحياة أبدية" (مر ٧: ٢٥). وأيضاً بتفضيل المسيح على المال والأقارب "كل من ترك بيوتاً أو إخوة أو أباً أو أمّاً أو امرأة أو أولاداً أو حقولاً من أجل اسمي يأخذ مائة ضعف ويرث الحياة الأبدية" (مت ١٩: ٢٩). وبالأكثر يكون بحفظ الوصايا "لا تزن لا تقتل..." كما أجاب الذي أتى إليه، وقال يا معلم "ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية" (مر ١٠: ١٧). وأيضاً بترك الأعمال الشريرة، وهكذا نخدم الله، إذ يقول معلمنا بولس: "الآن إن أعترقتم من الخطية وصرتم عبيداً لله فلكم ثمركم للقداسة والنهاية للحياة الأبدية" (رو ٦: ٢٢).

أبواب كثيرة بها ندخل الحياة الأبدية

٣١. كثيرة هي طرق الحياة الأبدية، لأن الرب في محبته المترفة فتح لا باباً واحداً ولا اثنين لكن أبواباً كثيرة بها ندخل الحياة الأبدية، حتى يمكن أن يتمتع بها الكل دون عائق...

التمتع بالأسرار الكنسية

٣٢. والآن أيها الإخوة المحبوبون تعظكم كلمة الإرشاد لنُعد نفوسكم لاستقبال النعم السماوية الخاصة

بالإيمان المقدس الرسولي المسلم لكم للاعتراف. فقد تكلمنا بنعمة الرب في مقالات كثيرة على قدر ما أمكن في الأيام الماضية للصوم الكبير، ليس لأن هذا هو ما كان يجب أن نقوله، إذ كثيرة هي النقاط التي حُذفت، والتي في استطاعة معلّمين ممتازين تقديمها.

لكن عيد الفصح المقدس قريب، وأنت يا حبيب المسيح يجب أن تستنير "بحميم الميلاد"، وستتعلم ثانيًا (إن أراد الرب) ما هو ضروري وبأية عبادة وترتيب عظيم ما يجب أن تفعلوا، عندما تستعدون بقصد إتمام أحد الأسرار المقدسة أي العماد، وبأي احترام وترتيب يجب أن تذهبوا إلى مذبج الله المقدس وتتمتعوا بأسراره الروحية السماوية، حتى إذا استنارت نفوسكم بكلمة التعليم يمكنكم أن تكتشفوا في كل شيء عظمة النعم المغدقة عيكم من الله.

الحاجة إلى عظات عن الأسرار

٣٣. وبعد يوم عيد القيامة المقدس الذي للخلاص ستأتون يومًا بالتتابع مبتدئين باستماع مقالات أخرى تتعلمون فيها أسباب كل شيء عمل، وتأخذون البراهين من العهدين القديم والجديد. أولاً: الأشياء التي تُعمل قبل العماد مباشرة، ثانيًا: كيف تطهرتم من خطاياكم بالرب؟ "بغسيل الماء بالكلمة" (أف ٥: ٢٦). وكيف صرتم شركاء في اسم المسيح مثل الكهنة، وكيف أُعطيتم ختم شركة الروح القدس؟ وبخصوص أسرار مذبج العهد الجديد التي ابتدأت من هذا المكان، ما سلّمه لنا الإنجيل المقدس، وما هي قوة هذه الأسرار؟ وكيف يجب الاقتراب منها؟ وكيف ومتى نتناولها؟ وفي آخر الكل، كيف في الزمن الآتي يجب أن تسلكوا كما يليق بهذه النعمة من جهة الكلمات والأعمال، حتى يمكنكم كلكم أن تتمتعوا بالحياة الأبدية؟ كل هذه الأمور ستقال إن شاءت مسرة الرب.

الاستنارة بالعماد

٣٤. أخيرًا يا إخوتي افرحوا في الرب كل حين، وأقول أيضًا افرحوا لأن خلاصكم يقترب، وطغمت الملائكة السماوية تنتظر خلاصكم، والآن صوت صارخ في البرية أعدوا طريق الرب (إش ٦٠: ٣). ويصرخ النبي: "أيها العطاش هلموا جميعًا إلى المياه". وبعدها فورًا "استمعوا لي وكلوا الطيب ولتلتذذ بالدسم أنفسكم" (إش ٥٥: ١-٢). وفي برهة قصيرة ستستمعون هذا الدرس الممتاز القائل: "قومي استنيري لأنه قد جاء نورك" (إش ٦٠: ١)، وعن أورشليم هذه قال النبي: "بعد ذلك تُدعين مدينة العدل القرية الأمانة صهيون" (إش ١: ٢٦) و"لأنه من صهيون تخرج الشريعة، ومن أورشليم كلمة الرب" (إش ٢: ٣)، الكلمة التي وزعت بسخاء على العالم أجمع. وما يقوله النبي أيضًا بخصوصكم: "ارفعي عينيك حواليك وانظري. بنوك قد اجتمعوا إليك" (إش ٤٩: ١٨)، وهي تجيب قائلة: "من هؤلاء الطائرون كالسحاب وكالحمام إلى بيوتها؟" (إش ٦٠: ٨)، سحاب لطبيعتها الروحية، وحمّام لطهارتها.

وتقول ثانية: "هل تمخض بلاد في يوم واحد، أو تولد أمة دفعة واحدة؟ فقد تمخضت صهيون بل ولدت بنيتها" (إش ٦٦: ٨). وكل الأشياء تمتلئ بفرح لا ينطق به، لأن الرب قال: "هأنذا خالق أورشليم بهجة وشعبها فرحًا" (إش ٦٥: ١٨).

مبارك هو الله!

٣٥. نرجو أن تُقال هذه الكلمات أيضًا لكم: "ترنمي أيتها السماوات، وابتهجي أيتها الأرض، لأن الرب قد عزى شعبه وعلى بئسيه يترحم" (إش ٤٩: ١٣). وسيحدث هذا من شفقة الرب المحبة القائل لكم: "قد محوت

كغيم ذنوبك، وكسحابة خطاياك" (إش ٤٤ : ٢٢).

وأنتم الذين حُسِبتم جديرين باسم المؤمنين، الذي عنكم كُتِب: "ويسمي عبيدي اسمًا جديدًا يتبارك في الأرض" (إش ٦٥ : ١٥). ستقولون بفرح: "مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح الذي باركنا بكل بركة روحية في السماويات في المسيح" (أف ١ : ٣). "الذي فيه الفداء لنا بدمه لغفران خطايانا التي أجزلها لنا بكل حكمة وفطنة" (أف ١ : ٧، ٨) ... "الله الذي هو غني في الرحمة من أجل محبته الكثيرة التي أحبنا بها. ونحن أموات بالخطايا أحيانًا مع المسيح" (أف ٢ : ٤).

وفي مثل هذا تسبحون الرب على كل الأشياء الطيبة، قائلين: "ولكن حين ظهر لطف مخلصنا الله وإحساناته. لا بأعمال في برٍّ عملناها نحن، بل بمقتضى رحمته خلصنا بغسل الميلاد الثاني وتجديد الروح القدس. الذي سكبته بغنى علينا بيسوع المسيح مخلصنا، حتى إذا تبررنا بنعمته نصير ورثة حسب رجاء الحياة الأبدية" (تي ٣ : ٤).

ونرجو الله أبا ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح أبو المجد "أن يعطيكم روح الحكمة والإعلان في معرفته، مستنيرة عيونكم وأذهانكم" وأرجو أن يحفظكم في أعمال وأقوال وأفكار مقدسة.

الذي له المجد والكرامة والقوة في ربنا يسوع المسيح مع الروح القدس، من الآن وإلى دهر الدهور.

آمين.

الباب الثالث

كيرلس الأورشليمي

٣

مقالاته عن الأسرار

(المعمودية. سرّ الميرون. ليتورجيا الإفخارستيا)

المقال التاسع عشر^١

الأسرار (١)

المعمودية

مع درس من رسالة بطرس الأولى: "تعتلوا واصحوا" ... (إلى آخر الرسالة)

فاعلية عمادكم

١. كنت من زمن بعيد أرغب أن أعظكم بخصوص هذه الأسرار السماوية والروحانية، أيها الأولاد الحقيقيون الأعزاء، لكن حيث علمت جيدًا أن الرؤية أكثر إقناعًا من السمع، فقد انتظرت إلى الوقت الحاضر. فإذا أجدكم مفتوحين الذهن تتأثرون بكلماتي بسبب خبرتكم الحالية "فأقودكم" بيدكم إلى روضة الفردوس المنيرة الذكية التي أمامنا. خصوصًا وقد جعلتم متأهلين لتناول الأسرار المقدسة بعد أن وجدتكم جديرين بالعماد المقدس المعطى للحياة. وحيث ينبغي أن نبسط أمامكم مائدة من أكمل التعاليم، فدعوني أعلمكم هذه الأشياء بتدقيق حتى تعلموا بفاعلية ما قد عمل لكم مساء عمادكم.

كأنكم أمام الشيطان تجدونه

٢. فأولاً دخلتم دهليز المعمودية، وهناك اتجهتم نحو الغرب، وأنصتتم للأمر ببسط أيديكم، وكأنكم أمام الشيطان تجدونه. يجب أن تعلموا أن هذه الصورة وجدت في العهد القديم. فإن فرعون ذلك الظالم القاسي المرّ مضطهد لشعب العبرانيين الحر الأصيل، وأرسل الله موسى ليخرجهم من العبودية المكروهة، حينئذ مسحوا قوائم الأبواب بدم حمل، حتى هرب المهلك من البيوت التي عليها علامة الدم. ونجا العبرانيون بمعجزة، فتبعهم العدو بعد نجاتهم ونظروا البحر ينشطر لهم، ومع ذلك تقدم تابعًا خطواتهم وفي الحال غرقوا في البحر الأحمر.

بين الخروج والعماد

٣. ولننتقل من القديم إلى الجديد، من الرمز إلى الحقيقة، فهناك أُرسِل موسى من الله لمصر. هنا أُرسل الله ابنه الوحيد يسوع المسيح إلى العالم.

هناك يقود موسى شعبًا مضطهدًا ويخرجهم من مصر. وهنا يُخلص المسيح الذين ظلموا في العالم بالخطية.

هناك دم حمل بمثابة التعويذة ضد المهلك. وهنا دم الحمل الذي بلا عيب يسوع المسيح يُرعب الأرواح الشريرة.

هناك كان الظالم يتبع الشعب القديم حتى إلى البحر. وهنا الروح الحاسد الشائن أصل الشر يتبعكم حتى ينابيع الخلاص. الظالم القديم غرق في البحر. وهذا الحاضر يتبعكم في مياه الخلاص ويختفي فيها.

أجحدك أيها الشيطان

٤. مع ذلك تأمرون بالقول بذراع ممدودة نحوه كأنه حاضر "أجحدك أيها الشيطان" أريد أن أقول إنكم تقفون مواجهين الغرب، لأنه ضروري مادام الغرب منطقة الظلام المحسوس. ولما كان هو في الظلام، فسيطرت

^١ ترجمة السيدة يان جرجس فيلوثاؤس.

هي في الظلام. لذلك تنتظرون إلى الغرب بمعنى رمزي، تجحدون ذلك المسيطر المظلم الكئيب.

فماذا إذن؟ كل منكم وقف وقال "أجحدك أيها الشيطان" أيها الظالم القاسي الشرير، بمعنى إنني لا أخاف قوتك بعد الآن لأن المسيح قد قهرك، إذ شاركني في اللحم والدم، وبالموت داس الموت، حتى لا أكون تحت العبودية إلى الأبد.

"أجحدك" أيتها الحية الخبيثة الماكرة. "أجحدك" بمؤامراتك تحت قناع الصداقة، إذ اخترعت كل مخالفة وكل عمل مارق لأبويننا الأولين.

"أجحدك أيها الشيطان" الصانع لكل سوء والمعرض عليه.

وكل أعمالك

٥. وفي عبارة ثانية تتعلم أن تقول "وكل أعمالك" فكل أعمال الشيطان خطية، يجب أن تتبذرها كإنسان هرب من الظالم ومن أسلحته أيضًا بالتأكيد. فكل الخطايا بجميع أنواعها تدخل في أعمال الشيطان. اعلم هذا فقط أن كل ما نقوله في هذه الساعة الرائعة يُكتب في كتب الله. فإذا صنعت شيئًا بعكس هذه المواعيد تُحاكم كمخالف. إذا فقد نبذت أفعال الشيطان، أعني كل الأعمال والأفكار ضد التعقل.

وكل قوتك

٦. ثم تقول: "وكل قوتك" والآن كل قوة الشيطان هي جنون المسارح وسباق الخيل والصيد وكل أمثال هذا الباطل، الذي يطلب القديس من الله أن ينقذه منها، فيقول: "حول عيني عن النظر إلى الباطل".^١ لا تسروا أيها الأحباء بجنون المسارح. حيث تشاهد الإشارات العابثة للاعبين، مصحوبة بالاستهزاء وبما لا يليق، ورقص الرجال المخنثين الموهوس. وفي جنونهم في الصيد يعرضون أنفسهم للحيوانات المتوحشة حتى يُشبعوا هواياتهم التعسة. والذين لكي يشبعوا بطونهم من اللحم يصبحون حقًا لحمًا لبطون الوحوش.

ولنتكلم بالعدل من أجل إلههم (بطونهم)، فيرمون حياتهم بتهور في منافسات فردية. تحاشى أيضًا سباق الخيل المدمر للنفس بمنظره الجنوني. فكل هذه قوة الشيطان!

أطعمة باسم الشيطان

٧. علاوة على ذلك الأشياء المعلقة في ميدان ومهرجان الأصنام. أما اللحم أو الخبز أو الأشياء الأخرى النجسة بتلوات الأرواح النجسة تحسب في سلطان الشيطان.

لأن الخبز والخمر للمتاولين قبل سرّ حلول الثالوث القدوس كانا خبرًا وخمرًا عاديين بينما بعد الحلول يصير الخبز جسد المسيح، وهكذا في مثل هذه الأحوال. هذه الأطعمة تخص "قوة الشيطان" ولو أنها بسيطة في طبيعتها لكنها تصير دنيوية بتلوات روح الشر.

وكل خدماتك

٨. بعد هذا نقول "وكل خدماتك"، فخدمات الشيطان هي الصلاة في هياكل الأصنام والأشياء التي تعمل لإكرام الأصنام التي بلا حياة: إيقاد المصابيح أو إحراق البخور بجانب الأنهار والينابيع، أو كما يُخدع بعض الأشخاص بالأحلام أو بالأرواح الشريرة. (يتعهدون بهذا) ظانين أنهم يجدون دواء حتى لعلهم الجسدية.

لا تذهب وراء هذه الأشياء: مراقبة الطيور (التطير)، أو علم الغيب، أو الفأل، أو الأحجية أو السحر

^١ مز ١١٩ - ٣٧ (بيروتى) في الترجمة القبطية "أرد عيني لئلا تعاين الأباطيل".

المكتوب على أوراق الشجر، أو التجيم، أو أي فن شرير... الكل من خدمات الشيطان، لذا تجنبهم. لأن بعد جدد الشيطان وشركتك مع المسيح، إن سقطت تحت تأثيرهم، ستجد الظالم أشد مرارة. لأنه عاملك في الماضي كأنك ملكه وأراحك من عبوديته القاسية. لكنه الآن وقد أثار حنقه عليك، وهكذا تُمنع من المسيح وتجرب من الآخر. ألم تسمع بالتاريخ القديم الذي يخبرنا عن لوط وبناته؟ عندما وصل إلى الجبل بينما تحولت زوجته إلى عمود ملح، واقفة كالتمثال إلى الأبد تذكيرًا لإرادتها الفاسدة واستدارتها للوراء. لذلك خذ حذرًا لنفسك، "لا تلتفت إلى ما وراء" (في ٢: ١٣) مادمت قد وضعت يدك على المحراث. لا تلتفت إلى الوراء لطعم الملح في أمور هذه الحياة. لكن اهرب إلى الجبل للمسيح يسوع، الحجر الذي لم يُنحت بأيادٍ، الذي ملأ العالم.

التحول من الغرب إلى الشرق

٩. لذلك عندما جددت الشيطان وكسرت كل عهودك معه. (هذا الميثاق القديم مع الهاوية إش ٢٨: ١٥) هناك انفتح لك باب فردوس الله الذي زرعه نحو الشرق، حيث طُرد أبونا الأول لتعديهِ. ويرمز لهذا بالتحول من الغرب إلى الشرق إلى مكان النور، حينئذ أُخبرت أن تقول: "أؤمن بالآب والابن والروح القدس، وبعمودية واحدة لمغفرة الخطايا".

خلعتم الإنسان العتيق وستحفظون اليوم المقدس

١٠. أما الآن وقد تحصنت بهذه المقالات، فتعقل "لأن إبليس خصمنا" كما قُرى الآن "كأسد زائر يجول ملتمسًا من يبتلعه". ولو أن الموت كان في الأزمنة الماضية قويًا ومبيدًا، ففي غسل الميلاد المقدس "يمسح السيد الرب الدموع عن كل الوجوه" (إش ٣٥: ١٥). لأنكم لن تتوحوا بعد إذ خلعتم الإنسان العتيق وستحفظون اليوم المقدس. "قد ألبسني لباس الخلاص" حتى يسوع المسيح.

إعلان عن المقالات القادمة

١١. كل هذه الأمور عُمِلت في الحجرة الخارجية. لكن إذا أراد الله في المقالات المتتالية عن الأسرار لما دخلنا إلى قدس الأقداس، سنتعلم معنى الأمور التي تمت هناك. ولنقدم إلى الله الآب والابن والروح القدس المجد والعظمة إلى أبد الأبدين آمين.

المقال العشرون^١

الأسرار (٢)

العماد

"أم تجهلون أننا كل من اعتمد ليسوع المسيح، اعتمدنا لموته.
لأنكم لستم تحت الناموس بل تحت النعمة" (رو ٤ : ٣، ١٤).

١. هذه المقدمات الطويلة في الأسرار والتعاليم الجديدة، التي هي إعلان الحق الجديد نافعة لنا، وبالأحرى لكم أنتم الذين تجدتم من حال قديم إلى حال جديد. لذلك فمن الضروري أن أبسط أمامكم ملحق لمقال الأمس، حتى تتعلموا الأمور (التي علمت لكم في الحجرة الداخلية) وما تحمله من معانٍ.

خلع الثياب

٢. حالما تدخلون وتخلعون ثيابكم وهذه صورة "خلع الإنسان العتيق مع أعماله"، خلعتكم وصرتم عرايا. وفي هذا نتشبه بالمسيح الذي عُري على الصليب، إذ بعُرِيَ "جَرَدَ الرياسات والسلاطين أشهرهم جهازًا ظافرًا بهم فيه" (كو ٢ : ١٥).

إذ أن القوات الشريرة سكنت في أعضائكم، فلا تلبس هذا الثوب فيما بعد. لا أعني هذا الثوب المنظور، لكن "الإنسان العتيق الفاسد بحسب شهوات الغرور".

نرجو أن النفس التي خلعتكم، لا تخلعه ثانيًا أبدًا. لكن نقول مع عروس المسيح في نشيد الأناشيد "خلعت ثوبي فكيف ألبسه؟" (نش ٥ : ٣)

شيء عجيب! هل كنتم عرايا أمام الجميع ولا تخجلوا. لأنه حقًا أشبهتم آدم أول الخليفة. الذي كان عريانًا في الفردوس ولا يخجل.

مُسحتم بالزيت المصلى عليه

٣. ثم عندما خلعتكم ثيابكم مُسحتم بالزيت المصلى عليه، من شعر رؤوسكم إلى أقدامكم، وصرتم شركاء في الزيتون المقدسة بيسوع المسيح. إذ قطعتم من الزيتون البرية، وطُعُمتُم في الشجرة المقدسة، وأصبحتُم شركاء في دهن الزيتون الحقيقية، فقد أصبح هذا لتلاوة تطرد كل أثر لسلطان الشر، كما أن نفخات القديسين واستدعاء اسم الله تحرق الشياطين كاللهب المضطرم وتطردهم.

وهكذا أيضًا هذا الزيت المقدس يأخذ قوة بالتوسل إلى الله والصلاة حتى أنه يحرق الخطية وينظف آثارها، كما يطرد كل القوات الشريرة غير المنظورة.

العماد بالتغطيس

٤. بعد هذه الأشياء أقتديتم للبركة (الجرن) المقدسة للعماد الإلهي، كما حُمِلَ المسيح من الصليب إلى القبر الذي هو أمام عيونكم. لقد سُئِلَ كل منكم هل يؤمن باسم الآب والابن والروح القدس وتمتم هذا الاعتراف الخلاصي. ونزلتم ثلاث مرات في الماء، وصعدتم ثانيًا. هنا أيضًا تشيرون برمز للثلاثة أيام التي دفن فيها

^١ ترجمة السيدة يان جرجس فليوثاوس.

المسيح. لأنه كما قضى مخلصنا ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ في قلب الأرض، هكذا أنتم أيضًا في أول صعودكم تقتدون اليوم بالمسيح في الأرض.

بنزولكم تمثلون الليل، لأنه كما في الليل لا يرى الإنسان مطلقًا، لكن من في النهار يبقى في النور؛ لم تروا شيئًا. وهكذا كما في النزول كما في الليل لم تروا شيئًا. لكن في الصعود ثانية كنتم كمن بالنهار. وفي نفس اللحظة كنتم تموتون وتولدون، وأن مياه الخلاص كانت قبركم وأمكم في وقت واحد. وما قاله سليمان عن الآخرين يناسبكم أيضًا، إذ قال: "للولادة وقت وللموت وقت" (جا ٣: ٢)، لكن بالنسبة لكم كان الأمر مختلفًا. كان الوقت لمتوتوا، والوقت لتولدوا. لكن الآن يتم الأمران معًا في وقت واحد، إذ سارت ولادتكم جنبًا إلى جنب مع موتكم.

الموت مع الرب

٥. أمر عجيب لا يدركه عقل! حقًا لم تمت ولم تُدفن. لم تُصلب ولم تقم ثانيًا. لكن حدث هذا لنا في مثال الرب، وصار خلاصنا حقيقة. صُلب المسيح فعلاً وُدُن فعلاً. وقام حقًا/ وكل هذه الأشياء انعم بها بسخاء علينا، حتى أننا نشترك في آلامه، ونريح خلاصًا في الحقيقة. يا للمحبة المترفة المتجاوزة كل حدٍ. أخذ المسيح مسامير في يديه الطاهرتين وقدميه وتعذب بالألم، بينما بدون ألم وتعب وبسخاء أصبح على الخلاص بشركة آلامه.

نعم العمداد

٦. فلا يظن أحد أن العمداد لنعمة مغفرة الخطايا فقط أو بالأحرى للتبني. فعمداد يوحنا كان يهب مغفرة الخطايا، أما نحن كما نعلم تمام العلم أن العمداد كما يطهر خطايانا ويُقدم لنا موهبة الروح القدس، فهو أيضًا يحمل مشاركة في آلام المسيح. لهذا السبب يصرخ بولس عاليًا: "أم تجهلون إنما كل من اعتمد ليسوع المسيح اعتمدنا لموته، فدُفنا معه بالمعمودية للموت" (رو ٦: ٣). هذه الكلمات قيلت لبعض الذين فكروا أن العمداد يخدمنا لمغفرة الخطايا وللتبني فقط وليس للشركة والامتثال بآلام المسيح الحقيقية.

مشاركة في آلام المسيح

٧. لذلك لكي نتعلم أنه مهما احتمل المسيح من أجلنا ومن أجل خلاصنا، فقد تألم حقًا وليس خيالًا، وأننا صرنا شركاء في آلامه، صرخ بولس بكل قوته وبكل إتقان الحق: "لأنه إن كنا قد صرنا متحدين معه بشبه موته، نصير أيضًا بقيامته" (رو ٦: ٥).

حسنًا قال: "متّحدين معه"، إذ أنه مادامت الكرمة الحقيقية قد زُرعت في هذا المكان، فنحن أيضًا بالمشاركة في عماد الموت، كنا مزروعين معه.

ثبت عقلك بانتباه كثير على كلمات الرسول فإنه لم يقل: "لو كنا قد زُرعنا معه بموته" لكن "بشبه موته"، لأنه في حالة المسيح كان موتًا حقيقيًا، لأن نفسه انفصلت عن جسده. ودفن حقًا، لأن جسده المقدس أُف بكتان نقي، وكل شيء حدث حقًا له. لكن في حالتكم كان شبه موت وآلام فقط، لكن تم الخلاص لا في تشبيه بل حقيقة.

أحفظوا التعاليم في ذاكرتكم

٨. أما وقد تعلمنا بما فيه الكفاية عن هذه الأمور أحفظوها في ذاكرتكم. ولو إنني غير مستحق أن أقول إنني أحبكم، لأنكم تذكروني دائمًا وقد ثبتم في التقاليد التي سلمتها

إليكم.

والله الذي أخرجكم من عداد الموتى، قادر أن يمنحكم القوة لتسيروا في تجديد الحياة...
لأن له المجد والقوة من الآن وإلى الأبد. آمين.

المقال الحادي والعشرون^١

الأسرار (٣)

المسحة

"وأما أنتم فلکم مسحة من القدوس وتعلمون كل شيء حتى إذا أظهر يكون لنا ثقة ولا نخجل منه في مجيئه" (١ يو ٢ : ٢٠)

قبلتم مسحة المسيح

١. إذ قد "اعمدتم في المسيح، ولبستم المسيح" (غل ٣ : ٢٧)، أصبحتم على مثال صورة المسيح ابن الله، "لأن الله سبق فعيننا للتبني" (أف ١ : ٥).
"جعلنا لنكون على صورة جسد مجده" (في ٣ : ٢١)، حيث أننا نصبح "شركاء المسيح" (عب ٣ : ١٤).
ويحق دُعيتكم للمسيح، وعنكم قال الله: "لا تمسوا مسحائي، ولا تسيئوا إلى أنبيائي" (مز ١٠٥ : ١٥).
جُعِلْتُمْ مسحاء بقبولكم ختم الروح القدس. وكل الأشياء عُمِلَتْ فيكم امتثالاً (بالمسيح)، لأنكم صورة المسيح. هو اغتسل في نهر الأردن ونشر معرفة ألوهيته في الماء، وصعد منه وأضاء عليه الروح القدس في تمام وجوده، وحلّ كذلك عليه. ولكم أنتم فشبه ذلك بعد أن صعدتم من بركة المياه المقدسة صار لكم دهن شبه الذي مُسَحَ به المسيح. وهذا هو الروح القدس الذي قال عنه المطوّب إشعياء في نبوته عن شخص الرب: "روح السيد الرب عليّ، لأن الرب مسحني" (إش ٦١ : ١).

مسحه بالروح القدس

٢. لأن المسيح لم يمسحه إنسان بزيتٍ أو دهنٍ مادي، لكن الآب عينه من قبل ليكون مخلصاً للعالم أجمع، مسحه بالروح القدس، كما قال بطرس: "يسوع الذي من الناصرة، كيف مسحه الله بالروح القدس" (أع ١٠ : ٨).

صرخ داود النبي أيضاً قائلاً: "كرسيك يا الله إلى دهر الدهور، قضيب استقامة قضيب ملكك. أحبيت البرّ وأبغضت الإثم، لذلك مسحك الله إلهك بدهن الابتهاج أكثر من رفائك" (مز ٤٥ : ٦، ٧).
وإذ صُلب المسيح ودُفِنَ وقام حقاً، أنتم في العماد حُسِبْتُمْ جديرين أن تُصَلَّبُوا وتُدْفَنُوا وتقوموا معه على مثاله، هكذا في المسحة أيضاً. وكما مُسَحَ بزيت مثالي "زيت الابتهاج"، لأنه منشئ الفرح الروحي، هكذا أنتم مُسَحْتُمْ بدهن، إذ أصبحتم شركاء للمسيح وأتباعه.

بالدهن المنظور تُقدس نفسك بالروح القدس المحيي

٣. لكن احذروا أيضاً لئلا تظنوه دهنًا بسيطًا، لأنه كما في خبز الإفخارستيا بعد حلول الروح القدس لا يصير خبزًا عاديًا بعد، بل جسد المسيح، هكذا هذا الدهن لا يكون دهنًا بسيطًا أو عاديًا بعد الصلاة، لكن هي موهبة المسيح بالنعمة وبحلول الروح القدس أصبح لائقًا لمنح طبيعته الإلهية.
بهذا الدهن مُسَحْتُمْ رمزياً على جبهتكم وحواصك الأخرى. وإذ يرشم جسّدك بالدهن المنظور تُقدس نفسك بالروح القدس واهب الحياة.

^١ ترجمة السيدة يان جرجس فليوثاؤس

بالمسحة السرية لبستم كل سلاح الروح القدس

٤. رُشمت على الجبهة كأنك تتخلص من العار الذي حمله الإنسان الأول معه في كل مكان، وأنه بوجهه مكتشف كما في مرآة ناظرين مجد الرب" (٢ كو ٣: ١٨). ثم على آذانك حتى تتقبل الأذان سريعاً سماع الأسرار الإلهية التي قال عنها إشعياء النبي: "أعطاني الرب أذناً للسمع" (إش ١: ٤). وقال سيدنا الرب يسوع المسيح: "من له أذنان للسمع فليسمع" (مت ١١: ١٥؛ مت ١٣: ٩). ثم على الأنف حيث تتقبل الدهن المقدس، فيمكنك أن تقول: "لأننا رائحة المسيح الذكية لله في الذين يخلصون" (٢ كو ٢: ١٥). بعد ذلك على صدرك حيث "قد لبستم درع البر" (أف ٦: ١٤)، حتى تقدر أن تثبتوا ضد مكايد إبليس" (أف ٦: ١١).
لأن المسيح بعد عماده وحلول الروح القدس ذهب وغلب الشرير، هكذا أنتم أيضاً بعد العماد المقدس والمسحة السرية، إذ لبستم كل سلاح الروح القدس لكي تقفوا ضد قوة الشرير وتقهروه قائلين: "أستطيع كل شيء في المسيح الذي يقويني" (في ٤: ١٣).

نلتم اللقب الشريف

٥. وإذ حُسبتم جديرين لهذه المسحة المقدسة، دُعِيتُم مسيحيين وبميلادكم الجديد أيد شرعية هذا الاسم، إذ قبل أن تكونوا مستحقين هذه النعمة، لم يكن لكم حق صحيح في هذا اللقب الشريف. لكن كنتم تتقدمون في طريقكم حتى تصيروا مسيحيين.

مثال المسحة في العهد القديم

٦. علاوة على ذلك يجب أن تعلموا أن في الكتاب المقدس يوجد رمز لهذه المسحة. لأن من وقت أن عَرَفَ موسى أخاه الرب وجعله كاهناً أعظم، وبعد استحمامه ودُعي هارون مسيحاً بوضوح أو مدهوناً بالزيت الرمزي. هكذا أيضاً صنع رئيس الكهنة في تقديم سليمان للمملكة مسحه بعد استحمامه في نهر جيحون (١ ملوك ١: ٣٩).

وهكذا حدثت لهم هذه الأمور في شبه خيال لكن ليست في خيال، لكنها حقيقة. لكن مُسحتُم حقاً بالروح القدس وابتدأ خلاصكم المسيح. لأنه باكورة الثمر، وأنتم العجين. فإن كان الثمر مقدساً فواضح أن قداسته تنتقل إلى العجين كله أيضاً (رو ١١: ١٦).

احفظوا هذه المسحة خالية من العيوب

٧. احفظوا هذه المسحة خالية من العيوب، إذ ستعلمكم كل الأشياء إذا سكنت فيكم، كما سمعتم بوضوح من المطوّب يوحنا: "وأعطانا كثيراً بخصوص هذه المسحة" (١ يو ٢: ٢٠). لأن هذه المسحة المقدسة صيانة روحية للجسد، وخلص للنفس. عنها يتنبأ إشعياء المبارك منذ قديم الزمان فيقول: "على هذا الجبل" الآن يدعو الكنيسة "الجبل". وفي موضع آخر يقول: "يكون في آخر الأيام أن جبل بيت الرب يكون ثابتاً" (إش ٢: ٢). وأيضاً "ويصنع رب الجنود لجميع الشعوب في هذا الجبل وليمة سمائن، وليمة خمر، تبشرون فرحاً، يمسحون أنفسهم بدهن" (راجع إش ٢٥: ٦).

ولكي يؤكد لكم اسمعوا ما يقول عن هذا الدهن في أنه سري "سلموا كل هذه الأمور للشعوب، لأن مشورة الرب هي لكل الشعوب".

وإذ قد دُهنتم بهذا الدهن المقدس احفظوه فيكم غير مدنس لا عيب فيه، متقدمين في الأعمال الحسنة، عالمين كل ما يرضي رئيس خلاصكم يسوع المسيح، الذي له المجد الدائم إلى دهر الدهور. آمين.

المقال الثاني والعشرون^١

الأسرار (٤)

جسد المسيح ودمه

"لأنني تسلمت من الرب ما سلمتكم أيضًا أن الرب يسوع في الليلة التي أسلم فيها أخذ خبزًا" (١ كو ١١: ٢٣).

جسد حقيقي ودم حقيقي

١. تعليم المطوّب بولس كافٍ ليعطيكم حتى من نفسه تأكيدًا كاملاً بخصوص "الأسرار الإلهية" التي صرتم مستحقين لها، وصرتم من نفس الجسد والدم مع المسيح. لأنكم سمعتموه الآن فقط يقول بوضوح: "إن الرب يسوع في الليلة التي أسلم فيها أخذ خبزًا وشكر وكسر وقال: خذوا كلوا هذا جسدي. كذلك أخذ الكأس وشكر وقال: خذوا اشربوا هذا هو دمي" (١ كو ١١: ٢٣-٢٦). وحيث أنه بنفسه أوضح وقال عن الخبز: "هذا هو جسدي"، فمن يتجاسر ويشك بعد ذلك؟ وإذ هو بنفسه أكد وقال: "هذا هو دمي" فمن الذي يتردد ويقول إنه ليس دمه؟

٢. في قانا الجليل حوّل الماء مرة إلى خمر قريب من الدم. فهل لا يمكن تصديق أنه يقدر أن يحوّل الخمر دماءً؟

صنع هذا العمل المدهش بمعجزة عندما دُعي إلى عرس دنيوي، وعندما يهب "بني العرس" (مت ٩: ١٥) أن يتمتعوا بجسده ودمه، أفلا نعتزف به بالأكثر؟

أصبحنا شركاء الطبيعة الإلهية

٣. لنشترك إذا بكل ثقة في جسد المسيح ودمه. لأنه في شكل الخبز يعطي جسده لك، وفي شكل الخمر دمه، حتى بمشاركتك جسد المسيح ودمه تتحد في نفس الجسد ونفس الدم معه، لأنه هكذا نحمل المسيح في داخلنا. الآن جسده ودمه وُزعا في أعضائنا. وهكذا حسب قول المطوّب بطرس "أصبحنا شركاء الطبيعة الإلهية" (٢ بط ١: ٤).

غضب اليهود

٤. وعظ سيدنا المسيح اليهود في مناسبة معينة، وقال: "إن لم تأكلوا جسدي وتشربوا دمي فليست لكم حياة فيكم" (يو ٦: ٥٣). وغضبوا ولم يسمعه بطريقة روحية، ورجعوا ظانين أنه يدعوهم ليأكلوا لحمًا (ماديًا).

بين خبز التقديم والإفخارستيا

٥. في العهد القديم أيضًا كان خبز التقديم، لكن انتهى ما يخص العهد القديم. أما في العهد الجديد فيوجد خبز السماء وكأس الخلاص، مطهرين النفس والجسد، لأنه كما يمتزج الخبز بالجسد كذلك الكلمة توافق أنفسنا.

^١ترجمة السيدة يان جرجس فليوثاؤس.

كن واثقاً دون شك أن الجسد والدم تنازلاً لك

٦. تأمل الخبز والخمر لا في ماديتهما، لأنهما كما أوضح الرب هما جسد المسيح ودمه. لأنه حتى لو أوجت إليك الحواس بهذا، فدع الإيمان يؤسّسك. لا تحكم على الأمر من الذوق بل من الإيمان، كن واثقاً دون شك أن الجسد والدم تنازلاً لك.

رتبت قدامي مائدة

٧. وينصحك المطوب داود بهذا قائلاً: "رتبت قدامي مائدة تجاه مضايقي" (مز ٢٣: ٥). وما يقوله يعني هذا قبل مجيئك. رتبت الشياطين مائدة للناس، نجسة ومدنسة ومملوءة من النفوذ الشيطاني، لكن منذ مجيئك يا رب "رتبت قدامي مائدة". وعندما يقول الإنسان "رتبت قدامي مائدة"، فعلى ماذا يدل إلا على هذه المائدة السرية الروحية التي رتبها الله لنا؟ رتبها ضد الأرواح الشريرة. وحقاً. لأن ذلك اختلاط بالشياطين، أما هذا فشركة مع الله.

"مسحت بالدهن رأسي" (مز ٢٣: ٥) بالزيت مسح رأسك على الجبهة، لأن الختم الذي أخذته هو من الله، حفر الختم قداسة لله.

"وكأسك أسكرتني" لأنها قوية. نرى أن الكأس التي يتكلم عنها هنا هي التي أخذها المسيح في يديه وشكر وقال "هذا هو دمي الذي يسفك عن كثيرين لمغفرة الخطايا" (مت ٢٦: ٢٨).

يجب أن تكون مكسوًا بالثياب البيضاء اللامعة الروحية

٨. لذلك يقول سليمان مشيراً إلى هذه النعمة: "تعالوا كلوا خبزكم بفرح" (أي الخبز الروحي) تعالوا هنا (ينادي للحكمة والخلص) اشربوا كأسكم بقلب فرح (أي الخمر الروحي) ودعوا الزيت يسكب على رأسكم (نرى أنه يشير حتى إلى الزيت السري)، واجعلوا أثوابكم بيضاء دائماً، لأن الرب سرُّ بأفعالكم. لأنه قبل مجيئك للعماد كانت أعمالكم باطل الأباطيل، لكن الآن إذ خلعت أثوابكم العتيقة ولبستم هذه البيضاء روحياً، يجب أن تكون مكسوًا بثياب. بالطبع لا تعني هذا إنك يجب أن تلبس ثياباً بيضاء، لكن يجب أن تكون مكسوًا بالثياب البيضاء اللامعة الروحية، حتى تقول مع المطوب "فرحاً أفرح بالرب، لأنه قد ألبسني ثياب الخلاص، كساني رداء البر" (إش ٦: ١٠).

٩. إذ قد تعلمنا هذه الأشياء، وتأكدنا تماماً أن ما يبدو خبزاً ليس خبزاً، ولو أنه مساخ في الطعام لكنه جسد المسيح. وأن ما يبدو خمراً ليس خمراً ولو أن مذاقه كذلك لكنه دم المسيح. وعن هذا ترنم داود البار قديماً "لإخراج خبز تفرح قلب الإنسان لإلماع وجه أكثر من الزيت" (مز ١٠٤: ١٥).

"قوّ قلبك باشتراكك روحياً، واجعل وجه نفسك يلمع"، ومع جعل وجهك مكشوفاً بضميرٍ طاهرٍ تعكس كمرّة مجد الرب، وتنتقل من مجدٍ إلى مجدٍ في المسيح يسوع ربنا، الذي له المجد والكرامة والقوة من الآن وإلى دهر الدهور. آمين.

المقال الثالث والعشرون^١

الأسرار (٥)

الليتورجيا المقدسة والتناول

" فاطرحوا كل خبث وكل مكر والرياء والحسد وكل مذمة" (١ بط

٢: ١).

١. بمحبة الله وتحننه سمعتم ما فيه الكفاية بخصوص العماد والمسحة والشركة في جسد المسيح ودمه، والآن من الضروري أن ننقل إلى ما يلي هذا في الترتيب، يعني أن تتوج البناء الروحي لتقافتك.

غسل اليدين وتطهيرنا من كل عمل خاطئ

٢. إنك ترى الشماس (الدياكون) الذي يعطي الكاهن ليغتسل والكهنة الواقفين حول مذبح الله. أنه لا يعطيه الماء لأجل قذارة الجسد، لأننا لا ندخل الكنيسة بأجسام قذرة، لكن غسل اليدين يشير إلى ضرورة تطهيرنا من كل عملٍ خاطئٍ غير لائقٍ، لأن اليدين رمز الحركة، فبغسلهم يتضح أننا نقدم طهارة خلقنا غير الملوّح. ألم تسمع المطوّب يفتح هذا السرّ ويقول: "أغسل يدي بالنقاوة، وأطوف بمذبحك يا رب"، إذ يرمز غسل الأيدي إلى الحصانة من الخطية.

القبلة المقدسة

٣. ثم يصرخ الشماس عاليًا قائلًا: "قَبِّلُوا بعضكم بعضًا"، ولنقبل بعضنا بعضًا. لا تظنوا أن هذه القبلة عامة، التي تقوم بين الأصدقاء، ليست هكذا. بل هذه القبلة تمزج النفوس ببعضها، وتحفظ لها غفرانًا عظيمًا. والقبلة علامة على أن نفوسنا قد اختلطت ببعضها، ومحت كل تذكر للأخطاء. لهذا قال السيد المسيح: "فإن قدمت قربانك إلى المذبح، وتذكرت أن لأخيك شيئًا عليك، فأترك هناك قربانك قدام المذبح واذهب أولاً اصططح مع أخيك، وحينئذ تعال وقدم قربانك" (مت ٥: ٢٣). فالقبلة صلح ولهذا السبب هي مقدسة. وكما يقول المطوّب بولس: "سلّموا بعضكم على بعض بقبلة مقدسة" (١ كو ١٦: ٢٠). وأيضًا بطرس تحدث عن قبلة الإحسان (١ بط ٣: ١٥).

ارفعوا قلوبكم

٤. بعد هذا يصرخ الكاهن عاليًا: "ارفعوا قلوبكم". لأنه حقًا يجب علينا في هذه الساعة المهيبة أن تُرفع قلوبنا في الأعالي مع الله، ولا نكون في الأسفل مفكرين في الأرض والأمور الأرضية. وبذلك يأمر الكاهن الكل في هذه الساعة أن يطردوا كل اهتمامات هذه الحياة، من جهة المنزل أو القلق في أي شيء، ويجعلوا قلوبهم في السماء مع الله الرحيم. حينئذ تجيبون "هي عند الرب"، موافقين عليها باعترافكم. لكن، ليمتنع أي واحد من الحضور هنا من يقول بفمه: "هي عند الرب"، بينما أفكارهم مشغولة باهتمامات هذه الحياة. فالأفضل أن يكون الله في فكرنا في كل وقت. لكن إن كان هذا مستحيلًا بسبب نقصنا البشري، ففي هذه الساعة فوق كل شيء يجب أن نراعي سلوكنا بهمة.

فلنشكر الرب

٥. ثم يقول الكاهن "فلنشكر الرب"... فإننا حقًا ملزمون أن نقدم الشكر لأنه دعانا ونحن غير مستحقين

^١ ترجمة السيدة يان جرجس فيلوثاؤوس.

لهذه النعمة العظيمة، إذ صالحنا عندما كنا أعداءه حتى تطف لنا بروح التبني حينئذ نقول "مستحق وعادل"، لأننا عندما نقدم الشكر نصنع شيئاً باستحقاق وعدل. لأنه لم يعمل لنا الحق بل أكثر من الحق، إذ جعلنا مستحقين لهذه الفوائد العظيمة.

شركة تسبيح مع السمائيين

٦. بعد هذا نذكر السماء والأرض والبحر، الشمس والقمر والنجوم وكل الخليقة، العاقل وغير العاقل، المنظور وغير المنظور، عن الملائكة ورؤساء الملائكة الفضائل، السادات، الزعماء والقوات، العروش، الشاروبيم ذا الوجوه الكثيرة كأنه يعيد هذا النداء لداود: "عظموا الرب معي" (مز ٣٧: ٣). نذكر السيرافيم الذي رآه إشعياء بالروح القدس واقفاً حول عرش الله، وبجناحين يغطون وجوههم، وبأشنتين يغطون أرجلهم، وبطيرون بأشنتين، صارخين قائلين: "قدوس، قدوس، قدوس رب الصباؤوت" (إش ٦: ٣-٢). إننا نردد هذا الاعتراف: الذي سلم إلينا من السيرافيم حتى نكون مشاركين في الأعالي للقوات في ترنمهم بالتسبيح.

التحول بالروح القدس

٧. وإذ قدسنا أنفسنا بهذه الترانيم الروحية، نطلب رحمة الرب، ليرسل روحه القدوس على الهبات الموضوعية أمامه، أن يجعل الخبز جسد المسيح والخمر دم المسيح. فكلما يلمسه الروح القدس يتقدس ويتغير بالتأكيد.

ابتهاالات وطلبات

٨. ثم بعد إتمام الذبيحة الروحية، تتم الخدمة غير الدموية. وخلال ذبيحة الكفارة هذه نلتمس الله السلام العام لجميع الكنائس لخير العالم. نطلب عن الملك والجند، والمريطين والمرضى والمتضايقين. وبالاختصار نصلي عن كل من يحتاج إلى الخلاص ونقدم هذه الذبيحة.

صلاة المجمع وعن الراقدين

٩. ثم نحتمل بذكرى الذين رقدوا قبلنا. أولاً البطارقة (الآباء) والأنبياء والرسل والشهداء والمعتقرين لكي بصلواتهم وشفاعتهم يقبل الله التماساتنا. ثم نطلب الآباء القديسين والأساقفة الذين رقدوا قبلنا، وعن كل من رقدوا من المؤمنين لتكون فائدة عظيمة للنفوس التي نتوسل من أجلها، خلال هذه الذبيحة المقدسة والمهيبة موضوعة.

الصلاة عن الراقدين

١٠. وأرغب في إقناعكم في هذا الصدد. فإني أعلم أن كثيرين يقولون ماذا تنتفع نفس فارقت هذه الدنيا بذنوب أو بدون ذنوب، إذا ذكرت في الصلوات؟ فإذا رغب ملك في إبعاد أشخاص ضابقيه فصاغ أهلهم تاجاً وقدموه له مراعاة لهؤلاء الذين تحت العقاب، ألا يمنح عفواً لقصاصهم؟ فبنفس الطريقة عندما نرفع له توسلاتنا لمن رقدوا ولو كانوا مذنبين. نحن لا نصنع تاجاً: بل نرفع المسيح مقدماً لذنوبنا، متوسلين لربنا الرحيم من أجلنا ومن أجل نفوسهم.

أبانا الذي في السماوات

١١. ثم بعد هذه الأمور نقول هذه الصلاة التي سلمها المخلص لتلاميذه بضمير نقي، مخاطبين الله أبينا قائلين: "أبانا الذي في السماوات". يا لعظمة محبة الله المترفة التي جاوزت كل حد على الذين عصوه وكانوا في تعاسة قصوى، أنعم عليهم بهذا الغفران الكامل لأعمالهم الشريرة، ومشاركة النعم العظيمة حتى

يستطيعوا أن يدعوه "أبانا". والذين يحملون صورة السماوات، هم أيضًا سماوات حيث يسكن الله، ويمشي فيهم.

١٢. "ليتقدس اسمك". اسم الله في طبيعته مقدس إن قلنا أم لم نقل. لكن حيث يُكفر به في بعض الأوقات بين الخطاة كما قيل: "لأن اسمي يُجَدَّف عليه بسببكم بين الأمم" (رو ٢: ٢٤). فنصلي أن يتقدس اسم الله فينا. ليس لأنه يتقدس من كان ليس مقدسًا، لكن لأنه يصير مقدسًا فينا عندما نصير مقدسين ونعمل أعمالاً تليق بالقداسة.

١٣. "ليأت ملكوتك" تستطيع النفس النقية أن تقول بدالة: "ليأت ملكوتك". لأن من سمع بولس يقول: "إذا لا تملكنّ الخطية في جسدكم المائت"، وطهر نفسه في الفعل والفكر والقول، يقول ليأت ملكوتك.

١٤. "لتكن مشيئتك، كما في السماء كذلك على الأرض". ملائكة الله المقدسون المباركون يصنعون مشيئة الله، كما قال داود: "باركوا الرب يا ملائكته المقتدرين قوة، الفاعلين أمره" (مز ١٠٣: ٢٤)، وعلى هذا نعني بالصلاة: "كما في الملائكة تكون مشيئتك، هكذا لتكن على الأرض في يا رب".

١٥. "خبزنا كفافنا، أعطينا اليوم" هذا الخبز البسيط ليس خبزًا ضروريًا، لكن هذا الخبز المقدس أساسي، معين لأساس النفس، "لأن هذا الخبز لا يمضي إلى الجوف ويندفع إلى المخرج" (مت ١٥: ١٧)، لكن يوزع على جهازك كله لفائدة النفس والجسد. ويعني ب"اليوم" كما قال بولس "مادام يدعى اليوم".

١٦. "واغفر لنا ذنوبنا، كما نغفر نحن أيضًا للمذنبين إلينا" إذ لنا ذنوب كثيرة لأننا نسيء بالقول والفكر وأشياء كثيرة جدًا نعملها نستحق عليها القصاص. "فإن قلنا ليس لنا خطية، نضل أنفسنا، وليس الحق فينا" كما قال المطوب يوحنا (١ يو ٨: ٨). فنصنع مع الله عهدًا نستعطفه، ليغفر لنا خطايانا كما نغفر نحن لإخواننا ذنوبهم، مترجين ذلك فيما نقبله، مستبدلين به غفراننا للآخرين، فلا نهمل أو نتأخر في تسامح بعضنا بعضًا. فالإساءات التي تُرتكب ضدنا خفيفة وزهيدة وتنتهي بسرعة. لكن التي تُرتكب ضد الله عظيمة وتحتاج إلى رحمة كرحمته فقط. لذلك انتبه لئلا من أجل الذنوب الزهيدة الطفيفة، تمنع عن نفسك غفرانًا من الله لخطاياك المحزنة.

١٧. "ولا تدخلنا في تجربة". هل هذا ما يعلمنا الرب أن نصلي لكي لا نُجرب أبدًا؟ فكيف إذن يُقال في موضع آخر: "الرجل غير المُجرب، يعلم قليلاً" (سي ٣٤: ١٠، رو ٥: ٣-٤)، وأيضًا يقول يعقوب: "احسبوا كل فرح يا إخوتي حينما تقعون في تجارب متنوعة" (يع ١: ٢).

لكن هل يعني الوقوع في التجربة ألا يدع التجربة تغمرنا وتجرفنا؟ لأن التجربة كسيل الشتاء يصعب عبوره. لذا فهؤلاء الذين لا يغرقون فيها يمرّون مظهرين أنفسهم سباحين ممتازين، ولم يُجرفوا في تيارها أبدًا. بينما الآخرون يدخلون فيها ويغرقون. مثلاً دخل يهوذا الإسخريوطي في تجربة حب المال، فلم يسبح فيها بل غرق، وشُنق نفسه بالجسد والروح (مت ٢٧: ٥). وبطرس دخل في تجربة الإنكار، لكنه دخل ولم يُسحق بها. لكن كرجل سبح فيها ونجا منها. أنصت ثانية في موضع آخر إلى جماعة من القديسين لم يُصابوا بضرر يقدمون الشكر لنجاتهم من التجربة. جربتنا يا الله - جربتنا بالنار كتجربة الفضة - وضعتنا في الشبكة، وضعت عذابات على ظهورنا. جعلت الناس يركبون على رؤوسنا. "جزنا في النار والماء لكن أخرجتنا إلى موضع راحة" (مز ٦٥: ١٠-١٢). فخروجهم إلى موضع راحة يعني نجاتهم من التجربة.

١٨. "لكن نجنا من الشرير". إذا كان القول "لا تدخلنا في تجربة" يتضمن عدم الدخول في التجربة بالمرة، فالقول: "لكن نجنا من الشرير" فيعني أن نصلي لكي ننجو من الشرير عدونا إبليس. ثم بعد إتمام الصلاة نقول: "آمين" التي تعني "هكذا يكون". تضع ختمك على ابتهالاتك في الصلاة ذات التعليم الإلهي.

القدسات للقديسين

١٩. بعد هذا يقول الكاهن: "القدسات للقديسين". القرايين المقدمة على الهيكل هي مقدسة، بعد قبولها حلول الروح القدس عليها. كذلك أنتم قديسون لأنكم استحققتم الروح القدس. لذلك فالأشياء المقدسة تتصل بالأشخاص المقدسين. حينئذ تقول: "واحد هو الآب القدوس، واحد هو الابن القدوس، واحد هو الروح القدس". واحد هو القدوس، واحد هو الرب يسوع المسيح، لأنه حقًا بالطبيعة قدوس. ونحن أيضًا قديسون، ليس بالطبيعة، لكن بالشركة والتكريس والصلاة.

الدعوة للتناول

٢٠. بعد هذا تسمع المرتل يدعوكم بلحنٍ مقدسٍ للتناول من الأسرار المقدسة قائلاً: "ذوقوا وانظروا ما أطيب الرب" (مز ٣٤: ٨). لا تسلموا الحكم للفم الجسدي، بل للإيمان الذي لا يشك. لكن من يؤمروا أن يذوقوا لا يذوقون خبزًا وخمرًا بل جسد المسيح ودمه اللذين يمثلانه.

الحرص في التناول

٢١. لذلك في التقدم لا تأت برسغيك ممدودتين أو أصابعك منفردة، لكن اجعل يدك اليسرى عرشًا ليدك اليمنى، كأنك تستقبل ملكًا، وقد جوفت راحة يدك لتقبل جسد المسيح قائلاً: آمين. وهكذا بعد أن قدست عينيك بعناية بلمس الجسد المقدس اشترك فيه منتبهًا لئلا يفقد جزء منه... أخبرني، إن أعطاك أحد حبوبًا من ذهب ألا تمسكها بكل عناية حارسًا لها من الضياع والخسارة؟ أليس بالأولى إذن أن ننتبه حتى لا يسقط فئات مما هو أعلى من الذهب والحجارة الكريمة؟

الشركة في دم المسيح

٢٢. ثم بعد أن تشترك في جسد المسيح، تقرب أيضًا إلى كأس دمه، ليس بمد يديك لكن بالانحناء بروح العبادة والإجلال قائلاً: "آمين"، مقدسًا نفسك بالمشاركة أيضًا في دم المسيح. وبينما تكون شفتاك مازالتا رطبتين ألمسهما بيديك، وقدس عينيك وجفنيك وأعضاء الحواس الأخرى. ثم انتظر نهاية الصلاة، وقدم الشكر للذي حسبك مستحقًا لهذه الأسرار العظيمة.

لا تحرموا نفوسكم عن هذه الأسرار المقدسة الروحية

٢٣. تمسكوا بهذه التقاليد بلا دنس، واحفظوا نفوسكم من المعصية، لا تحرموا تنفصلوا عن الشركة، ولا تحرموا نفوسكم بدنس خطاياكم عن هذه الأسرار المقدسة الروحية. "والله السلام يقدسكم بالتمام، ولتحفظ روحكم ونفوسكم وجسدكم كاملة بلا لوم عند مجيء ربنا يسوع المسيح" (١ تس ٥: ٢٣)، الذي له المجد والكرامة والقدرة مع الآب والروح القدس الآن وكل أوان وإلى الأبد^١. آمين.

^١ The world without end

المحتويات

القديس كيرلس والكنيسة الأولى

٥

الباب الأول

حياته

١ حياته

٨

كيرلس الراهب، كيرلس الكاهن، كيرلس رئيس أساقفة أورشليم، رعايته، كيرلس والآلام، نفيه الثاني، كيرلس في عهد بوليانيوس، نفيه الثالث.

٢ كتاباته

١٧

أهم أعماله: ١. مقالاته لطالبي العمد، ٢. مقالاته عن الأسرار للمعمدين حديثاً، ٣. رسالة إلى الإمبراطور قنستنس بمناسبة ظهور الصليب المنير، ٤. عظة على مفلوج بركة بيت صيدا، ٥. مقتطفات من عظات على معجزة تحويل الماء خمراً وعلى يو ١٦: ٢٨، ٦. مقال عن حضور المسيح في الهيكل ومقابلته مع سمعان... وينسبها البعض إلى القديس كيرلس السكندري، ٧. رسائل ومقتطفات وردت في الطبعة البندكتية، لم يبق الدليل بعد علي صدق نسبتها إليه.

٣ تعليم الموعوظين وطالبي العمد

١٩

أولاً: الموعوظون Catechumens، ثانياً: معلمو الموعوظين، ثالثاً: مادة الوعظ لهم.

٤ طقوس عمد الموعوظين

٢٦

أولاً: تقديمهم للعماد، ثانياً: فرز طالبي العمد، ثالثاً: حمل المشاع ولبس الثياب البيضاء، رابعاً: جدد الشيطان، خامساً: الاعتراف بالإيمان، سابعاً: العمد، ثامناً: الغسرات الثلاث، تاسعاً: المسحة أو التثبيت، عاشراً: منظر روعي سماوي، حادي عشر: أسبوع الثياب البيضاء.

الباب الثاني مقالاته لطالبي العماد

مقال افتتاحي

٤٠

أولاً: عدم الدخول في المعمودية بنية غير خلاص النفس، ثانياً: فاعلية النعمة وعملها في حياة المؤمن، ثالثاً: المعمودية كباعثٍ للمثابرة.

مقال افتتاحي: البنيان الروحي

٤١

١. راحة المعمودية الذكية، ٢. مثال لمن يعتمد بنية شريرة، ٣. مثال لإنسان يعتمد لمجرد حب الاستطلاع، ٤. لا تعتمد بنية خاطئة، ٥. العماد بقصد التودد للغير، ٦. يا لعظمة المعمودية!، ٧. المعمودية واحدة!، ٨. آمن بفاعلية المعمودية، ٩. المعمودية والتلاوات، ١٠. المعمودية والحرب الروحية، ١١. المعمودية وملازمة التعليم، ١٢. نقدم كل تعليم في الوقت المناسب، ١٣. المعمودية والاهتمام بخلاص النفس، ١٤. آداب الحضور في الكنيسة، ١٥. اقبلوا عمل الله، ١٧. أنتم عملنا.

المقال الأول: اغتسلوا، تنقوا

٥٣

١. السماء تفرح بكم!، ٢. اخلعوا الإنسان العتيق، ٣. اخلعوا الرياء، ٤. تأمل عظمة المركز الجديد، ٥. جاهد لتتال أكثر، ٦. نصائح ووصايا.

المقال الثاني: التوبة وغفران الخطية

٥٧

١. الخطية لهيب نار متقدة!، ٢. اهتم بحياتك الداخلية!، ٣. الشيطان يخدعنا بأفكاره، ٤. الشيطان يجرف معه البشرية، ٥. الرب يردنا ويخلصنا، ٦. الله يحبك!، ٧. أمثلة عن محبة الله لأناس ساقطين، ٨. وفي الطوفان، ٩. ترفقه براحاب الزانية الوثنية، ١١. ترفقه بداود الساقط، ١٣. رحمته مع سليمان وأخاب ملك السامرة، ١٤. ومع بريعام، ١٥. ومع منسى، ١٦. ومع حزقيا، ١٧. مع حنانيا وصاحبيه، ١٨. ماذا تظن في نيوخذنصر؟، خاتمة.

المقال الثالث: في العماد

٦٨

١. السماوات تفرح لاتحادكم بالعريس، ٢. أعدوا طريق الرب، ٣. استعدوا للنعمة العظيمة، ٤. تقدسوا بالماء والروح، ٥. لماذا اختار الماء للعماد؟، ٦. العماد خاتمة العهد القديم وبداية الجديد، ٧. اعترفوا بخطاياكم، ٨. ثمار التوبة العملية، ٩. يا لعظمة المسيح واهب العماد، ١٠. المعمودية الدم، ١١. في المعمودية رضض الرب رؤوس الشيطان، ١٢. بالمعمودية ندفن ونقوم في برّ، ١٣. بالمعمودية ننال سلطاناً لمقاومة إبليس، ١٤. بالمعمودية ننال التبني، ١٥. استعد مهما بلغت خطاياك، ١٦. تشجعوا... الرب يطهركم!

المقال الرابع: في البنود العشر التعليمية

دعوة للتمتع بروح التمييز، الحاجة إلى الإيمان العملي، الله الواحد، سمو كمال الله، الحفظ من عبادة الأوثان، المسيح، واحد مع الآب، ميلاده من عذراء، الصليب، دفنه، قيامته، صعوده، قوة علامة صليب المسيح، الدينونة المقبلة، الروح القدس، ختم الروح القدس، النفس، مسؤولية النفس وحرية إرادتها، نفوس الرجال والنساء متشابهة، حرية إرادة النفس والمكافأة، جمال الجسم البشري، النفس هي وراء الخطية، دعوة إلى البتولية، كرامة الزواج، شرعية الزواج، الطعام، عدم الأكل مما يقدم الأوثان، الكساء، القيامة، جرن

المعمودية، الأسفار المقدسة، تاريخ الترجمة السبعينية، أسفار العهد القديم، أسفار العهد الجديد، حياة المسيحي في المسيح.

٩٦

المقال الخامس: الإيمان

١. يا لعظمة لقبك: "مؤمن"!، ٢. لتكون أميناً أو مؤمناً بالعمل، ٣. أهمية الإيمان حتى في الأمور الزمنية بين غير المؤمنين، ٤. بالإيمان نتحصن ضد إبليس، ٥. مثال من العهد القديم: إبراهيم، ٦. إبراهيم أب لأمم كثيرة، ٧. مثال من العهد الجديد: بطرس على المياه، ٨. بالإيمان يخلص الغير أيضاً، ٩. أختا لعازر، ١٠. الإيمان العقائدي، ١١. الإيمان بحسب النعمة من الروح القدس، ١٢. أهمية قانون الإيمان الكنسي، ١٣. الإيمان كوديعة.

المقال السادس: وحدانية الله

١. وحدانية المجد للآب والابن، ٢. مجد الله لا يُنطق به!، ٣. إبراهيم أدرك عجزه أمام الله!، ٤. من يدرك الله في كماله؟!، ٥. إذن، كيف نتكلم عن الله؟!، ٦. الملائكة ترى الله قدر احتمالها!، ٧. كماله مطلق!، ٨. لا تتصور اللاهوت بشكل!، ٩. تركوا الله الحقيقي وعبدوا الخليفة!، ١٠. تعدد الآلهة يدعو إلى مجيء الابن، الهرطقة، ١١. لهم اسم المسيح وهم أعداء له!، ١٢. سخافة الثنائية، ١٣. سيمون الساحر مصدر كل هرطقة، ١٤. وضع بطرس ويولس نهاية لخطأ سيمون، ١٥. ضلال الأبيونيين ومرقيون، ١٦. باسيليديس وفالنتينوس، ١٧. المسيح حسب فالنتينوس، ١٨. اهرب من الهرطقة، ١٩. المبتدع ماني، ٢٠. نشأة ماني ومعلموه، ٢١. ستيثيانوس (سكيثيانوس) وترينثوس أصل المانية، ٢٢. موت ترينثوس Terebinthus، ٢٣. كوبريكوس Cubricus يخلفه باسم ماني، ٢٤. ادعى أنه الروح القدس "المعزي"، ٢٥. ماني بعد فشله، ٢٦. جدال بين الأسقف أرشلاوس وماني، ٢٧. تابع الجدال حول إله العهد القديم ويسوع المسيح، ٢٨. لماذا تُعْمى بصيرة غير المؤمنين؟!، ٢٩. إعدام ماني، ٣٠. تلاميذ ماني والتقمص، ٣١. أتباع ماني يلعن بدلاً من أن يبارك، ٣٢. تصرفات أتباع ماني الشنيعة، ٣٣. تحذير من المانيين، ٣٤. بين الكنيسة وجماعات ماني، ٣٥. لترع مع القطيع، ولتهرب من الذئاب.

١٢٤

المقال السابع: في الله الآب

مقدمة، اليهود رافضو المسيح، الإيمان بالآب يمهد للإيمان بالابن، عدم الفصل بين الآب والابن، أبوة طبيعية، رد على أتباع ماني المسيئين إلى إله العهد القديم، أبي وأبيكم، بنوتنا له بالتبني، العهد الجديد يعلن عن بنوتنا له بالتبني، أبوة بالطبيعة وأبوة بالتبني، الابن يرى الآب في كماله، لنطلب أبانا السماوي، الأشرار يطلبون أبوة إبليس، لنسلك كما يليق بالبنوة، بنوتنا لله لا تنفي بنوتنا لوالدينا، إكرام الوالدين.

المقال الثامن: القدير

مقدمة، قدرته وسلطانه على السماء والأرض، قدرته وسلطانه على النفس والجسد، بين قدرة الله وطول أناته، لا يفلت شيء من سلطان الله، الغنى والذهب لله القدير، الغنى ليس خاصاً بالشيطان، تجديد الهرطقة.

المقال التاسع: خالق السماء والأرض

لا يراني أحد ويعيش!، نراه خلال أعماله، إن كنا لا نفهم عرشه، فكيف ندرك طبيعته؟!، خالق السماء والأرض، حكمة الله خالق الجلد، جمال الخليفة يتحدث عن الله، موجد النور والظلمة، مدبر الكون!، المهتم بالمياه والأمطار!، ما أعجب أعمالك يا رب!، تأمل عظمة البحر!، تأمل جمال الطيور!، تأمل عجائب

الحيوانات!، تمجيد الخالق مانح الخليقة فاعليتها، تأمل داخلك، ما أعظم أعمالك يا رب!

١٤٤

المقال العاشر: نؤمن برب واحد

مقدمة، الآب يوصينا بالابن، رب واحد، يسوع المسيح، تبع أسماء المسيح، المسيح رب حقيقي، الابن في العهد القديم (سفر التكوين)، الابن في العهد القديم (سفر الخروج)، الابن في العهد القديم (تبع سفر الخروج)، الابن في العهد القديم (سفر المزامير)، الابن في العهد الجديد، مقارنة بين يسوع وكل من هارون ويشوع، إشعياء يدعو يسوع مخلصاً، اليونانيون يدعون يسوع طبيباً، اليهود يرفضون المسيح، رفض اليهود له، اسم جديد يبارك الأرض، بولس مضطهد الكنيسة يشهد لها، المضطهد يكتب أربع عشرة رسالة، الكل يشهد للمسيح.

١٥٥

المقال الحادي عشر: ابن الله الوحيد

يسوع هو المسيح الوحيد، الابن الوحيد الجنس، الابن المتأنس، نور سرمدى من نور سرمدى، تقبل البنوة حسب الجسد "داود"، آمن بيسوع المسيح، ابن الله بالطبيعة وليس بالتبني، ولادة غير بشرية، البنوة بالتلمذة، من يقدر أن يعرف كيفية الولادة الأزلية؟، جسارة الذين يحاولون أن يفحصوا الخالق ذاته، لا تخجل من الاعتراف بجهلك، ميلاد أزلي، نبوات عن التجسد، شهادة إشعياء عن لاهوت المسيح، تمايز بين الآب والابن لا انفصال، لا تفصلهما، ولا تصنع تشويشاً، تفسير: "أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم"، مخارجه منذ القديم منذ أيام الأزل، خالق الكل، لتصمت كل هرطقة بخصوص الخالق، عمل الآب والابن في الخلق، يسوع المسيح خالق الكل بأمر الآب.

المقال الثاني عشر: تجسد وتأنس

إن قلنا إنه لم يأخذ الطبيعة البشرية يصير الخلاص غريباً عنا، احتقر اليهود المسيح الحقيقي، مغالطات الهرطقة، لننتذكر ما قيل بالأمس عن ربوبيته، لماذا تجسد المسيح؟، فساد اليهود وشرهم، انحطاط البشرية، رفض اليهود المسيح، سليمان يتنبأ عن مجيئه، شهادة الأنبياء، أورشليم عاصمة مملكته، يفتح عيون العميان، لماذا لم ينصت اليهود الأشرار لأنبيائهم؟، دانيال لم يحتمل رؤية ملاك، خلصنا الرب بنفس الأسلحة التي أراد إبليس أن يهزمنا بها، هل تأنس الله بلا سبب؟، متى يأتي هذا النبي المنتظر؟، تحديد الزمان بالسنوات، مكان ميلاده، ولادته من عذراء، بخصوص النبوة عن ولادته من عذراء، عائلة هذه العذراء، العذراء من نسل داود، يتجسد في أحشاء عروس الطهارة، أخذ مكُون الأجساد جسداً، الرد على الوثنيين، الرد على اليهود، من الذي ولد حواء؟، الميلاد العذري والخلق، بمجرد الوعد صار يعقوب يطلق على راحيل "زوجته"، العذراء نفسها سبقت أن تعجب، شهادة الأطهار والبتوليين عنه، دعوة إلى الحياة البتولية.

المقال الثالث عشر: صلب ودفن

الصليب أعظم أعجوبة، يا لعظمة إمكانية المصلوب!، لا تخجل من الصليب، آلامه وصلبه حقيقة وليس خيالاً، لم يصلب بسبب خطية!، تألم بإرادته، اعتراض اليهود، شهادات عن آلامه، التنبؤ بخصوص خيانة يهوذا، ثمن الخيانة وحقل الفخاري، محاكمة الرب، المحاكمة، في محاكمته صالح المتخاصمين، على من تغفرون الفم؟، صمته في المحاكمة، سخرية الجنود به، بالشوك أزال اللعنة، بين الفردوس والبستان، الحياة النحاسية كرمز للصليب، الماء والدم، صلبه على الجلجثة، لا تهرب من الصليب وقت الضيق!، لا تهرب

من الصليب وقت الضيق!، الظلمة في الظهيرة، أُغيب الشمس في الظهر، اقتسام ثيابه، ألبسوه ثوبًا أرجوانيًا، فاعل الخلاص في وسط الأرض، أنا عطشان، صلبه بين لصين، آية قوة قادتكم إلى النور أيها اللص؟، الدخول إلى الأقداس بدم يسوع، عاملاً الصلح بدم صليبه، الظروف التي صاحبت الصلب، دفن المسيح، رشم علامة الصليب، عمل الصليب، راية الصليب.

المقال الرابع عشر: وقام من الأموات

ليمتلئ فمنا فرحًا وتهليلًا به، شهادة الكتاب المقدس عن قيامته، بخصوص دفن المخلص، البراهين الخاصة بالقيامة، أتريد أيضًا أن تعرف المكان؟، شهادة صفنيا عن القيامة، صفنيا يقدم علامة عن القيامة، صرت حرًا بين الأموات، تحديد مكان القيامة (كهف الصخرة)، تحديد فصل السنة، تحديد مكان القيامة (في البستان)، بحث مريم عن القوائم من الأموات، فرح النسوة بالقوائم من الأموات، عرف الأنبياء ضعف إيمان رؤساء الكهنة، كيف ينكر اليهود العصاة قيامة مخلصنا؟!، القيامة ممكنة، يونان في الحوت كرمز للقيامة، بقاء يونان حيًا في بطن الحوت والقيامة، المسيح ينزل الجحيم، يونان مثال السيد المسيح في الجحيم، شهود قيامة السيد المسيح، شهادة الأمور المادية لقيامة المخلص، طابيثا تشهد لقيامة المخلص، صعود المخلص يشهد لقيامته، الصعود ورموزه، الرسل ليسوا بأقل من الأنبياء، الجلوس عن يمين الآب، قال الرب لربي اجلس عن يميني، شهادات أخرى خاصة بجلوس الابن عن يمين الآب، ربنا يسوع المسيح يملك العرش عن يمين الآب قبل كل الدهور.

٢١٥

المقال الخامس عشر: سيأتي في مجده

المجيئان، شهادة الكتاب المقدس، سماء جديدة وأرض جديدة، علامات المنتهى، علامات المنتهى (يتبع)، علامة الحروب، علامة فتور المحبة، الكرازة ببشارة الملكوت في كل المسكونة، ظهور ضد المسيح، سيأتي ابن الإنسان على سحاب السماء، خداع الشيطان والإعداد لظهور ضد المسيح، ملك ضد المسيح ونهايته، استخدام آيات وعجائب كاذبة، يجلس في هيكل الله، مدة حكمه، شهداء عصر ضد المسيح، احذر ضد المسيح، مجيء المسيح على السحاب، سفر الجامعة يحذرننا، مجيء الرب من خلال الكتاب المقدس، علامة الصليب في السماء، الديان لا يحابي الوجوه، سندان أمام كل البشرية، ضمايركم تدينكم، مخيفة هي الدينونة، ابغضوا الهراطقة المزدرين بالمسيح، الكتاب المقدس يعلن عن أبدية ملكوت المسيح، يملك حتى بعد أن يضع جميع الأعداء تحت قدميه، خضوعه بالحب للآب، معنى "حتى"، معنى "حتى" (يتبع)، خاتمة.

٢٣٢

المقال السادس عشر: الروح القدس الواحد

الحديث عن الروح القدس أمر مخيف، حاجتنا إلى نعمة يسوع المسيح نفسه، روح قدس واحد، كنيسة الجلجثة أفضل مكان للتحدث عن الروح القدس، البدع ضد الروح القدس، سيمون الساحر والغنوصيون، أتباع مرقيون، أتباع فيريجيان مونتانيوس، ماني، سيمون الساحر، لنرجع إلى الأسفار المقدسة، الماء كرمز للروح القدس، كلمة "روح" في الكتاب المقدس، الروح القدس يتكلم ويقود ويرسل بسلطان، الروح بمعنى مضاد، الروح القدس والروح النجس، أمثلة، مثال آخر، قوة الروح القدس في التعليم، الروح القدس المعزي، الروح القدس يسند المتألمين، يعمل في كل أحد حسب حاجته، الروح القدس المدير الإلهي للسمائيين، الروح القدس غير منفصل عن الآب والابن، الروح القدس في العهد القديم، الروح القدس يوهب للجميع، الروح القدس يملأ أصحاب القلوب الحكيمة، الروح القدس عمل في القضاة والأنبياء والملوك، الأنبياء يشهدون عن عطية الروح القدس، الأنبياء يشهدون عن عطية الروح القدس (يتبع)، الروح الذي يقدر كل الخليقة العاقلة،

ختام.

المقال السابع عشر: الروح القدس (يتبع)

الروح القدس في العهد الجديد، الروح القدس هو واحد، نؤمن بالروح القدس الواحد، أسماء الروح القدس، ألقاب أخرى للروح القدس، الروح القدس وتجسد الكلمة، الروح القدس يعمل في أليصابات، الروح القدس في يوحنا المعمدان، الروح القدس وعماد الرب، حمامة نوح رمز لهذه الحمامة، حديث المسيح عن الروح القدس، الأب واهب الروح، حلول الروح القدس في يوم البنطقستي، عمل الروح القدس الناري في النفس، حلول الروح القدس كما من هبوب ريح عاصفة، يتكلمون بالسنة الأمم الحقيقية، وسيلة السقوط صارت وسيلة الشفاء، خمر جديدة هي نعمة العهد الجديد!، إنهم سكارى، لكن ليس كما تظنون، الروح القدس في العهد الجديد، الروح القدس يعمل في جميع الرسل معًا، عجائب بقوة الروح القدس، الروح القدس يعضد الرسل أمام الحكام، الروح القدس يعمل في الشماسة، الروح القدس يعمل في فيلبس، الروح القدس يعمل في بولس، الروح القدس يعمل في بطرس، الروح القدس وهب المؤمنين اسم "مسيحيين"، الروح القدس يقود بولس، الروح القدس يقود بولس (يتبع)، بولس يشهد لعمل الروح القدس، الروح القدس ينبئ للرسل، أقنوم الروح القدس، اقبلوا الروح القدس بغير رياء!، يا لخطورة من يتقدم للعماد في خداع!، لا تحزن روح الله القدوس، ختام.

المقال الثامن عشر: كنيسة واحدة مقدسة جامعة رسولية

الرجاء في القيامة أصل كل عمل صالح، مجادلات الهرطقة، العالم كله في يده، الله عادل، لماذا يُعاقب منتهكي المقابر؟!، البذور لا تعيش إن لم تمت!، أمثلة من عالم النبات وعالم الحيوان، القيامة والعنقاء عند اليونانيين!، لننظر إلى خلقنا ذاتها، الرد على السامريين، أمثلة من أسفار الناموس، الخلق أم القيامة، لا يقوم الأسرار في يوم الدين، أيوب والأنبياء يشهدون للقيامة، أمثلة عملية على قيامة الأموات في العهدين، شهادة الكتاب المقدس عن القيامة، سمات الجسد المقام، يشترك الجسد في العمل كما في المكافأة، لنعتن بأجسادنا إذ هو يخلصنا، حفظ قانون الإيمان، كنيسة جامعة، جامعة، إكليسيا" أو جماعة، رفض اليهود ونشأة الكنيسة، تجنب اجتماعات الهرطقة، غنى الكنيسة الجامعة، الحياة الأبدية، مصدر الحياة الأبدية، كيف نريح الحياة الأبدية؟، أبواب كثيرة بها ندخل الحياة الأبدية، التمتع بالأسرار الكنسية، الحاجة إلى عظات عن الأسرار، الاستنارة بالعماد، مبارك هو الله!

الباب الثالث

مقالاته عن الأسرار

(المعمودية. سر الميرون. ليتورجيا الإفخارستيا)

المقال التاسع عشر: الأسرار (١) المعمودية

فاعلية عمادكم، كأنكم أمام الشيطان تجحدونه، بين الخروج والعماد، أجحدك أيها الشيطان، وكل أعمالك، وكل قوتك، أطعمة باسم الشيطان، وكل خدماتك، التحول من الغرب إلى الشرق، خلعت الإنسان العتيق وستحفظون اليوم المقدس، إعلان عن المقالات القادمة.

المقال العشرون: الأسرار (٢) العماد

خلع الثياب، مُسحتم بالزيت المصلى عليه، العماد بالتغطيس، الموت مع الرب، نَعَمَّ العماد، مشاركة في آلام المسيح، أحفظوا التعاليم في ذاكرتكم.

المقال الحادي والعشرون: الأسرار (٣) المسحة

قبلتم مسحة المسيح، مسحه بالروح القدس، بالدهن المنظور تُقدس نفسك بالروح القدس المحيي، بالمسحة السرية لبستم كل سلاح الروح القدس، نلتم اللقب الشريف، مثال المسحة في العهد القديم، احفظوا هذه المسحة خالية من العيوب.

المقال الثاني والعشرون: الأسرار (٤) جسد المسيح ودمه

جسد حقيقي ودم حقيقي، أصبحنا شركاء الطبيعة الإلهية، غضب اليهود، بين خبز التقديم والإفخارستيا، كن واثقاً دون شك أن الجسد والدم تنازلاً لك، رتبت قدامي مائدة، يجب أن تكون مكسواً بالثياب البيضاء اللامعة الروحية.

المقال الثالث والعشرون: الأسرار (٥) الليتورجيا المقدسة والتناول

غسل اليدين وتطهيرنا من كل عمل خاطئ، القبلية المقدسة، ارفعوا قلوبكم، فلنشكر الرب، شركة تسبيح مع السمائيين، التحول بالروح القدس، ابتهالات وطلبات، صلاة المجمع وعن الراقدين، الصلاة عن الراقدين، أبانا الذي في السماوات، القدسات للقديسين، الدعوة للتناول، الحرص في التناول، الشركة في دم المسيح، لا تحرموا نفوسكم عن هذه الأسرار المقدسة الروحية.

صدر عن هذه السلسلة

- بدء الأدب المسيحي الآبائي: الآباء الرسوليون.
آباء مدرسة الإسكندرية الأولون.
القديس كيرلس الأورشليمي: حياته، مقالاته لطالبي العماد، الأسرار.
القديس يوحنا كاسيان: حياته، كتاباته، أفكاره.
القديس يوحنا الذهبي الفم: حياته، كتاباته، أفكاره.
القديس أفراهاط الحكيم الفارسي: حياته، كتاباته، أفكاره.
القديس إكليمنضس الروماني.
القديس مار فيلوكسينوس أسقف منبج: سيرته - كتاباته - منهجه وأفكاره.
القديس غريغوريوس أسقف نيصص: سيرته - كتاباته - منهجه وأفكاره.
حياة موسى أو "عن الكمال في الفضيلة": القديس غريغوريوس أسقف نيصص. ترجمة مجدي فهم حنا.
ترفقوا بالخطاة! للقديس أمبروسوس.
إسحق أو النفس للقديس أمبروسوس (تفسير رمزي لسفر نشيد الأناشيد كسفر الاتحاد بين السيد المسيح مع النفس البشرية). تعريب: الدكتور جرجس كامل يوسف.
رسائل القيامة: للبابا الأنبا أثناسيوس الرسولي. تعريب: بالاشتراك مع آمال نجيب.
العفة: للقديس أغسطينوس.
التوبخ والنعمة: للقديس أغسطينوس.
النعمة والإرادة الحرة: للقديس أغسطينوس.
التجديف على الروح القدس: للقديس أغسطينوس.
الموعظة على الجبل: للقديس أغسطينوس. (جزءان)
الصلاة الربانية: للقديس أغسطينوس.
عظات القديس أغسطينوس على فصول منتخبة من العهد الجديد. (جزءان)
حب بلا تدليل (١) رسالتين إلى ساقطين: للقديس باسيليوس الكبير.
العناية الإلهية للقديس يوحنا الذهبي الفم. تعريب: عايدة حنا بسطا.
الكنيسة تحبك الإلهية للقديس يوحنا الذهبي الفم.
ستعود بقوة أعظم للقديس يوحنا الذهبي الفم.
من يقدر أن يؤذيك؟ للقديس يوحنا الذهبي الفم.
تواضع الفكر للقديس يوحنا الذهبي الفم.
يسوع والمفلوجان للقديس يوحنا الذهبي الفم.
تسابيح عن الميلاد: للقديس مار إفرام السرياني.
الرعاية: البابا غريغوريوس (الكبير) ج ١. ترجمة مجدي فهم حنا وجورج فهمي حنا.
الرعاية: البابا غريغوريوس (الكبير) ج ٢. ترجمة مجدي فهم حنا.
البشارة بالتجسد الإلهي: للقديس غريغوريوس صانع العجائب.

ميامر عن والدته الإله: للقديس مار يعقوب السروجي. تعريب ناهد فؤاد.
مخافة الرب عند القديس مار فيلوكسينوس.
الفيلوكاليا الجزء الأول.
لقاء يومي مع إلهي: خلال خبرات آباء الكنيسة الأولى، المجلد الأول.